

الإمام
ابن تيمية

الاستغاثة في الرد على التبركي

عبد الله السهلي
دراسة وتحقيقه

الاستغاثة

في

الرد على التبركي

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

للتوفيق سنة ٧٢٨ هـ

دراسة وتحقيق

عبد الله السهلي

مكتبة دار الفکر

الإستغاثية

في

الرجاء على البكر

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

دراسة وتحقيق

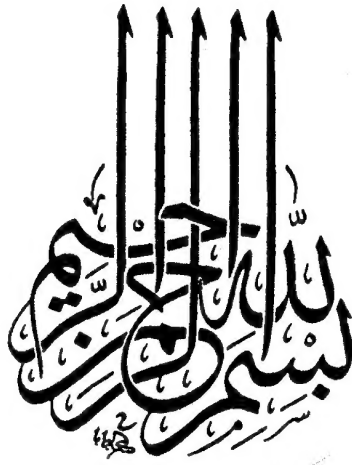
عبد الله بن دجين السهلي

الجزء الأول

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب. ٢٢١٠

٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٦٤٦٥٩



الاستغاثة
في
الركعة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧م - ١٩٩٧م

هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير تقدم بها
المحقق إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية
بجامعة الملك سعود، ونوقشت في الثاني من شهر
الله المحرم عام ١٤١٧هـ وبتوفيق الله - تعالى -
وفضله أجزت الرسالة بتقدير ممتاز.

قال الحافظ ابن كثير:

«والمقصود أن الشيخ رد على البكري ونقض أقواله نقضا أجاد فيه وأفاد، وبين ما فيه من حق وباطل في مجلدة كبيرة، أبطل فيها أنواع الشرك الاعتقادي والعملي وما يتفرع منهما بالأدلة والبراهين القاطعة المقبولة التي تسر أهل السنة وتقر أعينهم عند سماعها، وتسود وجوه أهل الأهواء والبدع ويرهقها قتر وذلة. فرحم الله من قبل الحق ونصره، ورد الباطل وخذله وأهله».

تلخيص الاستغاثة لابن كثير ص ٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ثم أما بعد:

فإنه لا يشك مسلم في أهمية التوحيد الخالص، وضرورته للبشرية أجمع، فما أرسل الله رسولاً إلا وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وينذرهم الشرك، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١)، فالشرك خطره عظيم، ومن تأمل القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وجدّهما مصرحين ببطلان دين المشركين وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسله، وأنهم أولياء الشيطان وعباده، وأنهم أهل النار الذين لا يخرجون منها، وهم الذين حلت بهم المثالات ونزلت بهم العقوبات.

ولذا كانت وصية النبي ﷺ لأمته، وفي آخر لحظات عمره ﷺ، التحذير من هذا الداء الويل، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢)

(١) سورة النحل الآية : ٣٦

(٢) انظر ص ٣٣٧

وفي رواية «وصالحهم»، ولقد كانت الأمة على هذه الوصية الشريفة في القرون الثلاثة، حتى أصابها ما أصاب الأمم قبلها فظهرت بدعة القبورية^(١)، وأواخر القرن الثالث الهجري، حين ضعفت دولة بني العباس، لما تفرقت الأمة وكثر فيها الزنادقة، وقد شاعت بين الرافضة أولاً، لما صارت لهم دويلات، كدولة بني بويه، ودويلات الباطنية من العبيدية^(٢) والإسماعيلية^(٣) وغيرهم، حيث نشروا بدع المشاهد والقبور، والعبادة عندها ودعاء المقبور وغير ذلك.

ثم انتشرت واشتهرت في القرن الرابع والخامس وما بعدهما، وسارت الطرق الصوفية على سبيل الرافضة تنشر هذه البدع، وتروجها، حتى عمت البلوى في كثير من بلاد الإسلام. هذا من ناحية ...

ومن ناحية أخرى: لما عربت كتب اليونان الوثنية، عكف عليها

(١) القبورية - أو عباد القبور - نسبة للقبور، ويراد بهم: كل طائفة جاوزت الحد في تعظيم القبور، وقد يكون هذا التعظيم شركاً أكبر أو من وسائل الشرك. ووجدت هذه الطوائف في كثير من الأمم، وسلفهم قوم نوح - عليه السلام - وأول من عُرف بهذا الأمر في الأمة الإسلامية الرافضة في آخر القرن الثالث الهجري. انظر: هامش ص ٣٣٦ من هذا الكتاب، وكتاب جهود علماء الحنفية تأليف د. شمس الدين السلفي الافغاني الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ الناشر دار الصميعي - الرياض.

٢- انظر ص ٤٩٥.

٣- انظر ص ٢٥٥.

من سموا بفلاسفة الإسلام كالفارابي (ت ٣٣٩هـ) ^(١) وابن سينا (ت ٢٨٠هـ) ^(٢) وغيرهما، فتأثروا بها ونقلوها، وخالفوا طريقة المرسلين، وسائرهم كثير من المتكلمين؛ كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فاختلقوا قضايا موهومة؛ ومشاكل أوقعوا أنفسهم فيها، زعماً منهم أنهم دعاة للتوحيد، وحماة لعقائد المسلمين، وحقيقة حالهم لا للفلاسفة كسروا ولا للإسلام نصروا ^(٣)، وكانوا سبب تسلط الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام، فلم يعرفوا التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فمن هذه الطرق الرافضة والفلاسفة والمتكلمين والصوفية الخرافية تسربت البدع القبورية إلى بعض المسلمين وكان من أعظم هذه البدع، بل أم هذه البدع الاستغاثة بالأموات، حتى وصل حال الأمة الإسلامية كما وصفها الإمام العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ^(٤) في قصيدته:

١- انظر ص ٤٨٩.

٢- انظر ص ٤١٣.

٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٦/ ٣٠٠.

٤- هو أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد من بيت الإمامة باليمن، ولد سنة ١٠٩٩هـ تعرض لحزن من بعض المتعصبين والعوام، له تصانيف نافعة أشهرها سبيل السلام، توفي رحمه الله ١١٨٢هـ. انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني ج ٢/ ١٣٣ الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة القاهرة - مصر، والأعلام ج ٦/ ٣٨.

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وودأ ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمهاوكم كما يهتف المضطر بالواحد الصمد
وكم عقروا في سواحها من عقيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم من طائف حول القبور مقبل ومستلم الأركان منهمن باليد^(١)

نعم هذه حال بعض المسلمين - هداهم الله - يستغيثون
بالمقبورين، ويدعونهم من دون الله، ويطوفون بالقبور، ويحجون إليها،
ويرون أنهم قد أربوا في الربح على حجاج البيت الحرام.

فغزمت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير في هذا المجال،
تحقيقاً أو موضوعاً.

وخلال البحث وجدت أن أغلب من كتب في هذا ينقل أو يحيل
إلى كتاب عظيم الفائدة غزير المعنى، قد استوفى المسألة بحثاً وتحقيقاً
وتحريراً لإمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام السنة النبوية وهو
كتاب "الاستغاثة في الرد على البكري" للإمام المجدد شيخ الإسلام تقي
الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) محي السنة
وقامع البدعة، وهو من أوفى الكتب في هذه المسألة (الاستغاثة
بالأموات)، ومن أجل الكتب التي نافحت عن العقيدة الصحيحة،
ودرأت الشبهات الشيطانية، رد فيه شيخ الإسلام على أحد دعاة

١- انظر: ديوان الأمير الصنعاني للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قدم له
وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني ص ١٢٩ الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ
مطبعة المدني - القاهرة على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

القبورية في عصره، وهو علي بن يعقوب البكري (ت ٧٢٤هـ). ويمكن
إيجاز أهمية الكتاب بمايلي :

أولاً : إنه أول وأفضل كتاب في الرد على من استغاث بالمقبور، وقضية
الاستغاثة بالأموات من أهم موضوعات الخلاف بين دعاة
التوحيد ودعاة الشرك، بل هي الركيزة الأساسية في الخلاف،
فهو كتاب مهم في موضوع هام.

ثانياً : غالب من تكلم في قضية الاستغاثة يرجع إلى هذا الكتاب، ويبلغ
النقل أحيانا عدة صفحات متتابعة، ولا يحسن العناية بهذه الكتب
دون مصدرها الذي إليه تورده عنه تصدر.

ثالثاً : ندرة الكتاب في المكتبات، ومطالبة كثير من أهل العلم بإخراجه
مع سوء الطبعة السابقة وكثرة الأخطاء في الآيات القرآنية
والأحاديث النبوية، وكثرة السقط والتحريف والتصحيف، دون
أي خدمة أو معالجة، يقابل ذلك كتب أهل البدعة، التي نراها
منتشرة ومحققة، ومطبوعة طباعة فاخرة.

رابعاً : على ما في طبعة الكتاب السابقة من تحريف وسقط، ففيها أخطاء
علمية كبيرة، منها : عنوان الكتاب بـ " تلخيص كتاب الاستغاثة
المعروف بالرد على البكري " وهذا غير صحيح فكتاب "تلخيص
الاستغاثة" غير "كتاب الرد على البكري" فالثاني أصل، والأول
تلخيص له، فكتاب تلخيص الاستغاثة لابن كثير، والرد على
البكري لابن تيمية ، فبينهما فرق.

وهذا الخطأ أدى لأخطاء علمية أخرى، فنقل بعض الباحثين من

تلخيص الاستغاثة، وجعل المرجع الرد على البكري^(١).

كما أن في التلخيص نصوصاً لابن كثير لم يذكرها ابن تيمية إطلاقاً، بل في الأصل ما يخالف أحدها وقد بينت هذا في الكلام على التلخيص^(٢).

خامساً: هذا الكتاب كما أنه وضع أصل بدعة الاستغاثة بالمقبور وبداية وجودها في الأمة الإسلامية، فهو كذلك يعالج كثيراً من البدع المتعلقة بالمقبور وغيرها.

سادساً: إنه من مصنفات إمام له قدم راسخ في العلم والفهم متحرر من ريقه التقليد والتعصب وهو شيخ الإسلام بحق . لهذه الأسباب وغيرها، اخترت هذا الكتاب "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية" تحقيقاً ودراسة، وذلك في أطروحة الماجستير، وقد أيد هذا الاختيار أساتذتي في قسم الثقافة الإسلامية.

وقد واجهتني بعض الصعوبات عند تسجيل الموضوع وعند العمل فيه، منها:

١- انظر على سبيل المثال: كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه تأليف د. عبدالرحمن الفريوائي ص ٦٠١، ٥٩٨-٦٠٥، ٦١٣، ٦٢٠ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار العاصمة الرياض، وكتاب الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي ص ٥٥ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة - الرياض .

٢- انظر ص ١٢٥.

أولاً : إن هذا الكتاب لم يحظ بما حظيت به كتب الشيخ الأخرى من الحفظ والعناية، فقد فقد منه أوله، وقد بذلت كثيراً من الجهد والوقت في البحث عنه ولم أجد أي ذكر له، ولربما كان هذا سبباً في إعراض كثير من الباحثين المهتمين بتراث هذا الإمام عن تحقيقه ، فأملئ من القراء الكرام من وجد شيئاً من ذلك أن يرشدني إليه مشكوراً مأجوراً بحزياً من الله خيراً.

ثانياً : عدم ذكر فهرس المخطوطات والمصادر العلمية لهذا الكتاب أو أي معلومات عنه إلا فيما ندر، ويدل على ذلك أن جميع النسخ الخطية التي اعتمدت عليها لم ترد في فهرس متداول.

ثالثاً: عدم تعاون بعض دور المخطوطات .

رابعاً : مع كثرة ما استطعت جمعه من مخطوطات الكتاب إلا أنه وللأسف يوجد فيها سقط وتحريف وتصحيف وقد أمضيت أوقاتاً طويلة محاولاً إكمال سقط أو إصلاح تحريف ؛ أو تصحيف، كما قال بعضهم: «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ، وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام»^(١).

قلت : هذه الصعوبة على الكاتب نفسه، فكيف بغيره مع بعد الزمن، وقصور الهمم، وقلة البضاعة.

ومن أهم نتائج هذا البحث، إثبات المؤلف أن الاستغاثة بالأموات قضية مبتدعة لم تعرفها الأمة الإسلامية عدا الشيعة إلا في نهاية القرن الثالث الهجري، وأن هذه البدعة الشركية بدأت في الأمة بذكر قصص من استغاث بالنبي ﷺ، ثم صارت إلى ما كان عليه البكري، ومع ذلك لم يستوعب جميع شبهات القبورية.

فهذه القضية عند هؤلاء القوم في توسع مطرد .

وعلمي في الكتاب على قسمين:

القسم الأول: الدراسة

ويتكون من باين:

الباب الأول : ترجمة المؤلف وموقف البكري منه.

الباب الثاني : دراسة للكتاب.

القسم الثاني : تحقيق الكتاب

وبين يدي التحقيق وصف للنسخ الخطية ومنهج التحقيق، وقد اعتمدت على أربع نسخ، واستفدت من النسخ الأخرى ثم أعقبت ذلك بالفهارس المختلفة.

* منهج التحقيق :

جعلت أقدم هذه النسخ وأفضلها هي الأصل، وهي المحفوظة بجامعة أم القرى، وقارنتها بثلاث نسخ أخرى، وهي نسخة المكتبة السعودية التابعة للإفتاء ورمزت لها بحرف "ف"، ونسخة دار الملك

عبد العزيز وأصلها في مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورمزت لها بحرف "د"، ونسخة المعهد العلمي بحائل ورمزت لها بحرف "ح".

وقد عرفت بالفرق والمذاهب تعريفاً موجزاً وترجمت لغير المشهورين من الأعلام، وعزوت الآيات والأحاديث وعلقت على بعض المواضع التي أرى أنها تحتاج إلى تعليق، كل ذلك بقدر الطاقة والاستطاعة مع الاختصار قدر الإمكان.

وبعد فأشكر الله تعالى وأحمده على ما منّ به ووفق، فحقه تعالى أن يذكر فلا ينسى ويشكر فلا يعصى، ثم أشكر والذي للذين ربياني وأحاطاني بعنايتهما ورعايتهما، ثم أقدم الشكر الجزيل لكل من ساهم أو سأل أو ساعد في هذا البحث، وأخص أساتذتي سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد أبو الغيط الفرت المشرف على الرسالة بوافر الشكر والامتنان، على ما بذله من وقت وجهده، وأشكر فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل الأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على تفضله وتكرمه بقبول مناقشة هذه الرسالة رغم انشغاله وضيق وقته، كما أشكر سعادة أستاذنا الدكتور/ رزق بن يوسف الشامي الذي أعطاني من وقته وجهده الكثير، وقد كان مع هذه الرسالة منذ كانت فكرة حتى أصبحت رسالة ليتفضل بمناقشتها، فلهم مني جميعاً وافر الشكر والتقدير، وأسأله تعالى أن يجعل العمل لوجهه خالصاً، وأن ينفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وحسبي أنى بذلت جهدي وطاقتي؛ فإن أصبت فذلك قصدت،

والخير أردت ، ورجائي ممن يجد مايفيد الكتاب أن يبعث إلى مشكورا
عبر [دار الوطن للنشر]

وما أحسن ما قال الشاعر:

وإن تجد عيبا فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

فما كان من صواب فمن الله وحده، هو المان به ، وما كان فيه
من خطأ فمني ومن الشيطان، واستغفر الله منه.

والله وحده هو المعين والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم
على نبينا محمد.

القسم الأول :

الدراسة

وتتكون من ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن
تيمية والبكري ودراسة للكتاب

الباب الأول :

في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية وترجمة البكري

وفيه فصلان

الفصل الأول : ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الثاني : ترجمة البكري وموقفه من ابن تيمية

الفصل الأول

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من العلماء البارزين ، بل لعل تاريخ الإسلام في عصوره الوسطى والأخيرة لم يشهد شخصية أشهر من ابن تيمية ، اعترف لها بالفضل الصديق والخصم ، وهو أشهر من أن يُعرَف به ، وقد حظي بتراجم عديدة، مفردة وغير مفردة، كما أن كتبه ورسائله وفتاواه صارت مجالاً خصباً للتأليف والدراسة والنشر والتحقيق، ولم يغفل محققوها وناشروها الترجمة له.

ولذلك يصعب حصر المصادر والمراجع التي تناولت حياته بالشرح والتفصيل فما بالك بالإحاطة بحياة هذا الإمام الفذ. لذا سأقتصر على ترجمة مختصرة:

ترجمة موجزة للمؤلف :

اسمه ونسبه ومولده ونشأته :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن العلامة (شهاب الدين أبي المحاسن) عبد الحليم بن (محمد الدين أبي البركات) عبد السلام بن (أبي محمد) عبد الله بن (أبي القاسم) الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي.

ولد يوم الإثنين العاشر أو الثاني عشر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)

بحران^(١)، ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق، لسوء أحوال حران وما حولها بعد استيلاء التتار عليها.

وقد نشأ في عائلة اشتهرت بالعلم والمكانة فجدّه مجد الدين عبد السلام بن عبد الله من العلماء الأعلام، صاحب التصانيف النافعة التي منها: "المنتقى من أحاديث الأحكام"، "والمجرد في الفقه" وغيرهما. ووالده شهاب الدين أبوالمحاسن شيخ حران وحاكمها وخطيبها بعد وفاة والده مجد الدين. وإخوته ثلاثة، وهم: بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني، وشقيقاه: زين الدين عبدالرحمن بن عبد الحليم، وشرف الدين عبد الله بن عبد الحليم، جميعهم اشتهروا بالعلم والفضل.

ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة ابن تيمية، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على والده وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها حتى أفتى

١- حران: بتشديد الراء، من مدن الجزيرة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم -عليه السلام- لأنه أول من بناها فعربت فقليل حران، وبها منازل الصابئة وهم الحرائيون الذين يذكّرهم أصحاب كتب الملل والنحل، وفيها مجمع الصابئين وقيل: إنهم من ولد صاب بن طباط بن خنوخ وهو أول من نزل بابل واتخذ بها هيكلًا، وكان من أهل الفلسفة والنجوم. فتحها عياض بن غنم سنة ١٧هـ لما فتح الجزيرة، وهناك حران الكبرى وحران الصغرى قرىتان بالبحرين، وحران أيضًا من قرى حلب. انظر: معجم البلدان تأليف ياقوت الحموي تحقيق فريد عبدالرحمن الجندي ج٢/ ٢٧١-٢٧٢ رقم ٣٥٨٦ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

ودرس قبل بلوغ العشرين عاماً، وما لبث أن صار إماماً يعترف له
الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره .

مكانته ومنزلته :

لقد تبوأ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة عظيمة بين علماء عصره،
لأسباب منها :

١- العلم الغزير فهو إن درس أو خطب أو أفتى أو كتب رسالة أو
كتاباً في أي فن من الفنون أتى بما يفوق علماء عصره، وما يهر
عقولهم.

٢- بعده عن المناصب أو أخذ رواتب من الدولة، وكان ذلك عن
عزم وتصميم، فلم يتول القضاء أو الإمارة أو غيرها، حتى وهو
في السجن لم يأكل من الطعام الذي يُحضر له في السجن.

٣- جهاده في سبيل الله، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفضحه
أصحاب الحيل الشيطانية، وردّه على أهل الاهواء والبدع.

جهاده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

لقد تميزت حياة ابن تيمية -يرحمه الله- بهذه الميزة العظيمة:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، والكلام حول
هذا الجانب يطول ولكن نشير إلى مسائل مهمة تتعلق بموضوع هذا
الكتاب، وهي التطبيق العلمي له، فمن ذلك:

كسره للأصنام والأماكن التي تعظم من دون الله -تعالى-، قال
ابن القيم: «وقد كان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسر الله -سبحانه-
كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلوق،

والنصب الذي كان بمسجد التاريخ من المصلى يعبد الجاهل، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عند مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، وكان صورة صنم في نهر القلوط^(١) يندرون له ويتبركون به، وقطع الله النصب الذي كان عند الرحبة يسرج عنده، ويتبرك به المشركون وكان عموداً طويلاً على رأسه حجرة كالكرة، وعند مسجد درب الحجر نصب قد بني عليه مسجد صغير يعبد المشركون يسر الله كسره»^(٢)

وله مواقف عظيمة في جهاد التار والنصارى، وطوائف من ضلال المسلمين من الفلاسفة والمتكلمين والرافضة والباطنية والصوفية وغيرهم. وقد فضح هذه الطوائف وبين ضلالها بقلمه ولسانه، وجاهدهم بيده.

والمطلع على هذا الجانب من حياة الشيخ يكاد يجزم بأنه لم يبق له من وقته فضلة، وقد حارب وأوذى وسجن مرات في سبيل الله، حتى وافته منيته مسجوناً.

ولا تزال بحمد الله ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق

١- لم أجد من عرف به .

٢- إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان (في بعض الطبقات الأخرى إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان) لابن القيم تحقيق محمد عفيفي ج ١/ ٣٢٩ الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت. وكتاب ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني تحقيق محب الدين الخطيب ص ٨-١٢ طبعة ١٣٦٨ هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة - مصر، والبداية والنهاية ج ١/ ٣٨.

ودعاة البدع، لأنها تستند على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف، مع قوة الاستنباط، والاستدلال والاحتجاج بالشرع والعقل، مع إنصاف وعدل.

وردود الشيخ كما كانت رداً شافياً وقوياً وتقوياً لضلال فرق عصره - رحمه الله - فهي رد على امتداد هذه الفرق في هذا العصر، ولذلك فإن كثيراً ممن قام بالرد على أي فرقة لا بد أن استفاد من كتابات الشيخ وردوده.

محتته وسجونه :

امتنح شيخ الإسلام ابن تيمية محناً عديدة، ماتكاد تنتهي محنة حتى تبدأ محنة جديدة، إلى أن لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق.

ولعل من أعظم أسباب هذه المحن عدااء بعض العلماء والقضاة له؛ لمواقفه العظيمة؛ ووجهاته عند الناس؛ وتشرب كثير منهم بالبدع: من بدع الفلاسفة وأهل الكلام أو القبورية والصوفية، وأول هذه المحن محتته بسبب الفتوى الحموية^(١) ثم محتته ومناظرته حول الفتوى الواسطية^(٢)،

١- ملخص هذه المحنة: أن شيخ الإسلام ابن تيمية كتب جواباً سئل عنه من حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، فقام عليه بعض الأشاعرة لأنهم يرجحون مذهب المتكلمين، وقد كانت في ربيع الأول سنة ٦٩٨هـ. انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د. عبدالرحمن المحمود ج١/ ١٧٦-١٧٨.

٢- وبدأت هذه المحنة في يوم الإثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ حين ورد مرسوم من السلطان بأن يسأل الشيخ عن عقيدته، فأحضر الشيخ العقيدة الواسطية والتي

وهما في تقرير مذهب السلف في الصفات والرد على المتكلمين، لذا لم يكن للصوفية دور بارز فيهما، وإنما كان لبعض رجالاتهم سعي لدى السلطان؛ لامتحان الشيخ مرة بعد أخرى.

ثم كان امتحان الشيخ وذهابه إلى مصر وسجنه بالجلب ثمانية عشر شهراً، أما محنته مع الصوفية ففي مصر بعد خروجه من السجن وبقائه فيها، كان يتطرق إلى جوانب عقدية تمس أحوال الصوفية وبدعهم؛ فقام نصر المنبجي^(١) وابن عطاء الله السكندري^(٢) -

كُتبت قبل سبع سنين، وقرئت وجرى نقاش حول عدة قضايا، وعقدت مجالس أخرى أنهت لصالح الشيخ. انظر موقف ابن تيمية من الأشاعة تأليف د. عبدالرحمن المحمود ج١/ ١٧٩-١٨٢.

١- نصر المنبجي هو: أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكنجي المنبجي صوفي له زاوية بالحسينية، كان الجاشنكير يعتقد فيه، وكان يغالي في محبة ابن عربي الصوفي، مات سنة ٧١٩هـ ودفن بزاويته.

انظر: ذبول العبر في خير من غير لشمس الدين الذهبي تحقيق أبو هاجر محمد زغلول ج٤/ ٥٥ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، والبداية والنهاية ج٤/ ١٠٤، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني ج٤/ ٣٩٢ رقم الترجمة ١٠٧٦ طبعة دار الجليل بيروت - لبنان، وفي الدرر الكامنة نصر بن سلمان والصواب ابن سليمان كما في البداية وذبول العبر.

٢- ابن عطاء الله السكندري هو: أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الاسكندري، صوفي شاذلي، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة ٧٠٩هـ انظر الدرر الكامنة لابن حجر ج١/ ٢٧٥ ترجمة رقم ٧٠٢. انظر: الأعلام للزركلي ج١/ ٢٢٢.

وللبكري دور فيها - بإثارة أتباعهم من المتصوفة، فاجتمع خلق كثير منهم؛ من أهل الخوانق والربط والزوايا واتفقوا أن يشكوا الشيخ إلى السلطان، فطلع منهم خلق كثير إلى القلعة وكانت لهم ضجة شديدة لفتت انتباه السلطان، واستعانوا عليه بالأمراء وغيرهم، وذلك في شوال سنة ٧٠٧هـ.

فأمر السلطان أن يُعقد له مجلس فعُقد له مجلس يوم الثلاثاء العاشر من شهر شوال سنة ٧٠٧هـ وادعى عليه ابن عطاء بأشياء، فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: «لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة، ولكن يتوسل به، ويستشفع به إلى الله»، فبعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة^(١) أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ماتقتضيه الشريعة، فقال القاضي: «قد قلت له ما يقال لمثله»، ثم جاء الأمر من الدولة أن يخير بين أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس، فاختار الحبس، فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً ما شرط، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرهم، ثم لما سافر ليلة ١٨ شوال من السنة نفسها، رُد من الطريق وقيل: «إن

١- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى، الحموي الأصل ولد سنة ٦٣٩هـ بحماة ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم نقل منه إلى قضاء مصر، كان رحمه الله ديناً ورعاً كافاً للادى، له تصانيف نافعة منها "المنهل الروي في الحديث النبوي" وغيره توفي سنة ٧٣٣هـ ودفن بالقرافة. انظر البداية والنهاية ج٤/١٧٨ والأعلام ج٥/٢٩٧.

الدولة ماترضى إلا بالحبس»، فقال القاضي ابن جماعة: «وفيه مصلحة له»، واستتاب ابن جماعة بعض القضاة أن يحكموا فيه بالحبس فامتنع أحدهم وتحير الآخر، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال: «أنا امضي إلى الحبس وأتبع ماتقتضيه المصلحة»، فأرسل إلى حبس القضاة وأذن له بأن يكون معه من يخدمه، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي لوجهته في الدولة، فإنه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير^(١) الذي تسلطن فيما بعد.

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى؛ ويقصده الناس ويزورونه، وتأتية الفتاوى المشكلة، ثم عقد له مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة وأكب الناس على الاجتماع به^(٢).

فلما كثر اجتماع الناس بالشيخ وترددهم عليه ساء ذلك أعداءه وحصرت صدورهم؛ وصاحب ذلك تسلطن الجاشنكير تلميذ نصر

١- هو ركن الدين الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري، من سلاطين المماليك، كان من مماليك المنصور قلاوون، وتسلطن في زمن الناصر محمد قلاوون، لما ذهب الناصر للكرك مكرها، في سنة ٧٠٩هـ، كان يعظم نصر المنبجي الإتحادي، وهذا سبب إيذاء شيخ الإسلام في عهده. انظر البداية والنهاية ج ٤ / ٦٠-٦١ والأعلام ج ٢ / ٧٩.

٢- انظر البداية والنهاية ج ٤ / ٤٩-٥٠، والعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عبدالحادي تحقيق محمد حامد الفقي ص ٢٧٠-٢٧٢ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، والكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن ص ١٣٣ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان.

المنبجي، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ينال من الجاشنكير؛ ومن شيخه نصر المنبجي، ويتكلم في ابن عربي وأتباعه.

فقرروا أن يسروه إلى الإسكندرية كهية المنفي؛ — في نهاية شهر صفر سنة ٧٠٩هـ - ومنعوا أن يذهب معه أحد من أصحابه رجاء أن يقتل، وأقام بغير الإسكندرية في برج مليح واسع؛ يتردد عليه الناس وقد لحق به أصحابه، وبقي ثمانية أشهر فلما رجع السلطان الناصر إلى الحكم وقدم مصر في يوم عيد الفطر ٧٠٩هـ؛ لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ ابن تيمية من الإسكندرية، فقدم إليه في الثامن من شهر شوال.

وبقي الشيخ في القاهرة إلى سنة ٧١٢هـ، حيث خرج لجهاد التتر صحبة الجيش المصري؛ وقدم دمشق أول ذي القعدة سنة ٧١٢هـ (١) ثم سجن الشيخ وامتنحن بسبب فتواه في الطلاق باعتبار الثلاث بكلمة واحدة طلاقاً رجعيّاً، في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٧١٩هـ (٢).

ثم كانت أعظم المحن التي مرت على الشيخ وأتباعه، وهي محتته بسبب فتواه في شد الرحال إلى القبور، وقد كُذِبَ عليه فيها وحرفت، حتى جاء مرسوم السلطان بإقامته في القلعة في السادس من شهر شعبان سنة ٧٢٦هـ، وسجن جماعة من أتباعه وضيق عليهم، وعزر جماعة منهم على دواب، ونودي عليهم، ثم أطلقوا؛ سوى ابن القيم الذي حبس في

١- انظر البداية والنهاية ج٤/٧٣ والعقود ص٢٧٨ والكواكب ص١٣٥.

٢- انظر البداية والنهاية ج٤/٧٢ والعقود ص٣٢٥ وما بعدها، والكواكب

القلعة، ثم أخرج ماعند الشيخ من الكتب بأمر السلطان، وصار يكتب رسائله بالفحم، فكان ذلك من أعظم المصائب عليه^(١) حتى مات - رحمه الله - في الحبس.

ولا يخفى دور الصوفية والرافضة في هذه المحنة، وقد انتصر له كثير من العلماء: من علماء الشام وبغداد وغيرهم وكتبوا بما يوافق قوله في المسألة^(٢)، وكان له - رحمه الله - دور إيجابي في هذه المحن، من الثبات على الحق وتحويل جو المحنة إلى خدمة المبدأ الذي يدعو إليه^(٣).

مؤلفاته ورسائله:

كتب ابن تيمية ورسائله كثيرة جداً يصعب حصرها والإحاطة بها، وقد ضاع بعضها، وفقدت أجزاء من بعضها الآخر - مثل كتاب الاستغاثة -، لأن هذه المحن التي مر بها هو وأتباعه لا بد أن تنال كتبه ورسائله، وقد وصل الأمر إلى أن يخاف أتباعه أن يظهروا كتبه^(٤).

ونقص الكلام هنا على بعض مؤلفاته التي أفردتها في الاستغاثة والتوسل وبدع القبور، منها:

١ - انظر البداية والنهاية ج ١٤/ ١٤٦.

٢ - انظر العقود الدرية ٣٤٢ وما بعدها، والكواكب ١٥٩.

٣ - انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د. عبدالرحمن المحمود ج ١/ ١٩٤ - ١٩٦ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٤ - العقود الدرية ص ٦٤.

١-رسالة الاستغاثه:

وهي جواب مختصر في حكم الاستغاثه برسول الله ﷺ، وقد طبعت عدة طبعات^(١)، وهذه الرسالة هي الأساس لكتابنا الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه، فقد رد البكري على هذه الرسالة فرد عليه ابن تيمية بهذا الكتاب.

ونقل ابن تيمية غالب هذه الرسالة في كتابه قاعدة جلية في التوسل والوسيلة^(٢) وفي هذا الكتاب أيضا^(٣)، وقد كتبها سنة ٧١١هـ في مصر قال: «وكننت وأنا بالديار المصرية في سنة ٧١١هـ قد استُفتيتُ عن التوسل بالنبي ﷺ...»^(٤).

٢-رسالة أخرى :

وهي جواب عن سؤال أطول من السؤال السابق، ويظهر أن السائل من تلاميذ ابن تيمية، ويشير إلى كلام البكري دون ذكر اسمه، ويذكر أقواله مثل: «تكفير من منع الاستغاثه بالنبي ﷺ»، وفي السؤال أيضا بعض أقوال ابن تيمية من كتاب الرد على البكري. وقد أجاب الشيخ على السؤال أيضا دون ذكر للبكري، ولكن

١- طبعت ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ج١/١٠٨-١١٣ طبعة ١٤١٢هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية، وسأشير له فيما بعد بـ (مج)، وطبعت مستقلة بعناية محمود إمام منصور (الناشر مكتبة الصحابة بطنطا).

٢- ص ٢٤٤ بتحقيق ربيع هادي المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر لينة دمنهور.

٣- ص ٢٨٩.

٤- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ٢٤٤.

يظهر من ألفاظ الجواب وكأنها مختصرة من هذا الكتاب، ولم يذكر لها عنواناً أو تاريخ تأليف، ولكن من المؤكد أنها بعد الرسالة السابقة ورد البكري عليها^(١).

٣- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة:

وهذا الكتاب من أهم كتب شيخ الإسلام في هذه القضية، وغالبه عن التوسل: أنواعه، وحكم كل نوع وأدلتها، ورد على أدلة المخالفين له، والفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة والدعاء وما بين هذه الأنواع من الفروق، وغير ذلك، وكما سبق فقد ضمنه أجزاء من رسالة الاستغاثة.

وقد ألفه بالشام بعد سنة ٧١٢هـ لقوله «وكننت وأنا بالديار المصرية في سنة ٧١١هـ»^(٢).

ويلاحظ أن كثيراً من القضايا التي أوردها المؤلف في هذا الكتاب، أوردها في كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري مختصرة جداً^(٣)، وقد جاءت في التلخيص أيضاً مختصرة^(٤).

٤- كتاب "الاستغاثة في الرد على البكري" وهو كتابنا الذي نحن

١- انظر مج ج١/١٠١-١٠٧.

٢- قاعدة جلية ص ٢٤٤.

٣- مثل الحكاية المنسوبة عن مالك انظر قاعدة جلية ص ١٤٧ وما بعدها. و ص ٣٩٨ من هذا الكتاب، وحديث الأعمى انظر ص ١٨٩ من قاعدة جلية و ص ٣٩١ من هذا الكتاب.

٤- انظر ص ٥ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٦٩ ، ١١٨ ، ١٢١

بصدد.

٥- "قاعدة في التوسل": وهي غير الكتاب السابق، محفوظة في المكتبة الظاهرية ضمن مجاميع في ١٦ ورقة، وله نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ١٠٥٢ (١).

٦- وكتاب "الرد على الأخنائي": وهو في الرد على القاضي تقي الدين المالكي، في مسألة شد الرحال وقد طبع عدة مرات وهو آخر كتبه التي ألفها (٢).

٧- وكتاب "الجواب الباهر في زوار المقابر": كتبه للسلطان في زيارة القبور وما كُذِبَ عليه فيها، وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى، وله طبعة مستقلة في مجلد.

٨- "ومختصر الأخنائية": وهو مختصر الرد على الاخنائي، وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى.

وله رسائل وأجوبة صغيرة أخرى في هذا الموضوع.

وفاته:

توفي الشيخ -يرحمه الله- وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الإثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، أثر مرض ألم به أياماً

١- انظر مقدمة مسألة في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي الشبل ص ٧٣ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة العبيكان الرياض - السعودية.

٢- وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، ويقوم الشيخ أحمد العنزي بتحقيق هذا الكتاب رسالة ماجستير في جامعة الملك سعود.

يسيره.

وقد اعتبر المؤرخون جنازة ابن تيمية من الجنازات المشهورة النادرة، فيشبهونها بجنازة الإمام أحمد بن حنبل. وقد هب كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشيع جنازته رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء*.

* - مصادر الترجمة :

- المراجع التي ترجمت لابن تيمية كثيرة جداً ولتقصيها تحتاج إلى مؤلف مستقل، أذكر منها:
١. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية تأليف عمر بن علي البزار ص ١٦ وما بعدها، بتحقيق زهير الشاويش الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ الناشر المكتسب الإسلامي بيروت - لبنان.
٢. ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني ص ٧ وما بعدها.
٣. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الحافظ محمد بن عبد الهادي.
٤. ذيل العبر في خير من غير للذهبي تحقيق أبو ماهر محمد زغلول ج ٤/ ٨٤.
٥. البداية والنهاية لابن كثير وقد ذكره في مواضع عديده منها ج ٤٠/ ١ - ٤٣، ١٢٦، ١٤٨، وغيرها.
٦. الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين الصفدي الطبعة الثانية عناية س. ديدرينغ ج ١٥/ ٥ وما بعدها.
٧. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة تأليف زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد الدمشقي المعروف بابن رجب تصحيح محمد حامد الفقي ج ٢/ ٣٨٧ وما بعدها طبعة ١٣٧٢ هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

-
٨. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لرهان الدين إبراهيم بن مفلح تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين ج١/٨٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.
٩. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف الإمام مرعي الكرمي الحنبلي ص ٥١ وما بعدها.
١٠. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن ص ٢٣ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الفرقان عمان الأردن ومؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
١١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين ابن تغري بردي ج٩/٢٧١-٢٧٢ طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.
١٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني ج١/١٤٤ وما بعدها ترجمة رقم ٤٠٩.
١٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للعلامة الشوكاني ج١/٦٣.
١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبدالحى بن العماد الحنبلي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار الغرب بيروت - لبنان ج٦/٨٠.
١٥. فهرس الفهارس والاثبات تأليف عبدالحى الكثاني عناية د. إحسان عباس ج١/٢٧٤ وما بعدها طبعة دار الغرب الإسلامي بيروت.
١٦. شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع صلاح الدين المنجد ص ٦٤ الطبعة الأولى ١٩٦٧م الناشر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان. وترجمه -رحمه الله- كثيرة لو استرسلت في ذكرها لطال بنا المقام، وفيما ذكر كفاية -إن شاء الله-.

الفصل الثاني

ترجمة البكري

وموقفه من شيخ الإسلام ابن تيمية

الفصل الثاني

ترجمة البكري وموقفه من شيخ الإسلام ابن تيمية

تضمن المصادر علينا بترجمة البكري، وأغلب من ترجم له ذكره باختصار شديد، حتى ذكره الذهبي والسيوطي في ثلاثة أسطر فقط^(١)، ويظهر أنه كان مغموراً لم يُعرف إلا بسبب رد شيخ الإسلام ابن تيمية عليه.

وهذا مصداق ما ذكره السلف عن أهل البدع، قال: أبو بكر بن عياش - لما قيل له أن بالمسجد أقواما يجلسون ويجلس إليهم الناس -، فقال: «من جلس للناس جلس إليه، ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم، لأنهم أحيوا بعض ما جاء به الرسول فكان لهم نصيب من قوله تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾»^(٢)، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم، لأنهم شانوا بعض ما جاء به الرسول فبترهم الله فكان له نصيب ممن قوله تعالى ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾»^(٣)»^(٤) قلت: صدق والله، وترجمة البكري خير مثال على ذلك.

١- ذيل العبر للذهبي ج ٤/ ٦٩-٧٠، وحسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي ج ١/ ٤٢٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢- سورة الكوثر الآية : ٢

٣- سورة الشرح الآية : ٤

٤- تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٧٦.

١- اسمه ونسبه ومولده :

هو أبو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن البكري الشافعي المصري، ينتهي نسبه إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ولد سنة ٦٧٣هـ.

٢- شيوخه وآثاره العلمية :

قال مترجموه: «هو الإمام الفقيه الزاهد»، سمع مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا. ومن شيوخه ابن الجزري^(١) الذي نهى تلميذه البكري وأنكر عليه رده على ابن تيمية، وقال له: «أنت لا تحسن الكلام»، وابن الرفعة^(٢) الذي أوصاه أن يكمل شرح الوسيط، والمسمى المطلب، ولم يتفق للبكري ذلك، لما كان يغلب عليه من

١- هو أبو عبد الله شمس الدين محمد يوسف الجزري ولد سنة ٦٣٧هـ بالجزيرة وسافر إلى مصر، ولي خطابة جامع القلعة ثم جامع ابن طولون، من فقهاء الشافعية له شرح منهاج البيضاوي توفي ذى القعدة سنة ٧١١هـ وقيل ٧١٦هـ والصواب ٧١٦هـ لأن الحادثة التي يشير إليها شيخ الإسلام حدثت بعد ٧١٢هـ. انظر: شذرات الذهب ج٤/٤٢ والدرر الكامنة ج٤/٢٩٩ رقم الترجمة ٨٣٠ وحسن المحاضرة ج١/٥٤٤ والأعلام ج٧/١٥١.

٢- هو نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الأنصارى يعرف بابن الرفعة، فقيه شافعي، كان محتسب القاهرة وناب في الحكم، له كفاية النبيه في شرح التنبية والمطلب وغيرهما توفي سنة ٧١٠هـ. انظر: البداية والنهاية ج١٤/٦٦ والأعلام للزركلي ج١/٢٢٢.

التحلي^(١) والانقطاع وله كتاب في "البيان" وآخر في "تفسير سورة الفاتحة" وكتاب "الأحكام"، لم أجد منها شيئاً سواء أكان مخطوطاً أو مطبوعاً، وله فتوى في تكفير ابن عربي قبحه فيها ولعنه^(٢)، وابن عربي أهل للتقبيح والتكفير.

ولم أجد من ذكر له تلاميذ، فلعله لم يجلس للتدريس أصلاً، فهو ليس أهلاً لذلك، ويجمع أقواله إلى بعضها يصدق قول شيخه فيه: "إنه لا يحسن الكلام"، ففيها ركافة العبارة، وضعف الأسلوب، ولذلك فهو ليس من العلماء، بل لديه نوع مشاركة في بعض العلوم.

ومن أثنى عليه فإنما نظر إلى جانب جميل في البكري وهو التدوين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشجاعة فيما يرى أنه الحق، ولكن يفسد عليه هذا كله، سوء الاعتقاد، ومصادمة أصول الإسلام العظام في الدعوة لعبادة القبور من دون الله - تعالى -.

١- التحلي عند الصوفية وهو: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التحلي، فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة.

ثم ذكر الجرجاني أمهات الغيوب وجعلها سبعة. انظر التعريفات للجرجاني ص ٥١ باب التاء.

٢- انظر: جزء في عقيدة ابن عربي وحياته من كتاب العقد الثمين لتقي الدين القاسمي عناية على حسن عبد الحميد ص ٣٤ الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية.

٣- مذهبه الفقهي :

البكري شافعي المذهب أورده السبكي والأسنوي في طبقات الشافعية، والعبادي في ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، إلا أنه لا يوجد له أي أثر في المذهب.

٤- عقيدة البكري :

البكري صوفي قبوري ؛ كما هو واضح فيما نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، يدافع عن أقوال الصوفية ويعظمها، ويدعو إلى تعظيم القبور ودعاء المقبورين من دون الله -تعالى-، بل يكفر ويرمي بالزندقة كل من يرد عليه ضلاله؛ كما فعل مع شيخ الإسلام ابن تيمية، ويرى مثل سلفه الأقدمين أن إنكار بدع القبورية مؤذن بالهلاك، كما قال تعالى عن سلفه قولهم لإبراهيم -عليه السلام- لما نهاهم عن الشرك: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

فقد قال البكري: (لقد خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرته الرسول ﷺ)^(٢)، وهذه عادة عباد القبور في كل عصر و مصر، وقد برأه شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بالحلول

١- سورة الأنعام الآية : ٨٠ - ٨١

٢- تلخيص الاستغاثة ص ١٤٢.

والإتحاد^(١)، وهذا من عدله - رحمه الله - وإنصافه.

ومع صوفيته وقبوريته فقد أغفله الشعراني في طبقاته، ولم أجد له ذكراً في المصادر الصوفية، ولعل تكفيره ابن عربي شيخ الصوفية الأكبر هو السبب في إغفاله.

وأما اعتقاده في الأسماء والصفات والقدر فليس له كلام واضح فيها، ولكنه يرى بعض آراء الأشاعرة، فهو يرى أن التوحيد هو توحيد الربوبية فقط^(٢)، وينكر السببية^(٣)، ويقول بالجزر^(٤)، وغير ذلك.

٥- طريقة البكري الصوفية :

ما وصلنا عن الرجل يظهر أنه لا ينتسب إلى طريقة معينة، وأما بعض الطرق الصوفية التي يطلق عليها اسم البكرية، فلم أجد من نسبه إلى أي منها، وهما :

الأولى: "البكرية" الذين رد عليهم ابن أبي زيد القيرواني الأندلسي^(٥) (ت ٣٨٦هـ)، في "كتايبه كشف التلبيس في الرد على

١- انظر ص ٢٥٧.

٢- انظر ص ٢٢٢.

٣- انظر ص ٢٧٨-٢٨٤.

٤- انظر ص ٢٤٠.

٥- هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد (عبد الرحمن) القيرواني المالكي، عالم أهل المغرب، يقال له: مالك الصغير، قال القاضي عياض: «حاز رئاسة الدين والدنيا ورُحِّلَ إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الأخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب» كان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول (الاعتقاد)، لا يدرى الكلام ولا يتأول.

البكرية"، "والاستظهار في الرد على البكرية" أيضاً، فهما رد على عبدالرحمن البكري الصقلي الصوفي^(١) (ت ٣٨٠هـ)، الذي توسع في إثبات الكرامات، ومما أنكر عليه ابن أبي زيد قلب الأعيان، ورؤية الله في اليقظة. وقد ورد اسم هذه الطائفة في بعض المصادر "الفكرية"^(٢).

الثانيه: الطريقة البكرية الصوفية المعاصرة الموجودة في مصر وغيرها، وإن كان رؤساء الطريقة ينتسبون إلى أبي بكر -رضي الله عنه-، وأبو بكر بريء من ضلالهم وإفكهم كما ينتسب البكري، وقد ذكر رؤساء الطائفة ممن ينسب للصدیق -رضي الله عنه - محمد توفيق البكري في كتابه "بيت الصديق" ولم يذكر علي بن يعقوب البكري^(٣).

وكان مع عظمته في العلم والعمل ذا بر وإيثار وإنفاق على الطلبة، ولما ألف الاستظهار والكشف شنع عليه الصوفية وغيرهم، وأشاعوا أنه ينفي الكرامات، وهو لم يقل بذلك وله غيرهما "الرسالة" المشهورة، وكتاب "الإقتداء بأهل السنة" وغيرها توفي رحمه الله سنة ٣٨٦هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ج٦/٢١٥ وما بعدها والسير للذهبي ج١٧/١٠ رقم ٤.

١- هو عماد الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدا لله البكري الصقلي، متصوف مالكي المذهب، له "الأنوار في علم الأسرار" توفي سنة ٣٨٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ج٣/٢٢٥.

٢- انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض تحقيق سعيد أعراب ج٦/٢١٨ ط الأولى مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تصنيف عبدالرحمن الأنصاري وأكملة أبو القاسم التنوخي تحقيق محمد ماضور ج٣/١١١، وتراجم المؤلفين التونسيين تأليف محمد محفوظ ج٢/٤٤٤ ط الأولى دار الغرب الإسلامي.

٣- انظر بيت الصديق تأليف محمد بن توفيق البكري طبعة ١٣٢٣هـ مكتبة المؤيد القاهرة، والكتاب كله ترجمة لرؤساء هذه الطائفة.

٦- منهج البكري في التكفير :

التكفير حق لله - تعالى - فلا يكفر إلا مَنْ كفره الله ورسوله ،
أما التكفير عند البكري فحالته كحال المبتدعة يتدعون البدعة
ويكفرون من خالفهم فيها ، وأقوال البكري في هذه المسألة تبنى على
ما سبق ذكره في آثاره العلمية ، فهو ليس من الراسخين في العلم ،
ولذلك نجده يكيل الكفر والزندقة والسب لشيخ الإسلام ابن تيمية
كيلاً للسبب شرعي ، كما نجده أيضاً يكفر ابن عربي محي الدين
ويلعنه ، وابن عربي أهل لذلك ، فهل تكفير البكري مبني على أسس
شرعية ؟ أم حسب الهوى ؟ ومن خلال دراسة أقواله يظهر أنه يكفر
من خالفه مهما كانت هذه المخالفة صواباً أو خطأً .

٧- موافقه مع شيخ الإسلام ابن تيمية:

آذى البكري شيخ الإسلام ابن تيمية بالقول والعمل، أما القول فقد
رماه بالزندقة، قال (إن المجيب -أي ابن تيمية- لا يثبت على تأويل، وإنما
يذهب إليه عند الخوف زندقته منه على ما علمته)، وأحياناً يصل إلى حد
التكفير^(١).

واستعدى السلطان في عصره على شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (لقد
خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ
بإهلاكهم وإهلاك أمثاله خصوصاً أهل الدولة وأصحاب الحكم)^(٢).

١- انظر ص ٥٩٦ من أصل الكتاب.

٢- تلخيص الاستغاثة ص ١٤٢.

ولكن جعل الله كيده في نحره وسلط الله السلطان عليه، وسلم الله أهل العلم والإيمان.

وأما بالعمل فقد كان من أشد الصوفية على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنته معهم عام ٧٠٧هـ عندما ادعوا عليه أنه يمنع الاستغاثة بالنبي ﷺ، فقال بعض الحاضرين: [يعزر]، فقال البكري: «لامعنى لهذا القول، فإنه إن كان تنقيصاً يقتل، وإن لم يكن تنقيصاً [لايعزر]»^(١).

وفي رجب وقيل شعبان سنة ٧١١هـ تعصب على شيخ الإسلام ابن تيمية جماعة من الغوغاء معهم البكري نور الدين وتفردوا به وضربوه، وقد استفرد البكري بالشيخ ووثب عليه، وتنش أطواقه^(٢) وقال: «احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى»، فلما تكاثر الناس أنخلص، فطلب -أي البكري- من جهة الدولة فهرب واختفى، وثار بسبب ذلك فتنة، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ لأجل الانتصار له، فلم يجبههم. وقال: «أنا ما أنتصر لنفسي». وأكثروا عليه في القول حتى قال لهم: «إما أن يكون الحق لي، أو لكم أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني؛ وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فإله يأخذ حقه كما يشاء ومتى شاء»، ولما طلبت الدولة البكري هرب اختفى عند شيخ

١- الدرر الكامنة ج ١/ ١٥٥ وفي الأصل يعذر وبالهامش صوابه يعزر، وقد انفرد بذكر هذا الموقف للبكري ابن حجر في الدرر الكامنة.

٢- أطواق مفردها الطاق وهو نوع من الملابس وهو الطيلسان وقيل: الطيلسان الأخضر. انظر لسان العرب لابن منظور ج ١٠/ ٢٣٣ كلمة طوق الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان.

الإسلام ابن تيمية لما كان مقيماً في مصر حتى شفع فيه عند السلطان وعفى عنه^(١).

فانظر إلى نبل موقف ابن تيمية، وموقف البكري منه، قابل العفو والصفح بالظلم والعدوان، والشفاعة له باستعداد الدولة والسلطان.

٨- موقف البكري مع السلطان (الملك الناصر محمد بن قلاوون) :
في النصف من المحرم سنة ٧١٤هـ بلغ البكري أن النصاري قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر شيئاً؛ وعلقوه في كنيسة، فأخذ معه طائفة كبيرة من الناس وهجم على الكنيسة والنصارى في الجمع ونكل بهم؛ وبلغ منهم مبلغاً عظيماً، وعاد إلى الجامع وأهان قوامته وأكثر الوقعة في خطيب الجامع، فبلغ السلطان فأمر بإحضار القضاة وفيهم ابن الوكيل^(٢)؛ واحضر البكري فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث، واتفق أنه أغلظ في العبارة للسلطان، ثم قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٣)

١- انظر: البداية والنهاية ج٤/١٧٦ والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢/٤٠٠ والعقود الدرية ص٢٨٦ والكواكب الدرية ص١٣٩.

٢- هو صدر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل، شيخ الشافعية في زمانه ولد سنة ٦٦٥هـ، كان ينصب العداوة لابن تيمية وينظره في كثير من المحافل والمجالس توفي سنة ٧١٦هـ نهار الأربعاء، ٢٣ من ذى الحجة انظر: ذيل العبر في خير من غير للذهبي ج٤/٤٥٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤/١٠٨٧-٨٨.

٣- أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث في السنن في (كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي) ج٤/٥١٤ رقم ٤٣٤٤:٤ عن ابن رجب في الطبعة الثانية

فقال له السلطان - وقد اشتد غضبه -: أنا جائر؟ قال: «نعم، أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم»، فلم يتمالك السلطان نفسه أن أخذ السيف وهم بالقيام ليضربه، فبادر بعض الأمراء وأمسك يده، فالتفت إلى ابن مخلوف وقال: «ياقاضي يتجرأ علي هذا، ما الذي يجب عليه»، قال: «لم يقل شيئاً يوجب العقوبة»، فصاح السلطان بالبكري اخرج عني، فقام وخرج، فقال ابن الوكيل: «ما كان ينبغي أن يغفل ويتكلم برفق»، فأعجب السلطان، فقال ابن جماعة: «قد تجرأ وما بقي إلا أن يزاحم السلطان»، فانزعج السلطان وقال: «اقطعوا لسانه»، فبادر الأمراء ليفعلوا ذلك بالبكري، فارتعد وصاح واستغاث بالأمراء فرقوا له؛ وألحوا على السلطان في السؤال في أمره؛ والشقاعة فيه حتى

١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس، والترمذى محمد بن عيسى في الجامع في (كتاب الفتن، باب ماجاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) ج٤/٤٧١ رقم ٢١٧٤ ولفظهما «... كلمة عدل..» قال: أبو عيسى وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ١هـ. عناية د. بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس، وابن ماجه محمد بن يزيد في السنن في (أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ج٢/٣٨٣ رقم ٤٠٦٠ ولفظه «... كلمة عدل...» ورقم ٤٠٦١ ولفظه «... كلمة حق عند سلطان جائر» تحقيق د. محمد الأعظمي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الناشر شركة الطباعة العربية السعودية الرياض - السعودية، والإمام أحمد في المسند ج٣/١٩، ج٤/٣١٤، ٣١٥ واللفظ له، عناية د. بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١/٢٤٨ رقم ١١٠٠ أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

رق له، وأمر بنفيه ومنعه من الفتوى، ودخل ابن الوكيل على السلطان وهو يبكي ويتحجب فظن السلطان أنه أصابه شيء، فقال له: «خير خير»، فقال: «البكري عالم صالح^(١) لكنه ناشف الدماغ»، قال: «صدقت» وسكن غضبه^(٢).

وقال الذهبي: «وأراد قطع يده لفتاويه»^(٣). قلت لعل الذهبي يقصد حادثة غير هذه الحادثة، فقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية فتوى للبكري في بيت المال^(٤)، ولم أجد من ذكر هذه الفتوى.

وقد كتب ابن تيمية في الرد على البكري ثم شغل عن إكمال الرد عليه؛ حتى حصل له هذا الموقف للبكري مع السلطان؛ يقول ابن تيمية: «كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا الموضع، واتفقت أمور شغلتنني عن تمام ذلك حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم وحزبه الجاهلين الظالمين، وكانوا في ذلك نظير المستفتحين من المشركين وهذا الوعيد الذي ذكره في كلامه به وبأحزابه أليق؛ وهم به أحق، وهكذا فعل الله - تعالى - بهم حيث عاقبه وحزبه عقوبة المعتدين الظالمين، عقوبة لم يعاقب بها أحداً من أشكالهم»^(٥).

من هذه المواقف يظهر جلياً أن البكري اتصف بالحدة والغلظة

١- هذا وصف ابن الوكيل للبكري .

٢- الدرر الكامنة ج١/ ١٥٧.

٣- ذيل العبر ج٤/ ٧٠.

٤- انظر ص ٦٠٤ من هذا الكتاب

٥- تلخيص الاستغاثة ص ١٤٢-١٤٣ وانظر ص ٥٩٨ من هذا الكتاب.

مع كل من خالفه، وبسط لسانه في الإنكار دون حكمة ودون روية، وصفه ابن حجر: «بأنه أكثر القلائل»^(١). ومع هذا فالبكري دينٌ متعفف طارح للتجمل.

٦- وفاته وشعره:

تنقل بأعمال مصر حتى توفي يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤هـ، ودفن بالقرافة^(٢) قال ابن كثير: وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة .

من شعره - عفا الله عنا وعنه - :

كن يا علي على الطريق الأقوم واذعن لحلاق (الأنام)^(٣) وسلم
ودع الهوى والنفس عنك بمعزل والوجه منك أقم لدين قيم

١- الدرر الكامنة ج١/١٤١.

٢- القرافة: بالفتح وآخره هاء، هي خطة بفسطاط من مصر كانت لبنى غصن بن سيف بن وائل من المعافر، وقرافة بطن المعافر نزلوها فسميت بهم، وهي مقبرة أهل مصر، وبها أبنية ومحال واسعة ومشاهد على القبور، قال أبو سعد محمد العميدي:
إذا ما ضاق صدري لم أجدي لي مقر عبادة إلا القرافة .

- نعوذ بالله من الخذلان-

انظر: معجم البلدان ج٤/٣٥٩-٣٦٠ رقم ٩٤٨٠. وهذه المشاهد حصلت في العصور المتأخرة.

٣- في هامش طبقات السبكي ج١/٣٧١: (العباد).

* - مصادر الترجمة:

١. طبقات الشافعية الكبرى تأليف تاج الدين عبد الوهاب السبكي

ج١/٣٧٠-٣٧١ تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي الطبعة الأولى

طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

-
٢. طبقات الشافعية لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوي جـ ١/٢٨٨ تحقيق عبد الله الجبوري طبعة دار العلوم ١٤٠١هـ.
 ٣. ذبول العمر للذهبي جـ ٤/٦٩-٧٠.
 ٤. البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤/٧٦، ١٢٥.
 ٥. ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين للعبادي جـ ٣/١٩٧ تحقيق د. أحمد عمر هاشم ود. محمد زينهم طبعة المكتبة الثقافية الدينية بورسعيد - مصر.
 ٦. الدرر الكامنة في اعيان الملة الثامنة لابن حجر جـ ٣/١٣٩-١٤١ رقم الترجمة ٣٢١.
 ٧. شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي جـ ٦-٦٤ حسن المحاضرة للسيوطي جـ ١-٤٢٣.
 ٨. البدر الطالع للشوكاني جـ ١-٥٠٢. الأعلام للزركلي جـ ٥/٣٢-٣٣. معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة جـ ٧-٢٦٢ طبعة مطبعة التزني ١٣٨٧هـ.

الباب الثاني

دراسة الكتاب

ويتكون من ستة فصول:

- الفصل الأول : الاستغاثة وأقسامها.
- الفصل الثاني : الكتب المؤلفة في موضوع الاستغاثة
- الفصل الثالث : تحقيق عنوان الكتاب
- الفصل الرابع : نسبة الكتاب إلى المؤلف
- الفصل الخامس : مصادر المؤلف في الكتاب
- الفصل السادس : منهج المؤلف في الكتاب

الفصل الأول

الاستغاثه أقسامها وحكمها*

الاستغاثه: مصدر، وعند النحاة من أنواع النداء، وتعريفها لغة: أن يطلب من المنادى الإغاثة لغيره، وهي: طلب الغوث وهو كشف الشدة، كالاستنصار طلب النصر، وكالاستجاره والاستعاذه، فكلها من أنواع الطلب والدعاء لأن الفعل الثلاثي إذا تقدمه السين والتاء دل على طلب الشيء، والنداء والدعاء بمعنى واحد، وبين الاستغاثه والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث. والمستغاث به هو المطلوب منه الغوث، والمستغيث هو الذي يطلب الإغاثة من غيره، ولفظ الاستغاثه في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

والفرق بين الاستغاثه والتوسل، أنه في الاستغاثه لا يقال استغثت إليك بفلان يافلان أن يفعل بي كذا، وإنما يقال استغثت بفلان أن يفعل بي كذا، وفي التوسل يقال ذلك، كما أن من سأل بشئ أو توسل به لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به، لأن قول السائل المتوسل أتوسل إليك ياإلهي بفلان إنما هو خطاب لله، لذلك المتوسل به، بخلاف المستغاث به فإنه مخاطب مسؤول منه الغوث.

أقسام الاستغاثه: وتنقسم الاستغاثه إلى استغاثه مشروعه واستغاثه

* للتوسع انظر مقدمة كتاب تلخيص الاستغاثه بتحقيقي - قيد الطبع

ممنوعة: والاستغاثه المشروعه أنواع:

أولها: الاستغاثه بالله - تعالى-، وهي الاستغاثه بالمأمور بها في الشرع، فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله - تعالى-، وكل غوث فهو من عنده.

قال تعالى إخباراً عن المؤمنين في استغاثتهم إياه ليلة بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (١) وقد أمر تعالى عباده أن يدعوه ويستغيثوه، فهو تعالى غياث المستغيثين: ومعناه المدرك لعباده في الشدائد، قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٢) عبادتي : أي دعائي

الثاني: الاستغاثه بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه ويليق بمنصبه وهذا لا ينافي فيه مسلم، وهذا النوع جائز أيضا في حق غير النبي ﷺ من عامة المؤمنين وخاصتهم، بل والفجار والكفار أيضا، ومن هذا النوع ماوردت به النصوص من الاستغاثه بالنبي ﷺ يوم القيامة

قال تعالى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (٣). فهذه الاستغاثه في ما يقدر عليه موسى - عليه السلام - وهذا لا ينافي كمال التوحيد.

١- سورة الأنفال ، الآية : ٩

٢- سورة غافر ، الآية : ٦٠

٣- سورة القصص ، الآية : ١٥

وقد غلط بعض الغلاة فسوى بين حياة النبي ﷺ وموته، وأثبتوا له بعد موته حياة حقيقية كحياته ﷺ في الحياة الدنيا، وأن الشهداء أحياء في قبورهم وحياة الأنبياء أكمل، وبناء على هذا أجازوا الاستغاثه بالنبي ﷺ حياً وميتاً.

ولم يعلموا أن حياته ﷺ -بأبي هو وأمي- حياة برزخية، وهذه الحياة البرزخية من الغيب الذى أخبرنا الله به، ولم نعلم حقيقتها وكنهها، فوجب علينا الإيمان بحياة الأنبياء على هذا الأساس مع الجزم باختلافها عن الحياة الدنيا، ولو أريد أن حياتهم كحياتهم في الدنيا لاقتضت جميع لوازمها من أعمال، وتكليف، وعبادة، ونطق وغير ذلك^(١).

وأما الاستغاثه الممنوعة فهي أقسام أيضا:

الأول: الاستغاثه بالنبي أو الرجل الصالح الحيين الشاهدين الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-؛ مثل غفران الذنوب وهداية القلوب، وشفاء المرض، والرزق والنصر على الأعداء، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-، وهذه الاستغاثه من الشرك الأكبر الذى يخرج من الملة، وهذا شرك العرب في الجاهلية.

إلا أن هؤلاء قد يزيدون على شرك العرب في الجاهلية، أنهم يشركون أيضا في توحيد الربوبية الذى أقر به مشركو العرب، الذين

١- انظر : حياة الأنبياء بعد وفاتهم لأبي بكر البيهقي تحقيق د. أحمد الغامدي ص ٣٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة العلوم والحكمة المدينة المنورة - السعودية.

أقروا بأن الله خالقهم ورازقهم وحبيهم ومميتهم، أما هؤلاء الغلاة فمنهم من لا يقبل الرزق إلا من شيوخهم.

وأيضا فإن مشركي العرب يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء الغلاة يزدادون شركاً في الشدائد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الثاني: الاستغاثة بالميت سواء كان نبياً أو غير نبي، وحجتهم في ذلك تسويتهم بين حياة النبي ﷺ ومماته، كما سبق بيانه، واعتقاد بعضهم في شيوخهم أن لهم تصرفاً في الكون بعد الممات، أو حكايات مكذوبة لسدنة القبور ليأكلوا بها أموال الناس بالباطل.

الثالث: الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبته، وهذا أيضا لا يجوز، فإنه لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب، وعمدة القائلين بجوازها حكايات لاتصح، فضلاً عن أن تكون دليلاً في الدين، منها: أن أحدهم استغاث بالله فلم يغثه، فاستغاث بالنبي ﷺ أو الشيخ الفلاني فأغاثه، وفرج كربته.

وقد تتمثل الشياطين بالمستغاث به إمعاناً في إضلال المستغيثين بهم، وتُخضّر لهم بعض مطالبهم، وحصول مطالبهم لا يجعل هذه الأسباب مباحة، فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ولو كان نافعا.

فهذه أقسام الاستغاثة، عرف المسلمون الاستغاثة المشروعة، ولم يعرف القبورية إلا بالاستغاثة الممنوعة، وجعلوها أصل دينهم.

الفصل الثاني

الكتب المؤلفة في موضوع الاستغاثه

كلام الأئمة المتقدمين في مسألة الاستغاثه بالمخلوقين قليل، فهي مسألة واضحة ناصعة لا لبس فيها، ولا تحتاج إلى بيان، «فإن آيات القرآن الكريم ناطقة بحظر دعاء كل أحد، لامن الأحياء، ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين، أو غيرهم، وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثه أو غيرها، فإن الأمور غير المقدوره للعباد لا تطلب إلا من الله خالق القدر ومنشئ البشر»^(١).

«ومن المعلوم أيضا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً؛ فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك؛ فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ»^(٢).

ولذلك كانت ترد هذه القضية عرضاً؛ في تفسير آية من الكتاب العزيز، أو نقل خبر عن المصطفى ﷺ أو عن الصحابة رضی الله عنهم، أو قصص من أخبار التابعين والسلف الصالح.

ولذا قلما يفردونها في مصنف خاص، أو يتكلمون في حكمها وأنواعها وما لا يجوز صرفه لغير الله، وما يجوز الاستغاثه فيه بغير الله مما

١- انظر فتح البيان تنمة منهاج التأسيس ص ٣٤٧ نقلاً عن دعاوى المناوئين ص ٢٧٣.

٢- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢١٧ عناية عبد الله حجاج الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

يقدر عليه البشر، لشدة وضوحها ومعرفة الناس بها.

وقد شهد بهذا أحد القبورية وهو محمد بن موسى النعمان المالكي (ت ٦٨٣هـ) فقال: «أما بعد فإنه سبق جماعة من العلماء الأعلام إلى جمع أخبار من استغاث بالله - تعالى - .. فقصدت أن أذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي ﷺ، ولاذ به في شدته»^(١).

لهذا فالكتب التي تعرضت لموضوع الاستغاثة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الكتب المؤلفة في الاستغاثة بالله - تعالى -، وهي ما كانت على الإسلام الصحيح الذي لم يعرف بدعة القبورية. والقسم الثاني: الانحراف في مسألة الاستغاثة بالمقبورين. والقسم الثالث: ردود أهل السنة والجماعة على هذا الانحراف وبيان حكم الاستغاثة بغير الله . وإليك هذه الأقسام بشئ من التفصيل.

القسم الأول: الكتب المؤلفة في الاستغاثة بالله - تعالى -:

لم يصنف السلف هذه الكتب ليوضحوا القضية ، أو يبينوا حكمها ، أو يردوا بدعة القبورية ، فهي قضية واضحة لا لبس فيها ، أوضحها القرآن الكريم، وأبانها رسول الله ﷺ ، ولم تعرف الأمة بعد بدعة القبورية حتى تردها ، بل لعله لم يتوقع أحد منهم وقوع الاستغاثة بالأموات في هذه الأمة .

فهذه المؤلفات لجمع الأخبار في هذا الباب ، وكانت تحكى حال الأمة في اللجوء إلى الله تعالى عند الكرب والشدة ، ورجائه ودعائه

١- مصباح الظلام - مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصور عن شسترتى رقم ٣٦٧٧ ص ١/ بترقيمي.

وحده ، لا يلجئون لنبي ولا لملك من الملائكة ولا لرجل من الصالحين .

قال القاضي التنوخي: <<فإني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر ، ونفع وضر ، ولم أرهم في أيام الرخاء ، أنفع من الشكر والثناء ، ولا في أيام المحنة والبلاء أنجع من الصبر والدعاء ، وجدت من أقوى ما يفرغ إليه ، من أناخ الدهر بمكروهه عليه ، قراءة الأخبار التي تنبيء عن تفضيل الله - عز وجل - على من حصل قبله في محصله ، ونزل به مثل بلائه. ومعضله ، بما أتاحه الله - تعالى - له من صنيع أسهل الأرزاق ، ومعوته حل بها من الخناق ، فإن معرفة الممتحن بذلك تشيحد بصيرته للصبر ، وتقويه عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر ، والتفويض إلى من بيده ملك النواصي ، وإذا علم الله - سبحانه وهو علام الغيوب - من عبده الممتحن المبتلى صدق اللجوء إليه ، وانقطاع أمله إلا من عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يخله من عنايته ورقفه>> (١)

وهذه القصص التي ذكروها البعض منها في القرآن الكريم ، والبعض الآخر في السنة النبوية ، ومنها ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

من المؤلفات في هذا القسم :

١- " الفرج بعد الشدة والضيقة " لأبي الحسن علي بن محمد المدائني

(ت ٢٢٥هـ)

١- الفرج بعد الشدة ج ١ / ٥٦ - الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي -

مصر ، والمثنى ببغداد .

- ٢- "الفرج بعد الشدة" لأبي بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) .
- ٣- "مجاوب الدعوة" لأبي بكر بن أبي الدنيا أيضاً .
- ٤- "الفرج بعد الشدة" للقاضي أبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي (ت ٣٨٤هـ) وهذا الكتاب أجمع الكتب السابقة وأوسعها ، وله مختصرات كثيرة منها: مختصر لطف الله بن حسن التوقاني .
- ٥- كتاب "المستصرخين بالله" للقاضي (بهاء الدين أبي الوليد) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن الصفار القرطبي (ت سنة ٤٢٩هـ) وصف الذهبي كتبه: "بأنها نافعة" (١) .
- ٦- كتاب "المستغيثين بالله - تعالى - عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرجبات والدعوات، وما يسر الله - الكريم - لهم من الإجابات والكرامات" تأليف الإمام الحافظ (أبي القاسم) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (ت سنة ٥٧٨هـ) وقد نقل في كتابه من مصنفات ابن أبي الدنيا مثل "الفرج بعد الشدة" وكتاب "المستصرخين بالله" والدعاء لابن أبي حاتم، والأخبار للطحاوي "ومن عرف بالإجابة" للقصرى غيرها، جمعه بدون تمحيص وتدقيق، فجمع بين الغث والسمين (٢) .

١- انظر سير أعلام النبلاء تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ج ١٧/ ٥٦٩-٥٧٠ رقم الترجمة ٣٧٥ الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ومصباح الظلام ص ٢ مخطوط، والأعلام للزركلي ج ٨/ ٢٦٢ .

٢- انظر مقدمة كتاب المستغيثين ص ٧ ضبط نصه غنيم عباس غنيم الناشر دار المشكاة - القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ والسير للذهبي ج ٢١/ ١٣٩ رقم الترجمة ٧١ ، وما ذكر من مصادر هذا الكتاب تعرضت للاستغانة بالله .

وقد ذكر فيه الآيات والآثار التي ورد فيها لفظ الاستغاثَة، وبعض قصص من استغاثوا بالله فأغاثهم.

٧- "العدة للكرب والشدة" جمع أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) (١).

٨- "الفرج بعد الشدة والضيقة" تأليف الشريف إبراهيم بن عبد الله الحازمي.

وأما ماورد عرضاً فكثير جداً، فلا يكاد يخلو كتاب حديث أو تفسير من ذكر الاستغاثَة بالله (٢).

القسم الثاني: الانحراف في مسألة الاستغاثَة:

١- طُبِعَ بتحقيق/ ياسر إبراهيم ، الناشر دار المشكاة - القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢- يضاف إلى هذه الكتب ، أن جميع من آلف الدعاء: بابا في كتاب ، أو كتاباً مفرداً ، كلهم يبين أن الدعاء بجميع أنواعه يجب إخلاصه لله -تعالى- كتب منها :
الدعاء لمحمد بن الفضيل الضبي الكوفي (ت ١٩٥هـ)، والدعاء لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) صاحب السنن، والدعاء لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، والدعاء لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، والدعاء لأبي عبد الله ابن فطيس الأندلسي (ت ٣١٩هـ) والدعاء لأبي عبد الله الحاملي (ت ٣٣٠هـ) والدعاء للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، والدعاء لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٩هـ) وشأن الدعاء للخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، والدعوات لجعفر بن محمد بن المعتز المستغفري (ت ٤٣٢هـ) والدعوات الكبير للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) .

فهذه بعض كتب المتقدمين، وأما المتأخرون فلا يحصيهم إلا الله، وانظر كتب الدعاء في الصحاح كصحيح البخاري ومسلم، والسنن وغيرها .

تعتبر الاستغاثة بالأموات من أهم عقائد القبورية، فهي الغاية التي لا غاية وراءها، والمقصد الأسمى، فهم يشبتون أن الأموات يعلمون الغيب؛ وأن لهم التصرف المطلق في الكائنات، وأنهم أحياء في قبورهم حياة كحياتنا؛ وأنهم يسمعون نداء المستغيثين بهم، كل ذلك ليجوزوا الاستغاثة بهم، ولذا قال بعض العلماء: «الاستغاثة بالأموات أم الشريكات» (١).

لذلك أهتم القبورية بهذه المسألة، وأولوها عنايتهم، وألفوا فيها المؤلفات عرضاً ورداً، وحسب ماوصل إلينا، وحسب ادعاء ابن النعمان في كتابه "مصباح الظلام"، فهو يعتبر أول كتاب في هذا الانحراف، أي في القرن السابع الهجري.

ومن المعلوم أن بدع القبور ظهرت في آخر القرن الثالث الهجري، في عهد الدولة البويهية الرافضة، فهذه البدعة بدأت متقدمة عند الرافضة، لأن أصل دينهم قائم على عبادة الأئمة، وقد تسربت فيما بعد إلى بعض المنتسبين إلى السنة.

لذا لن أذكر كتب الرافضة في هذه المسألة لأنها كثيرة، وسأقتصر على كتب القبورية فقط :

١- "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام" تأليف (شمس الدين أبو عبد الله) محمد بن موسى بن النعمان المراكشي

المزالي التلمساني الفاسي (ت سنة ٦٨٣هـ) (١).

وحسب علمي لم يطبع، وقد حصلت على نسخه خطية منه من قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصورة من مخطوط في مكتبة شستريتي رقم (٣٦٧٧)، وغاية كاتبه جمع أخبار من استغاث بالنبي ﷺ ولاذ به في شدته وتوسل إلى الله به (٢)، وحسب ماوصل إلينا فهو أول كتاب يذكر الاستغاثة بالنبي ﷺ من دون الله -عز وجل-، وإن كان أقل ضللاً ممن جاء بعده.

وقد ذكر أشياء صحيحة مثل أحاديث الشفاعة، وأحاديث معجزات النبي ﷺ في تكثير الماء أو الطعام لكن في غير موضعها.

وذكر أشياء معلوم بطلانها مثل قصة مالك مع المنصور، وقصة العتي؛ يظن أنها صحيحة. وهو كما وصفه ابن تيمية " وغاية ما ذكره نقل

١- انظر : الأعلام للزركلي ج٧/ ١١٨ ومعجم المؤلفين ج١٢/ ٦٨ طبعة الترقى بدمشق ١٣٨٠هـ، والمنخل لغريلة خرافات ابن الحاج في المدخل تأليف د. محمد الخميس ص ٢٢-٢٣ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار الصميعي الرياض - السعودية.

وفي كشف الظنون ج٢/ ١٧٠٦ نسب هذا الكتاب لأبي الريح سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤هـ) وهذه النسبة لاتصح لأنه إمام محدث، وقد ذكر مترجموه أن له كتاب "مصباح الظلام وأنه على غرار "الشهاب" في الحديث، فلعله اشتبه على صاحب كشف الظنون.

انظر : جهود علماء الخنفيه في إبطال عقائد القبورية تأليف شمس الدين الأفغاني ج٢/ ١٠٥٠ الأولى ١٤١٦هـ.

٢- انظر ص ٢ من المخطوط.

غير مصدق عن قائل غير معصوم" (١).

وهو قدوة لكل قبوري جاء بعده، فقد نقل منه البكري في رده على ابن تيمية (٢)، ونقل منه النبهاني في "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" (٣).

٢- كتاب البكري (ت ٧٢٤هـ) في الرد على ابن تيمية ولم يصل إلينا سوى ما أورده ابن تيمية للرد عليه في كتابنا هذا، ولم تذكر لنا مصادر ترجمة البكري أي شيء عنه، وهو رد على فتوى في حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ لابن تيمية قال ابن تيمية: «وقد ذهب إليه الجواب ووقف عليه، وزعم أنه يرد عليه، فافتى على المجيب» (٤).

وقد ذهب البكري في جوابه إلى جواز الاستغاثة بالنبي والرجل الصالح، بل كفر من أنكرها، وجعلها من صفات الكمال للنبي ﷺ التي يكفر من أنكرها.

٣- "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق" تأليف يوسف بن إسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق ببيروت (ت سنة ١٣٥٠هـ) (٥) وقد

١- انظر ص ٥٨٩.

٢- انظر ص ٣٧٠.

٣- ص ٢٤٢ الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

٤- انظر ص ٣٠٢.

٥- وقد طبع الكتاب طبعين، الأولى طبعة دار الفكر ببيروت ١٣٥٠هـ، والثانية عام ١٣٧٤هـ في مجلد

حمل فيه على شيخ الإسلام ابن تيمية، وأجاز الاستغاثَة بالنبي ﷺ والصالحين والأولياء. وهو والله شواهد الضلال.

٤- "الإغاثة بأدلة الاستغاثَة بالنبي ﷺ" تأليف حسن بن علي السقاف -هداه الله- قال فيه بالاستغاثَة بالنبي ﷺ، وجعل عمدته أدلة حياة النبي ﷺ (١).

٥- "نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف للأولياء بعد الانتقال" تأليف شهاب الدين أبي العباس الحموي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ).

٦- "تحريض الأغبياء على الاستغاثَة بالأنبياء والأولياء" تأليف عبد الله بن إبراهيم الميرغني (ت ١٢٠٧هـ).

٧- "أنوار الانتباه بحل النداء بيارسول الله" تأليف أحمد رضا الأفغاني إمام البريلوية (ت ١٣٤٠هـ) وله كتابان آخران هما: "بركات الاستمداد" و"حدائق بخشش" يعني حدائق الهبات، كله استغاثات بالأموات (٢).

وأما عقد القبورية الأبواب والفصول في كتبهم للاستغاثَة بالأموات؛ فكثيرة جداً (٣).

١- الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الإمام النووي عمان الأردن

٢- انظر : جهود علماء الحنفية ج٢/ ١٠٥٢.

٣- انظر على سبيل المثال "شفاء السقام" للسبكي الباب الثامن في التوسل والاستغاثَة والتشفع بالنبي ﷺ، ص ١١٣ ط بولاق، والتركية، وص ١٦٠ ط لجنة التراث ببيروت، نقلا عن جهود علماء الحنفية ج٢/ ١٠٥٣، وفي طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت- لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٨ ص ١٦ حُرِف عنوان الباب إلى الاستعانة بدل الاستغاثَة،

وما ذاك إلا محاولة للتهرب من القول بهذه العقيدة الشركية، التي هي أم الشريكات ، ولا غرابة فقد حرفوا كلام الله ورسوله فأثمتهم من باب أولى.

"غوث العباد" للحمامي ص ٢١١ طبعة الديوبندية، "والتوسل" لابن مرزوق ص ١٨٥ الباب الثامن، "وحجة الله على العاملين" الباب الثاني جـ ٧٨٥/٢.

و " حقيقة التوسل والوسيلة في ضوء الكتاب والسنة " لموسى محمد علي الباب الثاني الفصل الأول ص ١٣٧ وما بعدها والثاني ص ١٥٥-١٧٥.

و " التوسل " لمحمد حسنين مخلوف ص ٧٣، و "النقول الشرعية" للشطي ص ١٠٦ و "مصباح الأنام وجلاء الظلام. في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام" لعلوى أحمد الحداد ط المطبعة العامرة الشرفية مصره ١٣٢٥ هـ ص ٢٦، و "فصل الخطاب في ضلالات ابن عبد الوهاب" للقباني ق ٦٠ خ ، " والفجر الصادق " لجميل الزهاوي ص ٤٠ ط مكتبة المليجي مصر ١٣٢٣ هـ وغيرها كثير، وغالب من رد على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا الصنف مثل: ابن عفاق، وعبد الله بن داود الزبيري والكوكباني، وابن جرجيس، ومصطفى الدجوى، وشيخ الكذب زيني دحلان.

وللتوسع انظر: جهود علماء الحنفية جـ ١٠٥٤/٢، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٤٧.

علماً أن بعض هؤلاء القبورية قد يسمى الاستغاثة توسلاً أو استمداد أو نداء أو غير ذلك. أما الرافضة فلم أذكر شيئاً عنهم هنا فأصل دينهم هذا الشرك الأكبر ، وهم أول من أحدث هذا الشرك الصراح في الأمة الإسلامية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الأحنائي ص ٤٨ (بهامش تلخيص الاستغاثة) «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ، يعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً» . ومنهم سرى هذا البلاء إلى الطرق الصوفية، فالناس عيال عليهم في هذا الشرك.

القسم الثالث : ردود أهل السنة والجماعة :

لما انتشر ضلال القبورية، انتدب للرد عليهم علماء السنة في كل زمان، وقد افردوا هذه القضية في مؤلفات مثل:

١- "الاستغاثة في بالرد على البكري" لابن تيمية وهو كتابنا هذا، وفيه رد ابن تيمية على البكري.

٢- "غاية الأمانى في الرد على النبهاني" للعلامة أبى المعالي محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) ويقع في مجلدين ، رد فيه على شواهد الحق للنبهاني، وطبع في عصر المؤلف ولم يذكر عليه اسم المؤلف الصريح خوفاً من كبار الصوفية المتنفذين في الدولة العثمانية، وطبع ثانية باسم المؤلف ولم يذكر تاريخ الطبعة^(١).

٣- "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى طبع ضمن الجامع الفريد^(٢)، وهو رد على

انظر على سبيل المثال: بحار الأنوار ٢٢/٩٤ وما بعدها ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة ج ٤٤٩/٢، وفقد خصصوا لكل إمام وظيفة، فأحدهم للنجاة من السلاطين، وآخر للآخرة، وثالث للعافية وهكذا.

ولا يغرنك هذا الغناء، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ

فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

١- وقد رد على النبهاني غيره مثل: الشيخ أحمد بن عيسى في "تهديم المباني في الرد على النبهاني"، وعبدالعزیز السويح في قصيدة في الرد على يوسف النبهاني (خ) داره الملك عبدالعزيز رقم ٢٤٥.

٢- الطبعة الثانية ص ٥٣٥ على نفقة عبدالعزيز ومحمد الجميع طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر.

صاحب كتاب "أنموذج الحقائق" في الاستغاثة وغيرها.
 ٤- "رسالة في حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد" تأليف الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي (ت ١٣٧٩هـ)^(١). وهي عبارة عن جواب عن سؤال من طلبة تركستان، أطل النقل فيها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

٥- "حكم من استغاث بغير الله" تأليف العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية^(٢). وهي تعليق على أبيات نشرت في ذكرى المولد النبوي الشريف تضمنت الاستغاثة بالنبي ﷺ.

وأما عقد أهل السنة الفصول والأبواب في الرد على القبورية في استغاثتهم بالأموات فكثيرة جداً، لا يتيسر حصرها^(٣).

١- طبعت ثلاث طبعات الأولى بمصر، والثانية بالباكستان وهي طبعة حجرية، والطبعة الثالثة بعناية وتقديم د. محمد الخميس عام ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة الرياض.

٢- طبعت مستقلة، وضمن مجموع فتاوى الشيخ جـ ١/ ١٠٨-١١٥ طبعة مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٣هـ.

٣- الأئمة المتقدمون كلامهم قليل في هذه المسألة، لأنها لم تنتشر وتعرف في زمنهم، وأما من عُرفت هذه البدعة في عصره فكتبهم طافحة ببيان التوحيد، ورد ما يضاذه، ومن أهم ما يضاذه الاستغاثة بالأموات، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) وابن القيم (ت ٧٥١هـ) وابن كثير (ت ٧٧٣هـ) وابن أبي العز الحنفي

(ت ٧٩٢هـ)،، والشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ)، وأئمة الدعوة السلفية في نجد، والشوكانى والأمير الصنعاني ومحمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، ومحمد سلطان المعصومي (ت ١٣٧٩هـ) وصنع الله الحلبي (ت ١١٢٠هـ)، والشيخ ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) والأسرة الألوسية، والسهسواني الهندي، ومبارك المليلى الجزائري، وعبد الظاهر أبو السمع والشيخ ناصر الدين الألباني وتلاميذه وغيرهم ممن لا يحصيه إلا الله، وقد يكون غيرهم أولى بالذكر ولكن هذا الذى حضرني فهو لاء جميعا كتبهم طافحة ببيان التوحيد، ورد هذه البدعة الشريكة التى هي أم الشريكات "الاستغاثة بالأموات". وإليك أسماء بعض الكتب :

"إغاثة اللهفان" لابن القيم ج ٢/٣٢١، وكتاب "التوحيد الذى هو حق على العبيد" للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٦٥ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله ويدعو غيره، تحقيق محمد عفيفي الطبعة الأولى ١٤١١هـ وشروحه "تيسر العزيز الحميد" للشيخ سليمان بن عبد الله "وفتح المجيد" ص ١٢٨ "وقرة عيون الموحدين" للشيخ عبد الرحمن بن حسن تحقيق بشير عيون ص ٨٣ "والقول المفيد على كتاب التوحيد" شرح فضيلة الشيخ محمد العثيمين عناية د. سليمان أبو الخليل ود. خالد المشيقح ج ١/٢٦١ وما بعدها، "والدين الخالص" تأليف محمد صديق حسن خان ج ٢/١٧٦-١٧٧، ٢٧٠-٢٧٢، ٣٠٦، ٣٠٧، "وتطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد" للأمير الصنعاني ص ٢٧-٣٠، "والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" للشوكانى تحقيق أبو عبد الله الحلبي ص ٩-١٥، "ومنهج الإمام الشوكانى في العقيدة" تأليف عبد الله نومسوك ص ٤٩٣ وما بعدها، "وشفاء الصدور في زيارة القبور" تأليف مرعى الحنبلى ص ١٢٩-١٧٢، "والديوبندية" تأليف سيد طالب ص ٦٩-٨٦، "وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية" د. ناصر القفاري ج ٢/٤٤٩ وما بعدها، ٤٩٤-٤٩٧، "ورسالة الشرك ومظاهره" تأليف مبارك المليلى ص ١٩٥ وما بعدها، "وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" تأليف د. شمس الدين السلفي الأفغاني ج ٢/١٠٤٧ وما بعدها، "ودعوة التوحيد" تأليف د. محمد خليل هراس ص ٥٥،

.....

"والحماسة الدينية في الرد على بعض الصوفية" تأليف حسن عبدالرحمن السني
البحيري عناية د. محمد الخميس ص ٥١ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار
العاصمة بالرياض، وغيرهم كثير.

الفصل الثالث

تحقيق عنوان الكتاب

عُرف الكتاب بعنوانين:

أولهما: كتاب "الاستغاثة" ويضيف بعضهم المعروف "بالرد على البكري" أو في "الرد على البكري".

وقد جاء هذا الاسم على طرة جميع النسخ التي حصلت عليها، وهي: نسخة جامعة أم القرى وقد جعلتها الأصل؛ ونسخة الإفتاء ورمزها (ف) ومنها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود، ونصهما "كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية راداً به على ابن البكري"، ونسخة دار الملك عبد العزيز بالرياض رقم ٧٣٩ ورمزها (د) ونصها "كتاب الاستغاثة الشهير بالرد على البكري" وأصلها محفوظ بمكتبة الملك عبد العزيز بجدة برقم ٢٨٨٦، ونسخة المعهد العلمي بجائل رقم ٣٩ ضمن مجموع ورمزها (ح) ونصها "كتاب الاستغاثة"، وفي قطعة من الكتاب المحفوظة في مكتبة الدولة ببرلين (قال أبو العباس - رحمه الله - في "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري").

وبهذا الاسم ذكره الصفدي في "فوات الوفيات"^(١) ونصه "وكتاب في الاستغاثة"، والعلامة عبدالرحمن بن حسن في كتابه

١ - انظر شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع د. صلاح الدين

"كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس" ^(١) ونصه: «وقال -رحمه الله- (أي شيخ الإسلام) في "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري"، وسماه بهذا الاسم أيضا الشيخ أحمد بن عيسى في كتابه "الرد على شبهات المستغيثين بغير الله" ^(٢). والعلامة محمود شكري الألوسي في غاية الأمانى ونصه: «قال -رحمه الله- في "كتاب الاستغاثة الذي رد به على البكري" ^(٣). وأيضا سماه بهذا الاسم محمد الشيباني في كتابه "أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية" ^(٤) والدكتور عبدالرحمن المحمود في كتابه "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" ^(٥) ونصه "والرد على البكري المعروف بالاستغاثة" والأخ علي الشبل في "مقدمة مسألة في الكنائس لشيخ الإسلام ابن تيمية" ^(٦) ونصه "الاستغاثة والرد على البكري".

العنوان الثاني: الرد على البكري في الاستغاثة.

وقد ذكره بهذا الاسم ابن القيم في أسماء مؤلفات ابن تيمية ^(٧)

١-ص ٢٠٥ تحقيق عبدالعزيز الزير آل حمد النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٢-ص ٥٣٩ ضمن مجموع الجامع الفريد الطبعة الثانية.

٣-غاية الأمانى في الرد على النبهاني ج ١/ ٣٠.

٤-ص ٤٤ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة ابن تيمية - الكويت.

٥-ج ١/ ٢١١.

٦-ص ٢٦.

٧-ص ١٩ تحقيق د. صلاح الدين المنجد الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

ونصه "كتاب في الرد على البكري في الاستغاثة" في مجلد.

وابن عبد الهادي في العقود الدرية^(١) ونصه: "وكتاب الرد على البكري في الاستغاثة" مجلد. ولكن يظهر أن ابن القيم لم يجزم بهذا العنوان، وإنما ذكر موضوع الكتاب، فعلى سبيل المثال عندما جزم بعناوين كتب أخرى للشيخ قال مثلاً: كتاب الإيمان وكتاب الاستقامة ، وقد ذكره بهذا العنوان أيضاً عبد العزيز الزير آل حمد في حاشية كتاب "كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس" للشيخ عبدالرحمن بن حسن^(٢).

كما ورد هذا العنوان أو قريب منه على طرة مخطوطتين لقيمة لهما وهما:

الأولى بعنوان: خلاصة رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٢٨١)، وهي مختصر للكتاب فقد تصرف الناسخ في مواضع كثيرة.

الثانية بعنوان: رد ابن تيمية على مارد عليه ابن يعقوب البكري في مسألة الاستغاثة. والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية أيضاً برقم ٤٠٥ وهي قطعة من تلخيص الكتاب، وليس فيها من نص الكتاب شيء. مما سبق يتبين أنه قد جاء عنوانان للكتاب، وهما متفقان مضموناً، ولم أجد المؤلف ذكر عنواناً لهذا الكتاب حتى يقطع النزاع. ويتبين أيضاً أن العنوان الأول وهو: "كتاب الاستغاثة" ورد في

١- ص ١٩ تحقيق محمد حامد الفقي طبعة مطبعة حجازي بالقاهرة عام ١٣٥٦هـ.

٢- انظر حاشية ص ١٦٢ والصفحات من ٢٧٠-٣٣٤ النشرة الأولى ١٤١٥هـ.

جميع النسخ، الخطية وعند أكثر المترجمين لمؤلفه، غير أنهم أضافوا جملة "المعروف بالرد على البكري" أو "في الرد على البكري" تمييزاً للكتاب عن رسالة المؤلف المعروفة بالاسم نفسه، وتعريفاً بموضوع الكتاب، وقد عرف الكتاب واشتهر بعنوان: "كتاب الاستغاثة في الرد على البكري".

وللأسف الشديد فإن طبعة ١٣٤٦ هـ فيها خطأ كبير في عنوان الكتاب كما سبقت الإشارة إليه (١).

الفصل الرابع

نسبة الكتاب إلى المؤلف

ثبت نسبة الكتاب إلى مؤلفه، بأدلة كثيرة مشهورة، منها:

أولاً: ماجاء على النسخ الخطية للكتاب من نسبة الكتاب إلى مؤلفه شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية.

ثانياً: قد نص على نسبته إلى المؤلف الإمام ابن القيم في كتابه أسماء مؤلفات ابن تيمية^(١)، والصفدي في فوات الوفيات^(٢)، وابن عبد الهادي في العقود الدرية^(٣) وغيرهم ممن سبق ذكرهم.

ثالثاً: أحال ابن تيمية في هذا الكتاب إلى بعض كتبه الأخرى؛ مثل كتاب "الصبارم المسلول على شاتم الرسول" فقد أشار إليه في عدة مواضع وسماه باسمه، ونقل من الصارم ونقل منه البكري أيضاً^(٤).

رابعاً: ماجاء في آخر المخطوطات من قول النساخ: «هذا آخر ما وجدت من كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية»^(٥).
خامساً: النقول الكثيرة من الكتاب، والتي نسبوا فيها الكتاب لمؤلفه.

١-ص ١٩.

٢-انظر شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره ص ٦٤.

٣-ص ٣٧.

٤-ص ٤٠٨ ، ٥٩٢ ، ٦٠١ .

٥-انظر ص ٦٥٥.

الفصل الخامس

مصادر المؤلف في الكتاب

جمع الله لشيخ الإسلام ابن تيمية من الحفظ والذكاء وقوة الذاكرة وكثرة الاطلاع ما يفوق الوصف، ولذلك كتبت بعض البحوث العلمية في مصادر المؤلف^(١).

أذكر هنا أهم مصادر ابن تيمية في هذا الكتاب بعد القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، فإنه لا تكاد تخلو صفحة من آية أو حديث أو عدة آيات وأحاديث.

أما المصادر الأخرى فمنها:

- ١- "كتاب البكري" في الرد على ابن تيمية، المردود عليه في هذا الكتاب، ولم يصل إلينا منه شيء، سوى ما ذكره ابن تيمية في ثنايا هذا الكتاب، فهو يذكر كلام البكري بنصه ثم يرد عليه، وبذلك وصل إلينا أهم موضوعات كتاب البكري ويمثل قطعة كبيرة منه.
- ٢- "رسالة الاستغاثة" لابن تيمية، وهي فتواه التي كانت سبباً في رد البكري ثم رد ابن تيمية عليه، وقد نقلها المؤلف في هذا الكتاب سوى أسطر قليلة^(٢).

١- انظر مصادر ابن تيمية ومنهجه في تحليلها تأليف د. رزق الشامي بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية - القاهرة المجلد ٣٨ الجزآن ٢٠١ رجب ١٤١٤ هـ.

- ٣- كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" للمؤلف أيضا، وقد أكثر من الإحالة عليه لوحدة الموضوع، وهي حقوق المصطفى ﷺ، وقد نقل البكري أيضا منه في الرد على مؤلفه قال ابن تيمية: «هذا كله (أي كلام البكري) منقول من كلام المجيب من كتاب الصارم على شاتم الرسول، لكنه أزال بهجته، وحذف من محاسنه ما يبين حقيقته»^(١)، وعلق الشيخ أحمد بن عيسى على هذا بقوله: «فانظر إلى هذه السذاجة يرد عليه من كتابه»^(٢).
- ٤- كتاب "خلق أفعال العباد" للبخاري^(٣).
- ٥- "التعرف لمذهب أهل التصوف" لأبي بكر الكلاباذي^(٤).
- ٦- "شرح السنة" للبخاري^(٥).
- ٧- "طبقات النساك" لأبي سعيد بن الأعرابي^(٦).
- ٨- "الاستذكار" لابن عبد البر^(٧).
- ٩- كتاب "المضنون به على غير أهله" لأبي حامد الغزالي، وإن كان

١- انظر ص ٦٠١ وأيضاً ص ٤٠٨، وص ٥٩٢.

٢- كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارس والخلي للشيخ أحمد بن عيسى ص ١٥ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة لجنة دمنهور - مصر.

٣- انظر ص ٢٠٦

٤- انظر ص ٢٠٦

٥- انظر ص ٢٠٦

٦- انظر ص ٦٣٧

٧- انظر ص ٣٤٢

- هناك خلاف حول نسبة الكتاب لمؤلفه، إلا أن موضوعاته تشبه ما يذكره الغزالي في كتبه الأخرى^(١).
- ١٠- "السر المكتوم في مخاطبة السحر والنجوم" لأبي عمر الرازي وهناك خلاف أيضا حول نسبته إليه، والصواب صحة نسبته إليه^(٢).
- ١١- "مصباح الظلام في المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام" تأليف محمد بن النعمان المزالي المالكي القبوري، وقد أثبت المؤلف نقل البكري من هذا الكتاب، وعلق على موضوعه ومؤلفه^(٣).
- ١٢- كتاب "مناسك حج المشاهد" للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الرافضي الملقب بالشيخ المفيد^(٤).
- ١٣- قصيدة البردة للبوصيري^(٥).
- ١٤- شعر جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري، له شعر في التوسل بالنبي ﷺ^(٦).
- ١٥- "رسائل إخوان الصفا" حيث ذكر مصدرها، وحلل مادتها،

١- انظر ص ٤١٢

٢- انظر ص ٤٨٢

٣- سبق التعليق عليه في ص ٦٦.

٤- ص ٤٦٦ ولعل اسم الكتاب كاملا "مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوار".

٥- ص ٣٠٩

٦- ص ٣٦٩

- فهي أصول الصابئة مزجوها بما أخذوه من دين المسلمين^(١).
- ١٦- "الملل والنحل" للشهرستاني^(٢).
- ١٧- "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين" لأبي عمر فخر الدين الرزاي^(٣).
- ١٨- "المعتبر" لأبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا^(٤).
- ١٩- التوراة وقد نقل منها عن خلق العالم^(٥).
- ٢٠- كتاب "الأموال" لأبي عبيد بن سلام^(٦).
- ٢١- "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" لأبي الحسن الأشعري^(٧).
- ٢٢- رجع المؤلف لبعض الكتب المفقودة اليوم، مثل جزء معاذ بن جبل في المعجم الكبير للطبراني^(٨)، وكتاب المبسوط للقاضي إسماعيل بن إسحاق^(٩).
-
- ١- ص ٤٧٩
- ٢- انظر ٤٧٨
- ٣- انظر ص ٤٧٨
- ٤- انظر ص ٤٢١
- ٥- انظر ص ٤٢٣
- ٦- انظر ص ٥٦٠
- ٧- انظر ص ٣٧٩
- ٨- ص ٢٩٤
- ٩- ص ٣٣٣

٢٣- كتب ابن سبعين وابن عربي في الحروف وطبائعها، والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات ولم يذكر عناوين تلك الكتب^(١).

٢٤- نقل المؤلف من كتب الفلاسفة مثل كتب أرسطو وأفلاطون، ومتأخريهم مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد^(٢).

٢٥- كتب الفقه من المذاهب الأربعة، فقد نقل عن الأئمة الأربعة وأتباعهم بعض أقوالهم أو فتاواهم، ولا يذكر المرجع إلا نادراً، مثل منسك الحج الذي نقله المروزي عن الإمام أحمد^(٣).

٢٦- كتب التفسير بعامة مثل: تفسير ابن جرير الطبري^(٤) وغيره.

٢٧- كتب السيرة والتاريخ، فهو ينقل منها الأشعار والأحداث التاريخية، مثل السيرة لابن هشام، تاريخ ابن جرير الطبري، والكتب المؤرخة للفرق ولا يذكرها بأسمائها.

فهذه جملة من مصادر المؤلف، وهي كثيرة جداً، وقد رجع المؤلف إلى كتب طوائف من أهل الضلال كالرافضة والصوفية وقد أطل النقل منها، ولم يذكر أسماء هذه الكتب أو مؤلفيها.

١- ص ٤٨٣ وقد ذكرت في الهامش أسماء هذه الكتب.

٢- انظر ص ٤٩١

٣- انظر ص ٣٦٦

٤- انظر ص ٦٢٠

الفصل السادس

منهج المؤلف في الكتاب

لم يكن هذا الكتاب الرد الوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية، بل له كتب كثيرة في الرد على الخصوم، مثل: "منهاج السنة"، "والجواب الصحيح"، "وبيان تلبيس الجهمية وتأسيس بدعهم الكلامية"، "والرد على الأخنائي" وغيرها.

وقد سار في هذه الردود على منهج واحد، ولدراسة هذا المنهج نحتاج إلى رسائل لنعطيه حقه^(١)، لذا نقتصر هنا على أهم ميزات منهج ابن تيمية في هذا الكتاب منها:

١- الشمولية في الرد:

قد يظن المطلع على الكتاب من أول وهلة أنه رد على شخص البكري، ولكن من معايشة الكتاب يتبين أنه رد على القبورية، وقد أطل شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف هذه الطائفة، فذكر اعتقاداتهم وأقوالهم وأشعارهم وما يحصل من بعضهم، ومناقشاته معهم، وما ذكره بعض الناس له عنهم، في مواضع متعددة.

فيقول عن هذه الطائفة: «ويذكرون حكايات يظنونها صدقا،

منها أن أهل الصفة قاتلوا النبي ﷺ مع الكفار لما انهزم»^(٢).

١- انظر الكلام على منهج ابن تيمية في موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د.المحمود

ج-١/٢١٨ وما بعدها.

٢- انظر ص ٣٧٥

وقد ساعد الشيخ على ذلك؛ سعة إطلاعه على تاريخ الفرق،
وبدعهم وتاريخ نشوء كل بدعة، وكتبهم وبلدانهم وكل ما يتعلق بهم.
وكان هذا هو منهجه في ردوده الأخرى، لأن المقصود بالرد هم
الطوائف لا الأعيان، فرد ابن تيمية على البكري على اعتبار أنه أحد
القبورية.

ويتمثل الشمول أيضاً في الرد على كل ماذكره البكري وإن لم
يكن في موضوع الاستغاثة، يقول ابن تيمية: «ونحن نتكلم على ماذكره
وإن لم يختص بمسألتنا لما فيه من تمام الكلام على ماذكره كله»^(١).

٢- وضوح الهدف والغاية:

يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية الهدف من هذا الكتاب، فيقول:
«ثم إن الأصحاب تقاضوني على كلام هذا الظن لم الجاهل، لئلا يغتر
بكلامه بعض الطغام»^(٢)، حتى قال لي بعضهم: إن الكلام على هذه
المسألة من أفضل الكلام، إذ فيها بيان التوحيد ونفي الشرك عن الصمد
المجيد»^(٣).

ويبين هدف أهل السنة والجماعة عموماً من الردود على المبتدعه
فيقول: «وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون

١- انظر ص ٦٣٥

٢- الطغام جمع طغمة وهو الرجل الأحق. انظر لسان العرب لابن منظور ج ١٢/ ٣٦٨
الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٣- تلخيص الاستغاثة ص ٤.

الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، يعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم ... ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء؛ بل إذا عاقبهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا»^(١).

وفي مقابل ذلك يصف منهج أهل البدعة فيقول: «وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله - يقصد البكري - هي طريقة أهل البدع، الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة؛ مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم»^(٢).

لذلك نجد رد ابن تيمية خالٍ من التكفير والكذب والتوتر، بينما البكري كفر شيخ الإسلام ابن تيمية وسبه ولعن واتهم النيات، وحمل الكلام ما لم يحتمل.

٣- ثبات المنهج والثقة به:

وحدة منهج شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وثقته بما عنده من الحق المبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف؛ بارزة في جميع ما كتب.

وعلى هذا نجد هذا الكتاب على وتيرة واحدة، فهو يصف الخصم بالجهل والظلم ولا يكفره، وإن كان يشتد عليه أحياناً، إلا أنه

١- انظر ص ٣٨١

٢- انظر ص ٣٧٨.

لا يخرج عن حدود الشرع، ويستدل على كل مسألة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح.

بينما البكري يصف الشيخ مرة بالإلحاد^(١) ومرة بالزندقة والكفر^(٢)، ويستشهد بأقوال القبورية أمثاله.

كما نجد هذا الكتاب مشبعاً بروح الثقة وبسلامة المنهج، وعدالة القضية، وموافقته للكتاب والسنة، ومخالفة خصمه لهما، فيقول: «وقد طاف -أي البكري- بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبه فما خالفوه»^(٣).

وينقل ابن تيمية رد شيخ البكري عليه فيقول: «وقد كفانا شيخه وغيره من الناس، فبينوا ضلاله وجهله ما^(٤) ذكروه وذموه وعابوه وتنقصوه به»^(٥).

ويرد على فهم البكري في الاستغاثة فيقول: «وهذا الكلام كذب باطل لم يسبقه إليه أحد»^(٦)، ويقول في إحدى المسائل: «وما علمت إلى ساعتي هذه أحداً من علماء المسلمين الذين يستحقون الإفتاء نازع في هذا»^(٧).

١- انظر ص ٣٠٢

٢- انظر ص ٥٩٦

٣- انظر ص ٣٧٧

٤- كذا في الأصل والأولى (ع).م.

٥- انظر ص ٣٨٧

٦- انظر ص ٣٩٠

٧- انظر ص ٥١١

٤- الأمانة العلمية والصدق:

ينقل شيخ الإسلام أقوال البكري بالنص ثم يقوم بالرد عليها، وهذا منهج رضيه لنفسه واتبعه ودعا إليه.

وقد نعى على البكري كذبه وافتراءه عليه، فبعد أن ذكر كلام البكري الذي ادعى أنه لشيخ الإسلام بلفظه: «فيقال: في هذا الكلام من الكذب والافتراء والظلم والاعتداء والجهل والضلال مليظهر عند التأمل»^(١) ثم ذكر نص جوابه الذي كذب عليه البكري فيه. أما البكري فعلى النقيض من ذلك، فلم يذكر ألفاظ ابن تيمية أو جوابه، بل يقول عنه: (إنه يخلط في الحقائق ويلحد في الآيات)^(٢).

٥- العدل والإنصاف:

نجد ابن تيمية يعتذر عن البكري، ويحكم عليه بعدل وإنصاف، يقول ابن تيمية بعد أن ذكر مشابهة قوله وأشباهه للنضاري: «وإن كانوا لا يعلمون لوازم قولهم»^(٣)، وأيضاً عند ذكره لم مشابهة قوله للإتحادية؛ يقول: «لكن هذا الرجل -أي البكري- وأمثاله لم يصلوا إلى الإتحاد بل وقفوا عند القدر وهو شهود القيومية»^(٤)، ويقول: «وهذا الكلام باطل لم يسبقه إليه أحد، لا ريب أنه لجهله. وهواه وقع في هذا، وإلا فما تعمد أن يقول ما يعلم أنه كذب»^(٥).

١- انظر ص ٢٨٨

٢- انظر ص ٣٠٢

٣- انظر ص ٣٠٣

٤- انظر ص ٢٥٧

٥- انظر ص ٣٩٠

ويحلل سبب خطأ البكري فيقول: «فدخل عليه الخطأ من وجوه: منها أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغنياً به والثاني: ظنه أن توسل الصحابة به في حياته كان توسلاً بذاته لابدعائه وشفاعته، فيكون التوسل به بعد موته كذلك»^(١).

كما نجده يقر البكري على الصواب؛ ويؤيده ويستدل عليه، فيقول: «ونحن نقول بموجب هذا الكلام وهو معناه الصحيح»^(٢).

وعند كلامه عن تكفير البكري له، يقول: «التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفر الله ورسوله»^(٣).

٦- المقارنة والتحليل:

من أهداف الكتاب الرئيسة بيان الشرك الذي وقع فيه القبورية، وأن بعضهم وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ولبيان هذا الضلال العظيم وتوضيح خطره يقارنه المؤلف بشرك العرب في الجاهلية، الذين نزل عليهم القرآن وقاتلهم الرسول ﷺ واستباح أموالهم ودماءهم^(٤).

ثم يبين من خلال هذه المقارنة أن شرك العرب أهون من شرك هؤلاء، فالعرب في الجاهلية مقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق، بينما هؤلاء القبورية يعتقدون أن شيوخهم يرزقونهم ويحفظونهم، فهم

١- انظر ص ٣٦٨

٢- انظر ص ٢٠٠

٣- انظر ص ٣٨٣

٤- انظر ص ٤٧٣

أشركوا في توحيد العبادة وتوحيد الربوبية^(١).

ويقارن بين بيوت النيران وبيوت الكواكب والمقابر، وبين المشاهد التي على القبور ومشاهد الأصنام^(٢).

ويقارن بين حال أهل التوحيد مع الأنبياء وتأديبهم معهم واتباعهم لهم، وحال أهل الشرك معهم الذين يخالفون أمرهم ويسلطون العامة والجهال عليهم، وأن أهل الشرك هم المنتقصون حقاً للرسول - صلوات الله وسلامه عليهم -^(٣).

بعد هذه المقارنات يبحث المؤلف عن مصدر هذا الشرك، فيوضح أن هذا الشرك انتقل إلى هؤلاء القبور من الفلاسفة، الذين أخذوا دينهم عن الصابئة المشركين^(٤)، وأن متأخري المتكلمين والصوفية ادخلوا بعض ضلال الصابئة على المسلمين^(٥).

ثم يعود للمقارنة مرة أخرى ليقارن بين شرك الصابئة وشرك العرب، ليصل إلى أن شرك الصابئة المشركين - لأن الصابئة طوائف - شر من شرك العرب^(٦).

١- انظر ص ٤٦٧-٤٨٩

٢- انظر ص ٤٧٣ وما بعدها

٣- انظر ص ٤٩٨

٤- انظر ص ٤٨٠.

٥- انظر ص ٤٨٢

٦- انظر ص ٤٨٠

فالمؤلف - رحمه الله - أراد بهذه المقارنات بيان خطورة ما وقعوا فيه من الشرك، وما هي مصادره، ليتيسر تجنبه وعلاجه.

* * *

وبعد فهذه أبرز سمات منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب، وتركت غيرها للاختصار وقد يدعي بعض الناس كثرة استطرادات الشيخ وتكرارها، فنقول وبالله التوفيق:

٧- الاستطراد والتكرار:

يلاحظ على منهج ابن تيمية عموماً إطالة النفس مع الخصوم، حتى إن القارئ يجد صعوبة بالغة في ملاحقة الأفكار التي يناقشها، وهذا جزء من منهجه الذي ارتضاه؛ لأنه لا يمكن قطع دابر بعض الشبه إلا بملاحقة أصولها، ومناقشة تلك الأصول التي لا بد لردّها من عرضها بوضوح ليتم نقضها بوضوح أيضاً.

وفي كتابنا هذا بعض هذا الاستطرادات المفيدة جداً في توضيح بعض المسائل، فمثلاً أطال المؤلف في الكلام على سؤال النبي ﷺ والناس من الدنيا وأبان حكمها والآثار الواردة في النهي عنه في مواضع^(١).

وقد أراد بهذا الاستطراد الرد على دعوى البكري: أن من استغاث بالنبي ﷺ فقد استغاث بالله، فيكون من سأل النبي ﷺ فقد سأل الله، قياساً عليها.

فيلزم من هذا حض الناس على سؤاله، والأمر عكس ذلك، فقد ورد

١- انظر ص ٢٦٣ وما بعدها

ذم من سألَه ومدح من لم يسألَه، يقول رحمه الله: «فإن كان النبي ﷺ على زعم هذا قد جعل من استغاث به فإنما استغاث بالله، وقد حضه على ذلك، فمن سألَه فإنما سأل الله، فيلزم أن يحض الناس على سؤاله، والأمر بالعكس، بل مدح من لم يسألَه وذم كثيراً ممن سألَه»^(١).

وفي استطراد آخر هل كان النبي ﷺ يعلم براءة عائشة أم لا؟ فقد أراد بهذا الاستطراد أن يوضح أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب وأنه بشر، والرد على من يغلو فيه ﷺ، ويرفعه إلى درجة الألوهية^(٢).

ويلعل المؤلف الإطالة فيقول: «ونحن نتكلم على مذكره وإن لم يختص بمسألتنا، لما فيه من تمام الكلام على مذكره كله»^(٣)، ويقول أيضاً: «وبعض الناس يكون الطريق كلما كان أدق وأخفى وأكثر مقدمات أطول كان أنفع له، لأن نفسه اعتادت النظر الطويل في الأمور الدقيقة، فإذا كان الدليل قليل المقدمات، أو كانت جليته، لم تفرح نفسه به»^(٤).

ويكرر المؤلف ما يذكره في مواضع عديدة، فمثلاً وصف حال القبورية واستغاثتهم بشيوخهم، وإضلال الشياطين لهم، ذكر هذا عدة مرات بصيغ مختلفة، وقد أراد بذلك التأكيد على ضلالهم في هذه القضية، فهي قضية الكتاب الأساسية، وفي التكرار بطرح متجدد فائدة عظيمة

١- انظر ص ٢٦٦

٢- انظر ص ٥٦٣ وما بعدها

٣- انظر ص ٦٣٥

٤- مع ٢١٣/٩.

لاختلاف أفهام الناس، ويعلل المؤلف ذلك بقوله: «ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا، وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق، حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين، لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال، وإيضاح هذا الضلال، ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان، فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء والأولياء كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولى الألباب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدون، الذين يفسدون الدنيا والدين»^(١).

ولا يخفى أن الكتاب لم يؤلف مرة واحدة، بل على مرحلتين، بينهما فترة من الزمن، مما أدى إلى بُعد المؤلف عن أوله، وبالتالي تكرر طرح بعض القضايا التي ذكرها في أوله، ومع ذلك فهو يكرر كثيراً قوله: «هذا ليس مما نحن فيه»^(٢).

وأيضا فإنه رحمه الله يكتب كتبه من ذاكرته دون ترتيب للمعلومات أو تناول للمصادر.

١- مج ٣٥٧/٢-٣٥٨.

٢- انظر ص ٦١٢ من أصل الكتاب.

القسم الثاني

تحقيق الكتاب

الباب الأول ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : وصف النسخ الخطية ونماذج منها

الفصل الثاني : منهج التحقيق

الفصل الأول

وصف النسخ الخطية للكتاب

بعد البحث والتدقيق حصلت بتوفيق الله على ست نسخ خطية، تم تحقيق الكتاب على أربع منها، واستفدت من الخامسة، وأعرضت عن السادسة لعدم صلاحيتها للمقابلة كما سيأتي .

وقد اشتركت هذه المخطوطات في ملاحظتين:

١- إن أول الكتاب سقط منها.

٢- جميعها متأخرة .

وإليك وصف النسخ الخطية:

النسخة الأولى:

وهي الأصل، الذي اعتمدت عليه في تحقيق الكتاب، حصلت على صورتها من قسم المخطوطات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهي مسجلة تحت رقم (١٤٧٢). بمكتبة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، وعلى طرفتها ختم الجامعة - قسم المخطوطات، ورقمها، والعنوان ؛ وهو: "كتاب الاستغاثه لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية - قلنس الله روحه ونور ضريحه - راداً على البكري".

وقد رُقِّمَت المخطوطة في أعلى الصفحات بترقيم جديد حيث بلغت ١٠٣ ورقة، وقد أخطأ واضع الترقيم في أوله؛ حيث رقم على أساس الصفحات في الأولى والثانية، ثم رقم على أساس الورقات فيما بعد، وأخطأ في العد في الورقة ١٠١ حيث كرر الرقم مرتين.

لذلك قمت بترقيمها على أساس عد الصفحات في كل وجه

صفحتان، وقد بلغت ٢٠٦ صفحات، في كل صفحة ٢٤ سطراً تقريباً، وفي كل سطر ١٢ كلمة تقريباً وخطها جيد، تكثر فيه الأغلاط الإملائية، وعدم النقط أحياناً، والناسخ هو: "محمد بن عثمان بن يحيى"، كما جاء في آخر النسخة، وتاريخ النسخ (١٢٨٤هـ).

وفي الهوامش تصحيح لبعض الكلمات، أو إكمال لسقط في الأصل، وفي أحيان قليلة أو نادرة التعليق على النص، قد تصل لثلاثة مواضع أو أربعة، والتعليق بخط الأصل نفسه.

وفي الجانب الأعلى الأيسر وقف، نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم يعلم الناظر إليه والواقف عليه؛ بأن فاضلة بنت سنان وقفت هذا الكتاب على طلبة العلم؛ بشرط الصيانة، وجعلت النظر لها مدة حياتها، فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم. كتبه شاهداً به (إبراهيم بن سعيد القوزاني) حرر في سنة (١٢٨٤هـ). وتحت العنوان كلام حول التوكل واليقين لاعلاقة له بالموضوع.

النسخة الثانية ورمزها (ف):

وحصلت على صورتها من نسخة مصورة بالمكتبة السعودية بالرياض - التابعة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء وهي مسجلة برقم (٧٦٦)، وفي جامعة الملك سعود - قسم المخطوطات نسخة منها غير واضحة.

وتقع في ١٩٠ صفحة؛ في كل صفحة ٢٣ سطراً؛ وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً، والمقاس ١٧×٢٤ سم تقريباً.

والناسخ هو الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، وتاريخ النسخ سنة (١٣١٩هـ) وخطها جيد وواضح.

وعلى طرة النسخة في الوسط العنوان، وهو: "كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية - قدس الله روحه - رداً على ابن البكري

جزى الله شيخ الإسلام عن الإسلام والمسلمين خيراً^(١).

وعلى الجانب الأيمن الأعلى في الصفحة الأولى وقف، ونصه: «يعلم من يراه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل -سلمه الله- وقف هذا الكتاب لوجه الله -تعالى- على طلبه العلم لا يباع ولا يورث ولا يحبس فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يدلونه إنه سميع عليم وصلى الله على محمد سنة ١٣٥٠هـ» ٢٢٢ ل^(١).
وهي أقرب النسخ إلى الأصل.

النسخة الثالثة ورمزها (د):

وحصلت على صورتها من نسخة مصورة في داره الملك عبدالعزيز بالرياض، مسجلة برقم (٧٣٩)، وأصلها في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في خزانة الشيخ محمد نصيف مسجلة برقم (٢٨٨٦)، وهي جزءان:

الجزء الأول: تلخيص كتاب الاستغاثة ويقع ١٧٥ صفحة.

الجزء الثاني: وهو نص الكتاب ويقع في ٢٢٨ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً، وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً، ومقسم على أربعة عشر كراساً، وتاريخ النسخ (١٣٢٦هـ) ولم يذكر اسم الناسخ.

ومن هذه المخطوطة نشرت أول طبعة للكتاب سنة ١٣٤٦هـ، وفي أول المخطوط ذكر الناسخ أنها منقولة عن أصل لدى آل الشطي الحنابلة بدمشق.

وهي نسخة جيدة، خطها كبير، مقابلة على نسخة أخرى، ويكثر الناسخ من ألفاظ الثناء بعد لفظ الجلالة؛ مثل: تعالى أو سبحانه وتعالى بعد

لفظ الجلالة، وأيضاً يكثر الصلاة والسلام بعد ذكر النبي ﷺ، زيادة على النسخ الأخرى، وعلى طرة النسخة في الوسط العنوان ونصه: "الجزء الثاني من كتاب الاستغاثة الشهير بالرد على ابن البكري تأليف شيخ الإسلام علم الأعلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج السادة الحنبلية، الحافظ الناقد الورع الكامل أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الشهير بابن تيمية الحراني الحنبلي - قدس الله سره أمين- المتوفي سنة ٧٢٨هـ".

وتحته تنبيه: «هذا الجزء نقل من قطعة هي من أصل كتاب الاستغاثة الكامل لمؤلفه شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وأما الجزء الذي قبله فإنما نسخ من تاريخ ابن كثير حيث اختصر هذا الكتاب فيه، فوصل الجزء الأول المختصر بهذا الثاني للفائدة الناجزة التي لا ينبغي أن يحرم قارؤه، ومتى ظفر بالأصل الكامل فيجب نسخه كله على حده فليتب». (كتبه جمال الدين القاسمي).

النسخة الرابعة ورمزها (ح):

وحصلت على صورتها من الأصل في مكتبة المعهد العلمي بمحائل مسجلة برقم ١٣ ضمن مجموع، في مكتبة الشيخ علي العبدالله اليعقوب. وتقع في ١٤٨ صفحة وهي غير مرقمة، في كل صفحة ٣١ سطرا، وفي كل سطر خمس عشرة أو ست عشرة كلمة، وخطها متقن وجيد، قليلة الأخطاء.

والناسخ هو عطية بن سليمان - أحد علماء حائل -، وتاريخ النسخ ١٣٢٠هـ.

وعلى طرة المخطوطة العنوان وهو: "كتاب الاستغاثة تأليف شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في الرد على البكري".

وتحته وقف في وسط الصفحة، نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد

الله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فليعلم الناظر فيه والمطلع عليه، بأن هذا الكتاب وقف لوجه الله -تعالى- لا لباع ولا يوهب ولا يبدل، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم، وهو بيد كاتب الأحرف طلال بن نايف مدة حياته، ثم من بعده لطلبة العلم المستحقين بشرط الحفظ والصيانة والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين سنة ١٣٢٢هـ» (ختم طلال بن نايف).

ولم أحصل على نسخة واضحة منها، حيث صورت على آلة التصوير العادية، مما أدى لعدم وضوح بعض الكلمات التي بين الوجهين، لذا لم أُشير إلى اختلافها أو مالا يظهر في الصورة، إلا عند الضرورة، واستفدت منها في الترجيح بين النسخ الثلاث الأخرى.

* * *

وهناك نسخ أخرى ليس لها أهمية ولم استفد منها، في مقابلة النسخ، اذكرها باختصار وهي:

١- نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض والمحفوظة برقم ٥٠٥٣/خ في قسم المخطوطات، وقد حصلت على نسخة منها، وليس عليها عنوان، وهي مجموع كبير غير مرقم، ولا مرتب، أوله عن المحبة (بمجهول المؤلف)، وآخره كتاب الاستغاثة، إلا أن أوراقه غير مرتبه، وفيها مالميس من الكتاب، وتاريخ النسخ سنة ١٢٧٤هـ، وخطه جيد، وفيه سقط كلمات وأسطر وصفحات أحياناً.

٢- "خلاصة رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة"، والمحفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٢٨١)، وعدد صفحاتها ٢٧٠ صفحة،

منها ١٣٨ تلخيص كتاب الاستغاثه، و١٣٢ صفحه نص كتاب الاستغاثه، والناسخ هو محب الدين الخطيب الدمشقي، وتاريخ النسخ صفر سنة ١٣١٩هـ.

وقد حصلت على نسخة منها، وهي كما في عنوانها خلاصة للرد، وليست نفس كتاب الاستغاثه، حيث تصرف الناسخ في نص الكتاب، ما بين حذف وإضافة، وتبديل للنص وتقديم وتأخير لذا أعرضت عنها سوى مواطن قليلة.

٣- قطعة من كتاب الاستغاثه، حصلت عليها من الشيخ علي بن عبدالعزيز الشبل، وأصلها محفوظ في مكتبة الدولة ببرلين بألمانيا، وهذه النسخة عبارة عن مقتطفات من الكتاب في خمس عشرة صفحة.

٤- هذه النسخة ليست للكتاب، وعنوانها "رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثه" وهي صفحات قليلة من تلخيص الاستغاثه، وفي فهرس خزانة المكتبة التيمورية ذكر أنها نسخة من الكتاب، وليست كذلك، وقد حصلت على نسخة منها وهي محفوظة في خزانة المكتبة التيمورية برقم (٤٠٥).

تاريخ تأليف الكتاب :

كما سبق بيانه ^(١) فإن رد البكري على ابن تيمية كان بعد تأليف ابن تيمية لرسالة الاستغاثه، والتي كتبها سنة ٧١١هـ، كما ذكر ذلك في قاعدة جلية حيث يقول: «وكننت وأنا بالديار المصرية في سنة إحدى عشرة

وسبعمائة قد استفتيت في التوسل بالنبي ﷺ...»^(١).

وقد ألف ابن تيمية الكتاب على مرحلتين: الأولى: قبل ٧١٤هـ،
والثانية بعد ذلك.

يقول رحمه الله: «كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا الموضع
واتفقت أمور شغلت عن تمام ذلك، حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم
وحزبه الجاهلين الظالمين»^(٢)

ومرادة بقوله «حتى أنزل الله بأسه بهذا الجاهل الظالم» يشير إلى
ما حدث للبكري مع السلطان في شهر محرم عام ٧١٤هـ.^(٣)

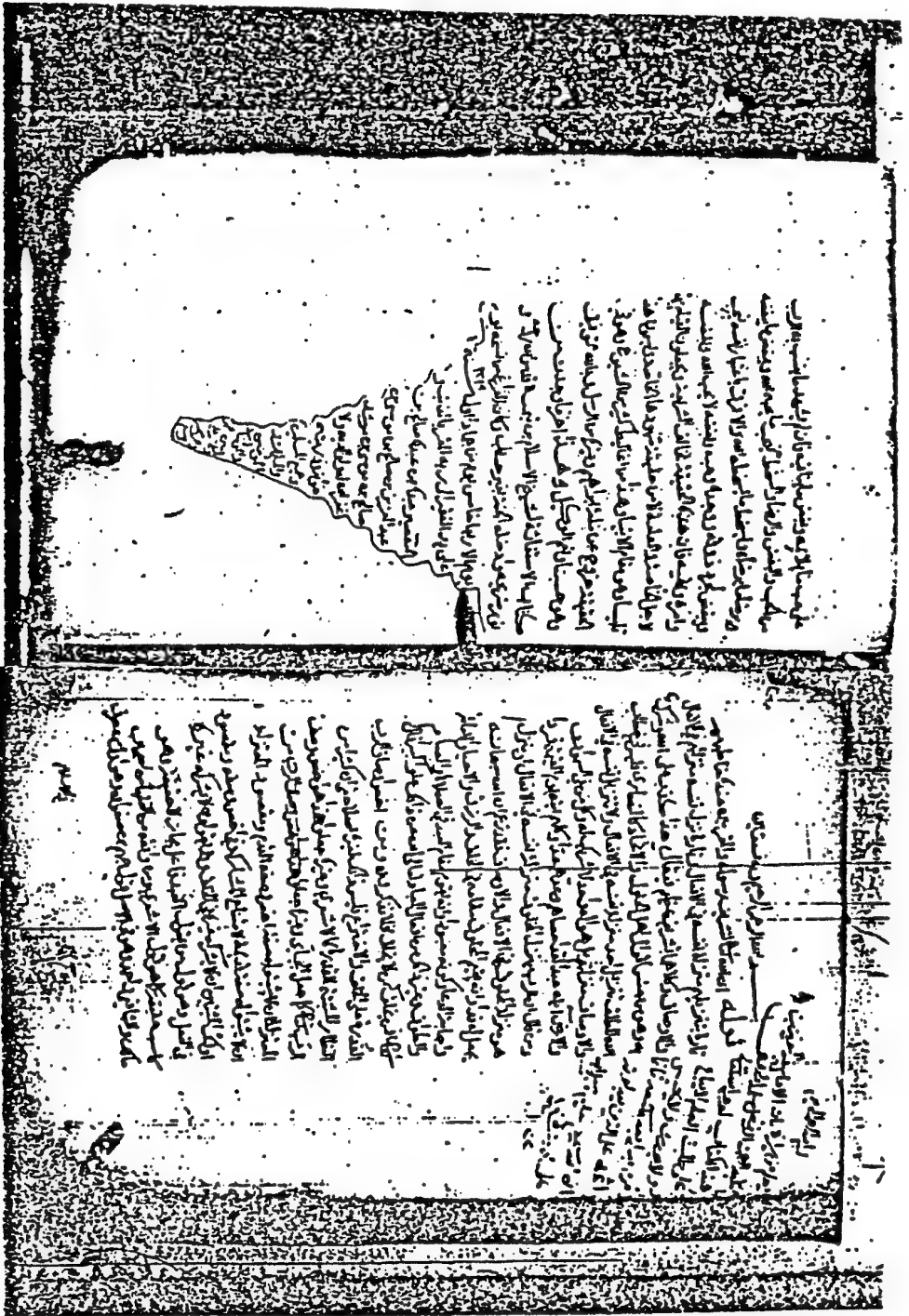
فعلى هذا، الجزء الأول من الكتاب ألف ما بين عام ٧١١هـ إلى
٧١٤هـ والجزء الثاني بعد ٧١٤هـ وقبل وفاة البكري ٧٢٤هـ فظاهر كلام
ابن تيمية أن البكري حي .

ولعل تأليف الكتاب على مرحلتين كان سبباً في ضياع الجزء الأول
منه. ولم يشر المؤلف هنا صراحة إلا إلى كتابه " الصارم المسلول " ، ويُرجع
إلى بحوثه الأخرى دون ذكر لها.

١- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٤٤.

٢- تلخيص الاستغاثة ص ١٤٢.

٣- انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤/ ٧٦.



الصفحة الأولى والأخيرة من مخطوطة (ف) المحفوظة بالمكتبة السعودية

الفصل الثاني

منهج تحقيق الكتاب والتعليق عليه

(١) تحقيق النص :

سلكت في تحقيق النص أن جعلت أفضل النسخ أصلاً، وقارنتها بغيرها وهي نسخة أم القرى ، فما سقط من الأصل أثبتته من النسخ بين معقوفين []، وما كان من زيادة أو سقط من النسخ الأخرى بينته في الهامش، مع وضع النقص بين قوسين ()، وما سقط من نص الكتاب في جميع النسخ، حاولت إكماله من الكتاب نفسه إذا كان المؤلف كرر الكلام نفسه في موضع آخر، أو من كتبه الأخرى، أو ممن نقل عن هذا الكتاب ، فان لم أجد في ذلك، اجتهدت ووضعت ماأظنه يناسب المعنى.

وجعلت كلام البكري بين قوسين، وعزوت الآيات في نص الكتاب بين معقوفين صغيرين، ووضعت للكتاب عناوين جانبية، في الجانب الأيسر، وبينت مواضع بداية صفحة المخطوطة الأصل بخط مائل، يقابله رقم الصفحة في الجانب الأيسر.

وقد أغفلت ألفاظ الشاء بعد لفظ الجلالة والصلاة على النبي ﷺ في نسخة (د) لكونها زيادات من الناسخ، كما سبق بيانه في وصفها.

(٢) عزو الأحاديث والآثار :

في عزو الأحاديث حاولت -بقدر الإمكان- الاختصار، واقتصرت على القدر الضروري في عزو الحديث؛ تفادياً لإثقال الكتاب بالحواشي.

فالأحاديث الموجودة في الصحيحين، أو أحدهما، فلإني أكتفى في الغالب بعزوها لكل منهما أو أحدهما، لأن المقصود هو الاطمئنان على درجة الحديث، وذلك حاصل بعزوه للصحيحين أو أحدهما.

وإذا كان أصله في الصحيحين وليس اللفظ لهما فلإني أعزوه لهما ولصاحب اللفظ، دون أن أطيل في التخريج.

وإذا لم أجد اللفظ الذي ذكره المؤلف، فلإني أذكر المصادر التي ألفاظها قريبة من لفظ المؤلف، ولا أذكر المصادر الأخرى.

وأما الأحاديث التي ليست في الصحيحين، فلإني أجتهد قدر استطاعتي في نقل أقوال العلماء المعبرين في درجتها، وإذا كان بينهم اختلاف في درجته، بذلت الجهد في الترجيح.

وإذا لم أجد في الحديث كلاماً لأحد الأئمة، أجتهد في دراسة سنده بنفسى، مع الاستعانة بأهل الاختصاص، ثم أذكر ما توصلت إليه وهذا قليل جداً.

أما الآثار عن السلف التي ينقلها المؤلف؛ فلإني أبذل جهدى في تخريجها من مصادرها؛ وإذا لم أجد من تكلم على إسنادها، أتكلم عليه أو أنقل السند للقارئ؛ إذا لم أتمكن من نقده، وما لم أجد مصادره بينت ذلك.

(٣) توثيق الأقوال والمسائل والآراء الفقهية:

حرصت على توثيق كل مسألة ذكرها المؤلف، وبيان مصدرها، وإذا لم يتيسر ذلك نقلت من المراجع التي نقلت من المصدر الأصلي.

وقد أذكر بعض الأقوال والآراء التي تعضد رأى المؤلف من المتقدمين أو المتأخرين باختصار، حتى لا أثقل الكتاب.

إلا أنه واجهني أن المؤلف نقل من بعض الكتب النادرة، ككتب الباطنية، وكتب غلاة الصوفية وغيرهم، وهذه لا تتوفر في هذه البلاد - حفظها الله بحفظه - وهي نادرة في كثير من البلاد، وفي كثير من المكتبات الكبيرة، ولذلك لم يتيسر توثيق هذه الأقوال، وقد وثقت ما وقع لي بمراجع مساعدة أو ناقله عن المصادر الأصلية.

كما خَرَّجَت الشواهد الشعرية، ونسبتها إلى قائلها، وقليل منها لم أعرف قائله.

ومع ذلك، فهناك مسائل وأقوال لم أجد لها مراجع، من نصوص ونقول، أو آراء ونحوها، وحسبي أنني بحثت وبذلت الجهد في البحث والاستقصاء والله الموفق.

(٤) التزاجم والتعريفات :

عرفت بالأعلام غير المشهورين في أول مرة يذكرهم المؤلف، ولم أعرف بالمشهورين؛ لأن التعريف بهم غمط لشهرتهم، كمشاهير الصحابة، والأئمة الأربعة، واكتفيت بمرجعين أو ثلاثة للتعريف، في الغالب، أما القبائل والأماكن والكلمات فأعرف منها ما أرى أنه يحتاج إلى تعريف.

(٥) المصادر والمراجع:

حرصت كل الحرص على أن أوحّد النسخة والطبعة لكل مرجع، ليسهل على القارئ والباحث الرجوع إلى المراجع التي عزوت

إليها عند الحاجة، وقد ذكرت كامل المعلومات عن المرجع في أول مرة أذكره.

وفي حالات قليلة اضطررت للرجوع إلى طبعة أخرى، فأشير إلى الطبعة المغيرة في الهامش.

(٦) الرموز والمصطلحات:

نظراً لكثرة الرجوع إلى بعض الكتب، حاولت اختصار أسمائها، فقد رمزت لمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ب(مج)، ولكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ب(السير).

وأما رموز النسخ فهي كما يلي:

الأصل : نسخة جامعة أم القرى.

ف : نسخة الإفتاء.

د : نسخة دار الملك عبدالعزيز وأصلها بجامعة الملك عبدالعزيز.

ح : نسخة المعهد العلمي بمائل.

ت : نسخة المكتبة التيمورية.

ط : النسخة المطبوعة عام ١٣٤٦هـ.

الباب الثاني

كتاب تلخيص الاستغاثة

لابن كثير

ويتكون من فصول:

الفصل الأول : تعريف بالكتاب والملخص.

الفصل الثاني : نسبة التلخيص لابن كثير.

الفصل الثالث : منهج ابن كثير في التلخيص.

الفصل الرابع : الموضوعات التي انفرد بها التلخيص.

الفصل الخامس : الموضوعات التي سقطت من الكتاب الأصل

أو جاءت مختصرة فيه

الفصل الأول

كتاب تلخيص الاستغاثة*

حظيت كثير من المصنفات المفقودة ؛ أو أجزاء منها ؛ قبل فقدانها باهتمامات ودراسات نفيسة ، حفظت لنا قطعاً من تلك الكتب المفقودة كالمنتخبات والمنتقيات والتهذيبات والمختصرات وغيرها^(١) ومن هذه الكتب كتابنا موضوع الدراسة ، كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " ، فقد لخصه ابن كثير في كتاب " تلخيص كتاب الاستغاثة "

والتلخيص في اللغة هو : التبين والشرح ، يقال لخصت الشيء ولخصته ، بالخاء والحاء ، إذا استقصيت في بيانه وشرحه وتبويره ، ويطلق التلخيص أيضاً على : التقريب والاختصار . وقد جاء كتاب " تلخيص الاستغاثة " مطابقاً لمعناه ، فقد لخص موضوعات الكتاب الأصل ، وقرب مسأله ، وشرح أخرى ، وذكر ما فقد منه ، واختصر مطوله وجمع مكرره .

وقد طبع كتاب " تلخيص الاستغاثة " في مقدمة كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " عام ١٣٤٦ هـ في المطبعة السلفية - مصر ، وجعلنا كتاباً

* هذا الكتاب قيد الطباعة ، وسينشر بإذن الله مفرداً ، لأن وضعه مع هذا الكتاب سيوقع كثيراً من الناس في الخطأ ، ثم بأيهما يسمى الكتاب ، وهما كتابان مختلفان ، ولأسباب أخرى ذكرتها في مقدمته .
لذا فقد ذكرته هنا للاستفادة منه في معالجة النقص في " كتاب الاستغاثة في الرد على البكري "

١ - انظر القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية - تأليف د. حكمت بشير ياسين ص ١٦٣ ط الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مكتبة المؤيد - الرياض

واحداً ، فعلى غلافه وضع عنوانه كما يلي " تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري " ففي هذا العنوان خطأ علمي شنيع أوقع بعض الباحثين في أخطاء علمية كبيرة

وقد أعيد طبعه عام ١٤٠٥ هـ بالدار العلمية - الهند ، دون أي تصحيح.

ويقع التلخيص في ١٥٥ صفحة من القطع المتوسط .

وبعد البحث حصلت على ثلاث نسخ خطية لكتاب تلخيص الاستغاثة وهي :

النسخة الأولى :

جاءت في مقدمة نسخة دار الملك عبدالعزيز (د) والتي أصلها في مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة ، في خزانة الشيخ محمد نصيف والمسجلة برقم (٢٨٨٦) ، ويقع التلخيص في ١٧٥ صفحة ، وفي آخره «بلغ معارضة على أصل مخطوط جيد في دمشق الشام ، وتمت المعارضة في ٢٥ جمادى الثانية. ١٣٣٠» وكتبه جمال الدين القاسمي عفى عنه .

وعلى هذه النسخة طبع الكتاب .

النسخة الثانية :

جاءت أيضا في مقدمة نسخة المكتبة التيمورية والتي عنوانها "خلاصه رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة" والمسجلة برقم (٢٨١)، ويقع التلخيص في ١٣٨ صفحة. والناسخ هو الشيخ محب الدين الخطيب الدمشقي، وتاريخ النسخ صفر ١٣١٩ هـ.

النسخة الثالثة :

وهي قطعة من التلخيص ، وليس فيها شيء من نص الكتاب ، وعنوانها "رد ابن تيمية على البكري في الاستغاثة" وهي محفوظة في

خزانة المكتبة التيمورية برقم (٤٠٥).

وينسب التلخيص للإمام العلامة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، (ت ٧٧٣ هـ) صاحب كتاب "تفسير القرآن العظيم" "والبداية والنهاية" وغيرهما .

وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلف كتاب "الاستغاثة في الرد على البكري"، وقد كان ابن كثير معجباً بشيخه ابن تيمية محباً له، حتى امتحن بسبب ذلك، وأوذى وسجن .

فهو قام بخدمة كتاب شيخه الذي خشي عليه من الضياع، بعد أن فقدت أجزاء منه كان قد أطلع عليها، وهو في نفس الوقت رد على من رد على شيخه ابن تيمية .

الفصل الثاني

نسبة التلخيص لابن كثير

ليس بالأمر الهين أن نؤمن بصحة نسبه أي كتاب كان إلى مؤلفة ، ولا سيما الكتب الغير مشهوره ، ولا بد من التأكد من ذلك بالنظر في فهارس الكتب والمؤلفين ، ودراسة مادة الكتاب نفسه .

وهنا لانجد مصادر مستقلة تنسب هذا التلخيص لابن كثير ، أو تتكلم عن التلخيص أصلاً ، فليس أما منا سوى ماجاء على المخطوطات و دراسة مادة الكتاب ومقارنتها بمؤلفات المؤلف الأخرى ، وإليك الأدلة التي تؤيد نسبة كتاب تلخيص الاستغاثة لابن كثير:

أولاً : ورد في مقدمة التلخيص نسبته لابن كثير حيث كُتب في وسط الصفحة « يعرف هذا الكتاب بالرد على البكري (كلمة غير واضحة) وجد في مجموع مخطوط في مكتبة الأفاضل بني الشطي شيوخ الحنابلة في دمشق الشام منقولاً من تاريخ ابن كثير - رحمه الله تعالى - وقد لخص أصل كتاب الشيخ - رضى الله عنه - ^(١) ويؤكد العلامة جمال الدين القاسمي هذه النسبة فيقول في بداية الكتاب الأصل : «وأما الجزء الأول الذي قبله، فإنما نسخ من تاريخ ابن كثير حيث اختصر هذا الكتاب فيه» ^(٢) . ولم أجد في

١-انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (د)، وفي بداية التلخيص: ترجمة البكري من

تاريخ ابن كثير ولعل الذى نقلها النساخ.

٢-انظر صفحة العنوان من المخطوطة (د)

النسخ المطبوعة لتاريخ ابن كثير ذكر لهذا التلخيص، وهذا أمر مستبعد، فإن تلخيص الكتب أو الإطالة في ذكرها ليس من منهج ابن كثير في تاريخه، ولكن المحتمل أن يكون اختصره في الكتاب المفقود الذي أفرد له ترجمة ابن تيمية^(١).

ولعل ابن كثير لم يصرح في كتبه الأخرى بذكر هذا التلخيص خوفاً على نفسه، فقد أودى لانتسابه لشيخ الإسلام، وقوله ببعض فتاويه.

ثانياً : الملخص عالم بالرجال وبالجرح والتعديل، وبالحديث وعلمه، فهو يطيل في نقد الرواة، ويوازن بين أقوال النقاد وعلماء الرجال، ويبين درجة الأحاديث، ويعزوها لمصادرها وبأسانيد أحيانا.

ثالثاً : وهو أيضاً من كبار تلاميذ الشيخ، واسع الاطلاع، فيصرح ببعض مصادر ابن تيمية التي نقل منها ولم يذكرها، وهذه الصفات تتوفر في ابن كثير.

رابعاً : اهتمام ابن كثير بترجمة البكري في تاريخه، أكثر من خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية الآخرين، مع أنه من أقلهم شأنًا، فقد يدل ذلك على أن له جهداً علمياً في هذا المجال.

١- انظر أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني ص ١٨٨ فقد ذكر هذا الكتاب المفقود. ومقدمة مسند الفاروق لابن كثير للمحقق د. عبدالمعطي قلعجي ص ٨٥ فقد ذكره بعنوان "مناقب ابن تيمية" ضمن الكتب المفقودة.

خامساً: موافقته لآراء ابن كثير:

أ- عند ذكره لخبر دانيال^(١)، قال: «وهذا قد روينا في كتاب المغازي لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير إلى أبي العالية»، وهذا السند ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء^(٢).

ب- وأيضاً حديث «لا يستغاث بي» ضعفه في التلخيص^(٣)، وفي التفسير قال: «هذا الحديث غريب جداً»^(٤).

ج- في تفسير قول الله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(٥) قال في التلخيص^(٦): «فجعل المشركين غير أهل الكتاب»، وهذا هو رأى ابن كثير في تفسير هذه الآية في كتابه تفسير القرآن العظيم^(٧).

د- عند ذكره لذي القرنين في التلخيص^(٨) قال: «والصحيح أنه لم يكن نبياً» وفي البداية والنهاية قرر ذلك فقال: «والصحيح أنه

١- تلخيص الاستغاثة ص ٢٩.

٢- ص ٥٢٧ الطبعة الثامنة ١٤٠٨ هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٣- تلخيص الاستغاثة ص ١٥٣.

٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة ١٤٠٣ هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان ج ٣/ ١٧٣.

٥- سورة البينة الآية : ١

٦- ص ١٤٩.

٧- ج ٤/ ٥٣٧.

٨- ص ٦٤.

كان ملكاً من الملوك العادلين»^(١)، وضعف الروايات التي ذكرت نبوته.

سادساً : إشارة الملخص لبعض كتبه^(٢) : « وقد كتبت في هذه المسألة نحو مجلد، وذكرتها في مواضع أخرى، وبينت أسباب الشرك وما فيه من الفوائد والمقاصد التي ضل بها المشركون؛ وأنها معمورة بالمفاسد، ومعمورة بالمضار التي من أجلها حرمه الله»، وفي هذا إشارة لكتاب ابن كثير "أحاديث التوحيد والرد على الشرك"، فذكر هذا المؤلف جاء في سياق كلام ابن كثير، فبعده بصفحات قال: « وفي الرد على البكري»^(٣) ثم ذكر مسألة أخرى. ولا يمكن أن يكون هذا الكلام لابن تيمية؛ فمؤلفاته في هذا الباب مجلدات كثيرة.

فلهذه الأدلة وعدم المنازع في نسبته فالراجع صحة نسبته إليه.

١- ج٢/١٠٥.

٢- ص٧٢.

٣- ص٨٠، وكتاب "أحاديث التوحيد والرد على الشرك" لابن كثير مطبوع على هامش كتاب "جامع البيان" لمعين بن شافع في دلهي - بالهند عام ١٢٩٧هـ انظر تاريخ الأدب العربي - بروكلمان (٢ : ٣٥٩) باللغة الألمانية نقلاً عن مقدمة مسند الفاروق ص٧٦.

الفصل الثالث

منهج ابن كثير في التلخيص*

أولاً : حاول ابن كثير ذكر المفقود من الكتاب بلفظ الشيخ، فيورد أكثر هذه المواضع بقوله: «قال الشيخ» ثم يذكر رد الشيخ، وقد يستطرد أحياناً في الرد من عنده. فمن ذلك حديث الكوة، فقد أشار ابن تيمية^(١) إلى تقدمه في أول الكتاب "المفقود" ونجد ابن كثير يذكره بالنص. وهذا يؤكد أن الملخص وقف على الجزء المفقود.

ثانياً : لم يتطرق لبعض الموضوعات الموجودة في آخر الكتاب، مثل حديث حجاج آدم وموسى.

ثالثاً : لخص بعض الموضوعات الأخرى الموجودة في الكتاب الأصل، وجمع كلام المؤلف في موضع واحد.

رابعاً : كرر بعض الموضوعات مثل سماع النبي ﷺ للصلاة والسلام عليه بعد وفاته^(٢) وغيره.

خامساً : في التلخيص مواضع كثيرة ليست من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، بل قد لا تكون في كتاب ابن تيمية، مثل كلام ابن كثير عن كتابه في الشرك، و وصفه لكتاب ابن تيمية الرد على البكري، وفي الغالب إذا قال الملخص «والمقصود:» فما بعدها من كلامه.

* راجع تفصيل هذه النقاط في مقدمة كتاب تلخيص الاستغاثة بتحقيقي .

١-انظر ص ٤٠٣ .

٢-تلخيص الاستغاثة ص ٣٤-٣٥، و ص ١١٧-١١٨ .

سادساً : ضعف الملخص حديث «لاستغاث بي»، وابن تيمية لم يجزم
 بضعف الحديث أو صحته في موضعين من الأصل^(١) ، بل يرى ابن
 تيمية أن غالب أحاديث ابن لهيعة الصحة^(٢) .

١- انظر ص ٢٦٩، ٢٧٣ من الأصل، وص ١٥٣ من التلخيص.

٢- مج ١/ ٢٦.

الفصل الرابع

الموضوعات التي انفرد بها التلخيص أو أطال فيها

أولاً : الموضوعات التي انفرد التلخيص بذكرها :

أ- رأى ابن تيمية في البكري أنه لا يخاطب خطاب العلماء، ووجوب تعزيزه التعزيز البليغ، وأنه ليس له خبرة بالأدلة الشرعية، أو أقوال أهل العلم، ويشكك في سريرته ومراده، ثم يكله الله تعالى -^(١).

ب- سبب تأليف هذا الرد، فإنه يطلب من أصحاب ابن تيمية حتى لا يضل الناس بكلام البكري، وأن الكلام في هذه المسألة من أفضل الكلام، إذ فيه بيان التوحيد ونفي الشرك عن الله - تعالى -^(٢).

ج- تأليب البكري للسلطة على ابن تيمية، فقد نقل عنه ابن تيمية قوله (ولقد خشيت على كثير من أهل الإقليم بسبب تقاعدهم عن نصرة الرسول ﷺ بإهلاكه وإهلاك أمثاله، خصوصاً أهل الدولة وأصحاب الحكم) وفي رد ابن تيمية أبان أنه رد عليه إلى هذا الحد ثم شغل عنه، حتى حصل موقف البكري مع السلطان ونفاه عن القاهرة ومنعه من الفتوى، فأكمل الرد عليه -^(٣).

١- تلخيص الاستغاثة ص ٣.

٢- المرجع السابق ص ٤.

٣- المرجع السابق ص ١٤٢-١٤٣.

د- دعوى البكري أن جماعة من الأنبياء توسلوا بالنبي ﷺ منهم نوح وإدريس وأيوب -عليهم السلام- ولم يذكر لها إسناداً أو يعزها، وقد رد عليه ابن تيمية وبين كذبه في هذه الدعوى (١).

ثانياً : الموضوعات التي أطل الملخص فيها :
وردت بعض الموضوعات في أصل الكتاب مختصرة جداً، وأطل الملخص فيها وهي:

أ- أدلة البكري في الاستغاثة وهي:

- * توسل آدم بالنبي ﷺ بعد الأكل من الشجرة ^(٢).
- * القصة المنسوبة للإمام مالك مع أبي جعفر المنصور ^(٣).
- * حديث فتح الكوة على القبر الشريف ^(٤).
- * حديث الأعمى في التوسل ^(٥).

ب- سماع النبي ﷺ للصلاة والسلام عليه، وذكر الأحاديث الواردة في ذلك، وانتهى إلى أنه ﷺ يسمع القريب ويبلغ سلام البعيد وصلاته، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فمن باب أولى أن لا يسمع دعاء الغائب واستغاثته، وكرر هذا

١- المرجع السابق ص ٢٢، ٦ قلت: وقد نقل البكري هذه الدعوى عن الرافضة كما سيأتي.

٢- انظر: ص ٣٩٨ من هامش الأصل، وص ٥ وما بعدها من تلخيص الاستغاثة.

٣- انظر ص ٤٠١ من هامش الأصل وص ٢٥ من التلخيص.

٤- انظر ص ٤٠٣ وما بعدها من هامش الأصل الكتاب وص ٢٨ وص ٦٩ من التلخيص.

٥- انظر ص ٣٩١ من هامش الأصل الكتاب وص ١٢٨ من التلخيص.

في موضعين ^(١).

ج- تضعيف حديث «لا يستغاث بي» وذكر أن المؤلف أورده للاعتضاد به، وليس للاعتماد به، وأنه موجود في دواوين الإسلام من قرون متطاولة، ولم ينكر لفظه أحد من أهل العلم ^(٢).

١- انظر ص ٣٤٢ من أصل الكتاب وص ٣٣ وما بعدها وص ١١٨-١٢١ من التلخيص.

٢- انظر ص ٢٩٤ من أصل الكتاب وص ١٥٣-١٥٥ من التلخيص.

الفصل الخامس

الموضوعات التي سقطت من الكتاب الأصل

أو جاءت مختصرة فيه

البحث عن نصوص كتاب مفقود يحتاج إلى بحث دقيق ، في اختيار المصادر وانتقاء النصوص منها ^(١) ، وحيث أن كتاب تلخيص الاستغاثة تلخيص "لكتاب الاستغاثة في الرد على البكري" ولذلك حفل بنصوص لم ترد في الأصل .

فتتميماً للفائدة ، قمت بجمع هذه النصوص والتي فقدت من كتاب " الاستغاثة في الرد على البكري " أو جاءت مختصرة فيه ، و اتبعت المنهج التالي:

- * وضع عنوان لكل فقرة .
- * جمع كل موضوع في فقرة واحدة وإن جاء في التلخيص مكرراً أو منفرداً، مع حذف المكرر .
- * المحافظة على نص التلخيص وعباراته ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.
- * عزو الآيات، والأحاديث باختصار شديد، والإحالة على كتاب التلخيص المحقق.
- * عدم التعريف بالأعلام أو الأماكن أو التعليق على القضايا، وسيكون كل ذلك في الكتاب المحقق -إن شاء الله-.

* إصلاح السقط ، أو العبارة الركيكة من الأصول الخطية أو حسب ما يقتضيه السياق .

* * *

١- رأي ابن تيمية في البكري :

قال ابن تيمية : رأيت أن مثل هذا لا يخاطب خطاب العلماء، وإنما يستحق التأديب البليغ، والنكال الوجيع الذي يليق بمثله من السفهاء ، إذا سلم من التكفير فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التي تتلقى منها الأحكام، ولا خبرة بأقوال أهل العلم الذين هم أئمة أهل الإسلام.

بل يريد أن يتكلم بنوع مشاركة في فقه وأصول وتصوف، ومسائل كبار بلا معرفة ولا تعرف، والله أعلم بسريته، هل هو طالب رياسة بالباطل، أو ضال يشبه الحالى^(١) بالعاطل، أو اجتمع فيه الأمران، وما هو من الظالمين ببعيد.

٢- وصف ابن تيمية لرد البكري عليه :

قال : وكلامه في الاستغاثة بغير الله أتى فيه من الجهالات بالعجب العجاب . قال : فمجموع ما قاله ما علمت أنه سبقه إليه أحد من المسلمين، ومع هذا لم يجترئ على أن يكتب فيها شيئاً حتى نظر جوابي في الاستفتاء الذى كتبته، وأرسل به إليّ، فاستعان به على ما قاله، وأعاره بعض الأمراء - كما أخبرني^(٢) - كتابي الذى كنت صنفته من مدة وسميته " الصارم المسلول على شاتم الرسول " ، فإنني

١- كذا في الأصول الخطية .

٢- في الرد على البكري ص ٥٩٢ لم يذكر هذه الزيادة.

ذكرت فيه مايجب على من سب الرسول ﷺ من العقوبات الشرعية، وذكرت فيه من أصول هذه المسألة وفروعها والدلائل الشرعية عليها، وكلام أئمة الإسلام فيه، مايعرفه من وقف عليه. فأخذ هذا الكلام مما ذكرته في ذلك وجعلته صيانة لعرض الرسول ﷺ من أهل النفاق والإعتداء، مااستعمله هذا الجاهل الظالم في حق أهل العلم والاهتداء .

٣- سب رد ابن تيمية على البكري

قال شيخ الإسلام: ثم إن الأصحاب تقاضوني تعليقاً على كلام هذا الظالم الجاهل لئلا يضل بكلامه بعض الطغام، حتى قال بعضهم: إن الكلام على هذه المسألة من أفضل الكلام إذ فيها بيان التوحيد ونفى الشرك عن الصمد المجيد، فإن أول مانشأ الشرك وعبادة غير الله من القبور، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال له: «ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١) فأمره بمحو الشرك وأصله الذي ينشأ منه.

٤- استدلال البكري بحديث آدم في الرد على ابن تيمية :

مما استدل به البكري الحديث الذي يُروى أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة وجرى ما جرى استشفع بالنبي ﷺ إلى الله، فقال له: «يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟» قال له: «لما نفخت في الروح رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمداً رسول

١- أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر) ج٢/٦٦٦ رقم ٩٦٩ واللفظ له إلا قوله «لا أدع» فلفظ مسلم «لاتدع».

الله، فقلت: إنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك» فقال: «صدقت يا آدم إنه لأحب خلقي إليّ وإذا سألتني به فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك وهو آخر الأنبياء من ذريتك»^(١) ذكره في رده مع نظائره من هذا الجنس الذي لا يستجيز الصبيان ذكره، فضلاً عن الجهال، فضلاً عما عمن شَمَّ للعلم شمة أو نشق له رائحة. قال^(٢): وقد رواه بصيغ مختلفة من المفسرين والمحدثين من لأحصيههم كثرة ولم يروه من المرويات المنكرة. قال: وقد جاء أن نوحاً وأدريس وأيوب وموسى وجماعة من الأنبياء توسلوا به.

رد ابن تيمية

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية) في نقض كلامه وحله إبرامه: فيقال

(أولاً): هذا الحديث وأمثاله لا يحتج به في إثبات حكم شرعي لم يسبقه أحد من الأئمة إليه، وإثبات عبادة لم يقلها أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعيه إلا من هو أجهل الناس بطرق الأحكام الشرعية وأضلهم في المسالك الدينية، فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد حسن ولا صحيح بل ولا ضعيف يستأنس به ويعتضد به، وإنما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الأسرائيليات التي كانت في أهل الكتاب، وتنقل عن مثل كعب ووهب وابن إسحاق^(٣) ونحوهم ممن أخذ ذلك عن مسلمة أهل الكتاب أو غير مسلمتهم أو عن كتبهم

١- سيايى تخريجه في ص ٣٩٨

٢- أي البكري .

٣- إشار المؤلف لهذا في الأصل ص ٤٩٣ وانظر غير مأمور تراجمهم هناك .

كما روي أن عبداً لله بن عمرو وقعت له صحف يوم اليرموك من الإسرائيليات فكان يحدث منها بأشياء .

ويكفيك أن هذا الحديث ليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها .

وقد جمع غير واحد من الحفاظ قصة آدم ^(١)، ومن أجمعهم أبو القاسم ابن عساكر في " تاريخه الكبير " فإنه روى عامة ما رواه الناس ولم يذكر هذا، وإنما ذكر هذا وأمثاله من يجمع الموضوعات الكثيرة والأكاذيب العظيمة.

ومما يبين كذب هذا أن الله - سبحانه وتعالى - قال ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعاً^(٢)﴾ فأخبر أنه تاب بالكلمات التي تلقاها منه وقد قال تعالى ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية فأخبر أنه أمرهم بالهبوط عقب هذه الكلمات، وأخبر أنه تاب عليه عقب الكلمات وأمره بالهبوط ، فكان أمره بالهبوط عقب الكلمات التي تلقاها منه وهي قولهما ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ ^(٣) أو كلمات تشبه هذه الكلمات ذكر ذلك طائفة كثيرة من المفسرين . ومن ذكر أن الكلمات التي تلقاها من ربه غير هذه لم يكن معه حجة في خلاف ظاهر القرآن.

١- أي قصة آدم وأكله من الشجرة ، وتوبته ، ولم يذكر هذا الخبر الباطل .

٢- سورة البقرة الآية : ٣٧ - ٣٨

٣- سورة الأعراف الآية : ٢٣٠

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب "التوبة" في هذه الكلمات أشياء كثيرة كلها تدور على ما ذكره الله في كتابه من قول آدم وحواء ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وأيضاً فإن قولهما ﴿ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا﴾ يتضمن الإقرار والاستغفار، ومن هو دون آدم أقر بذنبه واستغفر منه غُفِرَ له، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعائشة «إِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي وَتَوْبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١) وقال -تعالى- ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رحيماً﴾^(٢) وكذلك الآية التي في آل عمران ، وإذا حصلت مغفرة بالتوبة حصل المقصود بها لاغيرها ، وقد ثبت في الصحيح عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال له «يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَاقْبَلَهُ وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلُهَا»^(٣) ، وأيضاً فلو كان آدم قد قال هذا لكانت أمة محمد أحق به منه بل كان الأنبياء من ذريته أحق ، وقد علم كل عالم بالآثار أن النبي ﷺ لم يأمر أمته به ؛ ولا نقل عن أحد من الصحابة الأخيار؛ ولا نقله أحد من العلماء الأبرار . فعلم أنه من أكاذيب أهل الوضع والاختلاق الذين وضعوا من الكذب أكثر مما بأيدي المسلمين من الصحيح^(٤) ، لكن الله فرق بين الحق والباطل بأهل النقد العارفين بالنقل علماء التعديل والتجريح .

١- سيأتي تخريج الحديث ص ٥٦٣

٢- سورة النساء الآية : ١١٠

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج) ج ١/ ١١٢ رقم ١٢١ .

٤- في ط : (التصحیح) وقد صححتها من الأصول الخطية

٥- كذب البكري في تكثير رواية حديث توسل آدم :

وأما قوله: (إن هذا قد رواه بصيغ مختلفة من المفسرين والمحدثين .. إلى آخره) فما أدري من أيهما أعجب من تكثيره لمن رواه كأنهم من الحفاظ الكبار أو من سكوته عن مقابلتهم بالرد والإنكار، إذ مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عمن هو عارف بطرق الحديث مميز بين الصحيح والضعيف.

٦- الأحاديث الواردة في كتابة نبوة النبي ﷺ :

وقد روى أبو بكر الآجري وابن الجوزي آثاراً في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة، وهذا ممكن فإنه قد ثبت عن ميسرة قال: قلت يارسول الله متى كنت نبياً، وفي رواية متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»^(١) وفي مسند أحمد وغيره بإسناد حسن عن العرياض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم مجندل في طينته سأنبئكم بأول أمري، دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»^(٢) وفي حديث أبي هريرة سئل النبي ﷺ، متى وجبت لك

١- أخرجه الترمذي في (كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ). ج ٥/٥٨٥. رقم ٣٦٠٩. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لانعرفه إلا من هذا الوجه. وفي الباب عن مسيرة الفجر، والإمام أحمد في المسند ج ٥/٥٩ واللفظ له وصححه ابن تيمية في معج ١٤٧/٢.

٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٤/١٢٧ وغيره وللتوسع انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه للدكتور عبدالرحمن الفريوائي ج ٢/٤٤٩. وما بعدها.

النبوة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»^(١) رواه الترمذي وحسنه. فتبين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه.

٧- الأحاديث الموضوعية

وأما مايرويه كثير من الجهال والإتحادية وغيرهم من أنه قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وآدم لاماء ولا طين»^(٢) فهذا مما لأصل له لا من نقل ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراه مثل حديث فيه «أنه كان نوراً حول العرش» فقال: «يا جبريل أنا كنت ذلك النور»^(٣)، ويدّعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل.

١- أخرجه أبونعيم في دلائل النبوة ج ١/ ٤٨. رقم ٦ وقد عزاه ابن كثير في البداية والنهاية للترمذي أيضاً ج ٣/ ١٨، ولم أجده في جامع الترمذي، ولا عزاه إليه أحد، وقد أخرج الترمذي الحديث السابق (وآدم بين الروح والجسد). والله أعلم.

٢- حديث موضوع. انظر مع ج ٨/ ٢٨٣ وكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ج ٢/ ٤٥٣

٣- حديث موضوع نسبه بعض الجهلة لمصنف عبد الرزاق، ولم يخرج في مصنفه. انظر: تنبيه الخذاق على بطلان ما شاع بين الأنام في حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق تأليف: أحمد عبد القادر الشنقيطي ط. الثانية ١٤٠٢ هـ دار اليقين ص ٦ وما بعدها

٨- دعوى البكري في توسل الأنبياء بالنبي ﷺ :

وأعجب من هذا قوله: إن نوحاً وإدريس وأيوب وجماعة من الأنبياء توسلوا به ، فمثل هذا [لا] ^(١) يجوز لمسلم أن يبي دينه الذي يكفر به من خالفه على مثل هذا النقل الذي لا يعتمد عليه من يدري ما يقول. ^(٢)

ومعلوم أن ما جاء به نبينا ﷺ أضبط وأتم وأكمل ، وهو علينا أوجب ، وأمتنا به أعرف، ولو قال قائل في زماننا قد جاء أن النبي ﷺ قال كذا وفعل كذا ؛ محتجاً به من غير أن يعرف ما يستند إليه من العزو والإسناد لكان قائل ذلك من أجهل الناس وأبعدهم عن طريق الرشاد، دع من يستدل على تكفير غيره مما يرويه عن أولئك الأنبياء الذين قد أمرنا نبينا ﷺ إذا حدثنا أهل الكتاب عنهم أن لانصدقهم ولا نكذبهم، بل مثل هذا إذا وجدناه في كتب أهل الكتاب أو في كتب المسلمين منقولاً ، لم يجوز لنا أن نصدقه ، ومن صدقه فقد عصى الله ورسوله ، ولو صح فغايتة أن يكون شرع من قبلنا.

٩- أمثلة لما ورد عن أنبياء بنى اسرائيل :

وفي المأثور عن الأنبياء المتقدمين ما يدل على أن ذلك لم يكن مشروعاً لهم مثل ما ذكره الحافظ أبو نعيم في «كتاب الحلية» ^(٣) في ترجمة أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا أبي حدثنا [أحمد بن محمد بن عمر

١- مابين العقوفتين سقط من الأصول الخطية ، ولا يستقيم المعنى بدونها

٢- نقل البكري هذه الدعوى عن الرافضة. انظر: تفسير الحسن العسكري (ت

٢٦٠هـ) ص ٩٠-٩١، نقلاً عن التفسير و المفسرون ج ٢/ ٩٥-٩٦

٣- ج ١ ص ٩ ط الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

اللبناني^(١) [حدثنا الحسين يعني أبا علي الحسين بن عبد الله بن شاكر السمرقندي سمعت عبد الله بن الجلاء^(٢) يقول قال يوسف عليه السلام: «اللهم أني أتوجه إليك بصلاح أبائي إبراهيم خليلك وإسحاق ذبيحك^(٣) ويعقوب اسرائيلك» فأوحى الله إليه يايوسف: «توجه إلى بنعمة أنا أنعمت بها عليهم» قال أحمد^(٤): فقلت لأبي سليمان الداراني، كنت لبعض الأولياء قبل اليوم أشد حباً، فقال: إنما يتقرب إليه بحب أوليائه [أولاً^(٥)] ثم بعد منزلة سعد^(٦) القلب، وقد ذكر بعض الناس في هذا الأثر أن الله قال له: «وأي حق لأبائك علي»^(٧) لأنه سبحانه وتعالى هو الذي أنعم عليهم بالإيمان والنبوة كما قال تعالى بعد ذكره لهم وثنائه عليهم ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾^(٨) الآية وكذلك الآية التي في النساء ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾^(٩) الآية،

١- كذا في الحلية، أحمد بن محمد ج ٩/١٠، وصححت الاسم من السير ج ١٥/٣١١، وفي (ط) و (د) أحمد يعني محمد بن عمر اللبناني.

٢- في الحلية (الحذاء) ج ٩/١٠.

٣- الذبيح هو إسماعيل عليهما السلام، وهذا الخبر من الإسرائيليات، وقد جاء فيه ما خالف ديننا فهو مكذوب، وسيأتي رد المؤلف لها وأنه احتج بها لإلزام الخصم فقط.

٤- أي أحمد بن أبي الحواري

٥- كذا في الحلية ج ٩/١٠ وفي ط و (د) و التيمورية (أولى) ولا يستقيم المعنى.

٦- كذا في (ط) و (د)، و في الحلية (تشغل)، وفي التيمورية (تستعد)

٧- وقد ذكر في موضع آخر أنه قد جاء قريب من ذلك عن داود عليه السلام.

٨- سورة مريم الآية : ٥٨

٩- سورة النساء الآية : ٦٩

وقال في الفاتحة ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾^(١) وأما ما استحقوه عليه فكقوله ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾^(٢) كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين﴾^(٣) فهو سبحانه أحقه على نفسه بحكم احسانه وفضله ووعدده، لاهم أحقوه عليه؛ كالحق الذي للإنسان على من له عنده يد، ولهذا ليس لأحد أن يُدَلَّ على الله بصلاح سلفه فإنه ليس صلاحهم من عمله الذي يستحق به الجزاء؛ كأهل الغار الثلاثة فإنهم لم يتوسلوا إليه بصلاح سلفهم وإنما توسلوا إلى الله بأعمالهم لما علموا أن الله - سبحانه وتعالى - يثيب العاملين على أعمالهم كما قال ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾^(٤) وسعي غيره ليس له كما لاتزر وزارة وزرا أخرى كما قال تعالى ﴿أم لم ينبا بما صحف موسى • وإبراهيم الذي وفى • ألا تزر وزارة وزر أخرى • وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾^(٥) وإن كان المرء قد ينتفع بسعي غيره لكنه ليس له فلا [يمن]^(٦) ويدل بما ليس له^(٧).

فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا فيه دليل، على أنه لا يسأل الله بحق

١- سورة الفاتحة الآية : ٦

٢- سورة يونس الآية : ١٠٣

٣- سورة الروم الآية : ٤٧

٤- سورة البقرة الآية : ٢٨٦

٥- سورة النجم الآيات : ٣٦ - ٣٩

٦- في (د) و (ط) لا يمت، وفي التيمورية (لا يمن)

٧- وأيضاً لا يمن ولا يدل بعمله على الله لما ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : ((لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ، قال: ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)) انظر ص ٣٥١

الأنبياء. وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات، ثم إن توسل النبي المتقدم بالنبي الذي بعده يقتضي أن يكون أفضل منه، فيقتضي أن يتوسل نوح بإبراهيم، وداود بعيسى، وإسرائيل بموسى. ومثل هذا لو كان حقاً لكان أصلاً في العلم الصحيح، ولكن المتقدم من الأنبياء يبشر بمن يأتي بعده منهم، وليس هو مأموراً باتباع شريعة من يأتي بعده. بل إما أن يكون مأموراً باتباع شريعة توحى إليه أو شريعة رسول قبله، فهو مستغن عمن بعده متبع لمن قبله، فكيف يتوسل بالتأخر؟ ولا يتوسل بالمتقدم الذي يجب عليه اتباعه؟

١٠- استدلال البكري بقصة الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور :

قال الشيخ: (قال المعترض وقد رُوى أن أبا جعفر لما ناظر مالكا في مسجد النبي ﷺ، قال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوماً؛ فقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾^(١) وذم آخرين فقال ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾^(٢) وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً. فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال له: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به^(٣).

رد ابن تيمية

- قال الشيخ: فيقال (الجواب) عن هذا من وجهين: (أحدهما) المطالبة بصحة هذه الحكاية وليس معه ولا مع من ينقلها به إسناد صحيح ولا

١- سورة الحجرات الآية : ٢

٢- سورة الحجرات الآية : ٣

٣- سيأتي تخريجه في ص ٤٠١

ضعيف ، وإنما غايته أن يعزوها إلى " الشفا " أو إلى من نقلها منه ، وكل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه. فإذا قال القاضي عياض ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه ؛ وإذا لم يذكره من أين نقله لم نتهمه ؛ ولكن نتهم من فوقه. وقد رأينا ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها لكن [من] ^(١) فوقه لا يجوز الاعتماد عليهم.

الوجه الثاني: أن يقال هذه الحكاية كذب بلا ريب من وجوه : منها أنها مخالفة لمذهب مالك ومذهب سائر الأئمة ، فإنهم متفقون على أن من سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء فإنه يستقبل القبلة ، كما روي ذلك عن الصحابة ، وتنازعوا وقت السلام عليه هل يستقبل القبلة أو القبر؟ على قولين : فقال أبو حنيفة : يستقبل «القبلة أيضا». وقال : غيره : « يستقبل القبر وقت السلام عليه » . وأما وقت الدعاء فما أعلم إماماً خالف في أنه يستقبل القبلة ، بل الأئمة متفقون على أن قبلة المسلمين التي يستقبلونها في جميع أدعيتهم وأمكنتهم هي الكعبة ، ويستحب لكل من دعا لله أن يستقبل الكعبة حيث كان ، وأين كان ، كما كان النبي ﷺ يستقبلها، فيستقبل وقت الذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرات وعلى الصفا والمروة، وعقب الصلاة في مسجد النبي ﷺ ، وغيره ، وما جعل أحد من الأئمة قبر أحد من الأنبياء قبلة للدعاء ، وإنما يستقبل قبورهم أهل الجهل عند عباداتهم ومن هؤلاء الغلاة من يستقبل

قبورهم ويصلي إليها وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:
«لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»^(١)

(ومنها) أن مالك من قوة متابعتة للسنّة كره أن يقال زرت قبر النبي ﷺ، وهذا مما لا يسترىب أحد في ثبوته عنه، مع أن لفظ زيارة القبور في الجملة مما جاءت به السنّة في غير قبره، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»^(٢) والأحاديث في ذلك كثيرة.

ثم بسط الشيخ الكلام على ذلك.

١١- استدلال البكري بحديث الكوة :

أما ذكره (أي البكري) من أن أهل المدينة شكوا إلى عائشة فأمرتهم أن يعملوا كوة إلى السقف حتى لا يكون بينه وبين السماء حائل، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل وتفتقت شحما فسمي عام الفتيق. فقد ذكر هذا فيما أظن محمد بن الحسن بن زبالة فيما صنفه في أخبار المدينة^(٣).

١- أخرجه إمام مسلم في (كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبور والصلاة عليه) ج ٢/ ٦٦٧ رقم ٩٧٢

٢- أخرجه إمام مسلم في (كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه) ج ٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٦

٣- سيأتي تخريجه في ص ٤٠٣

رد ابن تيمية

وجوابه من وجهين : أحدهما : أن هذا محمد بن زباله ضعيف لا يحتج به ، والثابت عن الصحابة باتفاق أهل العلم أنهم كانوا إذا استسقوا دعوا الله ؛ إما في المسجد وإما في الصحراء ، وهذا الاستسقاء المشروع باتفاق أهل العلم ، فإنهم اتفقوا على دعاء الله واستغفاره . واختلفوا هل يصلى للاستسقاء على قولين : وجمهورهم على أنه يصلى له ، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وأما أبو حنيفة فلم يعرف الصلاة في الاستسقاء ، والجمهور عرفوا ذلك . مما ثبت في الصحيح والسنن والمسانيد أن رسول الله ﷺ صلى في الاستسقاء ركعتين ، والصحابة في زمن عمر وغيره صلوا واستشفعوا بالعباس وغيره ، ولم يكشفوا عن قبره ، ولو كان مشروعاً لما عدلوا عنه .

وهذا العلم العام المتفق عليه لا يعارض بما يرويه ابن زباله وأمثاله ؛ ممن لا يجوز الاحتجاج به ، ولو قال عالم يستحب عند الاستسقاء أو غيره أن يكشف عن قبر النبي ﷺ ؛ أو غيره من الأنبياء والصالحين لكان مبتدعاً بدعة مخالفة للسنة المشروعة عن رسول الله ﷺ وعن خلفائه .

الثاني : أن هذا الفعل ليس حجة على محل النزاع سواء كان مشروعاً أو لم يكن ، فإن هذا استنزال للغيث على قبره ؛ والله - تعالى - ينزل رحمته على قبور أنبيائه وعباده الصالحين ، وليس في ذلك سؤال لهم بعد موتهم ولا طلب ولا استغاثة بهم ، والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعاً ولا هو من صالح الأعمال ، إذ لو

كان مشروعاً أو حسناً من العمل لكانوا به أعلم وإليه أسبق. ولم يصح عن أحد من السلف أنه فعل ذلك.

ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ: بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة: «أن النبي ﷺ يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد»^(١). ولم تزل الحجر كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في أمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ ، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبله فأمره أن يشتريها من ملاكها ورثة أزواج النبي ﷺ فاشتراها وأدخلها في المسجد ، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه. ومن حيثئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك أجل كنس أو تنظيف.

ولوصح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟ والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أو بعمله، فإن الله - تعالى - يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبه وطاعته وموالاته، فهذه الأمور

التي يحب الله أن نتوسل بها إليه. وإن أريد أن نتوسل إليه بما تحب ذاته وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان والعمل الصالح فهذا باطل عقلا وشرعا، أما عقلا فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوبا له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته، إذا لم يكن مني ولا منه سبب تقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء، لي ؛ أو كان مني إيمان به وطاعة له ؛ فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة فأني وسيلة لي فيها ، إذا لم يحصل لي السبب الذي أمرت به فيها. ولهذا لو توسل به من كفر به مع محبته له لم ينفعه ، والمؤمن به ينفعه الإيمان به وهو أعظم الوسائل.

فتبين : أن الوسيلة بين العباد وبين ربهم - عز وجل - الإيمان بالرسول وطاعتهم ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾^(١) ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾^(٢)

وأما الشرع فيقال العبادات كلها مبناه على الاتباع لاعلى الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول: وهو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها».

١٢- استدلال القبورية بحديث الأعمى :

حديث الأعمى رواه الترمذي والنسائي والإمام أحمد وصححه الترمذي ولفظه: أن النبي ﷺ علم رجلا فيقول : «اللهم إني أسألك

١-سورة النساء الآية : ٦٩

٢-سورة الجن الآية : ٢٣

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي فشفّعه فيّ» وروى النسائي نحوه. وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني ، فقال: «إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتَ فهو خير لك» فقال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء. فذكر نحوه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه: أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل^(١): «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري، اللهم فشفّعه فيّ» فرجع وقد كشف الله بصره.

وقال أحمد في مسنده: حدثنا روح حدثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المدني قال سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان ابن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يابني الله ادع الله أن يعافيني فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك» قال: بل ادع الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفّعني فيه وشفّعه فيّ» ، قال ففعل الرجل فبرأ، فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء. فمن الناس من يقول: هذا يقتضي

١- في (ط) قال ، والتصحيح من التيمورية .

جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً، وهذا يستدل به من توسل بذاته بعد موته وفي غيبه ، ويظنون أن توسل الأعمى والصحابه به في حياته كان بمعنى الإقسام به على ربه ؛ أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته ولا يحتاج هو أن يدعو لهم ولا إلى أن يطيعوه، ويظنون أن كل من توسل بالرسول كما توسل به ذلك الأعمى مشروع له.

وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدرًا، فلاهم موافقون لشرع الله ولا مايقولونه مطابق لخلق الله، ومنهم من يقول هذه قضية عين فيثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناسط الحكم ، لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لامتثالها والفرق ثابت شرعاً وقدرًا بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له ، فلا يجوز أن يجعل أحدهما كالأخر ، وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ ولهذا قال في دعائه : «اللهم فشفعه في» فعلم أنه شفع فيه، وكذلك قوله «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك» فقال ادع لي فدعا له ، وقد أمره أن يصلي ويدعو لنفسه أيضاً، فحصل الدعاء من الجهتين. وكذلك قول عمر في استسقائه بالعباس.

فالنبي ﷺ علم رجلاً أن يتوسل به في حياته ؛ كما ذكر عمر أنهم يتوسلون به إذا أجدبوا ، ثم أنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلا عنه، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء ؛ والمتوسل به الذي دعا له الرسول كمن لم يدع له ؛ لم يعدلوا عن التوسل به وهو أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وأقربهم وسيلة إليه، وكذلك لو كان كل أعمى توسل به وإن لم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى، ولو أن كل أعمى دعا بدعاء ذلك الأعمى وفعل كما فعل من الوضوء والصلاة بعد موت النبي ﷺ وإلى زماننا هذا لم يوجد على وجه الأرض أعمى،

فعدول عمر والصحابة عن هذا إلى هذا وما يشرع من الدعاء وينفع عما لا يشرع ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجذب يطلبون تفريج الكربات وتيسير الخير وإنزال الغيث بكل طريق ممكن، دليل على أن المشروع ماسلكوه دون ما تركوه. ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه، دون ما تركوه.

وحديث الأعمى إنما ظهر بسبب كلامنا، ومن جهة أصحابنا اتصل علمه إلى هؤلاء المبتدعة. فإن الفقيه أبا محمد بن عبد السلام لم يقف على هذا الحديث ولم يعرف صحته، فإنه علق الجواب بجواز التوسل به ﷺ على صحته فكأنه لم يصح عنده إما لعدم علمه بتصحيح الترمذي له أو أنه اطلع فيه على قاذح معارض. ولولا الإطالة لتكلمنا على ذلك فنحن بحاجة بنا إلى شيء من ذلك فإننا بالحديث عاملون وله موافقون وبه عالمون، والحديث ليس فيه إلا أنه طلب من الله عز وجل ولم يطلبها من مخلوق، ونحن إلى الله - تعالى - نرغب وإياه نسأل، فهو المدعو المسؤول كما أنه المعبود المستعان، لا نشرك به شيئاً^(١).

١٣- استدلال القبورية بسماع الميت :

لو قال القائل :سؤال الغائب حياً وميتاً كسؤال الشاهد ، فإن الأنبياء والأولياء يسمعون خطاب الغائب البعيد ويسمع أحدهم خطاب الناس البعيدين عنه.

قلنا : هذا محال في العادة المعروفة وإذا وقع ذلك في بعض الصور كان من باب خرق العادة والعادة قد تخرق بأن يسمع الأدنى خطاب الأعلى ، كما سمع سارية خطاب عمر «ياسارية الجبل ياسارية الجبل» ويجوز خرق العادة

بالعكس، لكن إثبات هذا في حق معين لا يكون إلا بحجة تدل على وقوع ذلك في حقه.

فإن قال : إن النبي ﷺ يسمع الخطاب البعيد والقريب. قيل : ليس في هذا الحديث المعروف ما يدل على التسوية بين القريب والبعيد في سمع خطابه بل الحديث يدل على نقيض ذلك. ففي السنن حديث أوس بن أوس الذي رواه أبو داود وغيره ورواه ابن حبان في صحيحه والدارقطني في سننه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، وفيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرميت (قال يقولون بليت) قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١) والحديث الذي رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٢) والحديث الذي رواه النسائي وابن حبان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»^(٣).

١- أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة)، ج ١/٢٧٥ رقم ١٠٤٧ ت محمد عبيد الحميد. والنسائي في كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ج ٣/١٩ رقم ١٣٧٢: صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٤/٣٢ رقم ١٥٢٧. وانظر الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي ت السلفي ص ١٥٨-١٥٩

٢- انظر تخريج الحديث ص ٣٤٥

٣- أخرجه النسائي في (كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ) ج ٣/٤٣ رقم ١٢٨٠ والامام أحمد في المسند ج ١/٤٤١ وغيرهم. وصححه ابن عبد الهادي في

الصارم المنكي ص ٢٠٢

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن موسى بن محمد بن حبان عن أبي بكر الحنفي حدثنا عبيدا لله بن نافع حدثنا العلاء بن عبد الرحمن قال سمعت الحسين بن علي يقول: قال رسول الله ﷺ: «صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً ولا تتخذوا بيوتكم عياداً صلوا عليّ وسلموا فإن صلاتكم وسلامكم يبلغني أينما كنتم»^(١).

وروى الروياني في مسنده والبخاري وغيرهما عن نعيم بن فضال عن عمران بن الحميري قال: قال لي عمار بن ياسر: قال نبي الله ﷺ: «يا عمار إن الله ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت إلى يوم القيامة فلا يصلي عليّ أحد صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه فقال صلى عليك فلان كذا وكذا ، فيصلّي الرب على ذلك المصلي بكل واحدة عشراً»^(٢) وقال أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال «ليس أحد من أمة محمد ﷺ يصلي عليه صلاة إلا وهي

١- انظر تخريج الحديث ص ٣٤٥

٢- أخرجه البخاري في مسنده كما في مختصر زوائد مسند البخاري لابن حجر تحقيق صبري عبد الخالق ج ٢/٤٣٦ رقم ٢١٦٤ و ٢١٦٥ ، وقال لا نعلمه يروى عن عمار إلا بهذا الإسناد . الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ- الناشر مؤسسة الكتب الثقافية . وابن عدى في الكامل في ضعفاء الرجال في ترجمة عمران ج ٥/٩٣ رقم ٣٠٦/١٢٧٣ وقال : «لا يتبع عليه»

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠/١٦٢: «رواه الطبراني ونعيم بن فضال ضعيف ، وابن الحميري اسمه عمران قال البخاري لا يتابع على حديثه وقال صاحب الميزان لا يعرف وبقيه رجاله رجال الصحيح» .

تبلغه يقول له الملك فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة»^(١)

وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الجرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا علي الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وإن أحداً لا يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ» قال: قلت وبعد الموت؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» فهذه الأحاديث تدل على أن الصلاة والسلام يعرضان عليه، وأن ذلك يصل حيثما كنا. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ممن أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أورد عليه السلام»^(٢) وهذا الحديث هو الذي اعتمد عليه العلماء كأحمد وأبي داود وغيرهما في السلام عليه عند قبره وزيارة قبره، إذ لم يكن معهم سند يستندون إليه في زيارة قبره إلا هذا الحديث. والأحاديث التي رويت في زيارة قبره ضعيفة بل موضوعة وأكثرها وضعت بعد الإمام أحمد وأمثاله.

فهذه النصوص التي ذكرناها تدل على أنه يسمع سلام القريب ويبلغ سلام البعيد وصلاته، لأنه يسمع ذلك المصلي والمسلم، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فإنه لا يسمع دعاء الغائب

١- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ٢/ ٢١٨ رقم ١٥٨٤ ت محمد السعيد زغلول الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ، وابن عدى في الكامل في ترجمه أبي يحيى القنات ج ٣/ ٢٣٨- ٢٣٩ رقم ٧٢٩/ ٤٤ وقال في آخر ترجمته : « وفي حديثه بعض ما فيه إلا إنه يكتب حديثه »

واستغاثته بطريق الأولى والأخرى. والنص إنما يدل على أن الملائكة تبلغه الصلاة والسلام، ولم يدل على أنه يبلغه غير ذلك.

والحديث الذى فيه «مامن رجل يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أورد عليه السلام» فهم العلماء منه السلام عند قبره خاصة فلا يدل على البعيد ، فإن السنة إذا زار الرجل القبور مطلقاً أن يسلم عليهم ويدعو لهم، وكان النبي ﷺ يخرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم.

وقد بسط الشيخ الكلام في هذا الموضع بسطاً طويلاً ومقصوده توحيد الله سبحانه، وطلب الحوائج منه والذب عن حومة الاخلاص وأن لا يسأل إلا الله.

١٤- صور السؤال وحكم كل صورة :

قال الشيخ: فإن هنا أربعة معاني أحدها: أن يسأل الله تفريج الكربة بالتوسل به ، ولا يسأل المتوسل به شيئاً ؛ كما يفعله كثير ممن يتوسل بالأموات .

الثاني: أن يسأل الله ويسأل المتوسل به أن يدعو كما كان الصحابة يتوسلون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ثم من بعده بعمة العباس، وبيزيد بن الأسود الجرشي وغيرهما.

والثالث: أن يسأل المتوسل به أن يسأل الله له تفريج الكربة ولا يسأل الله.

والرابع: أن يسأل المستغاث به أن يفرج الكربة ولا يسأل الله.

فأما الأول: فهو سائل لله وحده ومستغيث به وليس مستغيثاً بالتوسل به إلا أن يريد بالاستغاثة السؤال به.

وأما الثاني: فهو استغاثه بالله في تفريج الكربة واستغاثه بالشفيع أن يسأل الله هو، توسل به (أي بدعائه وشفاعته) ، وهذا هو المشروع في الدنيا والآخرة في حياة الشفيع وسؤاله أو في حال مشاركة الشفيع له في السؤال لافي حال انفراده هو بالسؤال.

وكذلك الثالث: إذا سأل المتوسل به أن يسأل الله كما يسأله الناس يوم القيامة. فهذا لاريب في جوازه وإن سمي استغاثه به.

وأما الرابع: وهو أن يسأل المستغاث به تفريج الكربة، فهذا استغاثه به ليس توسلاً به بل المستغاث به مطلوب منه الفعل فإن لم يكن قادراً عليه لم يجز أن يطلب منه مالا يقدر عليه.

فالأول: سؤال به وليس استغاثه أصلاً وبعض الناس يسميه توسلاً به .

والثاني: فيه استغاثه به وتوسل به.

والثالث: فيه استغاثه في سؤال الله وليس فيه سؤال به.

والرابع: استغاثه في تفريج الكربة لكن لايجوز ذلك من ميت ولا غائب ولا من حي حاضر إلا فيما يقدر عليه خاصة، وليس هذا هو التوسل به.

والتوجه المشروع الذي كانت الصحابة تفعله إنما كان بدعائه وشفاعته، ولا ريب أن من سأل الله تفريج الكربة بواسطة سؤال النبي ﷺ وشفاعته فقد استغاث به، وهذا جائز كما كان الناس يفعلونه في حياته وكما يفعلونه في الآخرة في حياته أيضاً.

ولكن هذا ليس مشروعاً بعد موته ولم يفعله أحد من الصحابة بعد موته ؛ بل عدلوا عن التوسل بدعائه وشفاعته إلى التوسل بدعاء غيره من الأخيار كالعباس ويزيد بن الأسود وغيرهما، فلا دين إلا ماشرعه الله ورسوله كما أنه لا حرام إلا ما حرمه.

ومن ذهب إلى الاستغاثه بالموتى فقد شرع له ديناً لم يؤذن له به.

١٥- أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ كلها موضوعه:

الأحاديث التي رويت في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة بل موضوعة، وليس في السنن الأربعة منها حديث واحد فضلاً عن الصحيحين، ولا احتج الأئمة بشيء منها ولا رويوا شيئاً منها لأمالك ولا الشافعي ولا أحمد ولا الثوري ولا الأوزاعي ولا الليث ولا أبو حنيفة ولا إسحاق بن راهوية ولا أحد من أئمة المسلمين وذلك مثل قوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»^(١) ومثل ما يروون عنه أنه قال: «من زارني بعد مماتي وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»^(٢) فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها كذب موضوع على النبي ﷺ، لم يثبت عنه لفظ واحد في زيارة قبره، ولكن روى الأولان من قد يروي الموضوعات كالبزار والدارقطني كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع. كيف يكون زائر قبره كالمهاجر إليه في حياته؟ فإن زيارته في حياته إنما شرعت لمن يأتي ويبايعه على الإسلام والجهاد، أو يهاجر إليه لطلب الآخرة أو يطلب منه العلم أو نحو ذلك من المقاصد المأمور بها في حياته التي لا يحصل شيء منها بزيارة قبره.

١٦- مراتب بدعة سؤال الموتى :

أبعدها عن الشرع : أن يسأل الميت حاجة أو يستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس بكثير من الأموات وهو من جنس عبادة

١- حديث موضوع لأصل له . انظر الصارم المنكي ص ١٧٢

٢- موضوع قال النووي في المجموع - شرح المذهب - « وهذا باطل ليس مروياً عن النبي ﷺ ، ولا يعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف ، بل وضعه بعض الفجرة »
ج ٢٧٧/٨ . ط المكتبة السلفية .

الأصنام . ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب كما كانت تتمثل لعباد الأصنام ، بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور كما قال ابن عباس وغيره . وقد يرى أحدهم القبر قد انشق وخرج الميت فعانقه أو صافحه أو كلمه ؛ ويكون ذلك شيطاناً تمثل على صورته ، وهذا يوجد كثيراً عند قبور الصالحين ، وأما السجود للميت أو للقبر فهو أعظم وكذلك تقييله .

المرتبة الثانية : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت ، فيقصد زيارته لذلك أو للصلاة عنده ؛ أو لأجل طلب حوائجه منه ، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين وهي محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين .

المرتبة الثالثة : أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له ، وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين .

١٧- دعاء صفة من صفات الله :

(في الرد على البكري) أن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث . وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين ، فهل يقول مسلم يا كلام الله اغفر لي وارحمي واغثي أو أعني ، أو يا علم الله أو يا قدرة الله أو يا عزة الله أو يا عظمة الله ونحو ذلك ؟ أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفاته غيره ؟ أو يطلب من الصفة جلب منفعة أو دفع مضرة أو إعانة أو نصراً أو إغاثة أو غير ذلك ؟ والنصارى وإن كانوا يقولون : المسيح هو الكلمة ويدعونه ويتخذونه إلهاً فهو عندهم عين قائمة بنفسها حاملة للصفات ؟ ليس المسيح عندهم صفة قائمة بموصوف ، ولكن مذهبهم متناقض حيث يجعلون الإله واحداً والأقانيم ثلاثة ،

ويدعون أن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، فإن فسرنا الأقنوم بما يجري مجرى الصفة لزم أن تكون الصفة خالقة وهم لا يقولون ذلك، وإن فسرنا بما يجري مجرى الموصوف لزم أن تكون الذات الموصوفة وهي الآب هي المسيح وهم لا يقولون ذلك . فقولهم متناقض في نفسه باتفاق عقلاء بني آدم، ولم يقولوا أن مجرى الصفة القائمة بغيرها تدعى وتساءل.

١٨- سبب ضلال القبورية وأصل شبهتهم :

قال: وقوله (من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربه أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما) فهذا القول لم يقله أحد من الأمم بل هو مما اختلقه هذا المفترى ، وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس، وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل ، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به. وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال ؟ فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات - وإن كانت باطلة - لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم ، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والإشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث : «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت المنان»^(١) ورأيت أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما

١- أخرجه النسائي في (كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر) ج ٣ / ٥٢ رقم ١٢٩٨ وأبو داود في (كتاب الصلاة ، باب الدعاء) ج ٢ / ٧٩ - ٨٠ رقم ١٤٩٥ ، والترمذي في (كتاب الدعوات ، باب خلق الله مائة رحمة) ، ج ٥ / ٥٥٠ رقم ٣٥٤٤ وغيرهم ولفظهم « لا إله إلا أنت المنان

يتعدى السؤال كقوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾^(١) وقوله ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٢) فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان والمتوسل إلى الله بغائب أو ميت تارة يقول : أتوسل إليك بفلان ، وتارة يقول : أسألك بفلان ، فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثه فإما أن يقول استغيثك بفلان ، أو أستغيث إليك بفلان ، ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب .

وأصل الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعواً مسؤولاً مطلوباً منه ، وبلاستغاثه المحضة من الإغاثة التي يكون المضاف بها مطلوباً به لامطلوباً منه ، فإذا قيل توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثه كما تقول كتبت بالقلم ، وهم يقولون أستغيثه وأستغث به من الإغاثة ، كما يقولون استغثت الله واستغثت به من الغوث ، فالله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه .

وإذا قالوا المخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤولاً مطلوباً منه ، وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً ، وكذلك استنصرته واستنصر به فإن المستنصر يكون مسؤولاً مطلوباً ؛ وأما المستنصر به فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً .

فلفظ الاستغاثه في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وقول القائل استغثت فلاناً واستغثت به معنى طلبت منه الإغاثة لا معنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثه بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

١- سورة الأنفال الآية : ٩

٢- سورة القصص الآية : ١٥

١٩- أهمية التوحيد :

التوحيد أصل كل خير وجماعه، والشرك أصل كل شر وجماعه. والموجبتان «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(١) ولهذا لما جمع سبحانه وتعالى بين ما أمر به وبين ما حرمه في قوله تعالى ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾^(٢) ثم قال تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾^(٣). وأصل الكفر و الشرك مخالفة الرسول ﷺ ، وهؤلاء الجهال فيهم من الشرك ومخالفة الرسول ما لا خفاء به على المؤمن العليم، وهم فيه درجات منهم من يأتي بالشرك البين ، والإنكار البين لما جاء به الرسول ﷺ فهذا يستتاب باتفاق الأئمة، ومنهم من هو مخفي في دقيق ذلك، ومنهم من هو بين هذا وهذا إما فاسق وإما عاص.

٢٠- استعداد البكري للدولة :

وقوله: (لقد خشيت على كثير من أهل الإقاليم بسبب تقاعدهم عن نصره الرسول ﷺ بإهلاكه وإهلاك أمثاله خصوصاً أهل الدولة وأصحاب الحكم إلى آخره).

١- أخرجه مسلم في «كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة « ج ١/ ٩٤ رقم ٩٣ ولفظه «... لا يشرك بالله...» وأخرج مسلم الشطر الأول في «كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة مطلقاً ج ١/ ٥٥ رقم ٢٦ بلفظه .

٢- سورة الأعراف الآية : ٢٩

٣- سورة الأعراف الآية : ٣٣

جواب ابن تيمية : فيقال: كنت قد أجبت عن كلامه إلى هذا
الموضع واتفقت أمور شغلت عن تمام ذلك حتى أنزل الله بأسه بهذا
الجاهل الظالم وحزبه الجاهلين الظالمين ، وكانوا في ذلك نظير
المستفتحين من المشركين ، وهذا الوعيد الذي ذكره في كلامه به
وبأحزابه أليق وهم به أحق، وهكذا فعل الله - تعالى - بهم حيث عاقبه
وحزبه عقوبة المعتدين الظالمين، عقوبة لم يعاقب بها أحداً من
أشكالهم، وهؤلاء مضاهون للمشركين الذين ناظروا إمام الخنفاء
إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه - كما قال تعالى ﴿فلما أفلت قال
يا قوم إني بريء مما تشركون﴾ إلى قوله ﴿إن ربك حكيم عليم﴾^(١)
فإنهم خوّفوا إبراهيم بما عبده من دون الله فقال لهم ﴿ولا أخاف
ما تشركون به﴾ فإنه ليس للمؤمن أن يخاف إلا الله. فلا يستحق ملك
مقرب ولا نبي مرسل أن يخشى ويتقى ، كما لا يستحق أن يصلى له
ويصام، بل هذا كله لا يصلح إلا لله وحده لا إله إلا هو. ثم قال الخليل
﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ وهذا استثناء منقطع أي : لكن إن شاء ربي
شيئاً كان، فأنا أخاف ربي ثم قال: وكيف أخاف ما أشركتم من
المخلوقات ؟ وأنتم لا تخافون إشراكم بالله ما لم ينزل به سلطاناً ،
يقول: فكيف لا تخافون أنكم عبدتم غير الله بغير سلطان من الله،
وهكذا يقول اتباع إبراهيم الخليل الذين هم على ملته لمن خرج عنها
من أشباه النصارى وغيرهم: كيف نخاف ما أشركتموه ودعوتهم من
دون الله كائنات من كان سواء كان ملكاً أو نبياً أو شيخاً أو غيره ؟

وأنتم لاتخافون الله حيث دعوتهم غيره بغير سلطان من الله فإن هذا الذي تفعلونه بدعة لم يأمركم الله بها ولا رسوله وفيها من الشرك مافيهها !! ولو لم يكن فيها شرك فكيف يسوغ لكم أن تشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ؟ ومعلوم أن من شرع عبادة يتقرب بها إلى الله ويجعلها وسيلة له إلى الله يرجو عليها ثواب الله إما واجبة أو مستحبة ؛ فلا بد أن يكون من الدين الذي شرعه الله وأمر به ، وإلا كان حظ صاحبها الإبعاد والطرء ، ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبنها على التوقيف والاتباع لاعلى الهوى والابتداع.

٢١- مدح البكري لكتاب الصارم المسلول :

وقد وقف هذا الرجل (أي البكري) على الكتاب الذي صنفه المحيب في "ساب الرسول" واعترف أنه مارأى في هذا الباب مثله ، فكيف يسوغ له مع هذا أن ينسبه إلى نقيض ذلك ؟ ولو قدر أن هذا في نفس الأمر تنقص فهو مما تكلم فيه صاحبه بالاجتهاد ، وقد أجمع المسلمون على أن مسائل الاجتهاد لاتدخل في السب الذي يستحق صاحبه الوعيد.

٢٢- رد على البكري على استشهاد ابن تيمية بحديث لا يستغاث بي :

قال البكري: (وأورد هذا الرجل حديثاً أن منافقاً كان يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث

بالله» قال: والكلام على هذا الكافر الضال من وجوه الأول : عدم تسليم صحة الحديث له إلى آخر كلامه^(١).

رد ابن تيمية

قال الشيخ: والجواب عن هذا الكلام - مع مافيه من الجهل والإلحاد والشرك في الدين والافتراء على الله والرسول وعباده المؤمنين - أن يقال: هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه ، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة ، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذُكِرَ ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك من الاعتضاد والمعاونة ، لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي.

ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الاعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة ؛ من الأخبار التي تُكلم في بعض رواها لسوء حفظ أو نحو ذلك ، وبآثار الصحابة والتابعين ، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد ، فما يصلح للاعتضاد نوع وما يصلح للاعتماد نوع ، وهذا الخبر من النوع الأول فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة ، وقد قال أحمد: « قد كتبت حديث الرجل لأعتبر واستشهد به مثل حديث ابن لهيعة » ، فإن عبدا لله بن لهيعة قاضي مصر كان من أهل العلم والدين باتفاق العلماء ولم يكن ممن يكذب باتفاقهم ، ولكن قيل إن كتبه احترقت فوقع في بعض حديثه غلط ، ولهذا فرقوا بين من حدث عنه قديماً و[بين من حدث عنه] حديثاً ، وأهل السنن يروون له ، والسياق الذي ذكر فيه

هذا الحديث في جواب الفتيا ^(١) لفظه: فأما مالا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا من الله، لا يطلب ذلك لامن الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم، إلى أن ذكر الحديث لأن فيه لفظ الاستغاثة التي كان فيها النزاع وهو في كتاب مشهور.

وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفاً، وإلا فهو مروي من زمان النبي ﷺ، وما زال العلماء يقرعون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار ولم يقل أحد من المسلمين إن إطلاق القول إنه لا يستغاث بالنبي ﷺ كفر ولا حرام، وكان في إيراده بيان تقدم تكلم العلماء والسلف بهذا اللفظ ولو كان عبداً لله بن لهيعة ذاكراً لا أثراً لم ينكره المسلمون عليه؛ لكان في ذلك مستند لهذا الإطلاق، فإن الرجل قاضي مصر في ذلك الزمان وهو من أكبر العلماء المفتين ونظير لليث بن سعد. والغلط الذي وقع في حديثه لا يمنع أن يكون من أهل الاجتهاد والفتيا.

١- أي فتوى ابن تيمية وتسمى "الاستغاثة" أو "رسالة الاستغاثة"

النص المحقق

الاستغاثة
في
الرجاء على البكرمي

تأليف
شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

دراسة وتحقيق
عبد الله بن دجين السهلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

[و أما ما ذكره من تأويل الحديث فهو من جنس دين النصارى
لامن جنس دين المسلمين، وبيان ذلك من وجوه:-

الأول[^(٢)] / قوله (إن الله - تعالى - لتشريف رسوله والمقربين ^١ كلام البكري
في منزلة المقربين
عنده مخاطبهم تارة بتنزيلهم منزلة نفسه في الأفعال ، وتارة نزل نفسه
منزلتهم في الأفعال والأوصاف، وكلاهما تشريف عظيم).

فيقال : هذا كذب على الله وشرك به ، وهو من جنس أقوال
رد ابن تيمية

١- كما مر في المقدمة، فإن الكتاب مفقود منه أوله، وقد سبق بيان أهم موضوعات
الجزء المفقود. ومن المعلوم أن مما فقد البسملة والحمد لله والصلاة على نبيه ﷺ
والتي دائماً يبدأ به المؤلف كتبه، وجميع النسخ الموجودة بدأت الكتاب بالبسملة،
وهي من وضع النساخ وفيها كفاية لأنها من أبلغ الثناء والذكر، وقد اقتصر عليها
النبي ﷺ في مراسلاته؛ كما في كتابه لهرقل عظيم الروم، صحيح البخاري (كتاب
بدء الوحي، باب رقم ٧) ج ٢٣/١ تحقيق محمد علي قطب طبعة ١٤١١ هـ الناشر
المكتبة العصرية بيروت - لبنان، وكذلك الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في
بداية كتابه "الصحيح" و"خلق أفعال العباد" الطبعة الأولى ١٤٠٤ الناشر مؤسسة
الرسالة بيروت - لبنان وغيره.

٢- ما بين المعقوفتين من (د) و (ت) و سقط من الأصل و (ف) و (ح).

أهل الحلول (١) والاتحاد (٢) كالنصارى (٣)، فليس في خطاب الله

١-الحلول: عند الصوفية معناه أن الله -تعالى- يصطفي اجساماً يحل فيها بمعاني الربوبية، فيزيل عنها معاني البشرية، وأن الله يحل بالعارفين من أوليائه وأصفيائه، وهذا زعم طائفة الحلولية.

انظر: معجم مصطلحات الصوفية تأليف د. عبد المنعم الحفني ص ٨٢ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ الناشر دار المسيرة بيروت - لبنان.

وذكر عبد القاهر البغدادي أن الحلولية في الجملة عشر فرق، يرجع أكثرها إلى غلاة الرافضة. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

وقسمهم ابن تيمية قسمين:

الأول: من يقول بالحلول الخاص، وهو قول النساطرة من النصارى، وغالية الرافضة الذين يقولون: إن الله -تعالى- حل في علي بن أبي طالب وأئمة آل البيت، وغالية النساك، الذين يقولون بالحلول في الأولياء.

الثاني: الحلول العام، وهو قول متقدمي الجهمية، وغالب متعبدية الجهمية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. انظر مج ج ١٧١/٢ - ١٧٢.

٢-الاتحاد: معناه تصيير الذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل: هو شهود وجود واحد مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في أنفسها، لا من حيث إن لما سوى الله وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق، وقيل: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي لكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شئ موجوداً به، معدوماً بنفسه، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به؛ فإنه محال. انظر معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص ٩-١٠.

وقد قسمهم ابن تيمية أيضاً إلى قسمين، الأول: من يقول بالاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى، ومن وافقهم من الغلاة المنتسبين للإسلام.

الثاني: الاتحاد العام وهو قول من يقول: إن عين وجود الله، هو عين وجود

المطلق تنزيل أحد منزلة نفسه في الأفعال، ولاتنزيل نفسه في الأفعال والأوصاف منزلتهم، بل هو إله واحد لا شريك له، وكل من في السموات والأرض آتية عبدا ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية

الكائنات، وهو قول ابن عربي وأمثاله من أهل الوحدة. انظر مج ج-١٧٢/٢.

وبعض الباحثين يجعل الحلول والاتحاد شيئا واحداً والصواب التفريق بينهما انظر نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة بنت عبدالمحسن آل سعود ص ٣٣-٣٥ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الناشر دار المنارة جدة - السعودية.

٣- كذا في الأصل و (ح) و سقطت من (ف) و في هامش (د) في نسخه (كالنصارى) والنصارى هم: أمة عيسى-عليه السلام- أرسله الله إلى بني إسرائيل خاصة، واستجاب له بعضهم، وسموا بالنصارى نسبة إلى الناصرة مولد عيسى بن مريم -عليه السلام- ولما رفع إلى السماء نزلت بأتباعه بلایا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً، حتى تنصر "قسطنطين" ملك الروم، ورأى الاختلاف بين طوائف النصارى في شخص المسيح هل هو رسول أم ابن إله، فدعا لعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ثم نصر قسطنطين رأى بولس القائل بألوهية المسيح وحارب عقيدة التوحيد. وأهم اعتقادات النصارى: أن البارى - تعالى- جوهر واحد، وهو ثلاثة في الأقنومية: الأب، والابن، وروح القدس. وأن اليهود قتلوا عيسى -عليه السلام- وأن القتل وقع على الجزء الإنساني منه "الناسوت" وأن عيسى قدم نفسه للقتل ليتحمل ذنوب أتباعه إلى يوم القيامة، وأشهر أناجيلهم: أنجيل متى، ويوحنا، ولوقا، ومرقس، وإنجيل برنابا لا يعترفون به. وانقسم النصارى إلى فرق كثيرة منهم النساطرة واليعاقبة وغيرهم. انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ود. عبدالرحمن عميرة ج-١٤/٢ وما بعدها طبعة ١٤٠٥ هـ الناشر دار الجليل بيروت - لبنان، والملل والنحل تأليف محمد بن عبدالكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني (ج-١/٢٢٠) وما بعدها طبعة ١٤٠٢ هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

يوم القيامة فرداً ﴿[سورة مريم: ٩٤-٩٥].

ومن قال^(١) إن الرب منزل^(٢) المخلوق منزلة نفسه في الأفعال، أو ينزل هو منزلة المخلوق في الأفعال والأوصاف فقد زعم أن الله - سبحانه - يجعل له ندا، وأنه يقيم المخلوق مقامه في الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإجابة الدعاء وكونه معبوداً، وأنه يقوم مقام العبد في الصلاة والصيام والطواف وغير ذلك من أفعال العباد - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - قال تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [سورة النحل: ١٧].

ومن أخص أوصاف الرب تعالى القدرة على الخلق والاختراع، فليس ذلك لغيره أصلاً، حتى إن كثيراً من النظائر [المثبتين]^(٣) للقدر كالأشعري^(٤) وغيره جعلوا هذا هو أخص وصف الرب - تعالى - كما

١- في هامش (د) في نسخة (زعم).

٢- في (د) و (ح) ينزل.

٣- كذا في (د) و (ح) و في الأصل و (ف) المثبتة، وقد يقال المثبتة والأولى أصح.

٤- الأشعري هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، يرجع نسبه إلى صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠ هـ، وكان ذكياً، وتبحر في العلم. وتلقى مذهب المعتزلة و ألف كتاباً في تصحيحه، ثم رجع عنه و تاب من الاعتزال و أعلن ذلك على منبر البصرة، و أعلن اتباعه للإمام أحمد، وإليه ينتسب الأشاعرة، ومؤسس مذهبهم حقيقة هو ابن كلاب. ومذهب الأشعري خير من مذهب الأشاعرة بعده وأقرب إلى السنة منهم، ولكن مجرد الانتساب إليه بدعة. من مؤلفات أبي الحسن "المقالات" و "اللمع" و "الإبانة" و

جعل الجبائي^(١) وغيره من المعتزلة^(٢) أخص وصفه

غيرها وقد نسب إليه كثير من الكتب بعضها لاتصح نسبته إليه، مات ببغداد سنة ٣٢٤ هـ . انظر السير جـ ١٥/٨٥ ترجمه رقم ٥١ ومج جـ ٤/٢٨ جـ ٦/٣٥٩ والأعلام جـ ٤/٢٦٣ .

وانظر الكلام على مذهب الأشاعرة في إثبات القدرة لله - تعالى - في شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني تحقيق د. عبدالرحمن عميرة جـ ٤/٨٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت.

١ - الجبائي هو : أبو علي، محمد بن عبد الوهاب البصري، شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف، وكان على بدعته سيال الذهن ، وهو الذي ذلل الكلام و سهله، و يسر ما صعب منه له كتاب "الأصول" و "النهى عن المنكر" و غيرهما و إليه تنسب الجبائية إحدى فرق المعتزلة، انفرد ببعض الآراء عن مذهب المعتزلة ، وهذه المسألة انفرد بها عن أصحابه وهي مبنية على نفيه لصفات الله - تعالى - حيث قال: عالم لذاته، قادر حي لذاته، وقد خالفه ابنه أبو هاشم في مسألة أخص وصف الله، هذه المسألة - وسيأتي بيانها - مات بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ . انظر الملل والنحل جـ ١/٧٦-٨٤ والسير جـ ١٨٣/١٤ رقم الترجمة ١٠٣ و الأعلام جـ ٦/٢٥٦ .

وانظر الكلام على هذه المسألة عند المعتزلة والأشاعرة في شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د. عبدالكريم زيدان ص ١٨٢-٢٠١ الطبعة الثالثة رمضان ١٤٠٨ هـ الناشر مكتبة وهبه القاهرة - مصر.

٢ - المعتزلة: سمو معتزلة لأن واصل بن عطاء لما أظهر بدعته طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري المسجد وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما: إنهما اعتزلا قول الأمة، وسمى أتباعهما من يومئذ "معتزلة" ويقال لهم قدرية لردهم لقضاء الله. وقد زعموا أن هذين الاسمين أسماء مدح ولهم مقولات في ذلك. ويلقبون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وغير ذلك. وهم ينفون

القدم^(١)، ومقصود المعتزلة أن لا يثبتوا له صفة قديمة لامتناع المشاركة في أخص وصفه، ومقصود أولئك المثبتين أن لا يشركه غيره في الخلق، / وقد يقولون لا يشركه غيره في الفعل؛ وهو قول من يقول : العبد فاعل مجازاً لاحقيقة وهو كاسب حقيقة، كما هو قول الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وهو في الأصل قول جهم بن صفوان^(٢)، وهو أول من عُرف في الإسلام أنه قال: إن

أخص صفات
الرب - تعالى -
٢

صفات الله تعالى ويطلقون عليه السلوب مثل لادم، ولالحم، ولاصورة، ولاجنة وغير ذلك. وقالوا بخلق القرآن، ونفوا الرؤية، وأنكروا قضاء الله وقدره للمعاصي، وأثبتوها للعباد دونه. ومن لم يقل بالأصول الخمسة عندهم لم يكن معتزلياً وهي العدل والتوحيد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهم فرق كثيرة، ويكفر بعضها بعضاً.

انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني ص ٤٩ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر رمادى للنشر - الدمام السعودية، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ١/ ٢٥٣ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة - السعودية، والملل والنحل ج ١/ ٤٣-٤٤، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليميني تحقيق محمد عبد الله الغامدي ج ١/ ٣٢٥ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة - السعودية.

١ - (القدم) سقطت من (د)

٢- الجهم بن صفوان هو : هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي، مولاه السمرقندي. رأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدل. أنكر الصفات، وقال بخلق القرآن، و أن الإيمان بالقلب، وإن تلفظ بالكفر، وقال لا يفعل ولا عمل لأحد غير الله - تعالى-، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز وقد زرع شراً عظيماً.

العبد ليس بفاعل.

لكن جمهور أهل السنة^(١) من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم يقولون : إنه فاعل حقيقة ؛ وجمهور هؤلاء يقولون إن فعله مفعول للرب بناءً على أن الخلق غير المخلوق، كما هو قول الأكثرين وهو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء.

وأما من قال : إن الفعل هو المفعول وأن فعل العبد فعل

والجهم اشتق هذا الكلام من السمنية -صنف من العجم بناحية خرسان- وكانوا شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوماً، وقال : لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم اشتق هذا الكلام وبني عليه من بعده. قتل سنة ١٢٨هـ في آخر دولة بني أمية. انظر: خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخاري ص ٩ والتنبيه والرد للملطي ص ١١٣، والسير ج ٦/٢٦ ترجمة رقم ٨ الأعلام ج ٢/١٤١ والفرق بين الفرق ص ٢١١.

١ - أهل السنة: يراد بلفظ أهل السنة أحد معنيين:

أ- المعنى الأعم: ويراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

ب- المعنى الأخص: ويراد به أهل الحديث والسنة المحضة وأهل الأثر فلا يدخل إلا من أثبت صفات الله -تعالى- ويقول القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة.

قلت: فيخرج الأشعرية والماتريدية والصوفية والمعتزلة ومتأخرو الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء. والثاني هو المعنى الأكثر والأشهر وهو مراد المؤلف هنا.

انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ج ٢/٢٢١ الطبعة الأولى ١٤٠٦ الناشر مؤسسة قرطبة.

الرب ، ولم يفرق بين الفعل والمفعول^(١) فيلزمه لوازم تبطل

-مسألة: هل الخلق هو المخلوق أو غيره؟ هذه المسألة مشهورة بين المتكلمين ويطلقون عليها مسألة التكوين ويعرفونها بأنها المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والإيجاد والإحداث والاختراع ونحو ذلك.

بيان ذلك : أنه إذا كان من المتفق عليه بين جميع الطوائف أن الله - تعالى - هو الذى خلق السموات والأرض، كما اتفقوا على أن هذه المخلوقات وجدت منفصلة عنه، إلا أنهم اختلفوا في أنه تعالى لما خلقها هل قامت به "صفة الخلق، أو أن الخلق هو نفس المخلوق من غير أن تقوم به صفه؟ فهذه المسألة سبب في الخلاف في الصفات الفعلية أو الاختيارية، وارتباطها بها قوى جداً.

فإنه من المعلوم أن السموات والأرض أو غيرهما من المخلوقات ليست مخلوقة منذ الأزل، بل هي حادثة، فحين خلقها الله لابد أن تكون قد تجددت له صفة لم تكن موجودة من قبل، فبخلقها للسماء قامت به صفة الخلق لها لأن السماء لم تكن مخلوقة من قبل، ومعنى ذلك -حسب تعبير أهل الكلام- أن الله حلت به الحوادث التى لم تكن موجودة من قبل.

فالذين ينفون الصفات الفعلية وحلول الحوادث قالوا بأن الخلق هو المخلوق والفعل هو المفعول، ومعنى ذلك أن صفة الخلق أو الفعل لا تقوم بالله -تعالى- ويفسرون أفعاله تعالى أن ذلك وجد بقدرته من غير أن يكون منه فعل قام بذاته، بل حاله قبل أن يخلق وبعد ما خلق سواء، لم يتجدد عندهم إلا إضافة نسبة وهي أمر عديم لا وجودي. وهذا هو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم، وسبب التزامهم هذا القول دليلهم على حدوث العالم.

أما جمهور أهل السنة ومن تابعهم كالكرامية والصوفية والماتريدية وبعض المعتزلة - كل طائفة بحسب أصولها - فيقولون: إن الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول، فيثبتون صفة الخلق والفعل قائمة بالله، ويقولون بوجود المخلوق والمفعول المنفصل عن الله -تعالى-، ومعلوم أن أهل السنة يثبتون صفات الفعل لله -تعالى- وأنها تتعلق بمشيئته وإرادته وقدرته وحكمته، فإذا اقتضت حكمته فعلها فعلمها وإن

قوله كما قد بسط في غير هذا الموضع^(١).

وبين أن القدرة على الاختراع من خصائص الرب، وأخص وصف الرب ليس هو صفة واحدة، بل علمه بكل شيء من خصائصه،

اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن، فهي قديمة النوع أو الجنس وإن كانت أحاده توجد شيئاً فشيئاً حيناً وآخر.

ورد أهل السنة دعوى الأشاعرة أن القول بأن الخلق هو المخلوق يستلزم تسلسل وهذا ممتنع، بأن التسلسل ليس تسلسلاً في الفاعلين والعلل الفاعلة، وإنما هو تسلسل في الآثار، وهو حصول الشيء بعد شيء، والسلف على إثباته، وهذا عمدة أدلة الأشاعرة، وسيعود المؤلف إلى الكلام عن هذه المسألة بعد صفحات قليلة ص ٢٠٧. وللتوسع انظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص ١١٢ ومج ج٦/١٤٩، ٢٢٩-٢٣٠، ٢٩٨ والملل والنحل ج١/١٠٨، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للعلامة محمد السفاريني ج١/٢٥٢-٢٥٣ الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ الناشر المكتب الإسلامي - بيروت لبنان، وشرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني تحقيق د. أحمد حجازي السقا ص ٤٧ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، وشرح المقاصد ج٤/٦١-٦٥ والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية تأليف الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة تحقيق د. عبدالرحمن محميرة ص ٦٣-٦٨ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر عالم الكتب بيروت لبنان، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د. عبدالرحمن المحمود ج٣/١٢٠٤-١٢٠٧.

١- بسط المؤلف هذا الموضوع في عدة مواضع من كتبه منها:

درء تعارض العقل والنقل تحقيق د. محمد رشاد سالم ج٢/٢٦٤-٢٧٠، ج٤/٦٠، ج٩/٥٧٩ طبعة دار الكنوز الأدبية.

ومج ج٦/١٤٨-١٤٩، ٢٢٩-٢٣٠، ج١٦/٣٧٥-٣٧٧، وشرح حديث النزول -ضمن مجموع الفتاوى- ج٥/٥٢٨-٥٣٦ وغيرها.

وقدرته على كل شيء من خصائصه، و خلقه لكل شيء من خصائصه،
و المقصود هنا ما يتعلق بكلام (١) هذا الرجل الذي ضاهى المشركين
الحلولية من النصارى (٢) وغالية الشيعة (٣) وجهال الصوفية (٤).

١- في (د) الكلام على قول.

٢- الحلولية من النصارى هم النساطرة، الذين يقولون: إن اللاهوت حل في الناسوت،
وتدبر به، كحلول الماء في الإناء. انظر الملل والنحل ج١- ٢٢٤، ومج
ج٢- ١٧١/٢- ١٧٢.

٣- غالية الشيعة : هم الذين غلوا في علي وقالوا فيه قولاً عظيماً، فمنهم من ادعى في
علي الألوهية، وأنه لم يميت، وسرجع إلى الدنيا قبل القيامة، وقال آخرون منهم إنه
في السحاب وأن الأئمة ينسخون الشرائع وغير ذلك. ومن فرقهم الكيسانية،
والسبئية أتباع "عبد الله بن سبأ" والخطابية، والمنصورية وغيرها. قال البغدادي في
الفرق بين الفرق: وجميع فرق الغلاة خارجون عن فرق الإسلام أ.هـ. ومقالات
الأسلاميين للأشعري ج١- ٦٦- ٨٨، والملل والنحل (ج١- ١٤٦- ١٥٤) وعقائد
الثلاث وسبعين ج١- ٨٥، ومذهبهم أنه لا يمتنع ظهور الروحاني بالجسماني
كجبريل في صورة دحية الكلبي، فلا يبعد أن يظهر الله -تعالى- في صورة بعض
الكاملين وأولى الناس بذلك علي وأولاده الذين هم خير البرية، وذكر البغدادي أن
أكثر فرق الحلولية من غلاة الرافضة. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥٤ وشرح
المقاصد ج٤- ٥٩.

٤- الصوفية : هم من يدين بالتصوف، وهو مذهب يدعي أصحابه أن الغرض منه
تصفية القلب، وأصل كلمة التصوف من لبس الصوف لاختصاص أصحابه به.
وقيل إنها من الصفا، وقيل نسبة لأهل الصفة، والأول أرجحها.
وللصوفية رموز وإشارات وأحوال ومقامات وينضم تحت مسمى التصوف مدارس
عدة:

أ- مدرسة الزهد وأصحابها من النساك والزهاد والعباد ويطلق عليهم صوفية خطأ،

حيث قال: (إن الله تعالى ينزل المقرين منزلة نفسه تارة وينزل نفسه منزلتهم في الأفعال والأوصاف تارة)، فإن هذا كلام مخالف لدين
 عودة إلى رد ابن
 تيمية على كلام
 البكري في منزلة
 المقرين

لأنهم أهل الإسلام الصحيح.

ب- مدرسة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وأصحابها الحلاج وابن عربي
 والتلمساني وابن الفارض وغيرهم وهؤلاء مشركون.

ج- المتصوفة المنحرفون أصحاب الطرق ، المتدعون في العبادات والأذكار وهؤلاء
 مبتدعون ضلال. والطرق الصوفية كثيرة جداً منها الرفاعية والقادرية والمولوية
 والشاذلية والأكرية والبكداشية والنقشبندية. وللصوفية شطحات كبيرة مثل
 تحضير الأرواح والشعوذة، وبناء الأضرحة والمشاهد على القبور والتمسح بها
 وعبادة بعضهم لها من دون الله. وقد كان التصوف باباً كبيراً دخلت منه كثير
 من الشرور على المسلمين مثل التواكل، والسلبية، وعبادة الشيوخ من دون
 الله، وضلالات أخرى كثيرة.

انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق
 الكلاباذي ضبط وتخريج أحمد شمس الدين ص ٩ وما بعدها الطبعة الأولى
 ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ومج ج ١/١١ - ١٧، ٧ -
 ٢١، والتصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير ص ٢٠ وما بعدها
 الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور - باكستان،
 والصوفية في نظر الإسلام تأليف سميع عاطف زين ص ١٤ وما بعدها الطبعة
 الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ودار الكتاب
 المصري القاهرة - مصر.

ومذهبهم في هذا يقولون: إن السالك إذا أمعن في السلوك، وخاصة لجهة
 الأصول، فرمما يحل الله فيه -تعالى الله عما يقولون-، بحيث لا يتمايز أو يتحد
 به لاثنيينة ولا تغاير وصح أن يقول: هو أنا وأنا هو. انظر: شرح المقاصد
 ج ٤/٥٩.

المسلمين وسنين جهله وخطأه فيما تأوله على ذلك من القرآن والحديث .

فنقول/: أما قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ١٠] فليس فيها أن نفس الفعل القائم بالرسول ومخاطبته لهم ومد يده لمبايعتهم هو نفس فعل الله ومخاطبته ومبايعته ، بل فيها أن من بايع الرسول فقد بايع الله كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠].

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني»^(١).

١ - أخرجه البخاري في (كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ رقم ٧١٣٧ ج ٥/٢٢٣١ من حديث أبي هريرة ولفظه «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني....» و طرفه ج ٢/٩١٠ رقم ٢٩٥٧ . ومسلم في (كتاب الأمارة ، باب طاعة الأمراء في غير معصية الله) ح ٣/١٤٦٦ رقم ١٨٣٥ وأحمد بن شعيب النسائي في السنن في (كتاب البيعة، باب الترغيب في طاعة الإمام) ج ٧/١٥٤ رقم ٤١٩٠ عناية وتعليق د. بدر الدين جتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون - تونس، وابن ماجه في (أبواب الجهاد، باب طاعة الإمام) ج ٢/٢٤٧ رقم ٢٨٨٩ وغيرهم وأحمد في المسند ج ٢/٤٧١ ولفظه «....» ومن أطاع الإمام ومن عصى الإمام» وفي ج ٢/٢٥٣، ٢٧٠، ٣٨٦، ٤٦٧،

فطاعة أميره طاعته ، ومعصية أميره معصيته ، لأنه أمر بطاعة^(١) (أميره ونهى عن معصيته ، وطاعته طاعة [لله]^(٢) لأن الله أمر بطاعته)^(٣) فمن أطاعه فقد أطاع الله لأن الله أمر بامثال ما أمر به^(٤) ، لأن^(٥) نفس الفعل القائم بأميره نفس فعله ولا نفس فعله هو نفس فعل الرب - تعالى - .

واعلم أن من قال من النظار : إن أفعال العباد كلها فعل الله ، فلا فرق عندهم بين أفعال المؤمنين والكفار والبهائم وحركات الجمادات ، فإن مرادهم أن كل ما سوى الله فهو فعله أي مفعوله ، وعلى قول هؤلاء فلا فرق بين فعل الرسول وغيره ، وليس في كون الله خالقاً لشيء تفضيلٌ لذلك المخلوق على غيره ، فإن الله خالق كل شيء .

كذلك على قول الجمهور الذين يقولون : إن أفعال العباد مفعولة له مخلوقة له ليست فعله ؛ بل هي فعل/الفاعلين، والله - تعالى - خالق الفاعل وفعله ، فعلى القولين لافضيلة في ذلك لمخلوق على مخلوق ، فلا تظن أن في هذا تشريعاً لمقرب لارسل ولا غيره.

٥١١ بالفاظ متقاربة.

١- في (د) بطاعته.

٢- كذا في (ف) و (ح) و في هامش (د) و الأصل (الله).

٣- ما بين القوسين سقط من (د) و في هامشها أنه هكذا في نسخة أخرى.

٤- في (د) لأن أمره من أمر الله.

٥- في (ف) لأن.

اللوازم الباطلة
لقول البكري

وهذا مما يبين به خطأ هؤلاء الجهال الذين لا يفرقون بين ما خلقه الله وقدره وما أمر به وفرضه ، فجعل الله - تعالى - مبايعة الرسول مبايعة لله^(١) وطاعة الرسول طاعة لله^(٢) ليس^(٣) من جهة خلق الله أفعال العباد والقيومية^(٤) الشاملة للمخلوقات؛ فإن كونه خالقاً لكل شيء وكونها بمشيئته وقدرته ، ليس فيها^(٥) تفضيل مخلوق على مخلوق، [إذ]^(٦) التفضيل إنما يكون بما به الاختصاص لا بما يشترك الجميع فيه. ومن جعل مبايعة الرسول مبايعة لله لأجل أن الله خالق كل شيء ، نظراً منه إلى القيومية الشاملة لكل مخلوق؛ لزمه أن يكون من بايع الكفار والفساق مبايعاً لله لأن الله خالق كل شيء ، فيكون هؤلاء قد

١- في (د) الله.

٢- في (د) الله.

٣- في (د) (ليست). و مصححة في الهامش بكلمة غير واضحة .

٤- القيومية من صفة القيوم؛ على وزن الفيعول من القيام وأصله القيوم، سبق عین الفعل، وهي "واو" "ياء" ساكنة فاندغمتا فصارتا "ياء" مشددة، ومعنى القيوم هو: القائم برزق ما خلق وحفظه. قال بهذا ابن جرير الطبري ونقله عن مجاهد والسدي . انظر: تفسير الطبري (المسمى جامع البيان في تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٣/ ٧ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وشرح صحيح مسلم للإمام محي الدين النووي مراجعة خليل المسيس ج٦/ ٣٠٠-٣٠١ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار القلم بيروت لبنان، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة ١٤٠٣ هـ الناشر دار المعرفة، بيروت لبنان.

٥- في (ف) فيه .

٦- كذا في (د) و (ف) و (ج) وفي الأصل "إذا" وهو خطأ

جعلوا مبايعة خاتم الرسل ﷺ كمبايعة فرعون وأمثاله من المشركين ، وهذا يقع فيه كثير ممن يلحظ القيومية الشاملة العامة المتناولة لكل مخلوق ، وهؤلاء من أكفر الخلق ، ويجعلون هذا منافياً للأمر والنهي ، وهم من جنس الذين قالوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولاءآبأؤنا ﴾ ^(١) إلى قوله ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن ﴾ ^(٢) [سورة الأنعام : ١٤٨] .

فإن ^(٣) هؤلاء إنما يتبعون أهواءهم ولا يتكلمون بعلم فإن قولهم في غاية المناقضة ، فإن الواحد من هؤلاء إذا آذاه/ غيره أو ظلمه قابله وعاقبه ولا يمكنه أن يعذره بالقدر ومشاهدة القيومية ، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .

سبب تفضيل
الرسول ﷺ

وجهة تفضيل الرسول ﷺ من جهة كون الله - تعالى - أرسله مبلغاً لأمره ونهيه، مبيناً لما يحبه ويرضاه وما يبغضه ويسخطه، فما أمر به الرسول ^(٤) فالله أمر به، وما نهى عنه فالله نهى ^(٥) عنه، ومن بايعه

١- تكلمة الآية ﴿ ولا حرماً من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾

٢- قوله تعالى ﴿ إن تتبعون إلا الظن ﴾ ساقط من الأصل

٣- في (د) كذلك

٤- في (د) ﷺ

٥- الأولى مراعاة لأمر أن تكون ناه.

فعاهده وعاقده^(١)؛ على أن يطيعه في الجهاد إذا أمر به، وعلى^(٢) أن [لا يفر]^(٣) و^(٤) على أن يقاتل حتى يموت كما بايعه المسلمون تحت الشجرة^(٥)، فهم معاهدون لله معاهدون له على طاعته فيما أطاعوا فيه الرسول ﷺ، وكذلك الذين بايعوه قبل ذلك ليلة العقبة لما بايعه الأنصار، ولهذا قال تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ [سورة المائدة: ٧] فسمعهم و طاعتهم لما أمرهم و معاهدتهم على ذلك هو سمع وطاعة الله -تعالى- ومعاهدة له، وعهد الله إلى خلقه هو^(٦) أمره ونهيه الذي بلغته رسله.

[والتخصيص والتفضيل يظهر في الوفاء به و متابعة الرسل، ولهذا]^(٧) قال تعالى ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ [سورة البقرة: ٤٠] أي

١- في (د) وعاهده و عاقد

٢- (وعلى) سقط من (د) و (ف).

٣- كذا في (د) و (ف) و في الأصل و (ح) لا يفرؤ لأن السياق عن المفرد

٤- في (د) أو

٥- يشير إلى بيعة المسلمين للنبي ﷺ في غزوة الحديبية، تحت الشجرة يقول تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [سورة الفتح: ١٨] وأخرج البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية) جـ ٣/ ١٢٧٠ رقم ٤١٦٩ عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة ابن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

٦- في (د) وهو.

٧- ما بين المعقوفين من (د) و سقط من الأصل و (ف) و (ح).

أوفوا بأمرى أوف بوعدكم الذي وعدتكم^(١)، فإن المعاهدة والمبايعة^(٢)، تتضمن المعاوضة من الجانبين فهم إذا أوفوا بما عاهدوا الله عليه من الطاعة وفي الله - تعالى - بما عاهد عليه من الأجر والثواب كما قالت الأنصار؛ لما قالت^(٣) للنبي ﷺ اشترط لربك و لنفسك ولأصحابك، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، / ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أبناءكم ونساءكم، ولأصحابي أن تؤاسوهم» قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال: «لكم الجنة» قالوا: أمدد يدك، فوالله لا نقيلك ولا نستقيلك^(٤).

١- في (د) على الوفاء به

٢- في (د) المبايعة و المعاهدة

٣ - (قالت) سقطت من (د)

٤- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤/١١٩-١٢٠ من حديث ابن مسعود البدرى و لفظه «... فقال قائلهم -أي الأنصار وهو أبو أمامة- سل يا محمد لربك ما شئت ثم سل لنفسك و لأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله - عز وجل- و عليكم إذا فعلنا ذلك، فقال : «أسألكم لربي, وأسألكم لنفسي و أصحابي أن تؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم» قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك قال: لكم الجنة. قالوا: فلك ذلك».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٦/٤٨ طبعة ١٤٠٨ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان: رواه أحمد مرسلًا و رجاله رجال الصحيح، وذكره بعد ذلك مسندًا وفيه مجالد وفيه ضعف وحديثه حسن - إن شاء الله - أ.هـ.

وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة تحقيق د. محمد رواس وعبد البر عباس (الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ الناشر دار النفائس بيروت - لبنان) ج١/٣٠٣، ٣٠٨ رقم ٢٢٦

فهم لما عاهدوه على هذا ليطيعوه فيه، قد عاهدوا ربه -عز وجل-
الذي أمرهم بذلك، والله-تعالى- هو الذي يوفي بعهدهم فيدخلهم
الجنة.

وفي الحديث الصحيح عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال
«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني
وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما [استطعت]»^(١)، أعوذ بك من
شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت. من قالها حين يصبح موقناً بها فمات من يومه دخل
الجنة، ومن قالها حين يمسي موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة»^(٢).
فقرله «وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت» أي على ما عهدته إلينا

بلفظ قريب جداً ولم يذكر أصحابه. والطبراني في المعجم الكبير جـ ١٨٦/٢ و
المعجم الصغير تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان جـ ١١٠/٢ (طبعة ١٣٨٨هـ
الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية) من حديث جابر بن عبد الله،
ولم يذكر أصحابه قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٤٩/٦: رواه الطبراني
في الثلاثة ورجاله ثقة أ.هـ.

١- كذا في (د) و (ف) و (ج) وفي الأصل (سطعة)

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح) رقم
(٦٣٢٣) (جـ ٤/١٩٩٠) و أبو داود في (كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح
رقم (٥٠٧٠) (جـ ٥/٣١٢) و الترمذي في (كتاب الدعوات، باب ما جاء في
الدعاء إذا أصبح و أمسى) رقم (٣٣٩٣) (جـ ٥/٤٦٧) وأحمد في
المسند جـ ١٢٤-١٢٥ و اللفظ له.

من طاعتك^(١)؛ وما^(٢) وعدتنا به من ثوابك؛ أمثل أمرك وأرجو وعدك.

فعل الخالق
وفعل المخلوق
أشد تبايناً من
فعل الموكّل

ومن المعلوم أن الإنسان لو استناب نائباً ووكّل وكيلاً في عقود كبيع وإجارة ومزارعة ونحو ذلك لكان المعاهد للوكيل معاقداً لموكله، بحيث إن وفّى للموكل^(٣) فقد وفى للوكيل^(٤)، وإن غدر بالوكيل فقد غدر بالموكل، والموكل عليه أن يؤفّي بما عاهد عليه الوكيل، والوكيل^(٥) إذا سمى^(٦) موكله في العقد تعلقت حقوق / العقد بالموكل، وهل يكون الوكيل ضامناً؟^(٧) على قولين معروفين، هما روايتان عن

١- في (د) ووعدك.

٢- في (د) (ما) بدون (واو).

٣- كذا في جميع النسخ والأولى للوكيل.

٤- كذا في جميع النسخ والأولى للموكل.

٥- كذا في الأصل و (ح) وفي (ف): للوكيل و في (د): وللوكيل.

٦- في (د): (استمر) وهو خطأ.

٧- في هامش الأصل: الصحيح أنه لا يضمن إلا إذا خالف أمر الموكل اهـ وهذا هو الراجح فإن الوكيل نائب المالك أشبه المودع لاضمان عليه إلا إذا خالف أمر الموكل أو تعدى.

انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل تأليف موفق الدين بن قدامة المقدسي ج٢/٢٥٤ الطبعة الثانية الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي المشهور بابن رشد الحفيد ج٢/٢٢٧ الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

أحمد، ومن قال إن حقوق العقد تتعلق بالوكيل كما يحكى عن أبي حنيفة يقول: إنها بعد ذلك تنتقل إلى الموكل، ولهذا تنازعوا في المسلم إذا وكل ذمياً في شراء الخمر، فقال الجمهور لا يصح لأن الملك يحصل للموكل، والمسلم ليس له أن يملك الخمر، وأبو حنيفة يقول: ملكها الذمي ابتداء ثم دخلت في ملك المسلم ضرورة كالميراث^(١)، وعلى كل تقدير فمآل الأمر إلى الموكل.

ومع هذا ففعل الوكيل متميز عن فعل موكله، وكلامه متميز عن كلامه، ليس أحدهم هو الآخر، ففعل المخلوق أشد مباينة لفعل الخالق من مباينة فعل مخلوق لمخلوق، فإذا^(٢) كان^(٣) مبايعة الوكيل مبايعة للموكل؛ مع تميز الفعلين، فالتمايز في الخالق أولى، ولو أرسل مُرسل رسولاً إلى شخص ليعاقده عقداً من العقود: [هدنة]^(٤)، أو نكاحاً أو غير ذلك؛ لكانت معاهدة الرسول معاهدة المرسل مع تميز أحد الفعلين عن الآخر، ومع كون المرسل والرسول من جنس واحد، ومع أنه يمكن أن يقيم الموكل وكيله مقامه في عامة أفعاله، لأن الوكيل يفعل مثلما يفعله موكله.

١- والصواب أن مالا يجوز للمسلم أن يعقد عليه لا يجوز أن يوكل فيه كشراء الخمر، لأن الخمر ليس محلاً للعقد. انظر: المغني للعلامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة ج ٥/ ٢٦٣ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان وبهامشه الشرح الكبير.

٢- في (د) و(ف) و (ح) وإذا.

٣- كذا في جميع النسخ والأولى كانت.

٤- كذا في (د) و في الأصل و (ف) و (ح) وهدنه - بزيادة واو.

وأما الرب-تعالى -فيمتنع أن يفعل أحد مثل فعله ، ويمتنع أن يستخلف أحداً يقوم مقامه في فعله ، فإنه سبحانه خالق فعل ذلك الشخص ، وهو سبحانه شاهد لا يغيب.

وهذا موضع غلط فيه طائفة من الناس فظنوا أن الله يستخلف أحداً عن نفسه/؛ [وادعى] ^(١) بعضهم أن آدم خليفة عن الله في الأرض يقوم مقامه وأنه جمع له حقائق ^(٢) أسمائه الحسنی ^(٣)، قالوا وهو معنى تعليمه الأسماء كلها، وهذا قول أهل الحلول والاتحاد كابن عربي ^(٤) صاحب

٨ الرد على من
قال: أن آدم
خليفة الله يقوم
مقامه

١- كذا في (د) و (ف) و (ج) و في الأصل «و الدعى»

٢- (حقائق) سقطت من (د) و (ف)

٣- يدعي هؤلاء بأن لكل اسم من أسماء الله الحسنی خواصاً وأسراراً تتعلق به، وتجاوز بعضهم فزعموا بأن لكل اسم خادماً روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به، ويدعون أنهم يكشفون بأسماء الله أسرار الغيبات، والخافي من المكنونات، وزعم بعضهم أن اسم الله الأعظم سر من الأسرار، يُمنح لبعض الأفراد، فيفتحون به المغلقات، ويجرقون به العادات، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس. إلى غير ذلك من الدعاوى الباطلة، التي لم يحصل مثلها لرسول الله وأوليائه من خلقه -سبحانك هذا بهتان عظيم-. وليس لهم دليل من كتاب ولا سنة ولا عقل ولا قول إمام معتبر. وهذه المقولة باب للخرافة والسحر والشعوذة والدجل، وتلاعب الشياطين بالناس -كما بينه المؤلف وسيأتي-. انظر أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف د. عمر سليمان الأشقر ص ٣٩-٤٠. الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ الناشر دار النفائس عمان الأردن.

٤- ابن عربي : هو محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائفي الحافتي، نزيل دمشق. يلقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، أنكر عليه أهل مصر -حين نزل بها- شطحات صدرت منه. وهو صاحب التوالمف الكثيرة ومن أردنها كتاب الفصوص

الفصوص، وأمثاله من أهل الإلحاد.

وهذا جهل وكفر، فإن الله - تعالى - هو الذي يخلق كل شيء؛ ويدبر أمر السماء والأرض، وهو خالق آدم، كما هو خالق سائر المخلوقات، وهو شاهد لا يغيب.

والمخلوق يستخلف مخلوقاً عن نفسه لعجزه أو جهله أو مغيبه، وأفعال الخليفة عن غيره يفعلها بنفسه لا يحدثها الذي استخلفه.

والله - تعالى - على كل شيء قدير وهو بكل شيء عليم، وهو شاهد لا يغيب، وهو الذي يخلق كل شيء. فالعبد يستخلف ربه كما كان النبي ﷺ يقول إذا سافر: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا»^(١)

قال الذهبي عنه: فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر. اهـ. وقد حكى ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام يقول عنه: «شيخ سوء كذاب، يقول بقدوم العالم، ولا يحرم فرجا» وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، كفره كثير من علماء المذاهب الأربعة وصنف بعضهم في الرد عليه منهم المصنف في "الرد على الأقوم على ما في فصوص الحكم" والبقاعي في تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وغيرهم، له غير الفصوص، الفتوحات المكية وغيرها هلك في ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ. انظر السير ج٤٨/٢٣ رقم الترجمة ٤٣ ومج ج٣٦٢/٢ والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي - جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته اعتنى به علي حسن علي عبد الحميد ص ١٢ وما بعدها، والأعلام ج٢٨١/٢.

١- أخرجه الإمام مسلم أوله في كتاب الحج، باب (ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره) ج٩٧٨/٢ رقم ١٣٤٢ والتزمذي في (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً) ج٤٩٧/٥-٤٩٨ رقم ٣٤٣٩ وقال حديث حسن صحيح، والأمام

فإن المقيم هو الذي^(١) يدبر أمر بيته فإذا سافر سأل الله -تعالى^(٢) - أن يخلفه فيهم .

وكما روى أنه سُمع يوم موت^(٣) النبي ﷺ قائلاً يقول «إن في الله عزاءً من كل هالك وعوضاً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل ما فات فبا لله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حُرْم الثواب»^(٤).

أحمد في المسند حـ/٨٣ من حديث عبد الله بن سرجس و اللفظ له، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في السنن (كتاب الاستئذان، باب الدعاء إذا سافر) جـ٢/٥٩٧ رقم ٢٦٧٦ عناية وتعليق د. بدر الدين جتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون - تونس من حديث عبد الله بن عمر وغيرهم.

١- في هامش (د) : في نسخة (عند أهله)

٢- (تعالى) سقطت من (د) و (ف)

٣- في (د) مات

٤- أخرجه أبو بكر أحمد البيهقي في السنن الكبرى في (كتاب الجنائز، باب ما يقول في التعزية) جـ٤/٦٠ بذيله الجوهر النقي لعلاء الدين بن علي المارديني الشهير بابن التركمان (طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان) وقال: روى معناه عن جابر، ومن وجه آخر عن أنس و في أسانيده ضعف أ. هـ وابن أبي الدنيا في الهواتف تحقيق مجدي السيد إبراهيم الناشر مكتبة الساعي الرياض - السعودية ص ٢٣-٢٤ و لفظ المؤلف أوله من الرواية الثالثة، و أخره من الثانية، عند ابن أبي الدنيا وقال محقق الكتاب مجدي السيد إبراهيم كلها ضعيفة، و أبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة تحقيق د. محمد رواس وعبد البر عباس جـ٢/٥٦٥ و زاد أن الرجل هو الخضر، وابن سعد في الطبقات الكبرى جـ٢/٢٧٥ (طبعة ١٣٦٧ هـ الناشر دار بيروت ودار صادر بيروت - لبنان) قال ابن كثير في البداية والنهاية جـ٥/٢٦٢: روايات هذا الخبر كلها مرسلة، ماعدا رواية القاسم العامري عن أبيه عن جده و قد ضعفه غير

وكذلك العبد يخلف العبد في أهله ، كما قال النبي ﷺ « من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا » (١) .

واحد من الأئمة ، وتركه بالكلية آخرون ا.هـ. وشذ أبو عبد الله الحاكم فصحيح الخير في المستدرك على الصحيحين ج٣/٥٧-٥٨ (طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان) وبذيله التلخيص لشمس الدين الذهبي وقد وافق الحاكم في تصحيح الخير وذكر أن القائل في الرواية الأولى هم الملائكة ، أما في الرواية الثانية فذكر أنه الخضر - ولم يصحح سندها- وقال عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا الكتاب ووافقه الذهبي ولا يخفى تساهل الحاكم في التصحيح. وقد ضعف سند الحاكم البيهقي في السنن ج٤/٦٠.

وقال زين الدين عبد الرحيم العراقي في تخريج إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار عناية أشرف عبد المقصود ج٢/١٢٢١ رقم ٤٤١٢ (الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر مكتبة طبرية الرياض السعودية) قال في تخريج هذا الخير: لم أجد فيه ذكر اليسع، وأما ذكر الخضر في التعزية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث، وقال: إنما ذكره الأصحاب. قلت (أي العراقي): بل قد رواه الحاكم في المستدرك في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح. ثم بين ضعف أسانيد ابن أبي الدنيا ثم قال: كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر الخضر ا.هـ.

وقد ذكر ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الناشر مكتبة طيبة الرياض - السعودية) ج٢/٢١٦-٢١٩: روايات هذا الخير وبين ضعفها.

وسياتي الكلام على الخضر وأنه لا يصح شئ في حياته انظر ص ٢٢٧

١- أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير) ج٢/٨٧٩ رقم ٢٨٤٣. ومسلم في (كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله) ج٣/١٥٠٦ برقم ١٨٩٥. والنسائي في (كتاب الجهاد، باب فضل

وقال ﷺ / في قصة ماعز « أو^(١) كلما نفرنا في الغزو خلف أحدهم له نيب^(٢) كنيب التيس يمنح إحداهن الكتبة^(٣) من اللبن إن الله أمكني من أحدهم لأجعلنه نكالا^(٤) ». ومنه قوله تعالى ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥] أي يخلف بعضكم بعضا، وكما قال تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم ﴾ [سورة النور: ٥٥] وقوله تعالى ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ [سورة يونس: ١٤].

وداود - عليه السلام - جعله الله خليفة عمن^(٥) كان قبله كما جاءت

من جهاز غازياً جـ ٤٦/٦ رقم ٣١٧٨ و اللفظ له .

١- (أو) سقطت من (د)

٢- النيب: هو صوت التيس عند السفاد انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي وعمود الطناحي جـ ٤/٥ باب النون مع الباء طبعة المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

٣- الكتبة من اللبن: أي القليل من اللبن، والكتبة: كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كتب. المرجع السابق جـ ٤/١٥١ باب الكاف مع التاء.

٤- أخرجه مسلم في (كتاب الحدود، باب من أعترف بالزنى) جـ ٣/١٣١٩ رقم ١٦٩٢ بالفاظ متقاربة و قرية من لفظ المؤلف. و أبو داود في (كتاب الحدود، باب الرجم) جـ ٥/٥٧٧ رقم ٤٤٢٤. و أحمد في المسند جـ ٥/٨٦، ٨٧، ١٠٢، ١٠٣ بالفاظ متقاربة. والدارمي في السنن (كتاب الحدود، باب الاعتراف بالزنا) جـ ٢/٤٩٦ رقم ٢٣٢١ بلفظ قريب من لفظ المؤلف.

٥- في (د): عن من .

بذلك الآثار، ومنه قوله تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ [سورة الزخرف : ٦٠] [وقد^(١) قيل إنّ من هنا للبدل أي بدلاً منكم، كما قالوا في قوله^(٢) ﴿قل من يكلثوكم باليل والنهار من الرحمن﴾ [سورة الأنبياء : ٤٢] أي بدلاً من الرحمن، [وأنشدوا]^(٣)

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على [طهيان]^(٤)

قالوا^(٥) معناه بدلاً من ماء زمزم، [وفي حديث أبي سعيد الذي رواه مسلم في صحيحه « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»]^(٦).

١- كذا في (د) و (ف) و (ح) وسقطت من (الأصل).

٢- في (د) تعالى.

٣- كذا في (د) و (ف) و (ح) وفي الأصل أنشد.

٤- كذا في (ح) و لسان العرب، و في الأصل (طهان) و في (د) طهيات وفي الهامش في نسخة طهمان وسقطت من (ف)، و هذا البيت نسبه ابن منظور في لسان العرب للأحول الكندي.

وقد ورد : الطهيان ، طهيان والطهيان: وهي خشبة يبرد عليها الماء. انظر لسان العرب للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ج٥ (١٧-١٨) .

٥- في (د) و (ف) وقالوا بزيادة واو.

٦- ما بين المعقوفين من (د) وسقط من الأصل و (ف) و (ح) والحديث أخرجه مسلم في (كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، و أكثر أهل النار النساء، و بيان الفتنة بالنساء) ج٤/ ٢٠٩٨ رقم ٢٧٤٢ و لفظه « ... فينظر كيف تعملون ... »

والمقصود هنا أن المخلوق يمكن أن يقيم مقامه من يفعل مثل فعله. وأما الرب - سبحانه (١) تعالى - فهذا ممتنع في حقه، ممتنع لذاته أن يكون غير الله مماثلاً له في ذاته أو (٢) صفاته أو أفعاله، فإن المثلين يجوز على أحدهما ما جاز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، والرب حي قيوم غني صمد واجب بنفسه قديم بنفسه (٣)،

يمتنع أن يقيم الرب
أحدًا مقامه

في رواية «.... لينظر كيف» وغيره

١- (سبحانه) سقطت من (د) و(ف)

٢- في (د) و (ف) (و او)

٣- (قديم بنفسه) سقطت من (د) وإطلاق القديم على الله -تبارك وتعالى اختلف فيه العلماء: فأطلقه على الله -تعالى- أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة، بل ذهب الجبائي وغيره من المعتزلة إلى أنه أخص وصف لله -تعالى-. انظر الملل والنحل ج ١/ ٨٣ ليثبتوا به وجود الله قبل كل شيء. ومنعه السلف، قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية خرج أحاديثها العلامة ناصر الدين الألباني ص ١٢٢-١١٣ (الطبعة الثامنة ١٤٠٤ هـ الناشر المكتب الإسلامي -بيروت لبنان) قال: ولفظ القديم لم يرد في أسماء الله الحسنى، وإنما وقع استعماله من قبل علماء الكلام، ولا يدل على ما أرادوه. ولفظ القديم في لغة الرسول التي جاء بها القرآن خلاف الحديث وإن كان مسبقاً بغيره كقوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [سورة يس: ٣٩] وهو عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبقاً بعدم نفسه، ويجعلونه -إذا أريد بها هذا- من باب المجاز، ولفظ "الحديث" في القرآن يقابل للفظ "القديم" انظر مج ١/ ٢٤٥، وقال أيضاً في مج ٩/ ٣٠٠-٣٠١: وعامة النظر يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى. .

مستحق لصفات الكمال بنفسه، ممتنع اتصافه بنقائضها، فإن كماله من لوازم ذاته الواجبة / الوجود بنفسها التي يمتنع^(١) عدمها أو عدم شيء من لوازمها، والمخلوق يجب أن يكون معدوماً محدثاً فقيراً، فلو تماثلاً للزم أن يكون كلياً منهما واجب الوجود واجب العدم؛ قديماً محدثاً؛ غنياً بنفسه فقيراً بنفسه، وذلك جمع بين النقيضين، وإذا كان المخلوق الذي

١٠

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقليل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها وقيل ليس بشيء فقليل بل هو شيء فهذا سائغ. وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على مدح أو هـ. وللتوسع انظر بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق بشير محمد عيون جـ ١/ ١٧٩ (الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ) الناشر مكتبة المؤيد الرياض - السعودية) والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح آل مهدي تصحيح د. عبدالرحمن المحمود ص ٥٠-٥١ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الوطن الرياض - السعودية.

وقد استدل بعض السلف بحديث أبي هريرة في الأسماء حيث ورد في بعض رواياته اسم "القديم" عند ابن ماجه والحاكم ولم أجده عند ابن ماجه في ط الأعظمي ولا الحاكم ط دار الكتاب العربي، علماً أن عدد الأسماء عند الحاكم خمسة وتسعون، ولعله يكون في روايات أخرى لهذه الكتب، ولا عند غيرهما من المصادر الأخرى التي حُرِّجَت الحديث، وقال البغوي في شرح السنة جـ ٥/ ٣٥ تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان بعد إirاده لحديث أسماء الله - عز وجل -: "الله - عز وجل - أسماء سوى هذه الأسماء أتى بها كتاب الله ذكر منها "القديم" أ. هـ.

وسياتي بيان حكم الاستدلال بالحديث، واتفاق أهل العلم أن الأسماء ليست من كلام النبي ﷺ بل هي مدرجة انظر ص ٢٩٧.

يرسل من يمثله لا يكون فعله هو فعله، فالخالق الذي يرسل بعض عباده أبعد أن يكون فعله هو فعله، حتى تكون نفس بيعة الرسول نفس بيعة المرسل، وإذا كان خالقاً لذلك الفعل وغيره من المخلوقات؛ فهو بهذا^(١) الاعتبار لا اختصاص له والله - تعالى - قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [سورة الفتح: ١٠] .

فإن محمداً رسول الله ، وبيعته عن مرسله ليست بيعة لنفسه^(٢) والجزاء على مرسله ، ولهذا قال ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثُّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ١٠] .

الرد على تفسير
البكري لقوله تعالى
﴿وما رميت إذ رميت﴾
﴿وما رميت إذ رميت﴾

وأما استشهاده بقوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [سورة الأنفال: ١٧] فمن هذا الجنس، وهو قد سبقه إلى هذا المعنى الذي توهمه طائفة من الجهال^(٣)، وذلك أن الله لم يُضِفِ الرمي هنا إلى نفسه؛ بل مجرد كونه خالقاً لأفعال العباد، فإن هذا قدر مشترك بين رمي النبي وسائر أفعاله غير الرمي، وبين رمي غيره من الناس وبين أفعالهم،^(٤) فأفعال العسكرين يوم بدر خلقها الله كما خلق سائر أفعال الحيوان، ولو / جاز أن يقال إن الله رمى؛ لكونه خلق

١١

١- في (د) : هذا.

٢- في (د) : لنفسه وهو خطأ.

٣- هذه الآية استدلل بها الاتحادية على مذهبهم. انظر معجم مصطلحات الصوفية د. عبد المنعم الحفني ص ١٨١ حرف العين.

٤- في (د) فإن.

حركة العبد، لقليل أنه يكر ويفر ويركب ويعدو ويصوم ويطوف،
[ونحو ذلك] ^(١)؛ لكونه يخلق ذلك.

وقد رُوى أن المحاصرين لعثمان -رضي الله عنه- كانوا يرمونه بالحجارة، فقال: لَمْ ترموني بالحجارة ^(٢)، فقالوا: لم نرمك، ولكن الله رماك، قال كذبهم، لو رمانى الله أصابني، وأنتم ترموني ولا تصيبوني ^(٣)، وهو صادق في ذلك، فإن الله لما رمى قوم لوط، وأصحاب الفيل أصابهم، ولكنهم هم رموا عثمان.

والله -تعالى- قال ^(٤): ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأنفال: ١٧]، لأن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب و ^(٥) غيره، فرمى بها المشركين فأصابت عيونهم، وهزمهم الله ^(٦) بها، ولم يكن في قدرة النبي ﷺ ذلك، بل الله -تعالى- أوصل ذلك إليهم، والرمي له طرفان

١- ما بين المعقوفتين من (د) وسقطت من الأصل و (ف) و (ح)

٢- (الحجارة) سقطت من (د)

٣- أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه المسمى تاريخ الأمم والملوك ج٢/ ٦٧٢. (الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت -لبنان) في خير استشهاد عثمان -رضي الله عنه- و لفظه «.... لو رمانا الله لم يخطئنا، وأنتم تخطئوننا» قال كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة وذكر الخير. وقد ذكره المؤلف بصيغة التمريض.

٤- في (د) يقول.

٥- في (د) أو.

٦- في (د) تعالى.

حذف^(١) بالمرمي، ووصول إلى العدو ونكاية فيهم، والني ﷺ فعل الأول، والله فعل الثاني، والمعنى ما أوصلت الرمي إذ حذفته^(٢)، ولكن الله أوصله وهزمهم به، فالذي أثبت الله لنبيه غير الذي نفاه عنه، وقد أثبت له رمياً؛ بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، ونفى عنه رمياً بقوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ فكان^(٣) هذا غير هذا؛ لثلا يتناقض الكلام^(٤).

ولو كان المراد كما ظنه هذا وأمثاله؛ ممن يحتج بهذه الآية، على أن

١- في (د) حذف: ويعني رمى وخص بعضهم به الحصى. لسان العرب لابن منظور ج٩/٦١.

٢- في (د) (أو حذفته).

٣- في (د) : و كان .

٤- هذه الآية نزلت في يوم بدر، ونحو هذا نقل عن عكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم. قال ابن جرير الطبري في تفسيره ج٦/٢٠٢: في قوله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين ما ذكرنا -أي منكرى القدر-: قد علمتم إضافة الله رمى نبيه ﷺ المشوكين إلى نفسه، بعد وصف نبيه به، وإضافته إليه، وذلك فعل واحد، كان من الله تسيبه وتسديده، ومن الرسول ﷺ الحذف والإرسال ا.هـ.

انظر تفسير الطبري ج٦/٢٠٢-٢٠٣ والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج٧/٣٨٥ (لم يذكر الناشر) تصحيح أحمد البردوني وآخرين الطبعة الثانية. وتفسير ابن كثير ج٢/٢٩٥.

الله [خالق] (١) أفعال العباد، ويضحك المعتزلة وغيرهم من القدرية (٢) / عليه إذا احتج بهذه الآية، [و] (٣) لو كان هذا (٤) المراد لساغ أن يقال مثل هذا في جميع أفعال العباد، فيقال: ما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب ، (وما طفت إذ طفت ولكن الله طاف) (٥)، وما أكلت إذ أكلت ولكن الله أكل. [و] (٦) (لكن يقال لكل من رمى بقوس ما) (٧) رميت إذ رميت ولكن الله رمى، ويقال للكفار إذا رموا المسلمين

١٢

١- كذا في (د) و (ف) و (ح) وفي الأصل (خَلِقُ) ولا يصح رسم الكلمة أو ضبطها.
٢- القدرية : هم نفاة القدر ، وكان أوائلهم أنكروا علم الله السابق، والقدرية أقدم من المعتزلة وأول من قال بالقدر هو معبد الجهني، ويقال إن أول من ابتدع القول بالقدر رجل نصراني يدعى "سوسن" أسلم ثم تنصر. وقد ظهرت هذه الفقرة في آخر عهد الصحابة -رضي الله عنهم- ولذا يلقبون أحياناً بالقدرية الأولى، وقد كان موقف الصحابة منهم شديداً، وصل إلى حد البراءة منهم، ولكن القول بالقدر انتشر على يد المعتزلة، حتى عرفوا بالقدرية. وهم ينفون هذا اللقب عنهم لما فيه من الذم، وإنما لزمهم لأنهم يضيفون إلى أنفسهم القدر، ولذلك قيل عنهم بجوس الأمة لقولهم بالأصلين يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والقدرية فرق ، عدها بعض كتاب الفرق سبع فرق. انظر: صحيح مسلم (كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان) ج ١/ ٣٦ رقم ٨ والتنبية والرد للملطي ص ١٧٦ والملل للشهرستاني ج ١/ ٤٣ والقضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود ص ١١٧ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار النشر الدولي الرياض - السعودية.

٣- كذا في (د) و (ح) وسقطت من الأصل و (ف)

٤- (هذا) سقط من (د)

٥- ما بين القوسين في (د) (وما ظننت إذ ظننت ولكن الله ظن)

٦- كذا في (ح) و (ط) و سقطت من الأصل و (ف) و (د)

٧- ما بين القوسين في (د) (يقال لكن من رمى بالقوس وما)

مارميتهم ولكن الله رمى ، وأشباه هذا مما لا يقوله مسلم، ولا عاقل .

ثم إن الله - تعالى - ذكر هذه الآية لبيان نعمته على نبيه [وعلى] (١) المؤمنين يوم بدر، وما أيدهم به من النصر، فلو أريد كونه خالقاً لفعله؛ لكان هذا قدراً مشتركاً بين جميع الناس، بل لابد أن يكون لرميه خاصة يعجز عنها الخلق، فعلها الله تأييداً لنبيه ونصراً له؛ وإنعاماً عليه وعلى المؤمنين .

فتبين أن هذه الآية حجة عليه لا له كالأولى، وأن الله - تعالى - فرق بين فعل الخلق وفعل نفسه، ولم ينزل أحداً منزلة نفسه في الأفعال .

أفعال العباد لا يمكن
أن تنفي عنهم
باتفاق المسلمين

ومما يبين ذلك أن أفعال العباد لا يجوز أن تنفي عنهم باتفاق المسلمين، من قال إن الله خالقها، ومن قال إن الله لم يخلقها، لا يجوز أن يقال هذا ما أكل ولا شرب ولا قعد ولا ركب ولا طاف، ولا ركع ولا سجد ولا صام ولا سعى، ولكن الله هو الذي أكل وشرب/ وقعد وركب وطاف وركع وسجد وصام وسعى، وسواء كانت أفعالا (٢) محمودة أو مذمومة، وسواء كانت سبباً لخرق العادة أم لا؟ فلا يقال إن موسى ما ضرب بعصاه البحر ولا الحجر؛ ولكن الله ضرب، ولا يقال إن نوحاً ما ركب السفينة؛ ولكن الله ركب، ولا يقال إن المسيح ما ارتفع إلى السماء بل الله ارتفع، ولا يقال محمد ﷺ

١٣

١- كذا في (د) و (ح) و سقطت من الأصل و (ف) .

٢- في (د) الأفعال .

ماركب البراق^(١) وأمثال هذا.

فالفعل المختص بالمخلوق لا يضاف إلى الله - تعالى -؛ إلا على بيان أن الله خلقه، وجعل صاحبه فاعلاً، كقول الخليل - عليه السلام^(٢) - ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ [سورة ابراهيم: ٤٠] وكما قال ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [سورة البقرة: ١٢٨] [وقال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾^(٣) [سورة السجدة: ٢٤] (وقال تعالى)^(٤) ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ [سورة القصص: ٤١].

ولا يقال إن الله يقيم الصلاة، ويدعو إلى النار، ولا أنه قد أسلم، وقال تعالى ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً﴾ [سورة المعارج: ١٩-٢١] ولا يوصف الله بالهلوع والجزع، وجماع الأمر أن الله لا يوصف بمخلوقاته، وهذه هي أدلة السلف وأهل السنة؛ على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا

الله تعالى
لا يوصف
بمخلوقاته

١- البراق: هي الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه. وقيل لسرعة حركته شبيه فيها بالبرق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١/ ١٢٠ باب الباء مع الراء.

٢- ما بين الشرطتين سقط من (ف)

٣- ما بين المعقوفتين في (د) و سقطت من الأصل و (ف) و (ح)

٤- ما بين القوسين سقط من (ف) وفي (د) (وقال)

١٤

لأنه - سبحانه - لا يوصف بما خلقه في غيره، فإذا خلق في غيره حركة أو طعماً^(١) أو ريحاً أو لوناً: السواد والبياض؛ لم يوصف/ بأنه المتحرك بها، ولا بأنه متروح أو أبيض أو أسود، (وإذا خلق في غيره سمعاً وبصراً وحياة أو قدرة لم يوصف بذلك)^(٢)، وإذا خلق في غيره كلاماً لم يوصف بأنه هو المتكلم به، ويُعبرون عن ذلك بأن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل؛ ولم يعد على غيره [واشتق]^(٣) لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره، فإذا خلق في محل حركة أو علماً^(٤) أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لخالق لتلك الصفة فيه.

وأورد المعتزلة نقضاً^(٥) على هذا صفات الأفعال، فقالوا: هو عادل بعدل خلقه في غيره.

الفعل غير المفعول
عند السلف

فأجاب أئمة السلف وجمهورهم بطرد الدليل بناء على أن الفعل غير المفعول، واستدل الإمام أحمد وغيره بقول النبي ﷺ «أعوذ بكلمات الله التامات»^(٦) قالوا: وهو لا يستعيز بمخلوق، وطرد هذا قوله «اللهم

١- (طعماً) سقطت من (د) و (ف)

٢- ما بين القوسين سقط من (د)

٣- كذا في (د) و (ف) و في الأصل و شتق

٤- في (د) : علم

٥- في (د) : نقضاً

٦- أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء) ج٤/ ٢٠٨٠

إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك»^(١)
 فالنبي ﷺ استعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه وبكلماته^(٢)، وهذا
 مذهب جمهور المسلمين، أن الخلق^(٣) غير المخلوق وهو

رقم ٢٧٠٨ وأوله «من نزل منزلاً ثم قال: الحديث»، واستدل به
 البخاري في خلق أفعال العباد والرد على الجهمية ص ٨٩ وابن خزيمة في كتاب
 التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل - تحقيق د. عبدالعزيز الشهوان
 ج ١/ ٤٠٠ (الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية)
 والإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية تقديم وتعليق بدر البدر
 ص ١٤٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر الدار السلفية حولي - الكويت) ولم
 أجده في الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد تحقيق د. عبدالرحمن عميرة)
 الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية) ولكن نقله
 الخطابي في معالم السنن عن الإمام أحمد.

١- أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود) ج ١/ ٣٥٢
 رقم ٤٨٦ ولفظه «... وأعوذ بك منك ...» والحاكم في المستدرک في کتاب
 الصلاة (ج ١/ ٢٨٨) واللفظ له. وفي استدلال السلف بهذا الحديث قالوا: إن
 النبي ﷺ استعاذ بأفعال الرب وصفاته، فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه،
 فمعافاته ورضاه غير مخلوقه لأنه استعاذ بهما، والعافية القائمة بيد العبد مخلوقة
 فإنها نتيجة معافاته. انظر مع ج ٦/ ٢٢٩-٢٣٠ وشفاء العليل في مسائل القضاء
 والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم تعليق مصطفى أبو النصر الشليبي ج ٢/ ٢٦٦
 الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مكتبة السوادي جدة - السعودية.

٢- في (د) (وكلماته) بدون باء.

٣- في (ف) بياض.

المنقول عن السلف والأئمة، كما ذكره البخاري^(١) في كتاب خلق الأفعال، وهو الذي ذكره البغوي^(٢) / صاحب شرح السنة، وهو الذي ذكره الكلاباذي^(٣) أنه اعتقاد

١- البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة البخاري. ولد في شوال سنة ١٩٤هـ. قام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، صنف كتاب الجامع الصحيح. المعروف بصحيح البخاري، والتاريخ "وخلق أفعال العباد"؛ أثنى عليه الأئمة، كان ذا عبادة وذكر وورع وصلاح مات سنة ٢٥٦هـ.

نقل إجماع أهل العلم على أن الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول في كتابه "خلق أفعال العباد" ص ١١٢. انظر السير ج ٣٩١/٢ ترجمة رقم ١٧١ والأعلام ج ٣٤/٦.

٢- البغوي صاحب شرح السنة: هو محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ويلقب أيضاً بركن الدين، ولد سنة ٤٣٦هـ. كان عالماً زاهداً قانعاً بالسير، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها، بورك له في تصانيفه، ورزق القبول. منها "شرح السنة ومعالم التنزيل والمصاييح وغيرها". توفي بمرور الرود مدينة من مدائن خراسان (في حدود تركستان الآن) في شوال سنة ٥١٦هـ وقيل ٥١٠هـ وعاش بضعا وسبعين سنة.

وذكر البغوي في كتابه شرح السنة أن الخلق غير المخلوق في باب أسماء الله سبحانه وتعالى ج ٢٩/٥ تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد زهير الشاويش. انظر السير ج ٤٣٩/١٩ ترجمة رقم ٢٥٨ والأعلام ج ٢٥٩/٢.

٣- الكلاباذي: هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي البخاري، ويقال: محمد بن إبراهيم والأول هو ما ذكره المؤلف في الاستقامة ج ٨٢/١ محدث صوفي توفي سنة ٣٨٠هـ له كتاب بحر الفوائد ويعرف بمعاني الآثار وأشهر كتبه "التعرف لمذهب

الصوفية، وهو قول الكرامية^(١)، وكثير من المعتزلة، وأصحاب أبي حنيفة^(٢)، وجمهور أصحاب مالك والشافعي وأحمد، لامن وافق

أهل التصوف" نشره ارثجون اربرى، ثم نُشر بتحقيق د. عبدالحليم محمود وطه سرور، ونشره أحمد شمس الدين وضبطه وعلق عليه، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - وهي الطبعة الموجودة لدي- وذكر ما أشار إليه المؤلف في ص ٣٨-٣٩ الباب السابع: ((اختلافهم في أنه لم يزل خالقاً ونصه: والفعل غير المفعول، وكذلك التخليق، والتكوين، ولو كانا جميعاً واحداً لكان كَوْن المكونات بأنفسها ... ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقاً)) . انظر: الاستقامة لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ج ١/ ٨٢-٨٣ (الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة السنة القاهرة - مصر)، والأعلام ج ٥/ ٢٩٥ ، ومعجم المؤلفين ج ٨/ ٢٢٢.

١- الكرامية : هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، قالوا: ((بأن الله -تعالى- جسم، وأن له سبحانه ثقل وأنه خالق رازق بلا خلق ولا رزق... الخ)) ، وأن الإيمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب، فمن نطق بلسانه ولم يعترف بقلبه فهو مؤمن، وأن المنافقين مؤمنين بالحقيقة في الدنيا أما الآخرة ففى النار. وقد وافقوا السلف في قولهم إن الخلق غير المخلوق، نقل ذلك عنهم الشهرستاني وغيره.

عد بعض المؤلفين في الفرق فرقهم اثني عشرة فرقة، وبعضهم جعلها ثلاث فرق. ولابن كرام ضلالات أخرى في الإيمان والفقه . انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٥-٢٢٥ والمقالات ج ١/ ٢٢٣ والملل والنحل ج ١/ ١٠٨-١١٣ وعقائد الثلاث وسبعين لليمنى ج ١/ ٢٧٥ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ج ٢/ ٣٧٩ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة قرطبة ، ومع ١٠٣/ ٣ .

٢- انظر الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتردية ص ٦٤ وما بعدها، وشرح العقائد النسفية ص ٤٧، ومع ج ٦/ ٢٩٨.

منهم الأشعري وغيره الذين يقولون: الخلق هو المخلوق، كما اختاره ابن عقيل^(١) وغيره، وهو أول قول القاضي أبي يعلى^(٢) ثم رجع عنه، وهو اختيار [أبي]^(٣) المعالي الجويني^(٤) وغيره، وهذا مبسوط في

١- ابن عقيل: هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، الحنبلي المتكلم. ولد سنة ٤٣١ هـ شيخ الحنابلة، أخذ العقليات عن أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان فاخرف عن السنة، كان ذكياً، بحر معارف، وكنز فضائل. نهاه أصحابه الحنابلة عن مجالسة المعتزلة، وأبى حتى وقع في حبائلهم. وقد أظهر التوبة من الاعتزال. له مصنفات كثيرة منها "الفنون" "ذم التشبيه وإثبات التنزيه" "الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف والصوت" وغيرها توفي سنة ٥١٣ هـ. وقد قال بأن الخلق هو المخلوق كما نقله عنه ابن تيمية في الفتاوى ج٦/٢٣١. انظر السير ج١٩/٤٤٣ ترجمة رقم ٢٥٩ الأعلام ج٤/٣١٣.

٢- القاضي أبو يعلى: هو أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، الحنبلي ابن الفراء، ولد سنة ٣٨٠ هـ. كان عالم العراق في زمانه، وذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف، ولكنه قليل المعرفة في الحديث. وكان متحفظاً، نزه النفس. ولي القضاء بدار الخلافة والحريم، مع قضاء حران وحلوان. ألف كتاب "أحكام القرآن" "والمعتمد" "والعدة" وغيرها. توفي سنة ٤٥٨ هـ ولل القاضي أبي يعلى ثلاثة مواقف من الصفات الفعلية التي هي أساس قضية الخلق والمخلوق، الأول: وافق فيها الأشاعرة، والثاني: أثبت على أنها صفات ذاتية للرب - تعالى -، والثالث: وافق السلف وأثبت أنها تتعلق بالمشيئة والاختيار في "كتابه إبطال التأويلات" وفي الموقف الثالث قال بأن الخلق غير المخلوق. انظر مقدمة المحقق في كتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى تحقيق سعود الخلف ص ٧٦-٩٣ ومج ج١٢/٤٣٦ والسير ج٨/٨٩ ترجمه رقم ٤٠ والأعلام ج٦/٩٩.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (أبو)

٤- الجويني: هو ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن

غير هذا الموضوع (٢).

والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن الله لا يوصف بالمخلوقات، فلا يوصف بما خلقه في غيره من الصفات وإن كانت صفات كمال، فكيف يوصف بما خلقه في غيره من أفعال العباد، وتُجعل الأفعال القائمة بالمخلوقات صفات له؛ يشتق له منها (٢) أسماء، فهذا مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول؛ مناقض للقواعد والأصول، ولكن بعض من ناظر القدريّة في هذا المقام انحرف كما

يوسف بن عبد الله الجويني ولد سنة ٤١٩هـ، تفقه على والده، وتوفي أبوه وله عشرون سنة، فدرس مكانه، حج وجاور أربع سنين يدرس ويفتي، ولذا لقب بإمام الحرمين.

درس بنظامية نيسابور ثلاثين سنة، ومع فرط ذكائه وإمامته لا يدرى الحديث - كما يليق به - لا متناً ولا سنداً. رجح في آخر حياته مذهب السلف في الصفات وأقر به. له كتاب الإرشاد في أصول الدين والنظامية، والشامل في أصول الدين. توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ. انظر السمعاني ج ٤٧٦/١٨ ترجمه رقم ٤٦٨ والأعلام ج ٤/١٦٠.

١- انظر مع ج ١٤٩/٦، ٢٢٩-٢٤٠ ومنهاج السنة ج ٣٧٩/٢ وسبق ذكر بعض هذه المواضع؛ كما في ص ٩٠، وقد نصر هذا القول أيضاً ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١٥١/٥، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي حقق المجلد الأول والثاني العلامة عبد العزيز ابن باز ج ١٣/٥٣٩ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان والسفاري في لوايح الأنوار ج ١/٢٥٢-٢٥٣ والألويسي في غاية الأمان ج ٢/٣٣٨ وغيرهم.

انحرفوا، وقابل باطلاً بباطل، ورد بدعة ببدة.

والذين يصفون الله ببعض المخلوقات صنفان : صنف غلطوا في الصفات، وصنف غلطوا في القدر، فالأول الجهمية^(١) من المعتزلة وغيرهم^(٢) الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق؛ فوصفوه بما خلقه في غيره،/ وكذلك يقولون: رضاه وغضبه هو [ما يخلقه] من الثواب والعقاب، وإرادته خلقها لافي محل؛ كما تقوله المعتزلة من البصريين^(٣) فيصفونه بمخلوقات بائنة عنه.

الطوائف التي
تصف الله
بمخلوقاته

١٦

١- الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، وهي فرقة معطلة تنكر أسماء الله وصفاته، وترغم أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفتيان وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب. وهم من الجبرية الخالصة. وقد أخذت الفرق من الجهمية بعض الآراء فلذلك تنقسم الجهمية إلى ثلاث فرق: الجهمية المحضة أو الغالية وهم أشر الجهمية، والجهمية المعتزلة الذين يقرّون بالأسماء وينفون الصفات، والجهمية الصفاتية الذين يعطلون بعض الصفات الخيرية ومنهم الكلابية ويطلق عليهم أحياناً الجهمية الجبرية لقولهم بالجبر. قال ابن المبارك: إنا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

والمؤلف أراد الفرق الثانية وهم الجهمية المعتزلة. وكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلي. انظر التنبيه والرد للملطبي ص ١١٠ وما بعدها والمقالات ج١/٣٣٨ والملل والنحل ج١/٨٦-٨٨، ومج ج١٣/١٨٤ وعقائد الثلاث والسبعين ج١/٢٧١ وتاريخ الجهمية والمعتزلة للعلامة جمال الدين القاسمي ص ٥٣-٥٥ الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٢- في الأصل و(ف) (هم) زيادة

٣- المعتزلة البصريون: هم معتزلة البصرة، وينقسم المعتزلة إلى معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، وبينهم خلافات كثيرة ويكفر بعضهم بعضاً، ومعتزلة البصرة هم الأصل

والصنف الثاني الجهمية الجبرية الذين قالوا: إن أفعال العباد نفس فعله، وفعله هو مفعوله، كما يقوله الجهم بن صفوان وأتباعه كالاشعري ومن وافقه، وهؤلاء لم يثبتوا له فعلاً قائماً بنفسه غير المخلوقات المبينة له، فإذا كان خالق أفعال العباد لزم أن تكون هي فعله ولا تكون فعلاً لغيره، وحينئذ فالصفات الفعلية التي يصفون بها الرب، مثل كونه خالقاً ورازقاً و^(١) عادلاً؛ إنما تتصف عندهم فيها بمخلوقاته؛ وتتصف أيضاً عندهم بأفعال العباد كلها، فالجهم بن صفوان أعظم الناس وصفاً له بمخلوقاته في كلامه وأفعال العباد وغير ذلك.

والمعتزلة وافقوه في الكلام ونحوه من الصفات دون أفعال العباد، ووافقوه في فعله لغير أفعال العباد؛ لكون أفعال العباد عندهم ليست فعلاً له، فالجهمية والمعتزلة متفقون على أنه يوصف بمخلوقاته، لكن المعتزلة عندهم هو خلق كلامه ورضاه وغضبه وإرادته فيوصف بها، ولم يخلق أفعال العباد فلا يوصف بها.

و[أما] ^(٢) جهم فعنده أنه خلق الجميع فلزمه أن يوصف بالجميع، والأشعري وافق جهماً في المخلوقات من أفعال العباد وغيرها؛/ دون

١٧

وعليهم تتلمذ معتزلة بغداد. وما ذكره المصنف هو مذهب الجبائيه من معتزلة البصرة وغيرهم. وقد سبق التعريف بفرقة المعتزلة في ص ٨٨ انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٤٤٠ التنبيه والرد للملطي ص ٥٢-٥٤ والملل والنحل. للشهرستاني ج ١/ ٧٩-٨١.

١- (الواو) سقطت من (د).

٢- كذا في (د) و (ف) و (ح) وسقطت من الأصل.

الكلام والإرادة فإنهما عنده صفات تقوم بالله، لكنه وافقه على أن المخلوق هو الخلق، وهو يصفه بالصفات الفعلية فوافقه على اتصافه بالمخلوق من هذا الوجه، صار^(١) هو والمعتزلة متقابلين، هو ينكر عليه قولهم في الكلام والإرادة، وأصاب في إنكاره عليهم، وهم ينكرون عليه قوله في أن أفعال العباد فعله^(٢)، وهم وإن أصابوا في^(٣) هذا الإنكار؛ لكنهم ينكرون أن تكون مخلوقة لله^(٤) وهذا منكر، والأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة وكسبا^(٥)، ولكن يقول قدرته لا تأثير لها في المقدور،

١- في (ط) (وصار) زيادة واو .

٢- انظر رد الأشاعرة على المعتزلة في الإرادة في شرح المقاصد ج٤/ ١٢٨-١٣٠، وفي مسألة الكلام ج٤/ ١٤٣-١٥١ من نفس المرجع. ورد المعتزلة عليهم في أفعال العباد في شرح الأصول الخمسة ص٣٣٢.

٣- في (ف) (فهذا).

٤- في (ف) يكون مخلوقه لله و في (د) يكون مخلوق.

٥- الكسب الأشعري: يقول الأشاعرة: الأفعال مستندة إلى الله -تعالى- خلقا وإلى العبد كسبا بإثبات قدرة مقارنة للفعل. ولكن قدرة العبد غير مؤثرة، والمقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله، لكن الشيء الذي حصل بمخلق الله وكونه متعلق القدرة الحادثة هو الكسب .

انظر الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي مقابلة وطبع د. عدنان درويش ومحمد المصري ص١٦١-١٦٢ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

ويقال ثلاثة لأعلم لها حقيقة: أحوال أبي هاشم وطفرة النظام وكسب الأشعري، وحقيقة الكسب عند الأشاعرة يقترّب من الجبر كما ذكر المؤلف، ويقال : (أوهى

وما أثبتته من الكسب لا يتحقق الفرق بينه وبين الفعل، فكأن حقيقة قوله في أفعال العباد هو معنى قول جهم.

وأما سلف وأئمة الفقهاء وأهل الحديث وجمهور المنتسبين إلى السنة وطوائف من أهل الكلام^(١) من المرجئة^(٢) والكرامية وغيرهم؛

من كسب الأشعري، وأهل السنة أثبتوا للعبد قدرة مؤثرة، وبها يزول الاشكال. والقدرة غير المؤثرة لا تسمى قدرة.

١- أهل الكلام : الكلام هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين، ومتقدميهم كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار، وأما المتأخرون فلا يذكرون إلا الأصول المبتدعة وأعرضوا عن الكتاب والسنة، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمرجئة والكرامية وغيرهم، وأهل الكلام سبب في تسلط الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام، لا للإسلام نصرروا ولا للفلاسفة كسروا. وقد كثر اضطرابهم وحيرتهم وشكهم، وأقروا بذلك على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، وكانوا أكثر الناس شكا عند الموت. يوسعون العبارة، ويأتون بكل لفظ غريب ومعنى أغرب من اللفظ. فإذا وصلت لم تجد معك حاصلًا طلائعًا. تسمع جمععة ولا ترى طحنا. انظر مج جـ ١٠/٣٦٦-٣٦٧ جـ ١٨/٢٢٤-٢٢٥، ودرء تعارض العقل والنقل جـ ١٠٨/١٦٦ والأسماء والصفات للأشعر ص ٢١٦ وشرح الطحاوية ص ٢٠٨-٢١٠ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم جـ ٣/٤٥٥ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢- المرجئة : سمو المرجئة لقولهم بالإرجاء، وله معنيان أحدهما التأخير حيث يؤخرون العمل، والثاني : إعطاء الرجاء ؛ حيث قالوا: ((لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة)) ، وقيل معنى ثالث مقابل الشيعة أي وضع علي بن أبي طالب رابع الخلفاء خلافاً للرافضة.

وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة

فسلموا من هذه الأقوال الفاسدة ، ولم يصفوا الله بمخلوقاته، وإنما وصفوه بما يقوم به من صفاته وأفعاله.

وأما الحلولية الذين يصفونه ببعض أفعال المخلوقات، كما تقوله النصرارى في المسيح والغالية في الأئمة والشيوخ^(١) والقائلون بالحلول العام - كقول ابن عربي - :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه^(٢)
فهؤلاء فساد قولهم أظهر من هذا كله، وقول هذا المتخلف^(٣) يرجع إلى قول هؤلاء، وإن كان قد لا يلتزمه لو عرف أنه يلزمه.

وأما الخبر الذي / استشهد به من قوله: «استطعمتك» فلفظه في الصحيح يقول الله - تعالى -: «عبدني جئت فلم تطعمني، فيقول ربّ كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدني

الخالصة. وقد ذم السلف هذه الفرق. قال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الارحاء.هـ. أنظر التنبيه والرد للملطى ص ٥٧ والمقالات ج ١/ ٢٠٢، ٢١١ والفرق بين الفرق ص ٢٥ والملل والنحل ج ١/ ١٣٩ وعقائد الثلاث والسبعين ج ١/ ٢٧١-٢٧٤.

١- الغالية في الأئمة : هم غالية الشيعة وقد سبق التعريف بهم وكذلك، والغالية في الشيوخ هم طائفة من الصوفية ص ١٧٨.

٢- هذا البيت لابن عربي ونصه: ألا كل قول في الوجود (البيت) . ويتلوه

يعم به أسمع كل مكوّن فمنه إليه بدوّه
وختامه

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (ج ٤/ ١٤) طبعة ١٣٢٩ هـ مصطفى الحلبي دار الكتب العربية القاهرة.

٣- أي البكري.

فلاناً جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي، عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول ربّ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلو عدته لوجدتني عنده»^(١)، وهذا الخبر ليس فيه فعل للعبد، وإنما فيه جوعه ومرضه، ولكن ظن أن لفظة «استطعمتك»، وأنه جعل استطعام العبد استطعام الرب، وأيضاً فالخبر مقيد لم يطلق الخطاب إطلاقاً، وإنما بيّن أن عبده هو الذي مرض، وهو الذي جاع، وقال: «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» ولم يقل لوجدتني أكلته، وقال «لو عدته لوجدتني عنده» ولم يقل لوجدتني إياه». والحديث خطاب مفسر مبين أن الرب ليس هو العبد؛ ولا صفته صفته؛ ولا فعله فعله، أكثر ما فيه استعمال لفظ الجوع والمرض مقيداً مبيناً للمراد، فلم يطلق الخطاب إطلاقاً، وأيضاً

الرد على احتجاج
البكري بالحديث
القدسي جعت فلم
تطعمني

١- أخرجه مسلم في (كتاب السر والصلة، باب فضل عيادة المريض) رقم (٢٥٦٩) (ج٤/١٩٩٠) ولفظه «إن الله عز وجل - يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن الحديث». والإمام أحمد في المسند (ج٢/٤٠٤) ولفظه عن الله - عز وجل - أنه يقول «مرضت فلم يعدني ابن آدم، وطمئت فلم يسقني؟ فقلت: أمرض يارب! قال: يمرض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يعاد فلو عادته كان ما يعوده لي، ويظن في الأرض فلا يسقيني فلو سقي كان لي» ولم أجده بسياق المؤلف. قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه - سبحانه وتعالى -، والمراد تشريعاً للعبد وتقريباً له، قالوا ومعنى «وجدتني عنده» أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي... لو سقيته لوجدت ذلك عندي» أي ثوابه. والله أعلم.

١هـ. شرح صحيح مسلم للنووي ج١٦/٣٦١-٣٦٢.

فقد عِلِمَ المخاطب أن الرب لا يجوع ولا يمرض، فلم يكن تلييس لامن جهة السمع؛ ولامن جهة العقل، بل المتكلم يّئن فيه مراده، والمستمع^(١) لم يشتبه عليه، بخلاف ما إذا أضيف [الفعل]^(٢) إلى^(٣) العبد الذي يمكن منه الفعل؛ والفعل قد قام به، فإنه إذا جعل فعله فعل الرب لم يعقل هذا؛ إلا إذا أريد أنه خالقه، و[إذا]^(٤) أريد ذلك فالصواب أن يقال فعل العبد مخلوق للرب / ومفعول له، لا يطلق أنه فعله لما فيه من التلييس؛ ولما فيه من نفى فعل الرب؛ ولما فيه من نفى كون العبد فاعلاً، ثم إنه لافرق في ذلك [بين المقربين وغير المقربين بهذا الاعتبار]^(٥).

بل قد قال تعالى ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ [سورة مريم: ٨٣] كما قال -تعالى- ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ [سورة نوح: ١] ونوح محمود مقرب، والشياطين أعداء لله^(٦). وقال تعالى ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بآس شديد﴾ [سورة الإسراء: ٥] كما قال تعالى ﴿بعث في الأميين رسولا منهم﴾ [سورة الجمعة: ٢]

١- في (د) (له).

٢- كذا في (د) و(ف) و(ح) وفي الأصل (العقل).

٣- (إلى) سقطت من (د).

٤- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) (لأنه).

٥- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وفي الأصل و (ف) (هذا الاعتبار بين المقربين).

٦- في (ف) : تعالى.

وقال ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله﴾^(١) [سورة النحل: ٣٦] كما أنه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، فيخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن، وقد خلق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وخلق النبات والدواب كلها طيبها وخبيثها، فحجة الخلق عامة شاملة، فلو كان قوله «يسايعونك» وقوله «ولكن الله رمى» من الخلق الشامل والقيومية العامة؛ للزم أن يقال مثل ذلك في كل مبایع ورام، وإن كان من الكافرين، ولم يكن في ذلك خاصّة لمحمد ﷺ ولا فضل له على أحدٍ من المخلوقين .

وأما حديث الأولياء فليس من هذا الباب بالكلية، وإنما فيه «فبي يسمع وببي يصبر وببي يبطش وببي يمشي»^(٢) ولم يقل أنا أسمع وأنا

رد احتجاج
البكري بحديث
الأولياء

١- كذا في (د) و (ت) و الآية سقطت من الأصل و (ف) و (ح).

٢- حديث الأولياء أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب التواضع) جـ ٤/ ٢٠٣٩ رقم ٦٥٠٢ والبيهقي في السنن الكبرى، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله - تعالى - جـ ٣/ ٣٤٦ وفي الزهد الكبير للبيهقي أيضا تحقيق د. تقي الدين الندوى ص ٢٩٠ رقم ٦٩٠ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ الناشر دار القلم الكويت، والأسماء والصفات له أيضا تحقيق عماد الدين أحمد حيدر جـ ٢/ ٢٥١ باب ماجاء في التردد الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، والطبراني في المعجم الكبير جـ ٢/ ١٤٥-١٤٦ رقم ١٢٧١٩ وجـ ٨/ ٢٦٤ رقم ٧٨٨ وفي الأوسط كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠/ ٢٦٩-٢٧٠ وابن أبي الدنيا في الأولياء تحقيق محدي السيد إبراهيم ص ٢٧ الناشر مكتبة القرآن القاهرة ومكتبة الساعدي الرياض - السعودية، وأبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١/ ٤ الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، وهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف أعلاه انفرد به الحكيم الترمذي في ختم

أبصر، ولأنا أبطش ولا أنا أمشى، وقد [صرح]^(١) بالفرق فيه بين الرب والعبد من وجوه متعددة، كقوله: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»^(٢) ففرق بين نفسه ووليه وعدوه ووليه، ثم قال: «ما تقرب إلى عبدى / بمثل أداء ما فرضت عليه»^(٣) ففرق بين المتقرب والمتقرب

٢٠

الأولياء تحقيق عثمان إسماعيل يحي ص ٣٣٢ (طبعة المطبعة الكاثوليكية بيروت - لبنان) ولم يذكر سنداً للحديث. وسيورد المؤلف أجزاء من الحديث فيما بعد. قال ابن رجب إنه من غرائب الصحيح وقد روى من عدة وجوه لا تخلو كلها من مقال ا.هـ. جامع العلوم تحقيق شعيب الارنؤوط وإبراهيم باجس ج ٢/ ٣٣٠ وما بعدها (الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان). وقال ابن حجر في فتح الباري ج ١١/ ٤١٥: إن للحديث طرقاً يدل مجموعها على أنه له أصلاً ا.هـ. وقال ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تحقيق د. عبدالرحمن البيحي ص ٥٠ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار طويق الرياض - السعودية: هذا أصح حديث يروى في الأولياء ا.هـ. وجمع طرق الحديث وتكلم عليها السيوطي في القول الجلي في حديث الولي في كتاب الحاوي للفتاوى لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ج ٢/ ٩٢-٩٥ طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١- كذا في (د) و (ت) و في الأصل و (ف) و (ح) صح

٢- هذا الجزء من الحديث أخرجه البخاري ولفظه «... أذنته بالحرب...» ولفظ البخاري أخرجه البيهقي في السنن الكبرى والأسماء والصفات والزهد في الرواية الأولى وفي الرواية للزهد الثانية «... فقد استحل محاربتى...» والطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة «من أهان لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة» وكذا رواية أنس، ولم أجده بهذا السياق عند من خرج هذا الحديث، ولم يذكر هذا السياق ابن حجر في فتح الباري ج ١١/ ٤١٦ عند الكلام على روايات الحديث.

٣- أخرج هذا الجزء أبو نعيم في الحلية ج ٨/ ٣١٨-٣١٩ من حديث أنس والحكيم والترمذي في ختم الولاية ص ٣٣٢ الفصل السادس، وابن أبي الدنيا في الأولياء من حديث أنس بن مالك ص ٢٧ وغيرهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف.

إليه، ثم قال: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به .. إلى آخره»^(١)، فلم يقل كنت إياه، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر، ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع به، لأن العبد إذا صار لله فيما يحبه ويرضاه، ويحب ما يحب، ويغض ما يغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، فأحساسه وأفعاله [تقع]^(٢) به، وهذا فيما^(٣) في القلب نظير قوله فيما

١- هذا الجزء من الحديث أخرجه البخاري في (كتاب الرقاق، باب التواضع) ج٤/٢٠٣٩ رقم ٦٥٠٢ ولفظه «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وماترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مسأته».

وقال ابن حجر في فتح الباري ج١١/٤١٩ في شرح الحديث: بعد ذكر أقوال العلماء فيه، قال: وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه؛ من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات يصير في معنى الحق - تعالى الله عن ذلك -، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث «ولئن سألني، ولئن استعاذني» فإنه كالصريح في الرد عليهم ا.هـ. وكذلك رد على الاتحادية والحلولية في تمسكهم بهذا الحديث ابن رجب في جامع العلوم والحكم ج٢/٣٤٧.

٢- كذا في (د) و(ح) و في الأصل و (ف) يقع.

٣- في (د) : ما.

اللسان «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(١) فقال
تحركت بي؛ وإنما تتحرك باسمه، كذلك قوله: فبي يسمع وبي يبصر
وبي يبطش وبي يمشي، أي بما في قلبه من الإيمان بي، وقد يسمى هذا
المثال العلمي^(٢)، وهذا كثير في الكلام كقول القائل:
ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره^(٣)

١- أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾
وفعل النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي) تعليقا جازماً به (٢٣٥٠/٥) من حديث
أبي هريرة -رضي الله عنه- ولفظه: «قال الله -تعالى- : أنا مع عبدي حيثما
ذكرني وتحركت بي شفتاه» وفي رواية الكشميهني -أحد رواة البخاري-
«ما ذكرني» فتح الباري لابن حجر ج١٣/٦١١، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند
ج٢/٥٤٠ موصولاً. والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٨٧ والحاكم في المستدرک
ج١/٤٩٦ في كتاب الدعاء وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
ووصله ابن حجر وذكر طرقه في تعليق التعليق ج٥/٣٦٢-٣٦٤ باب قوله -
عز وجل- ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

٢- والمثال العلمي هو: أن محبة الله تستولي على قلب المحب بحيث يفنى بها عن
غيرها، ويغلب محبوبه على قلبه حتى كأنه يراه ويشاهده، فإن لم يكن عنده معرفة
صحيحة بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإلا طرق باب الحلول إن لم يلحظه.
والمثال العلمي غير الحقيقة الخارجية وإن كان مطابق لها، فمحله القلب ومحل
الحقيقة الخارج.

انظر طريق المهجرتين وباب السعادتین لابن القيم ص ٢٣ طبعة ١٤١٣ هـ على نفقة
محمد بن صالح بن سلطان ومج ج٢/٣٨٦ وجامع العلوم والحكم ج٢/٣٤٦.

٣- هذا البيت نسبة القشيري للجنيذ، قيل للجنيذ قل: لا إله إلا الله، فقال: مانسيته
فأذكره !! وقال:

حاضر في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

وقال آخر^(١)

ومن عجبني أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي^(٢)
وقد يسمى هذا حلولاً، لحلول معرفته ومحبته في العارف^(٣) المحب، وقد
غلط بعض الناس فظن أن ذات المعلوم المحبوب محل، وهذا غلط، كما
غلط من قال بحلول ذات الرب في بعض عبيده كالنصارى ومن ضاهاهم
من غلاة الشيعة، وجهال الصوفية.

الوجه الثاني قوله: (فإذا غلب على المقرب شهود القيومية / ورؤية

٢١ كلام البكري
في شهود القيومية

فهو مولاي ومعتمدي ونصيبي منه أوفــــره

انظر: الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري تحقيق د. عبد الحليم
عمود وعمود الشريف ج ٢/ ٥٩٦ باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا (طبعة
١٩٧٤) الناشر دار الكتب الحديثة - مصر .

١- في (د) : الآخر.

٢- في (ف) : أضلاعي. ولم أجد من ذكر قائل هذين البيتين.

٣- العارف: عند الصوفية قال السمرقندي: هو من أشهد الله على ذاته وصفاته وأسمائه
وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده. اصطلاحات الصوفية تأليف كمال الدين
عبدالرزاق الكاشي السمرقندي ص ٥٤ طبعة سلسلة إشاعة العلوم- القاهرة.
وقد جعل الصوفية من صفات العارف: الحيرة ودوام التفكير، حيرة في الله -
تعالى - والصمت والخوف ورحمة الناس والغيرة على محارم الله، وزاد ابن عربي
اطلاعه على الغيب من غير حجاب.

انظر من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د. محمد السيد الجليلند ص
١٢٧-١٢٩ الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية. وهذه
الصفات منها ماورد ذمه في الشرع كالصمت، وبعضها لا يتصف به مسلم
كالخيرة في الله، وبعضها كفر بالله -تعالى-.

التوحيد، كما جاء في مقام الإحسان^(١) «أن تعبد الله كأنك تراه»^(٢) نطق برد الأشياء إلى خالقها وغلب ذلك على نطقه).

فيقال: مشهد^(٣) القيومية يشهد فيه أن الله خالق كل شيء، وهذا الشهود العام يتناول مادخل من إيمان وكفر، وأما الإحسان الذي فيه «أن تعبد الله كأنك تراه» فهذا مقام من يميز بين المأمور والمحذور، فإن العبد إذا قدر^(٤) كأنه يشاهد ربه فعل مأمر به وترك مأنهى عنه، ووالى أولياء وعادى أعداءه، وهذا مشهد الإلهية^(٥) الذي دعت إليه الرسل؛ حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته، وليس هذا هو مشهد القيومية،

١- الإحسان : لغة: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير، وفي الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (التعريفات ١٢ باب الألف)

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان) ج ١/ ٤٠ برقم ٥٠ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ... الحديث» ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان) ج ١/ ٣٦ رقم ٨.

٣- في (د) شهدوا.

٤- في (ط) : صار.

٥- مشهد الإلهية: هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن إلهية ماسواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ماسواه كذلك، فلا أحد يستحق أن يؤله ويعبد، ويصلى له ويسجد، ويستحق -سبحانه- نهاية الحب مع كمال الذل، فهو المطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده وله الحكم وحده.

وهذا المشهد هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو أعلى من مشهد الربوبية الذي هو مشهد القيومية، ولذلك فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية. انظر طريق المحرتين لابن القيم ص ٤٤-٤٥.

ولكن من هو أكبر من هذا الرجل غلطوا في هذا، -فغلط مثل هذا لا يُنكر- لاسيما كثير من الشيوخ المعظمين عند هذا وأمثاله^(١)، فإنهم لا يفرقون بين هذا وهذا؛ بل ويُعدون نهاية العارفين الفناء^(٢) في توحيد

١- مثل ابن عربي وغيره، بل إن أكثر أهل الكلام لا يفرقون بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ولا يعرفون إلا توحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب.

٢- الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف الحمودة، والفناء: فناء أحدهما مذكرا وهو بكثرة الرياضة -كما زعموا- والثاني عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق. التعريفات للجرجاني ١٦٩ باب الفاء.

وقسم ابن تيمية الفناء إلى ثلاثة أقسام، فناء عن عبادة السَّوَى وهو: عبادة الله وحده وهو التوحيد، وفناء عن شهود السَّوَى وهو: الفناء عن شهود ماسوى الله، وهو الاصطلام، والثالث الفناء عن وجود السَّوَى وهو: قول أهل وحدة الوجود. انظر مج ج١/٣٧٠.

والمؤلف هنا يشير إلى القسم الثاني وهو الفناء عن شهود ماسوى الله، وهو الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدون غاية، وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤية الله بخلق الأشياء، وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه. فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها، ومشيمته لها، وقدرته عليها، وشمول قيوميته وربوبيته لها. ولا يشهد ما افرقت فيه من محبة الله لهذا وبغضه لهذا، وأمره بما أمر به، ونهيه عما نهى عنه، ومولاته لأوليائه ومعاداته لأعدائه.

انظر مدراج السالكين لابن القيم ج١/١٧٣-١٧٨ ولكن توحيد الربوبية لا يكفي في النجاة فضلاً عن أن يكون شهوده والفناء فيه هو غاية الموحدين ونهاية مطلبهم، فالغاية التي لا غاية وراءها ولانهاية بعدها هو توحيد الإلهية. انظر طريق المهجرتين ص ٣٠.

الربوبية وشهود القيومية والاصطلام^(١) في شهود القدر الجاري، ويقول أحدهم إن مشاهدة العارف المنتهي في القربة لحكم الله -الذي هو مشهد^(٢) مشيئته العامة- لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة.

وقد يقول أحدهم هذا العارف يكون الجمع^(٣) في قلبه مشهودا

١-الاصطلام: في عرف الصوفية هو الوله الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمنان. وقيل هو غلبات الحق الذي يجعل كلية العبد مغلوبة له بامتحان اللطف في نفى إرادته. انظر: اصطلاحات الصوفية الكاشي السمرقندي ص ٥، ومعجم مصطلحات الصوفية للحفني ص ١٧ حرف الألف.

٢-(مشهد) سقطت من (ف).

٣-الجمع في عرف الصوفية هو: شهود الأشياء بالله والتحرى من الحول والقوة إلا بالله. التعريفات للجرجاني ص ٧٧ باب الجيم.

وقال عبدالرؤوف المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف بتحقيق عبدالحميد حمدان ص ١٢٩-١٣٠ باب الجيم فصل الألف (الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ الناشر عالم الكتب القاهرة - مصر) : الجمع عند أهل الحقيقة (الصوفية): إشارة إلى حق بلا خلق، وقيل مشاهدة العبودية وقيل الفرق مانسب، والجمع ماسلب عنك، ومعناه: أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وابتداء لطائف وإحسان فهو جمع، ولا بد للعبد منهما، من لا تفرق له لاعبودية له ومن لا جمع له لامعرفة له. وجمع الجمع: مقام أتم وأعلى من الجمع ا.هـ.

والصواب أن الجمع ينقسم إلى قسمين: الأول: الجمع ويراد به جمع الوجود وهو يزيل التفرقة بين الرب والعبد، والخالق والمخلوق، والقديم والحديث. وهذا جمع الملاحظة القائلين بوحدة الوجود، وهذا أبطل الباطل. والثاني: الجمع ويراد به الجمع

والفرق^(١) على لسانه موجودا ومرادهم بالجمع شهود القدر.

وهؤلاء غاية تحقيقهم شهود التوحيد الذي أقر به عباد الأصنام^(٢) العرب، كانوا يُقرون بأن / الله خالق كل شيء وربّه ومليكه؛ كما أخبر الله عنهم في القرآن في غير موضع، كقوله تعالى ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ *سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم *سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ [سورة المؤمنون : ٨٤-٨٩] وقال تعالى ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان : ٢٥] وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم احتجوا في ذلك بقوله^(٣) ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا

بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وهذا هو الجمع الصحيح. مدراج السالكين جـ ٣/٤٤٥.

١- الفرق في عرف الصوفية هو: تكثر الواحد بظهوره في المراتب التي هي ظهور شؤون الذات الأحدية. وتلك الشؤون في الحقيقة اعتبارات محضة لا تحقق لها إلا عند بروز الواحد بصورها. التعريفات للخرجاني ص ٦٦ باب الفاء.

والصواب أن الفرق ينقسم أيضاً إلى قسمين الأول: الفرق بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق، ويقابل جمع الملاحدة، ويقولون الجمع ما سقط هذا الفرق، وهذا هو الفرق الصحيح. والثاني: الفرق بين الهمة والإرادة، ويقابل الجمع الصحيح أي الجمع بين الإرادة والطلب على المراد المطلوب وحده، وهذا الفرق مضموم. مدراج السالكين جـ ٣/٤٤٥.

٢- في (د) فإن عباد الأصنام من العرب.

٣- في (د) تعالى.

ولا ءابأؤنا﴾ [سورة الأنعام : ١٤٨] .

وقد ظن طائفة من المثبتين للقدر أنهم قالوا هذا على سبيل
التكذيب بالقدر والاستهزاء به^(١)؛ لقوله ﴿كذلك كذب الذين من
قبلهم﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨] ، وبهذا أجابوا القدرية لما احتجت^(٢)
عليهم بهذه الآية، وهذا غلط، فإن العرب كلهم كانوا يثبتون القدر،
ويقرون أن الله خالق كل شئ وربهم ومليكه فلم يكونوا مكذبين
بذلك، ولا ذمهم الله - سبحانه - على التكذيب بالقدر؛ بل على
الاحتجاج به على إبطال الأمر والنهي، وقوله ﴿كذلك كذب الذين من
قبلهم﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨]، أي كذبوا بالأمر والنهي الذي جاءت
به الرسل، فإن هذا هو تكذيب الذين من قبلهم؛ الذين ذكر الله في
القرآن، ولهذا قال ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ [سورة
الأنعام: ١٤٨] أي فإن المحتج بالقدر لا يحتج به إلا إذا لم يكن عنده علم؛
بل يتبع هواه، فإنها حجة متناقضة، إذ لو احتج عليه بالقدر لما قبل هو
ذلك منه^(٣)، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

فمن كان غاية توحيده شهود القيومية والربوبية العامة؛ كان قد
شهد ما أقر به المشركون، ولم يكن قد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله، وإنما يشهد ذلك من شهد الفرق بين المأمور والمحذور،

١- مثل التفاتزاني في شرح المقاصد ج٤/ ٢٧٤.

٢- في (د) أحتججت.

٣- قرر هذا المعنى الذي ذكره المؤلف ابن جرير الطبري انظر تفسير الطبري
ج٥/ ٣٨٧-٣٨٨ ونقل إجماع أهل التفسير على هذا.

ذم المشركين في
آية الأنعام
لاحتجاجهم
بالقدر على إبطال
الأمر والنهي

الأقرار بتوحيد
الربوبية لا يدخل
الإسلام

وبين أولياء الله وأعدائه، وبين توحيدهِ والاشراك به، و^(١) عَبَدَ الله كأنه يراه، وهذا شهد الفرق في الجمع؛ فهو مع شهود القيومية؛ يشهد أنه^(٢) الإله المستحق للعبادة دون سواه، ووجوب طاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، ويستعينه على فعل مأمور وترك ما حظر، وشهوده أنه خلق الملائكة والشياطين؛ (لا يحجبه عن أن يشهد أن الملائكة أولياؤه والشياطين أعداؤه، وكذلك شهوده أنه خالق أفعال العباد)^(٣)؛ لا يحجبه عن أن يشهد [أنه يحب]^(٤) الإيمان والعمل الصالح، ويرضاه ويكرم أهله ويقربهم إليه، وينهى عن الكفر والفسوق والعصيان ويمقت أهله ويعاقبهم، فمن غلط هذا؛ ظن أن مجرد شهود القيومية هو شهود^(٥) المقرين، وظن أن هذا هو عبادة الرب، كأنه يراه.

و من هؤلاء (من يظن)^(٦) أن من^(٧) شهد القيومية سقط عنه الملام ، ومنهم من يقول إن الخضر^(٨) سقط

١- سقطت الواو من (د).

٢- في (د) أن وهو خطأ.

٣- ما بين القوسين سقط من (د) و (ح) و بهامش (ف):

٤- ما بين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٥- في (ف) شهد.

٦- ما بين القوسين سقط من (ف).

٧- (من) سقطت من (ف).

٨- الخضر هو صاحب موسى -عليهما السلام- اختلف في اسمه، ونسبه، ونبوته، وقد قيل فيه أقوال كثيرة، قال ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضر (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) ج-٢/١٩٨: كان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن السولي

عنه الملام لشهوده^(١) القيومية، وهذا كله باطل، وطرد هذا القول

أفضل من النبي .١.هـ، وقد وردت آثار ضعيفة وموضوعة في تعميره حتى يكذب الدجال، وقد تتبع ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٤٥٩-٤٦٠ الأخبار الواردة في حياته ثم قال: وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم. وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات الواردة لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد، وما كان منها صحيحاً فهو عن غير معصوم، وذهب جماهير العلماء إلى أنه مات منهم البخاري وإبراهيم الحربي وألف ابن الجوزي كتاب "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" ونصوص الكتاب والسنة تدل على موته .١.هـ.

وقد استدل الصوفية بقصة الخضر في الحقيقة والشريعة، وفي طاعة المريد لشيخه طاعة مطلقة وغيرها، وأشد وأدهى تمثل الشياطين لهم وأدعائها أنها الخضر، وسبب ذلك طمع الشياطين بهؤلاء، قال المؤلف في مج جـ ٣٩٢/٧: لم يقل أحد قط من الصحابة: أن الخضر أتاه ولا موسى، ولا عيسى، ولا أنه سمع رد النبي ﷺ عليه .١.هـ. ويوجد في بعض بلدان العالم الإسلامي مشاهد يدعون أنها للخضر. انظر: مج جـ ٢٧٠/١٠٠-١٢٠ وكتاب فوائد حديثة تأليف ابن القيم تحقيق مشهور بن حسن وإياد القيسي ص ٨١ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية) والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٣٣٥/١ وما بعدها، والزهر النضر في نبأ الخضر (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) جـ ١٩٥/٢ وما بعدها، والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة تأليف أحمد الحصين (الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار البخاري بريدة - السعودية) وشبهات التصوف تأليف عمر قريشي ص ١٧٥ وما بعدها (الناشر دار الهدى القاهرة - مصر) والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم صادق ص ٤٦٥ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية وغيرها كثير.

١- في (د) شهوده.

يجر إلى شرٍّ من أقوال اليهود^(١) والنصارى، فإن اليهود/ والنصارى يميزون في الجملة بين أمور منكرة، كما يميزون بين الصدق والعدل وبين الكذب والظلم، وهؤلاء إذا شهدوا القومية العامة؛ لم يميزوا بين المعروف والمنكر، ولا بين الصدق والكذب والعدل والظلم، وهم^(٢) في هذا النفي لا يثبتون؛ بل يميزون تمييزاً طبيعياً لا شرعياً، فيفرق أحدهم بين ما يهواه وبين ما لا يهواه، فيطلب هذا وينفر عن هذا ويمدح من وافق غرضه، ويذم من خالف غرضه، ولهذا كان هؤلاء نهاية سلوكهم هو الفناء والجمع والاصطلام، لا يحبون ما أحب الله، ولا يبغضون ما أبغض الله، فإن الإرادة والمحبة والرضا سواء عندهم^(٣)، كما تقول القدرية من

هل الإرادة تستلزم الرضا والمحبة؟

١- اليهود : هم أمة موسى -عليه السلام-، وكتابتهم التوراة، وهم بنو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب -عليه السلام- وسموا باليهود قيل من هاد أي: رجع وتاب لقول موسى ﴿إنا هدنا إليك﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، وقيل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب. ولليهود قصص مع موسى، وانحرافات كثيرة فصلها الله في كتابه. وهم فرق كثيرة. ولم يستقر اليهود على التوحيد بل انخرقوا إلى التحسيم والتعدد وعبادة الأوثان، وإلههم اسمه يهوه وهو ليس معصوما ويأمر بالسرقة، ويضل الطريق، ويسير إمام بني إسرائيل. ويدعون أن هذا الإله لهم خاصة، فهم شعب الله المختار ولهم اعتقادات أخرى. انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١/ ٢١٠-٢١٩.

٢- في (د) : فهم.

٣- هل الإرادة تستلزم الرضا والمحبة؟ الخلاف في هذه المسألة على قولين: القول الأول : أن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة، وهذا قول الجهمية والمعتزلة وأغلب الأشاعرة، واختلفوا فيما يقع من الكفر والمعاصي هل هو محبوب لله لكونه مراداً له؟ فقالت المعتزلة القدرية: قد عُلِمَ أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولا يحب الفساد، ولا يرضى الكفر والمعاصي، فلما كان هذا ثابت لزم أن تكون المعاصي ليست

المعتزلة وغيرهم.

لكن أولئك قالوا هو^(١) لا يحب الكفر والفسوق والعصيان فلا يريد، فيكون مايقع من ذلك بدون مشيئته وقدرته، فيكون ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون.

مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشاعرة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته، وهو خالقه، وعلى هذا فالكون كله، قضاؤه وقدره، وطاعته ومعصيته، وخيره وشره، محبوب لله، لأنه يريد له وخالقه وقد حاول بعض الأشاعرة التخفيف من الألفاظ وبعضهم تجنب التصريح بذلك ونهى عنه.

والقول الثاني: أن الإرادة لاتستلزم الرضا والمحبة، وهو قول عامة أهل السنة المثبتين للقدر، قالوا: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها. وأن الإرادة في كتاب الله نوعان إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات فالإرادة الدينية هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل مالا يريد الله، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به، والإرادة الكونية هي المذكورة في قول المسلمين. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. انظر الفصل لابن حزم ج ٣/١٧٩-٢٠٠ وشرح الأصول الخمسة ص ٤٥٩ وما بعدها، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني تحقيق أسعد تميم ص ٢١١-٢١٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت-لبنان) وشرح المقاصد ج ٤/٢٧٤-٢٨١، ومج ج ١١/٣٥٦-٣٥٨ ج ٨/٢٤٠-٢٤١، وشفاء العليل لابن القيم ج ١/١٤١-١٤٢، وشرح الطحاوية ص ١١٣-١١٤، ٢٥١، ٢٤٧، والقضاء والقدر تأليف د. عبدالرحمن المحمود ص ١٩٦-٢٠٠.

وقال هؤلاء: هو أراد الكفر والفسوق والعصيان فهو يجب ذلك ويرضاه، وإن كان لا يريده^(١) ديناً؛ بل يريد تنعيم من أطاعه وتعذيب من عصاه.

ثم قال هؤلاء: هذا الفرق يعود إلى حظوظ^(٢) أنفسهم، فالعارف الفاني عن حظوظه في شهود قيوميته لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة.

ثم قالوا: والأنبياء والصديقون يقومون بالفرق لأجل العامة، رحمة بهم، وهذا عندهم من التلبيس الذي أمرت به الخاصة /، وهم يطنون ما يظهرون، فإنه يكون الجمع في قلوبهم مشهوداً، والفرق في ألسنتهم موجوداً، فالقائم بالفرق عندهم لا يكون إلا واقفاً مع حظه أو ملتبساً^(٣) بإيمانه لأجل غيره، إذ لا فرق بنسبة إلى الله عندهم .

٢٥

ومن عرف ما جاءت به الرسل من إثبات محبة الله ورضاه، وفرحه بتوبة التائبين وسخطه وغضبه ومقته لمن عصاه، وعرف أن الفرق ثابت بالنسبة إلى القدر مع شمول المشيئة لكل واقع؛ وصار على ملة إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فأحب الله وأحب ما يحبه الله، كان متابِعاً لما أمر الله به وأحبه ورضيه، ولم يكن مع مجرد الإرادة .

فإن هؤلاء دخلوا بإرادة أنفسهم فانتهوا إلى الإرادة الخلقية، ومن دخل بالإرادة التي هي أمر الله ونهيه مصداقاً لما أخبر الرسول من الفرق الثابت في كتاب الله وأفعاله، كان على دين الإسلام الذي أرسل الله

١- في (ف) : يريد وهو خطأ.

٢- حظوظ جمع حظ وهو النصيب . المصباح المنير تأليف أحمد الفيومي المقرئ ص ٥٤ الحاء مع الظاء ومثلتهما [كذا بالأصل] الناشر مكتبة لبنان بيروت - لبنان.

٣- في (ف) ملتبساً .

به رسله وأنزل كتبه، على ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ؛ ومن لم يقل بالفرق في نفس الأمر فإنه خارج عن حقيقة الإيمان كما أنه خارج عن شريعة الإسلام، فليس معه حقيقة إيمانية، ولا شريعة إسلامية، وإنما معه حقيقة خلقية قدرية أقر بها عباد الأصنام الذين هم مشركون، وذلك أن شهود القيومية بلا جمع ممتنع طبعاً وشرعاً، فمن لم يشهد الفرق الشرعي الإلهي؛ وإلا كان مع الفرق الطبيعي النفساني أو مع فرق آخر شيطاني.

اتباع الانحادية
الحلولية وأهل
الرحدة للشياطين

فمن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴿[سورة الزخرف: ٣٦-٣٨] وذكر الرحمن يراد به الذكر الذي أنزله الله، كما قال تعالى ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ * ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [سورة طه: ١٢٣-١٢٦] فمن أعرض عن هدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ فلم يفرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه، كان معرضاً عن ذكره المنزل، فيقيض له شيطاناً يصدّه عن سبيل الله؛ فيفرق بمجرد هواه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، ولو كان مثل هذا ذاكرةً لله ولم يشهد إلا القيومية العامة، لم يشهد ما جاء به الكتاب المنزل من الفرق فإنه يكون من أعظم أتباع الشياطين.

ولهذا يوجد الشيوخ العباد^(١) والزهاد من هؤلاء يتبعون شياطين
الإنس والجن، فيكون أحدهم من خفراء الكفار وأعوانهم، ومنهم من
يحسن الظن^(٢) بالكفار وأعوانهم ونظرائهم [فيحسبهم]^(٣) من أولياء
الله المتقين؛ لاسيما إن رأى من الأحوال الشيطانية ما يغريه، مثل أن
يخبره ببعض الغائبات، أو يحصل له نوع من التصرفات فيطير به
الشیطان في [الهواء]^(٤)، ويحضر له طعاماً وغير ذلك، كما كان يحصل
لعباد الأصنام مع الشياطين، وهذا التوحيد توحيد الربوبية العامة، كان
المشركون يقرون به فهو وحده لا ينجلي من/ نار ولا يدخل الجنة^(٥).

بل التوحيد المنجلي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بحيث

٢٧

التوحيد الذي
جاءت به الرسل
هو توحيد
الألوهية

١- في (د) و (ح) و العباد.

٢- بياض في الأصل و (د) و (ف) و (ح) بمقدار كلمة، وليس في الكلام سقط كما
يتضح من السياق.

٣- بياض في الأصل و (د) و (ف) و (ح) بمقدار كلمة، وما بين المعقوفين يقتضيه
السياق، وكذا في (ط).

٤- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) (الاهوا) وفي (د) (الهوى).

٥- وقد ذكر المؤلف هذه الأحوال الشيطانية في كثير من كتبه انظر التوسل والوسيلة
ص ٣٠٠-٣٠٣ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٣٢٨-٣٣٢ ومج
ج ١١/٦١١-٦١١، وغيرها وذكرها غيره من أهل العلم. مثل: أكام المرجان في
عجائب وغرائب الجان تأليف بدر الدين أبي عبد الله الشبلي ص ١٢٤ وما بعدها
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان، وكتاب عالم الجن
والشياطين تأليف عمر سليمان الأشقر ص ٨٣ وما بعدها الطبعة الثانية الناشر دار
الكتب العلمية بيروت - لبنان، وحقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي
السيداني ص ٨٠-٨٣ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار الحارث الخرطوم -
السودان.

يُقر بأن الله هو المستحق للعبادة دون ماسواه، وأن محمداً رسوله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن عصى الرسول فقد عصى الله، فيحل ماحلله الله ورسوله، ويحرم ماحرمه الله ورسوله ويأمر بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله^(١).

١- معرفة الناس لربهم من لوازم خلقهم، وآيات الكتاب العزيز والسنة وأقوال العرب وأشعارهم في الجاهلية، تدل على أن الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، ضروري فيهم وإن قدر أن الإقرار بالرب - تعالى - أنه يحصل بسبب يعرض للإنسان في حياته فهو في الحقيقة يظهر بذلك ويبرز، وأصل الإقرار بالله - تعالى - والاعتراف به ربا مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وهذا والله أعلم - هو الإقرار والشهادة المذكورة في قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢] وغيرها من الآيات التي ذكر الله فيها إقرار العرب بربوبية الله، ولهذا صار الإقرار بوجود الله - تعالى - مما لا يحتاج إلى برهان، فإن الفطر الإنسانية السليمة تشهد بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على خالق حكيم، قادر عليم ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠] انظر: أول واجب على المكلف للشيخ عبد الله الغنيان ص ١٦-١٨ الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور مصر، وشرح الطحاوية ص ٧٩.

وقد غلط أهل الكلام غلطاً فاحشاً في قولهم إن أول ما يجب على المكلف النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم. انظر الإرشاد للحويني ص ٢٥ وتابعهم في ذلك بعض الصوفية وغيرهم، ولذلك لا يهتمون بالتوحيد الأعظم توحيد الألوهية ولا يوجد له ذكر في كتبهم، ولعل هذا هو السر في انخراط كثير منهم - وبالذات الأشاعرة - في بدع التصوف، وإقرارهم للوسائل الشريكية التي ترتكب عند أضربة المشايخ المقبورين. انظر دعوة التوحيد تأليف د. محمد خليل هراس ص ٢٣١ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وأشهر من عُرف

تجاهله وتظاهرة إنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن، والمادية الحديثة التي كفرت بفكرتها ولعنت أصنامها.

ولذلك لم يرد في القرآن الكريم الاستدلال على وجود الخالق - سبحانه وتعالى - . ومن تاب من أهل الكلام أنكر عليهم إقامة البراهين على وجود الله - تعالى - .

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في نهاية الإقدام ص ١٢٣-١٢٤ (طبعة الفردجيوم الناشر مكتبة المتنبى القاهرة - مصر): أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا مانقل عن شاذلية قليلة من الدهرية أنهم قالوا العالم كان في الأزل أجزاء ماثولة تتحرك على غير استقامة واصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم ... ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف به لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازاً من التعليل، فما عدت هذه المسألة من النظريات التي يقيم عليها برهان فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبدهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ﴿أفبى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ ... ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق التوحيد ا.هـ.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب ؛ هو توحيد الإلهية، وهو يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [سورة النحل: ٣٦] وهو الذي جاء في السنة وعن السلف و هو العلة في خلق الخلق . انظر تفسير قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] عند ابن جرير الطبري في تفسيره ج ١١/ ٤٧٥- ٤٧٦ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج ٤/ ٢٣٨ والأدلة على هذه المسألة

وهذا المقام غلط فيه كثير من السالكين، لم يميزوا بين الأول والثاني^(١) ولو طردوا قولهم لخرجوا من الدين كما تخرج الشعرة من العجين.

وإنما طرده حذاق الملحدين منهم^(٢) الذين يقولون: السالك يشهد أولاً طاعة ومعصية، ثم ثانياً يشهد طاعة بلا معصية؛ وهو شهود القيومية،

طرد قول الصوفية
في التوحيد خروج
من الدين

كثيرة وما خفيت هذه المسألة على بعض الناس إلا لتركهم منهج المرسلين، وبعدهم عن الآثار النبوية.

وللتوسع: انظر كتاب التوحيد لابن منده ص ٧١ وما بعدها، وهداية المريد لتحصيل معاني كتاب تجريد التوحيد المفيد لتقي الدين المقرئزي تعليق وضبط أحمد طاحون ص ١٠ وما بعدها (طبعة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي القاهرة - مصر) ورسالة في وجوب توحيد الله للعلامة محمد علي الشوكاني تحقيق د. محمد ربيع مدخلي ص ٥٩ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار القاهرة - مصر) والعلم الشامخ في تفضيل الحق على الأبناء والمشايخ للعلامة صالح المقبل ص ٨ وما بعدها وبهامشه كتاب الأرواح والنوافح له أيضاً (الناشر مكتبة لبنان دمشق - سوريا) ودعوة التوحيد تأليف د. محمد خليل هراس ص ٢٩ وما بعدها، والقضاء والقدر في الإسلام تأليف د. فاروق الدسوقي ج ١/ ٨٧ وما بعدها (الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) والقول الرشيد في حقيقة التوحيد تأليف سليمان العلوان ص ١٩ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار المنار - الرياض - السعودية) وكتب كثير من العلماء المحققين طافحة ببيان توحيد الألوهية وأهميته مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة السلفية في نجد، والشيخ محمد رشيد رضا والسهرسواني وغيرهم كثير تركنا ذكرهم للاختصار.

١- في (د) (من توحيد الربوبية و توحيد الألهية) وهو تفسير الأول و الثاني.

٢- كابين عربي وابن الفارض والفاجر التلمساني وابن سبعين وغيرهم.

ثم لا تبقي لاطاعة ولا معصية وهو مشهد الوحدة^(١) عندهم، ولهذا يقول بعض شيوخ هؤلاء: أنا كافر برب يعصى، ويقول: لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا.

ويقول الآخر وهو ابن عربي :

الربُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبدٌ فذاك ميتٌ أو قلت ربُّ أنى يكلف^(٢)

والكلام (على هذا)^(٣) مبسوط في غير هذا الموضع وإنما الغرض التنبيه على موضع الغلط والاشتباه.

الوجه الثالث: قوله (إن المقرب إذا غلب عليه هذا، نطق برد الأشياء إلى خالقها وغلب ذلك على نطقه).

كلام البكري في
المقرب إذا شهد
مشهد القيامة

فيقال: سيد المقربين محمد ﷺ وهو الذى قاتل الكفار وكان يأمر بقطع [يد]^(٤) السارق ورجم الزاني وجلد الشارب، ويأمر بالمعروف

رد ابن تيمية

١- في (ف) : الوجد، ومشهد الوحدة هو: في عرف الصوفية أن لا يشهد فيه رباً وعبدًا، وخالقا ومخلوقا، وأمرا ومأمورا، وطاعة ومعصية بل الأمر كله واحد فيكون السالك عندهم في بدايته يشهد طاعة ومعصية، ثم يرتفع عن هذا الفرق بكشف عندهم حتى يشهد الأفعال كلها طاعة لله لا معصية فيها، وهذا ناقص عندهم أيضاً إذ هو متضمن للفرق، ثم يرتفع عندهم إلى مشهد الوحدة وما ثم غير. طريق المهجرتين لأبن القيم ص ٢٦٠ وانظر أيضا ص ٢٤٤/١١ .

٢- الفتوحات المكية لابن عربي ج١/٤٢ تحقيق د. عثمان يحيى طبعة ١٣٩٢ هـ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣- ما بين القوسين سقط من (د).

٤- كذا في (د) و(ح) و سقطت من الأصل و (ف).

٢٨

وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث؛ فلو غلب عليه مشهد القيومية / وأن الأشياء جميعها مخلوقة لله؛ ولم يشهد مافيها من الفرق؛ لَمَا كان ينبغي أن يأمر أحداً، ولا ينهى أحداً، ولا يقتل أحداً، ولكن ينبغي أن يرد كفر الكافرين وفسق الفاسقين إلى الخالق، كما قال^(١) [في]^(٢) قوله «ولكن الله حملكم»^(٣)، وبين أن يقال -والعياذ بالله- ولكن الله كفر وزنا وسرق وشرب الخمر، فهل يقول هذا مؤمن أو عاقل؟ وقوله ﷺ «ولكن الله حملكم» سنذكره إن شاء الله .

وإلا مشهد القيومية شامل لجميع الفعل، وإن فرق بين خلق الله لحملهم وكلامهم ولفعلهم ولتكذيب^(٤) المكذبين.

أفترى الرسول ﷺ ما كان ليشهد القيومية في بعض الأشياء، وهو أعلم الخلق بالله، ومشركو العرب كانوا مقرين بأن الله رب كل شيء، وهم يقرون بمشهد القيومية.

الوجه الرابع: أن يقال له: مَنْ مِنَ المقرين كان يقف عند مشهد

١- بياض في الأصل و(ف) بمقدار سطر وفي هامش الأصل (بياض في الأصل). وفي الجملة سقط. وكذلك الجملة التي بعدها.

٢- ما بين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- هذا جزء من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، أخرجه البخاري في (كتاب الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين) ج٢/٢٦٥ رقم ٣١٣٣ بلفظه. وسيأتي تخريج الخبر كاملاً في ص ٢٥٠.

٤- في (ف) والتكذيب -بزيادة ألف-.

القيومية، فيرد جميع الأفعال إلى [الخالق]^(١) من غير أن يشهد أنها أفعال لفاعليها يستحقون عليها المدح والذم، والثواب والعقاب.

وهذا القرآن ينطق عن جميع الأنبياء والمرسلين - وهم سادات المقربين - بأنهم كانوا يفرقون بين المعروف والمنكر، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، ويأمرون بعبادة الله وحده، وينهون عن عبادة ماسواه، ولو لم يشهدوا إلا القيومية التي ترد فيها الأفعال إلى خالقها، لم يأمرُوا ولم ينهوا ولم يمدحوا ويذموا، فإن العبد لا يأمر الله ولا ينهاه ولا يذمه ولا يعاقبه.

سادات المقربين
يفرقون بين الأمر
والنهي

والأ/نبياء كلهم على شهود الفرق، ومدح المحسن وذم المسيء، وإن كانوا مقرين بأن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه، فشهود القيومية العامة لا يناقض؛ أن يفعلوا ماأمروا به، وأن يأمرُوا الخلق بعبادة الله وحده، وينهونهم عن عبادة ماسواه.

٢٩

بل عامة بني آدم من المسلمين والكفار يقرون بالقدر وبهذه القيومية، وهم مع هذا يثبتون الفرق بين المطلوب والمرغوب، ويمدحون من فعل ما يوافق مرادهم، ويذمون من خالف ذلك، ولا يرون الإقرار بالقيومية مناقضاً لذلك.

الوجه الخامس: قوله: (فيكون المعنى حينئذ كما وردت الآية أن البيعة وإن كانت له في الصورة فهي مع ربه في المعنى، وكذا ما كان من الرمي فكأنه يقول: الاستغاثة وإن وقعت بي فإني لست المستغاث به في

كلام البكري في
الاستدلال بالبيعة
على جواز
الاستعانة

١- كذا في (ت) و(ط) وفي الأصل و(د) و(ف) و(ح) "الخلق" وهو خطأ.

المعنى، إنما المستغاث به الله -عز وجل-).

فيقال: قد تقدم بيان فساد أصل^(١) هذا الكلام، ثم نقول قوله: (هي مع ربه في المعنى) أتريد به أن الله هو المرسل الذي أمره أن يبايعهم على الجهاد، وأمرهم بالجهاد، وهو الذي ثبتهم على الوفاء؟ أم تريد^(٢) أن الله هو الذي خلق البيعة؟ فإنه خالق كل شيء، والقيومية شاملة لكل شيء، أم تريد^(٣) به معنى ثالثاً؟ فإن أردت الأول فهو صحيح؛ ولكن يناقض قولك، فإن هذا مختص بمن يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه، [و]^(٤) لم ينزل الله أحداً منزلة نفسه في الأفعال، ولا جعل الله أفعال محمد كصومه وصلاته وحجه واعتمازه وجهاده ونكاحه وأكله وشربه ودعائه وتضرعه فعلاً له، ولا جعل نفس مبايعته للمؤمنين/ فعلاً له، بل جعل المبايع له إنما يُبايع مُرسِله والجزاء عليه، كما جعل من أطاعه فقد أطاع الله، فهذا فعل^(٥) خاص؛ ليس عاماً في كل أفعاله.

وأيضاً فلم يجعل هذا الفعل فعل الله؛ بل أخبر أن محمداً رسول الله يبايع عنه والمبايعه لمُرسِله في الأصل، كما^(٦) أن الطاعة طاعة لمرسله في الأصل، وكما أن معاملة الوكيل معاملة مع موكله، وليس في

١- في (ف): أهل، وقد تقدم في ص ١٧٩.

٢- في (د) تريدون.

٣- في (د) تريدون.

٤- كذا في (ف) وسقطت من الأصل و(د) و(ح).

٥- (فعل) سقطت من (د).

٦- في (ف) (وكما).

هذا إسقاط فعل الوكيل^(١) عن أن يكون وكيلاً، وإنما فيه إثبات النيابة له عن غيره، وإن أردت أن الله خالق بيعته فهذا المعنى صحيح عند أهل السنة المثبتة للقدر، الذي هو خلق الله خلافاً لنفاته.

ولكن إذا فسرت الآية بهذا سويت بين الأنبياء والشياطين، وبين آدم وإبليس، وموسى وفرعون، وبين أولياء الله وأعدائه، ولزمك أن تقول كفر الكافرين في الصورة ولربهم في المعنى، ولعنه^(٢) للكفار هو للكفار في الصورة ولربهم في المعنى، وأيضاً فيقال لك المبايع في المعنى من الرسول وفعل من الصحابة؛ فعلى هذا التقدير يلزمك : (أن يكون الله بايع في المعنى، لأنه خالق للأفعال كلها، وإلا فإذا جاز أن يقول البيعة له في الصورة ولربه في المعنى، لكون الله خالقه وخلق^(٣) فعله؛ لزمك^(٤) أن تقول : بيعته لهم بيعه لله^(٥) في المعنى، لأن الله خلقهم وخلق أفعالهم.

ويلزمك على هذا التقدير أن تقول : إن الذين بايعتهم إنما بايعت الله، وطرده أن من قاتل شخصاً فإنما قاتل الله، ومن بايعه فإنما بايع الله، بل يلزمهم أقبح من هذا وهو أن من لأمه أو جامعته أو ضاجعه فإنما يفعل ذلك مع الله،/ فإن أصل هذا القول أن الله لما كان خالقاً لأفعال العباد، كان الفعل لهم في الصورة وله في المعنى، وهذا عام في كل الأفعال في

٣١

١- في (د): عنه -زياده-.

٢- في (د) (أو لعنته).

٣- في (د) في (خالق) .

٤- ما بين القوسين سقط من (ف).

٥- في (د) (الله).

الخير والشر، وإن أردت معنى ثالثاً فبيّنه.

كلام البكري في
الصورة والمعنى

الوجه السادس قوله: (البيعة وإن كانت في الصورة له فهي مع ربه، إذا لم يرد معنى الإرسال والتبليغ المختص بالأمر والنهي، كان مقتضاه أن الرسول لم يفعل شيئاً ولا بايع، ولكن الرب هو الذي فعل ذلك في المعنى). وهذا إن أُريد به خلق الأفعال، فقد تقدم بطلان إرادة ذلك هنا، وإن أُريد^(١) به الحلول بأن يكون الرب - سبحانه - هو المتكلم على لسان الرسول، كما أن الجنّي يتكلم على لسان المصروع، (فالكلام في الصورة للمصروع)^(٢) وفي الباطن للجنّي فهذا هو الكفر الصريح، وهذا مذهب النصارى، وهؤلاء يشبهون النصارى في كثير من أمورهم، ولهذا سُلط عليهم النصارى، يُهينونهم كما أهانوا أهل هذا الشخص وأمثاله.

رد ابن تيمية

وكنْتُ أقول لهم: إن الله وعد بنصره المؤمنين على الكافرين، وأنتم مشابهون للنصارى، وفيهم من هو أكفر من النصارى وأعظم إلحاداً ونفاقاً من النصارى، وكثير من بُغْضُهُم للنصارى إنما هو لهوى وحظ كونهم لهم في الدنيا رياسة ومال أكثر^(٣) منهم، لا يبغيضونه لأجل كفرهم ودينهم، إذ كانوا مشاركين لهم في كثير منه^(٤)، وبعضهم أشد كفراً ونفاقاً من النصارى، وبعض النصارى أكفر منهم. وطائفة من شيوخهم يميلون إلى النصارى أكثر من المسلمين، ويأمرونهم

١- (أريد) سقطت من (ف).

٢- ما بين القوسين سقط من (د).

٣- في (د) و(ح) كثير.

٤- في (د) مهم.

٣٢ بالبقاء على دينهم، ويقولون إذا صرتم محققين/ على طريقتنا فلا حاجة بكم إلى الإسلام، بل دوموا على النصرانية.

ثم إن الآية يمتنع أن يراد بها الحلول فإنه قال ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠] ويد النبي ﷺ كانت مع أيديهم لافوقها، فلم تكن يده يداً لله، ولأنه قال ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ١٠]، ولم يقل فلأنك توثيه، وقال ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٨] ولم يقل أنك أنت علمت ما في قلوبهم، ولا أنزلت السكينة عليهم.

الوجه السابع قوله: (فكأنه يقول الاستغاثة وإن وقعت بي فإنني لست المستغاث به في المعنى إنما^(١) المستغاث به الله).

تفسير البكري
حديث لا يستغاث
بي

فيقال: إنه لم يقل لم تستغيثوا بي؛ وإنما استغثتم بالله، ولكن قال «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»^(٢) وهذا نفى للمستقبل لا للماضي^(٣).

الوجه الثامن: أن يقال هذا الرجل فسر الاستغاثة بالتوسل^(٤)

١- في (د) وإنما - بزيادة واو -

٢- هذه قطعة من حديث عبادة بن الصامت وسيأتي نصه كاملاً ص ٢٩٤ .

٣- في (د) للماضي .

٤- التوسل في اللغة: الوسيلة هي: المنزلة عند الملك. وسل فلان إلى الله إذا عمل عملاً تقرب به إلى الله. والواسل الراغب إلى الله. لسان العرب لابن منظور ج ١/١١-٧٢٤-٧٢٥ وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب إليه بعمل. المصباح المنير ص ٢٥٣ مادة وسل.

وقال ابن تيميه : لفظ الوسيلة مذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة: ٣٥] وفي قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٧] فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخير عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات. وجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا بذلك.

ولفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ «سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد. فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة» أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة) ج ١/ ٢٨٨-٢٨٩ رقم ٣٨٤. فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة. وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة.

وأخير أن من سأل له هذه الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعوا هو لهم. فإن الشفاعة نوع من الدعاء.

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته. والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح. والخلاصة: أن التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة. الأول: التوسل بطاعته والإيمان به وهو أصل الإيمان والإسلام. والثاني: التوسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته لأبذاته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة. والثالث: التوسل بمعنى الأقسام على الله بذاته والسؤال بذاته. وهذا لم يفعله الصحابة لافي حياته

به^(١) كما تقدم قوله : (إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان^(٢) بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيره) وقال : (قول القائل أتوسل إليك برسولك^(٣)) واستغيث برسولك^(٤) عندك أن تغفر لي، استغاث بالرسول حقيقة في لغة جميع^(٥) الأمة .
وهذا الكلام وإن كان باطلاً كما تقدم^(٦)؛

ولا بعد مماته ولا عند قبره ولا غير قبره . وينقل فيه أحاديث ضعيفة . ا.هـ . باختصار
انظر قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ٧٩-٨٢ .

١- سقطت من (د) .

٢- في (د) كانت .

٣- في (د) : عندك .

٤- ما بين القوسين سقط من (ف) .

٥- في (ف) جمع .

٦- يشير المؤلف هنا إلى الجزء المفقود من الكتاب، وسيعرض له المؤلف مرة أخرى وقد ذكر الملخص ما أشار إليه المؤلف في التلخيص ص ٨١-٨٣ قال : وقوله من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما فهذا القول لم يقله أحد من الأمم، بل هو مما اختلقه هذا المفترى وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس، وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل؟ والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به .
وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجاهل فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه . ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يتمكن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم . فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا . . . فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان، والتوسل إلى الله بغائب أو ميت تارة يقول أتوسل إليك بفلان وتارة يقول أسألك بفلان فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فأما أن يقول أستغيثك بفلان . أو أستغيث إليك بفلان . ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب .

وأصل الشبهة على هذا التقدير أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاعف بها مستغاثاً مدعواً مسئولاً مطلوباً منه وبلاستغاثة المحضة من الإغاثة التي

فالمقصود^(١) هنا أنه جعل الذي يسأل الله به مستغثاً به، وهنا قد جعل الاستغاثه بسؤاله فقد جعل المستغث به مستغثاً بالله في المعنى، وهذا^(٢) لا يصح إذا أريد به السؤال به^(٣)، فإن الله هو مسئول لا مسئول به.

وحيث أن قال في الاستغاثه به هنا يناقض ماتقدم؛ إلا أن / يجعل الاستغاثه نعم النوعين، ويلزمه أن يجعل كل من سأل النبي - ﷺ -^(٤) شيئاً فإنما سأل الله، ويلزمه ذلك في غيره، وحيث أن يسأل المخلوق كما يسأل الخالق، وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن مسلم.

الوجه التاسع: أنه لو صح^(٥) هذا النفي والإثبات باعتبار

يكون المضاف بها مطلوباً به لا مطلوباً منه. فإذا قيل توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثه كما تقول كتبت بالقلم. وهم يقولون استغيثه واستغثت به من الإغاثة كما يقولون استغثت الله واستغثت به من الغوث، فالله في كلا الموضعين مسئول مطلوب منه. وإذا قالوا استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسئولاً وقد لا يكون مطلوباً منه، وأما إذا قالوا استغثت به من الإغاثة فقد يكون مسئولاً وقد لا يكون مسئولاً وكذلك استنصرته واستنصرت به فإن المستنصر يكون مسئولاً مطلوباً وأما المستنصر به فقد يكون مسئولاً وقد لا يكون مسئولاً.

فلفظ الاستغاثه في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به، وقول القائل استغثت فلاناً واستغثت به معنى طلبت منه الإغاثة لا بمعنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثه بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

١- في (د) والمقصود.

٢- (وهذا) سقطت من (د).

٣- (به) سقطت من (ف).

٤- ما بين الشرطين سقط من (ف).

٥- في (د) : توضح.

القيومية، لقليل هذا لكل من كان كذلك، فيقال: لمن بايع الناس كلهم وواجرهم وشاركهم إنك إنما بايعت الله وواجرت الله وشاركت الله، ويقال للذي استغاث بموسى الذى قال الله فيه ﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه﴾ [سورة القصص: ١٥] أنه لم يستغث بموسى وإنما استغاث الله، ويقال لمن استنصر المؤمنين الذين^(١) قال الله فيهم ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] إنما استنصروا الله والنصر على الله، ويقال في قوله^(٢) ﴿وئعاونوا على البر والتقوى﴾^(٣) [سورة المائدة: ٢] [إنما استعانوا الله]^(٤) والله يُعين. وقد خاطبني مرة شيخ من شيوخ هؤلاء الضلال، لما قدم التتار^(٥) -آخر

١- (الذين) سقطت من (ف).

٢- في (د) تعالى.

٣- في (ط): أضاف للآية ﴿واتقوا الله﴾ وإكمال الآية ﴿ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله﴾ الآية.

٤- كذا يتطلبه السياق كما في (ط)، وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) و(ت) واتقوا.

٥- التتار هم بدو الترك ويطلق عليهم المغول. وتختلف لغتهم عن لغة الترك ويعرفون بالصينية (تاتا) موطنهم منغوليا جنوب شرق سيبيريا على حدود الصين. وبلادهم اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً، اجتاحتها العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، في اجتياح لم يسبق مثله في التاريخ، ونشروا الرعب والقتل والتدمير في كل بلد يدخلونه. ثم هدهم الله للإسلام فيما بعد، وبعد حروب كثيرة، وللمؤلف -رحمه الله- مواقف مشرفة في جهادهم. وقد كان للصوفية والرافضة مواقف مخزية قال أحدهم لشيخ الإسلام ابن تيمية: نحن ماينفق حالنا إلا عند التتر، وأما عند الشرع فلا. وقال الشيخ عبدالرحمن دمشقية: العلاقة بين التتار والرفاعية عار وليست كرامة. انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ج ١/ ٣٧٤

قدماتهم- وكنت أحرص الناس على جهادهم، فقال لي هذا الشيخ:
أقاتل الله فقلت له: هؤلاء التتار هم الله، وهم من شر الخلق؟^(١) إنما
هم عباد الله خارجون عن دين الله، وإن قدر أنهم كما يقولون فالذي
يقاتلهم هو الله، ويكون الله يقاتل الله، وقول هذا الشيخ لازم لهذا
وأمثاله.

الوجه العاشر: أن يقال إذا كان الأمر كما ذكرته من شهود
القيومية فأني مدح في هذا لرسول الله -صلى الله عليه/ وسلم- وأي
فائدة في هذا القول ، أو ترى الصديق والصحابة ماكانوا يقررون بأن
الله رب كل شئ ومليكه وأن العبد لايمكنه أن يفعل شيئاً إلا بمشيئة
الله -تعالى(٢)- وقدرته.

الوجه الحادي عشر : أن ماكان من هذا الباب لايجوز فيه نفي
الفعل عن العبد، فإنه مكابرة للحس ولو على مذهب الجبرية، بل إذا
أريد نفي فلا بد من قرينة تبين المراد والحديث مطلق ليس فيه قرينة.

الوجه الثاني عشر: أما حديث أبي موسى الأشعري
وقوله «ماأنا حملتكم ولكن الله حملكم»^(٣) لم يُرد به النبي

والبداية والنهاية ج٩٨/١٣ ومابعدها و ج٥١/١٤ ودائرة المعارف الإسلامية
ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين ج٥٧٦/٤ مادة تز والرفاعية تأليف عبدالرحمن
دمشقيه ص ١١٠ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١- في (د): هؤلاء

٢- (تعالى) سقطت من (د)

٣- سيأتي نص الحديث كاملاً وتخرجه ص ٢٥٠ .

شرح حديث ما أنا
حملتكم ولكن الله
حملك

ﷺ كون الله خالق أفعال العباد؛ فإن هذا يتناول هذا الفعل وغيره من الأفعال.

ومعلوم أن الله لم يقل لم أركب ولكن الله ركب، ولم يقل ماجاهدت في سبيل الله ولكن الله جاهد، ولم أسافر^(١) ولكن الله سافر ونحو ذلك.

بل النبي ﷺ لما سأله أن يحملهم، قال: والله ما أحملكم، وما عندي ما أحملكم عليه، فلما ذهب أبو موسى، بُعث إلى رسول الله ﷺ بنهب^(٢) إبل فأمر فبعث إلينا بخمس ذود غُرّ الذرى^(٣)، فقلنا تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه لانفلق أبدا، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال «ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم» فلما لم يكن منه لاقصد ولا قدرة، صح أن يقول ما حملتكم لأنني لم يكن عندي ما أحملكم عليه، ولكن الله حملكم بما يسره من الحمولة التي أتى بها بغير فعل مني، فنفي الحمل عن

١- في (د) ولا سافرت

٢- بنهب) سقطت من (ف).

والنهب هو: الغارة والسلب «فإني ينهب» أي غنيمة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج٥/١٣٣) باب النون مع الهاء.

٣- ذود غُرّ الذرى: الذود من الإبل هي ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل ما بين الثلاث إلى العشر وقال أبو عبيد: ((الذود من الإناث دون الذكور، والحديث عام فيهما)) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٢/١٧١ باب الذال مع الواو. غر الذرى: أي بيض الأسنمة سمانها، والذرى جمع ذروة وهي أعلى سنام البعير، وذروة كل شئ أعلاه. النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢/١٥٩ باب الذال مع الراء.

٣٥

نفسه وأضافه إلى الله ، لأنه أراد به تيسير الحملوة / ولم يكن له في هذا فعل، ثم قال «واني والله لأحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها ، إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها» (١) وقال لهم هذا لما قالوا: إنك حلفت أن لا تحملنا، وكان قد قال «ما عندي ما أحملكم عليه»، فبين لهم أنني حلفت للعسرة والعجز ، وأن الله يسر بالحملوة، فهو الذي

١- هذا الحديث أخرجه البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه، بالفاظ متقاربة، فقد ورد بالأرقام التالية: ٣١٣٣، ٤٣٨٥، ٤٤١٥، ٥٥١٨، ٦٦٢٣، ٦٦٤٩، ٦٦٧٨، ٦٦٨٠، ٦٧١٨، ٧٥٥٥، وأقرب لفظ إلى لفظ المؤلف هو ما أخرجه في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ ج ٥/ ٢٣٦٢) رقم ٧٥٥٥ ولفظه: عن زهدم قال: كان بين هذا الحي من جُرم وبين الأشعرين ود وإخاء، فكنا عند أبي موسى الأشعري، فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج، وعنده رجل من بني تيم الله ، كأنه من الموالي، فدعاه إليه فقال: إني رأيت ياكل شيئاً فقذرتة، فحلفت: لا أكله، فقال: هلم فلأحدثك عن ذاك، إني أتيت النبي ﷺ في نفر من الأشعرين نستحملة، فقال: «والله لأحملك وما عندي ما أحملك عليه» فأتى النبي بنهب إبل فسأل عنا فقال: «أين نفر الأشعريون» فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى ، ثم انطلقنا، قلنا: ما صنعنا؟ حلف رسول الله ﷺ لا يحملنا، وما عنده ما يحملنا، ثم حملنا، تغفلنا رسول الله ﷺ بيمينه، والله لانفلح أبداً، فرجعنا إليه فقلنا له، فقال: «لست أنا أحملك ولكن الله حملكم، إني والله لأحلف على يمين، فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها» وأخرجه مسلم أيضاً بالفاظ متقاربة في (كتاب الإيمان، باب ندب من حلف بيميناً، فرأى غيرها خير منها) ج ٣/ ١٢٦٨ رقم ١٦٤٩.

قال النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: قال المارودي: معناه أن الله - تعالى - أتاني ما حملتكم عليه ولولا ذلك لم يكن عندي ما أحملك عليه. شرح مسلم للنووي ج ١١/ ١٢١.

حملكم، ومع هذا فإنني أحث في يميني للمصلحة الراجحة، وأكفر.
وهذا الكلام يتضمن^(١) جوابين من النبي ﷺ كل منهما مستقل، وأما
الجواب بأحدهما كأنه يقول: أنا ما حملتكم وإن كنت حملتكم فأنا
أكفر، وعلى الأول يقول: الحمل الذي طلبتموه ما حصل مني بل من
الله، والحمل الذي حلفت عليه أكفر عنه.

الوجه الثالث عشر: قوله: (فإن صح هذا الحديث^(٢) لا يكون
كما قال، من جعل الصديق بتأويله مخطئاً من غير ضرورة، بل يكون
الحديث حثاً على الاستغاثه به ﷺ).

عودة إلى حديث
لا يستغاث بي

فيقال: أنت الذي جعلته مخطئاً، حيث قال: إنه [يستغاث] ^(٣)
بالنبي ﷺ فنفي النبي ما أثبتته، وقال: ليس هذا استغاثه بي؛ بل بالله، بل
قولكم يستلزم تخطئة الرسول حيث جعلتم^(٤) من طلب من مخلوق
حاجة لم يطلبها منه، بل إنما^(٥) يطلبها من الله، وهذا مكابرة للحسن
والشرع والعقل، وعلى ما قاله يجوز أن يقال لمن سأل كافراً حاجة
واستغاث به ما سأله ولا استغثت به، ويكون من قال إنه سأل كافراً
مخطئاً، وهذا كما أنه تخطئة منهم للصديق، فهي تخطئة / لجميع عقلاء

٣٦

١- في جميع النسخ إما ويظهر أنها زيادة ، وليس لها معنى .

٢- الحديث ضعيف وسيأتي تخريجه ص ٢٩٤ .

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل : لا يستغاث .

٤- في (ف) جعلت .

٥- في (د) وإنما .

بنى آدم من المسلمين والكفار، وأيضاً فإنه لا يلزم على ماذكر الحبيب تخطئة أبي بكر الصديق، فإن الصديق قد يعتقد عند النبي ﷺ في دفع ذلك المنافق بعض الأمور التي يقدر عليها البشر فبين له النبي ﷺ أنه ليس عندي في دفعه حيلة، بل يستغاث الله في أمره. ومن المعلوم أن المطلوب من النبي ﷺ تارة يقدر عليه، وتارة لا يقدر عليه، وقد يظن السائل أنه يقدر عليه، ولا يكون قادراً. وكان نساؤه يسألنه النفقة أحياناً وليس عنده ما ينفق عليهن^(١).

وسألته الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة^(٢) فخطفت رداءه فقال «ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو أن عندي عدد هذه العضاه

١- يشير المؤلف إلى حديث جابر بن عبد الله وغيره قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً لم يؤذن لأحدٍ منهم. قال: فأذن لأبي بكر. فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه. واجماً ساكتاً. قال فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله لو رأيت، بنت خارجة! سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله ﷺ وقال «هن حولي كما ترى يسألني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها. فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعترهن شهراً أو تسعاً وعشرين يوماً. ثم نزلت هذه الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك الآية» أخرجه مسلم في (كتاب الطلاق، باب بيان أن تحيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية) ج٢/١١٠٤-١١٠٥ رقم ١٤٧٨.

٢- سمرة: هي نوع من شجر الطلح، وجمعها سمر. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ج٢/٣٩٩) باب السين مع الميم.

نعماً لقسمتها بينكم ثم لاتجدوني بخيلاً ولا جبانا ولا كذاباً»^(١).

وحقيقة قوله لا يستغاث بي وإن كان مراده الاستغاثة الكلية^(٢)، كما يقال: لا يستغاث بي ولا يتوكل علي، ولا أدعى ولا أسأل ونحو ذلك، فمراده النهي عن الطلب الذي لا يفعله إلا الله، كما نهى عن السجود له^(٣)، وكما نهى أن يقال ماشاء الله وشاء محمد، وقال لمن

١- الحديث أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبين) جـ ٢/٨٧٣ رقم ٢٨٢١ وطره ٣١٤٨ والنسائي في (كتاب الهبة، باب هبة المشاع) جـ ٦/٢٦٣ رقم ٣٦٨٦ وأحمد في المسند جـ ٢/١٨٤ و جـ ٤/٨٢، ٨٤، ومالك في الموطأ في (كتاب الجهاد، باب ماجاء في الغلول) جـ ٢/٤٥٧ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون تونس والطبراني في المعجم الكبير جـ ٢/١٣٠ رقم ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥ وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف جـ ٥/٢٤٣ رقم ٩٤٩٧ تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ الناشر المجلس العلمي بجيدر أباد وغيرهم، وجميعهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف.

٢- الاستغاثة الكلية هي: سؤال المستغاث به على اعتقاد أنه قادر بقدره مؤثرة على جلب نفع له أو دفع مضرة عنه. انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق تأليف سليمان بن عبد الله ص ٣٠٣.

٣- يشير المؤلف إلى حديث معاذ -رضي الله عنه-، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم. فرددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ «لا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.... الحديث» أخرجه ابن ماجه في (أبواب النكاح، باب حق الزوج على المرأة) جـ ١/٣٤١ رقم ١٨٥٨ وأبو داود في (كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة) جـ ٢/٦٠٤ رقم ٢١٤٩، والحاكم في المستدرک

قال ماشاء الله و شاء محمد ماروي عن ابن عباس قال: قال رجل للنبي ﷺ «ما شاء الله وشئت» فقال: «أجعلني لله ندا قل ما شاء الله وحده»^(١) رواه النسائي وابن ماجه ، ورواه الامام أحمد ولفظه

ج ١٨٧/٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (باب ماجاء في عظم حق الزوج على المرأة) (ج ٢٩١/٧)، وأحمد في المسند (ج ٢٢٧/٥) وغيرهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣٠٩/٤: رواه بتمامه البزار وأحمد باختصار ورجاله رجال الصحيح. ا.هـ.

١- أخرجه الامام أحمد في المسند ص ٣ / ٩٦ رقم ٤٠- ١٩٦ (شرح أحمد شاكر) واللفظ له وابن ماجه في (أبواب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت) ج ٣٩٢/١ رقم ٢١٣٠ ولفظه: «إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت». قال شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه دراسة وتقديم كمال الحوت ج ٣٦٣/١ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر دار الجنان: في إسناده الأجلح مختلف فيه ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهم، ووثقه ابن معين والعجلي وباقي رجال الإسناد ثقات ا.هـ. وقال العلامة أحمد شاكر في شرح المسند للإمام أحمد ج ٩٦/٣ رقم ١٩٦٤ الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ الناشر دار المعارف مصر: صحيح الإسناد ا.هـ. والنسائي في عمل اليوم والليلة: (النهي أن يقال ما شاء الله وشئت) ص ٥٤٣ رقم ٩٨٨ ولفظه «... عدلا» تحقيق د. فاروق حمادة الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان: وفيه الاجلح. وحسنه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢١٦-٢١٧ رقم ١٣٩ (الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان) وقال جاسم الدوسري في النهج السديد في تخريج احاديث تيسير العزيز الحميد (الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت) ص ٤٧ رقم ٨٢ إسناده محتمل التحسين ا.هـ. وأخرجه غيرهم.

«أجعلتني لله عدلاً بل ما شاء الله وحده»^(١).

٢٧

/ الوجه الرابع عشر: أنه إذا كان هذا حثاً على الاستغاثة به، بناء على ما ذكرت من شهود^(٢) القيومية وتوحيد الربوبية، وهذا عام لكل المخلوقات، فينبغي أن يحث على سؤال المخلوقين والرغبة إليهم، لأن السائل لهم عنده لا يسألهم؛ إنما يسأل الله كما أن المستغيث بمخلوق لا يستغيث به؛ إنما يستغيث بالله على زعمكم.

وهذا كثيراً ما يقع فيه هؤلاء الإسماعيلية الاتحادية^(٣)، وأعرف

الكلام على
الإسماعيلية الاتحادية

١- أخرجه الإمام أحمد ج١/٢٨٣، ٣٤٧، ٢١٤ وقال الشيخ أحمد شاکر: في شرح المسند ج٣/٢٥٣ رقم ١٨٣٩ «صحيح الإسناد وما وجدت هذا الحديث في غير هذا المسند»، وصححه شعيب وعبدالقادر الرنؤوط في حاشية زاد المعاد ج٢/٣٥٣ (بتحقيقهما الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة ومكتبة المنار الكويت)، وحسنه العلامة ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١/٢١٦ رقم ١٣٩ وقال ج١/٢١٧: وفي هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره «ما شاء الله وشئت» يعتبر شركاً في نظر الشارع، وهو من شرك الألفاظ، لأنه يؤهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب - سبحانه وتعالى - ا.هـ. وانظر تخريج اللفظ السابق للحديث.

٢- في (ف): مشهد.

٣- الإسماعيلية: فرقة باطنية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم شرائع الإسلام، تشعبت فرقها، منهم القرامطة والعباسيين - المسمون الفاطميين -، والحشاشية، والنزارية، والبهرة، والاباخانية، والواقفة، وبعض هذه الفرق تشعبت إلى فرق أخرى.

منهم شحصاً كان معظماً؛ وكان له حاجة إلى نصراني، فذهب إليه وخضع له، وقبل يده ورجله، وربما قبل نعله، حتى قضى حاجته، ثم جعل يقول مارأيت إلا الله، وما كان ذلك الخضوع والتقبل إلا لله.

وهؤلاء يصرحون في كتبهم بأن عبّاد العجل ماعبدوا إلا الله، وعبّاد الأصنام ماعبدوا إلا الله، وعبّاد المسيح ماعبدوا إلا الله، وعندهم من عبد كل معبود كان محققاً موحداً، وإنما المقصر [عندهم]^(١) من عبد بعض

ومرت الحركة الإسماعيلية بعدة أدوار: دور السر من بعد موت إسماعيل. وبداية الظهور: بظهور داعيتهم ابن حوشب الذي أسس دولة الإسماعيلية باليمن سنة ٢٦٦هـ و دور الظهور، بظهور مؤسس الدولة العبيدية.

وهناك شكوك كثيرة حول ارتباط أئمة الإسماعيلية بإسماعيل بن جعفر في دعواهم أنهم من نسله، فإنه لم يعقب أحداً، إلا أنهم قالوا بنظريات التبني الروحي. وقد تبنت هذه الحركة مبادئ الفلسفة اليونانية وبعض المذاهب الشرقية، ومزجتها ببعض التصورات الإسلامية، وربطت هذا كله بنظرية الإمامة عند الرافضة. و تبنا نظرية الفيض الافلوطينية حول ذات الله -تعالى- وصفاته، وقالوا بعصمة الأئمة وإن فسقوا وكفروا، وأن الرب -تعالى- يتحد مع الأئمة أو يحل بهم، لذا قال المؤلف الإسماعيلية الاتحادية، وأستحلوا الحرمات والمحارم، وقد أطال اليمني في عقائد الثلاث والسبعين في ذكرهم ج٢/٤٨٩ ومابعدا. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٨١ والملل والنحل ج١/١٩١ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة اصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر الندوة ص ٤٥-٥٢، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د.أحمد جلي ص ٢٦٥ ومابعدا الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض - المملكة العربية السعودية.

١- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح) .

[المظاهر]^(١) دون بعض، كالنصارى وعِبَاد العجل واللات والعزى، وفي كلام ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله من هذا ألوان^(٢)، لكن هذا الرجل وأمثاله لم يصلوا إلى الاتحاد بل وقفوا عند القدر وهو شهود القيومية^(٣)، ولكن إذا جعلوا من استغاث بمخلوق فإنما استغاث بالله

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) الظاهر.

٢- وإليك بعض الأمثلة: حط من شأن نبي الله نوح -عليه السلام- وصوب قومه في عدم إجابة دعوته. انظر: فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي تحقيق أبو العلا عفيفي ص ٧٠ فص حكمة سبوحية في كلمة نوحية طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

وصوب السامري وعباد العجل من اليهود وخطأ هارون -عليه السلام- في إنكاره عليهم انظر ص ١٩٢، ١٩٤ فص حكمة إمامية في كلمة هارونية. ويقول أيضاً في الفصوص ص ٢٢٦ فص حكمة فردية في كلمة محمدية: ((إلا أن صاحب المعبود الخاص جاهل بلا شك في ذلك لاعتراضه على غيره فيما اعتقد في الله، إذ لو عرف ما قال الجنيد لون الماء لون إنائه لسلم لكل ذى اعتقاد ما اعتقده، وعرف الله في كل صورته، وكل مُعتقد فهو ظان ليس بعالم ولذلك «أنا عند ظن عبدي بي» لا أظهر إلا في صورة معتقده فإن شاء أطلق وإن شاء قيد)) وتابعه في هذا الضلال الجليلي في الإنسان الكامل، وابن الفارض في تائيته. انظر: الضواري الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكانى تحقيق محمد ربيع المدخلي ص ١٢٣ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الحرير القاهرة - مصر) وهذه هي الصوفية تأليف عبدالرحمن الوكيل ص ٩٥-٩٧ (الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان).

٣- هذه شهادة من ابن تيمية للبكري، وتبرئة له من القول بالاتحاد، وهذا من عدله وصدقه -رحمه الله- مع ما في رد البكري من التكفير والتشنيع، ومع ما يلزم البكري من اللوازم الباطلة التي ذكرها المؤلف فيما بعد. علماً أن البكري كفر ابن عربي في

لأجل توحيد الربوبية وشهود القيومية؛ لزمهم أن من سجد لمخلوق لم يسجد إلا لله، ومن عبد مخلوقاً إنما^(١) عبد الله، ومن سأل مخلوقاً إنما سأل الله.

٢٨ فإن قالوا: الأعمال بالنيات، قيل لهم: والذين قالوا / نستغيث بالنبي لم يذكروا أنهم قصدوا غيره، وأنتم جعلتم ذلك بمجرده استغاثه بالله لشهود^(٢) القيومية، فيلزمكم أن يكون [الله]^(٣) ورسوله أمر بسؤال المخلوق، والاستغاثه بالمخلوق، وعبادة المخلوق؛ بالسجود للمخلوق^(٤)؛ والخوف من المخلوق لأجل القيومية، فيلزم أن يكون كل شرك حرمه الله ورسوله؛ قد أمر الله به ورسوله باعتبار القيومية، لأن كل ما عبد من دون الله فالقيومية تتناوله، فإذا كان اعتبار مسوغاً لأن يعامل المخلوق معاملة الخالق، لزم أن يعامل^(٥) المخلوقات كلها معاملة الخالق، من دعاء وسؤال، و^(٦) يصلى لها ويسجد لها ويعبد.

نهى النبي ﷺ عن
سؤال الناس

الوجه الخامس عشر: أن النبي ﷺ قد نهى عن سؤال المخلوقين لغير ضرورة، ومدح من لم يسأل الناس شيئاً، فقال: « من سأل

فتواه التي نقلها الفاسي. انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته للإمام تقي الدين الفاسي ص ٣٤، ٣٥.

١- في (ف) : وإنما.

٢- (لشهود) سقطت من (د).

٣- كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) : أصل.

٤- في (د) : لمخلوق والأولى أن تكون (وبالسجود للمخلوق).

٥- كذا في جميع النسخ والأولى (تعامل).

٦- (الواو) سقطت من (د).

الناس شيئاً^(١) وله ما يغنيه جاءت مسألته كدوشاً أو خدوشاً في وجهه يوم القيامة^(٢)»^(٣) (وقال : «لاتزال المسألة

١- (شيئاً) سقطت من (د) و (ف) و (ح).

٢- وفي (ف) زاد «ليس في وجهه مزعة لحم».

٣- أخرجه الترمذي في (كتاب الزكاة، باب من تحمل له الزكاة) جـ ٤٠/٣ رقم ٦٥٠ وحسنه، والنسائي في (كتاب الزكاة، باب حد الغنى جـ ٩٧/٥ رقم ٢٥٩٠ وأبو داود في (كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى) جـ ٢٧٧/٢ رقم ١٦٢٦ وزاد قال يحيى: فقال عبد الله بن عثمان لسفيان: حفظني أن شعبة لا يروي عن حكيم بن جبير، فقال سفيان: فقد حدثناه زيد عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، وابن ماجه في (أبواب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى) جـ ٣٣٩/١ رقم ١٨٤٥ وأحمد في المسند جـ ٤٤١، ٣٨٨/١ والدارمي في (كتاب الزكاة، باب من تحمل له الصدقة) جـ ٣٢٥/١ رقم ١٦٤٧ والحاكم في المستدرک جـ ٤٠٧/١ في كتاب الزكاة، والبيهقي في السنن جـ ٢٤/٧ وأبو يعلى في المسند جـ ١٣٨/٩ رقم (٥٢١٧) جميعهم بألفاظ قريبة من لفظ المؤلف. وضعفوا الحديث للعلة التي ذكرها يحيى بن آدم وهي أن شعبة لا يروي عن حكيم بن جبير، وحكيم ضعيف. انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن قيم الجوزية تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان جـ ٢٩/٥-٣٠ (الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية) وقال ابن حجر في فتح الباري جـ ٤٣٥/٣ ((وقد نص الإمام أحمد في علل الخلال على أن رواية زيد موقوفة)) وروى المنذرى عن الإمام أحمد: قيل له -أي سفيان- قال حدثني زيد عن محمد بن عبد الرحمن، ولم يزد، قال أحمد: كأنه أرسله، أو كره أن يحدث به، أما يعرف الرجل كلاماً نحو ذا؟. انظر مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد فقي جـ ٢٢٦-٢٢٧ (طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان)

بأحدكم^(١) حتى يأتي يوم القيامة^(٢) ليس في وجهه مزعة لحم»^(٣) وقال « لا تحل المسألة إلا لذي غرم مقطوع أو دم موجع أو فقر

وروى عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه هذه الحكاية ولم يذكر كلام الإمام أحمد على رواية زُبيد. انظر: كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله تحقيق د. وصي الله محمد عباس جـ ١/ ٢٤١-٢٤٢ رقم ٣١٧ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ودار الخاني الرياض - السعودية. قلت: ومرادهم أن سفيان قال: حدثناه زبيد عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، ولم يكمل الإسناد، وكان الحديث موقوف على محمد بن عبد الرحمن أو أنه أرسله، ولم أجد في الروايات أن سفيان ذكر بقية الإسناد بعد محمد بن عبد الرحمن، ولكن يظهر لي - والله أعلم - أن سفيان ذكر ذلك من باب المذاكرة على أن بقية رجال الإسناد معروفين، وهذا كثيراً ما يحدث، وقد صحح الحديث الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند جـ ٥/ ٢٤٨ رقم ٣٦٧٥ من طريق زبيد اليامي، والعلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١/ ٨١٨ رقم ٤٩٩ وقال: (حكيم بن جبير ضعيف، لكن متابعة زبيد وهو ابن الخارث الكوفي تقوي الحديث فإنه ثقة ثبت، وكذلك سائر الرواة ثقات، فالإسناد صحيح من طريق زبيد). والله - تعالى - أعلم.

١- في (د): بأحدكم.

٢- ما بين القوسين سقط من (ف) وفي (د) سقط قوله «يوم القيامة».

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً) جـ ١/ ٤٤٠ رقم ١٤٧٤ ومسلم في (كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة) جـ ٢/ ٧٣٠ رقم ١٠٤٠ والنسائي في (كتاب الزكاة، باب المسألة) جـ ٥/ ٩٤ رقم ٢٥٨٤ وأحمد في المسند جـ ٢/ ١٥ بالفاظ متقاربة وقرينة من لفظ المؤلف.

مدقع»^(١) وقال^(٢) أيضاً في حديث قبيصة بن مخارق «إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة»^(٣) الغارم، والذي أصابته جائحة اجتاحت ماله، والذي أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلان فاقة»^(٤).

٣٩

وقال في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هم

١- أخرجه أبو داود في (كتاب الزكاة، باب متحوز فيه المسألة) ج٢/٢٩٢-٢٩٤ رقم ١٦٤١ من حديث طويل. قال الترمذي في الجامع ج٣/٥٢٢: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان وعبد الله الحنفي الذي روى عن أنس. والترمذي في (كتاب الزكاة، باب من لا تحل له الصدقة) ج٢/١٥ رقم ٢٢١٦، وأحمد في المسند ج٣/١٢٧ بالفاظ متقاربة وقرينة من لفظ المؤلف والاختلاف في تقديم بعض ألفاظ الحديث وتأخرها عند المؤلف.

٢- في (د) : فقال.

٣- في (ف) : وذكر هؤلاء الثلاثة .

٤- أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة) ج٢/٧٢٢ رقم ١٠٤٤ ولفظه عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة. فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها» قال ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش (أو قال سداداً من عيش) ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا الحديث» وقد أخرجه أبو داود في (كتاب الزكاة، باب ما يجوز فيه المسألة) ج٢/٢٩٠ رقم ١٦٤٠ والنسائي في (كتاب الزكاة، باب الصدقة لمن تحمل حمالة) ج٥/٨٩ رقم ٢٥٧٨ والدارمي في السنن (كتاب الزكاة، باب من تحل له الصدقة) ج١/٣٣٣ رقم ١٦٨٥ وغيرهم.

الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَكْتُون ولا يَتَطَيرون وعلى ربهم يتوكلون»^(١) وحديثهم في الصحيحين فمدحهم على ترك الاسترقاء، وقد روي في بعض ألفاظه لا يرقون ولم يذكره البخاري فإنه لا يثبت وإن رواه مسلم. ومعلوم أن المسترقي يقول: لغيره أرقني، فيطلب من غيره الرقية، فإن^(٢) كان مشهد^(٣) القيومية معتبراً في سؤال الخلق، وجب أن يكون المسترقي إنما سأل الله، وكان يكون مأموراً بالاستغاثة بالخلق باعتبار مشهد القيومية.

وقد قال الله - تعالى - ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [سورة الشرح: ٧-٨] فإن كان مشهد القيومية معتبراً في هذا الباب؛ كان كل من سأل مخلوقاً فإنما رغب إلى الله فلا يُنهي عن ذلك، بل يؤمر بالرغبة

١- أخرجه البخاري في (كتاب الطب، باب أكتوى أو كوى غيره) ج ٤/ ١٨٢٥ رقم ٥٧٠٥ وطرفه رقم ٥٧٥٢ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) ج ١/ ١٩٨- ٢٠٠ رقم ٢١٨ بألفاظ متقاربة وخالفهم المؤلف في تقديم لفظة «ولا يكتون» وزاد مسلم في الرواية الثانية عنده «لا يرقون».

وقال ابن القيم في حادی الأرواح إلى بلاد الأفراس تحقيق على الشربجي وقاسم نوري ص ١٧٦-١٧٧ (الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) قال شيخنا -أي ابن تيمية- وهو الصواب وهذه اللفظة -أي لا يرقون- وقعت مقحمة في الحديث، وهو غلط من بعض الرواة، فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي استحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، وهو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيره أن يرقهم. ١ هـ وانظر مج ج ١/ ١٨٢.

٢- في (د) و(ح) (وإن).

٣- في (د) مشهود.

إلى الخلق.

والله-تعالى-قد وصف الفقراء الممدوحين بأنهم لا يسألون الناس إلعافا؁ وسواء كان المعنى أنهم لا يسألون الناس؛ أو يسألون الناس ولا يلحفون؁ فإن كان مشهد القيومية معتبراً هنا؁ وجب أن يؤمر بسؤال الخلق والإلحاح في مسألتهم؁ فإنهم إنما يلحفون في مسألة الله-تعالى- والله يحب الملحين في الدعاء وهذا باب واسع.

الوجه السادس عشر: أن النبي قد مدح من لا يسأله؁ وفضله على من سأله؁ بل ذم كثيراً ممن [سأله] ^(١) فقال: «من سألنا أعطيناها ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا» ^(٢) وقال: «يسألني/ أحدهم المسألة

مدح النبي لمن لا يسأله

٤٠

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل «لستله».

٢- أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف تحقيق مجدي السيد إبراهيم ص ٧٤ رقم ٧٦ طبعة مكتبة القران - القاهرة. ولفظه «من يستعفف يعفه الله؁ ومن يستغن يغنه الله؁ ومن سألنا شيئاً فوجدناه أعطيناها؁ وواسيناها؁ ومن استعفف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا».

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين بيان تحريم السؤال من غير ضرورة جـ ٩٨/١٣ (طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦هـ) من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه «... ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا ...». قال العراقي في تخريج الإحياء جـ ٩٨/١٣ رقم ٣٩٧٦: رواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحارث بن أبي أسامة في مسنده وفيه حصين بن هلال ولم أر من تكلم فيه؁ وبقائهم ثقات أ.هـ. قلت: في القناعة هلال بن حصن وقال أشرف عبدالمقصود في حاشية تخريج الإحياء: في الإتحاف ٣٠٥/٩ حصين بن هلال أ.هـ؁ ولم أجده في زوائد مسند الحارث.

ويخرج بها يتأبطها نارا. قالوا: يا رسول الله فلم تعطهم؟ فقال: يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»^(١) وقال: «والذى نفسي بيده ما من أحد يسألني شيئا فخرج له المسألة ما لم أكن أريد»^(٢) أعطيه فيبارك له

وقال محمد بن طاهر الهندي في تذكرة الموضوعات ص ٦١ (وبذيلها قانون الموضوعات والضعفاء طبعة ١٣٩٩ الناشر دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان) سنده جيد ا.هـ. وقال الحداد في المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: وله شواهد. انظر: المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين تأليف أبي عبد الله محمود محمد الحداد جـ ٥/٢٢٦٥-٢٢٦٦ رقم ٣٥٩٦ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

١- أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ ١٦/٣ ولفظه: «إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه فيخرج بها يتأبطها وما هي إلا نارا قال عمر» قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٩٤/٣: ورجال أحمد رجال الصحيح ا.هـ. وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان تأليف علاء الدين علي بن بلبان تحقيق شعيب الارنؤوط في (كتاب الزكاة، باب المسألة والأخذ) جـ ٨/٢٠٢ رقم ٣٤١٤ (الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولفظه «أن عمر قال: يا رسول الله رأيت فلانا قد أعطيته دينارين، فقال النبي لكن فلانا قد أعطيته مابين العشرة إلى المئة، فما يشكره ولا يقوله: إن أحدكم ليخرج من عندي بمجته متأبطها وماهي إلا نار قال: قلت يا رسول الله:» الحديث. قال شعيب الارنؤوط في حاشية الإحسان جـ ٨/٢٠٢: إسناده قوي ا.هـ. والحاكم في المستدرک جـ ١/٤٦ وقال صحيح على شرط الشيخين. من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأبو يعلى في مسنده جـ ٢/٤٩٠ رقم ١٣٢٧ ولفظه «إن أحدهم يسألني فينطلق بمسئلته متأبطها وماهي إلا نار فقال عمر».

٢- (أريد) سقطت من (د).

فيه»^(١) أو كما قال لحكيم بن حزام في الحديث الصحيح الذي أخرجه في الصحيحين قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «ياحكيم ما أنكر»^(٢) مسألتك إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع» قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لأرزا أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

هذا لفظ رواية البخاري، وفي روايه: ولا تكون يد أحد من العرب فوق يدي. فكان أبو بكر وعمر يعطيانه حقه من بيت المال فلا يأخذه^(٣).

١- أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة) جـ ٢/٧١٨ رقم ١٠٣٨ ولفظه «لاتلحفوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً، فتخرج له مسألته مني شيئاً وأنا له كاره، فيبارك له فيما أعطيته» والنسائي في (كتاب الزكاة، باب الالتفاف في المسألة) جـ ٥/٩٧ رقم ٢٥٩١، وأبو يعلى في مسنده جـ ٩/٤٧٨ رقم ٥٦٢٨ والطبراني في المعجم الكبير جـ ١٩/٣٤٨ رقم ٨٠٨ والبيهقي في السنن الكبرى جـ ٤/١٩٦ بالفاظ متقاربة وقرينة من لفظ مسلم.

٢- في (ح) ما أكثر .

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة) جـ ١/٤٣٩ رقم ١٤٧٢ وأطرافه رقم ٢٧٥٠، ٣١٤٣، ٦٤٤١ واللفظ للبخاري كما ذكر المؤلف، إلا قوله (ما أنكر مسألتك) - لم ترد في الصحيحين-، وأخرج الحديث بهذه اللفظة ابن أبي الدنيا في القناعة ص ١٩ بلفظه، والإمام أحمد في المسند جـ ٣/٤٠٣ ولفظه (ما أكثر مسألتك) كما ورد في نسخة (ح)، وأما الرواية فقال ابن حجر في فتح الباري جـ ٣/٤٢٩ وفي رواية لإسحاق ولفظه «قلت فوالله لا تكون يدي بعدك تحت يد من أيدي العرب» وأخرج الحديث مسلم في (كتاب الزكاة، باب بيان اليد العليا خير من اليد السفلى) جـ ٢/٧١٧ رقم ١٠٣٥ وغيرهم.

فإن كان النبي على زعم هذا قد جعل من استغاث به فإنما استغاث بالله، وقد حضه على ذلك، (فمن سأله فإنما) ^(١) سأل الله، فيلزم أن يحض الناس على سؤاله، والأمر بالعكس، بل مدح من لم يسأله وذم كثيراً ممن سأله.

عودة إلى كلام
البكري في حديث
لايستغاث بي

وأما الوجه الثالث ^(٢): قوله (إنه يصح أن يراد أنه لايستغاث بي على وجه التأثير والاعتدال، وإنما ذلك لله، وفائدة التنبيه على ذلك أن لايتعلق به [أحد] ^(٣) في الانتصار/ به من جهة السببية الظاهرة، كما يتعلق الناس بالأسباب على الغفلة، بل يكون تعلقهم للنظر إلى جانب الربوبية فيه، ومكانته عند ربه، فيكون ذلك كما قال: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس الخبر ^(٤)».

٤١

فالجواب عنه من وجوه: أحدها: أن هذا الذي ذكره موافق ^(٥) في المعنى لما ذكره المحيب، فإنه لا ريب أنه يجوز أن يُسأل النبي أموراً؛ ويستغاث به في أشياء، بل يجوز هذا في غير حق النبي ، وقد قال في أول الجواب: أجمع المسلمون على أن

١- ما بين القوسين في (د) كمن.

٢- كذا في جميع النسخ ، ولعل مراده الوجه الثالث عشر، لأنه تكلم فيه على نفس الموضوع انظر ص ٢٥١.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل "واحد" بزيادة واو.

٤- هذا الخبر عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وسيأتي بتمامه ص ٢٧٦ .

٥- في (د): موافقه.

النبيّ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة^(١).

١- الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه. التعريفات الجرجاني ص ١٧٢. وهذا التعريف قريب من التعريف اللغوي وحقيقتها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

والشفاعة نوعان، شفاعة منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرک، والنوع الثاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن الكريم، وهي خالصة لأهل الإيمان وقيدها تعالى بأمرين (الأول) إذنه للشافع أن يشفع، لقوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥] والثاني رضا الله عن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨] انظر: قررة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن الحنبلي تحقيق بشير عيون ص ٩٧ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الناشر مكتبة المؤيد الطوائف - السعودية ومكتبة دار البيان دمشق - سوريا، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد تأليف الشيخ حافظ الحكمي ضبط وتعليق عمر بن محمود ج ١ / ٨٦٦ الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن القيم الدمام - السعودية.

والشفاعة المثبتة أنواع: الأولى وهي العظمى، الخاصة ببينا محمد من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي التي أشار إليها المؤلف بقوله «يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك» كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال «كنا مع النبي في دعوة فرفعت إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة، وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيصبرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه .. حتى

ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته^(١)، ويشفع أيضاً لعموم الخلق، وأجمعوا على أن الصحابة كانوا يستغيثون به ويتوسلون به في حياته بمحضته كما في حديث عمر «اللهم إنا كنا نتوسل إليك^(٢) بنبينا فتسقينا»^(٣) والذي ذكره عمر قد جاء مفسراً في

يأتون محمداً ... فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه» أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ج ٢/ ١٠٢٦ - ١٠٢٧ رقم ٣٣٤٠ وهذه الشفاعة في أن يفصل سبحانه بين الناس. والثانية: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب. كما في حديث السبعين ألفاً وسبق تخريجه. والثالثة: شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. والرابعة: الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار لا يدخلوها، وفي إخراج الموحدين من النار. والخامسة: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وهذا الذي وافقت عليه المعتزلة ونفت ماسواه. والسادسة: شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب. انظر: شرح الطحاوية ص ٢٢٩-٢٣٣، ولوامع الأنوار البهية للسفاري ج ٢/ ٢٠٤ وما بعدها، وللتوسع انظر كتاب الشفاعة تأليف عبد الرحمن بن مقبل بن هادي الوادعي ص ١٧-١٥٨ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ الناشر مكتبة دار الأرقم - الكويت.

١- يشير المؤلف - رحمه الله - إلى النوع الرابع من الشفاعة - كما في الفقرة السابقة - وقد تواترت الأدلة الشرعية على ثبوته منها ما أخرجه البخاري عن النبي قال «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد يسمون الجهنمين» (كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار) ج ٤/ ٢٠٣٥ رقم ٦٥٦٦.

٢- (إليك) سقطت من (د).

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) ج ١/ ٣٠٢ رقم ١٠١٠ وطرفه ٣٧١٠ وسيأتي الحديث بتمامه ص ٢٩١.

سائر أحاديث الاستسقاء، وهو من جنس الاستشفاع به، وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة، ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا، وأن يقدم بين أيدينا شافعاً وسائلاً بأبي هو وأمي فقد بين أنه يجوز سؤاله والطلب منه وهو الاستغاثة.

ومعلوم أن هذا من جملة الأسباب التي تفعل على جهة التسبب/مع التوكل على الله- عزوجل-، لا يطلب من مخلوق شيء على جهة أنه مستقل بالقدرة والتأثير، فإن الاستقلال^(١) من خصائص الرب -تعالى-.

٤٢

وإذا كان هذا الوجه متفقاً عليه فَحَمَلُ الحديث عليه لا يضر، وحينئذ فالمطلوب منه إما أن يكون قادراً عليه، وإما أن لا يكون قادراً، فإن كان قادراً طُلب على هذا الوجه، وإن لم يكن قادراً عليه طُلب من الله، ولا منافاة بين المعنيين، لكن ظاهر لفظ الحديث -إن صح^(٢)- يقتضي أنه لم يكن قادراً على دفع ضرر ذلك المنافق، وأنه أمرهم أن يستغيثوا فيه بالله -تعالى-.

الوجه الثاني: أن يقال: الأسباب المخلوقة والمشروعة لا تنكر، والأسباب المستغاث بالمخلوق ليست من الأسباب المشروعة

١- في (د) الاشتغال.

٢- الحديث ضعيف وسيأتي تخريجه والكلام عليه. وسبق الكلام عليه في المقدمة، وسيكرر المؤلف نفس العبارة بعد صفحات ص ٢٧٣، وانظر تخريج الحديث في

والكلام إنما هو في هذا، وهذا هو الذي نهى عنه.

عدم قدرة النبي
على قضاء بعض
الحاجات

فالجواب حيث قيل: فأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا من الله، لا يطلب ذلك من الملائكة ولا من غيرهم، فلا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لنا، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهد قلوبنا ونحو ذلك. ثم ذكر الحديث المذكور فبين أن المنهي عنه أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، والطالب من النبي قد يظن^(١) أنه يقدر على قضاء حاجته ولا يكون كذلك، كما كان سألته الناس؛ إما نساؤه وإما غيرهن ما ليس عنده، وكما كان يأتونه في غزوة تبوك^(٢) ليحملهم فلا يجد ما يحملهم عليه/ قال تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ [سورة

٤٣

١- (يظن) سقطت من (د).

٢- تبوك: بالفتح ثم الضم، و واو ساكنة وكاف. موضع بين وادي القرى والشام، وقبل بركة لأنباء سعد من بني عذرة، وهو حصن به عين ونخل ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب -عليه السلام- كانوا فيه، غزاها النبي في سنة تسع للهجرة -وهي آخر غزواته- لتجمع الروم وعاملة ولخم وجذام، فوجدهم قد تفرقوا ولم يلق كيذا، ونزلوا على عين فأمرهم رسول الله أن لأحد يمس مائها فسبق إليها رجلان، وركز النبي عنزته فيها ثلاث ركزات فهاشت ثلاث أعين. وهي الآن مدينة كبيرة في شمال المملكة العربية السعودية انظر: معجم البلدان

التوبة: ٩٢]، وكما سأله أبو موسى الأشعري وأصحابه الأشعريون^(١) أن يحملهم فقال: «والله ما أحملكم وما عندى ما أحملكم عليه» وكان هؤلاء الأشعريون من خيار الصحابة؛ ظنوه قادراً على حاجتهم ولم يكن كذلك.

وفي الصحيحين أن فاطمة ابنته جاءت تسأله خادماً فأتاها بعد أن نامت هي وعلي -رضى الله عنهما- فعلمها أن تسبح وتُحمد وتُكبر، وقال: «ذلك خير لك من خادم» ولم يعطها الخادم^(٢).

١- الأشعريون: بطن من كهلان، من القحطانية. وهم بنو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وهم قبيلة مشهورة في اليمن. وقيل له الأشعر لأن أمه ولدته والشعر على بطنه، منهم أبو موسى الأشعري. قدموا على النبي ﷺ وأثنى عليهم. انظر: الباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين أبي الحسن ابن الأثير ج١/٥٠ طبعة ١٣٥٧هـ الناشر مكتبة القدسي القاهرة - مصر، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تأليف أبي العباس القلقشندي تحقيق إبراهيم الإبياري ص ١٦٨ الطبعة الأولى ١٩٥٩م الناشر الشركة العربية للطباعة القاهرة، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة ج١/٣٠ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٢- أخرجه البخاري في (كتاب النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها) ج٤/١٧٢٧ رقم ٥٣٦١ ولفظه: حدثنا علي «أن فاطمة -عليهما السلام- أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي، وبلغها أنه جاءه رقيق، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال على مكانكما» فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتكما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أو أويئتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحداً ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» وطره رقم ٥٣٦٢

وقد قال تعالى ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِنَّمَا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ بِتَغَاءٍ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا﴾ [سورة الأسراء: ٢٦-٢٨]، فأمره^(١) تعالى إذا لم يجد ما يعطي السائل أن يقول له قولاً ميسوراً، وفي صفته أنه ﷺ كان إذا آتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول^(٢)، وقد قال -تعالى- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٣]، وقال -تعالى- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [سورة الضحى: ٩-١٠] ولما قدم عليه وفد هوازن مسلمين سأله أن يرد عليهم السي والمال، فقال: «أحب الحديث إليّ أصدقه ومعني من ترون، فاختراروا إحدى الطائفتين: إما السي وإما المال»^(٣)، فهو تارة يسأل ما يقدر عليه، وتارة ما لا يقدر عليه.

ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب التسييح أول النهار وعند النوم) ج ٤/ ٢٠٩١-٢٠٩٢ رقم ٢٧٢٧ ورقم ٢٧٢٨.

١- في (د) فامر

٢- أخرج البخاري في (كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل) ج ٤/ ٤١٩٠٧ رقم ٦٠٣٤ عن ابن المنكر قال: «سمعت جابرًا -رضي الله عنه- يقول: ماسئِلَ رسول الله ﷺ عن شيءٍ قط فقال: لا».

٣- أخرجه البخاري في (كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوابي المسلمين) ج ٢/ ٩٦٤ برقم ٣١٣١-٣١٣٢ من حديث مروان بن الحكم و المسور بن مخرمة. وأوله «أن رسول الله ﷺ قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسيبهم، فقال رسول الله ﷺ أحب الحديث ... الحديث» وطرفه رقم ٤٣١٨، ٤٣١٩.

فهذا الحديث - إن كان صحيحاً - فقد سأل به بعض / أصحابه أن يدفع عنهم ضرر ذلك المنافق، فأخبرهم أنه لا يقدر عليه بل يطلب ذلك من الله، كما أن عمر بن الخطاب^(١) كتب إليه أبو عبيدة بن الجراح^(٢) عام اليرموك يستنصره على الكفار، ويخبره أنه قد نزل بهم جموع لا طاقة لهم بها، فلما وصل كتابه بكى الناس، (وكان من أشدهم عبد الرحمن بن عوف وأشار على عمر أن يخرج بالناس)^(٣)، فرأى عمر أن ذلك لا يمكن، وكتب إليه^(٤) «مهما ينزل بامرئ مسلم من شدة فينزلها بالله يجعل الله^(٥) له فرجاً ومخرجاً، فإذا جاءك كتابي هذا فاستعن بالله وقتلهم»^(٦) فأخبره أنه لا يمكنه أن يعاونه في هذه القضية، وأمره أن

١- في (د) و(ف) رضى الله عنه.

٢- في (د) و(ف) رضى الله عنه.

٣- ما بين القوسين سقط من (ف)

٤- في هامش (د) وفي نسخه "إلى أبو عبيدة" هكذا.

٥- لفظ الجلالة سقط من (ف).

٦- أخرجه الإمام مالك في الموطأ في (كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد).

ج٢/٤٤٦ رقم ٦ ولفظه «... ومخرجاً، وأنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله -

تعالى - يقول في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠]، وقد أعله ابن حجر في فتح الباري

ج٨/٩٢٣ بالانقطاع، وأنه موقوف على عمر. وأخرج الإمام أحمد عن عياض

الأشعري قال: كتبنا إلى عمر أنه جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا إنه قد

جائني كتابكم تستمدوني، وإنني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً،

فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي

هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني». الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ترتيب

يستعين بالله، وإن كان قد كان يمكنه أن يعينه.

الوجه الثالث^(١): أنه لو أريد هذا المعنى لقل ما يدل على هذا المعنى مثل أن يقال: توكلوا عليّ وأنا أغيثكم^(٢)، ولم يقل إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله، فإنه قد نفى وأثبت بكلام مطلق وليس في الباب ما يدل على ما ذكر.

ويظهر هذا بالوجه الرابع: وهو أن أبابكر وغيره من الصحابة أعلم بالله من أن يظنوا أن يستقل بالإبداع والاختراع. فمن حمل الحديث على هذا فقد نسب الصديق إلى غاية الضلال، أين من ينزه الصديق من الخطأ وينسبه إلى هذا؟. والني ﷺ نفى وأثبت؛ وإن كان مانفا لم يخطر بقلوبهم فأي حاجة إلى نفيه؟ وإن قيل إنهم ظنوه فذلك بهتان عظيم، بخلاف ظنهم أنه يقدر على دفع المكروه، فإن هذا الظن قد كان يقع منهم كثيراً، أو قد يكون الأمر كما يظنه الظان، فليس فيه قدح لافي الصحابة ولا في الرسول ﷺ، بخلاف من يقول: لاتعتقدوا فيّ أني مثل الله؛ أقدر وأستقل بالتأثير كما يفعل الله، فإن هذا المعنى لا يظنه به من هو دون الصحابة، فكيف يظنونه هم، ومن أراد أن يأمر غيره بالتوكل مع السبب المأمور به، لا ينهيه عن السبب، بل يقول له

أحمد عبدالرحمن البنا جـ ٢٣/٨٢ رقم ١٩٠ الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ الناشر دار الشهاب القاهرة مصر، وقال البنا: صحيح الإسناد. هـ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦/٢١٣: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. هـ. وله شواهد.

١- في (ف) (عشر) زياده.

٢- في (ف) أعينكم.

فهم الصحابة لحديث لا يستغاث بي

كما قال: «اعقلها وتوكل»^(١)، وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»^(٢) وكما قال -تعالى- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] وكما كان النبي ﷺ يقول لمن يبعثه في السرايا: «ادعهم إلى الإسلام ثم الهجرة وإلا فالجزية فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم»^(٣) لا يقال

١- أخرجه الترمذي في (كتاب صفة القيامة، باب ١٠) جـ ٤/٦٦٨ رقم ٢٥١٧ من حديث أنس بن مالك ولفظه «قال رجل يارسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟...» قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب من حديث أنس لانعرفه إلا من هذا الوجه. وقد روى عن عمرو بن أمية عن النبي ﷺ نحو هذا وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠/٣٠٣: رواه الطبراني عن عمرو بن أمية من طرق رجال أحدهما رجال الصحيح غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية وهو ثقة. هـ. ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته جـ ١/٢٤٢ رقم ١٠٦٨.

٢- أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله) جـ ٤/٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأوله «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله ... الحديث».

٣- هذا الخبر ذكره المصنف مختصراً، وقد أخرجه مسلم في (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمراء على البعث، ووصيته إياهم بأداب الغزو) جـ ٣/١٣٥٧ رقم ١٧٣١ ولفظه «كان رسول الله ﷺ إذا أُمِّرَ أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام (سقطت ثم من روايات الحديث عند غير مسلم) فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من

في مثل هذه لا تقا تل ولا تحرص على ما ينفعك.

الوجه الخامس: أن الحديث الذي ذكره حجة عليه، وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «[من] نزلت^(١) به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أو شك له بالغنى،. إما بموت عاجل، أو غنى عاجل»^(٢) رواه أبو داود والترمذى وصححه.

فإنزال الفاقة بالناس أن يشكو إليهم ويترك الشكوى إلى الله، فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق جائزة لجاز إنزالها بالناس، وقد قال يعقوب -عليه السلام- ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة

دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم مال للمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذى يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمة شئ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ... الحديث» أخرجه الترمذى في (كتاب السير، باب ماجاء في وصيته ﷺ في القتال) جـ٤/١٦٢ رقم ١٦١٧ وابن ماجه في (أبواب الجهاد، باب وصية الإمام) جـ٢/١٤٧ رقم ٢٨٨٧ والإمام أحمد في المسند جـ٥/٣٥٢، ٣٥٨ وغيرهم.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (نزل)

٢- أخرجه الترمذى في (كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا وجهها) جـ٤/٥٦٣ رقم ٢٣٢٦ ولفظه «... ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل» وقال حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود في (كتاب الزكاة، باب الاستعفاف) جـ٢/٢٩٦ رقم ١٦٤٥ ولفظه «من أصابته» وأحمد في المسند جـ١/٤٠٧، ٤٤٢ والحاكم في المستدرک جـ١/٤٠٨ في كتاب الزكاة وقال صحيح الإسناد وتابعه الذهبي ورواه غيرهم.

يوسف: ٨٦]، وقال تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [سورة الشرح: ٧-٨] وقال النبي ﷺ لابن عباس «إذا سألت فاسأل الله^(١) وإذا استعنت فاستعن بالله^(٢)» ورأى الفضيل بن عياض^(٣) رجلاً يشكو إلى رجل فقال: يا هذا / أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، وقال بعضهم: ذكر الله الصبر الجميل والهجر^(٤) الجميل

٤٦

١- لفظ الجلالة سقطت من (ف).

٢- أخرجه الترمذي في (كتاب صفة القيامة، باب ٥٩) ج٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦ واللفظ له وقال حديث حسن صحيح، وأوله عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله الحديث». وتكلم على الحديث وشرحه ابن رجب فقال في جامع العلوم والحكم ج١/ ٤٦٢: ذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال، فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة أ.هـ... وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج١/ ٢٩٣ والحاكم في المستدرک ج٣/ ٥٤١-٥٤٢ كتاب معرفة الصحابة، وأبو يعلى في مسنده ج٤/ ٤٣٠ رقم ٢٥٥٦ والطبراني في المعجم الكبير ج١١/ ١٢٣ رقم ١١٢٤٣، ج١١/ ١٧٨ رقم ١١٤١٦، ج١١/ ٢٢٣ رقم ١١٥٦٠ وغيرهم.

٣- الفضيل بن عياض هو: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم. كان يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، قتال، وجاور البيت الحرام. كان فاضلاً عابداً ورعاً، وكان ثقة صدوقاً، كانت له مواعظ، وقدم في التقوى راسخ، قال الذهبي في السير ج٨ / ٤٣٩: قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك. مات سنة ١٨٧ هـ. انظر السير ج٨/ ٤٢١ ترجمة رقم ١١٤ الأعلام ج٥/ ١٥٣.

٤- في (د) الصفح.

(والصفح^(١) الجميل، فالصير الجميل الذى ليس فيه شكوى إلى المخلوق)^(٢)، والهجر الجميل الذى ليس فيه أذى، والصفح الجميل الذى ليس فيه عتاب.

وأما قوله (المراد بالخبر التنبيه على^(٣) الرجوع إلى الله - تعالى - بالقلب لا ترك السبب، بل [أن] ^(٤) يذكر الله في ذلك السبب).

فيقال: الأسباب نوعان: سبب مأمور به، فهذا طاعة وعبادة الله، كطلب الرزق؛ بالصناعة والتجارة، وكدفع العدو بالقتال، والأكل عند الجوع، واللباس عند البرد، فهذا ليس فيه إنزال الفاقة بهم ولا شكوى إليهم، وأما نفس سؤال الناس؛ فسؤالهم في الأصل محرم بالنصوص المحرمة له، وإنما يباح عند الضرورة^(٥).

وتنازع العلماء هل يجب سؤالهم عند الضرورة؟ فالمنصوص عن أحمد أنه لا يجب سؤال الخلق^(٦)، مع إيجابه مع غيره من الأئمة الأربعة وغيرهم

١- في (د) الهجر.

٢- ما بين القوسين سقط من (ف). وشرح المصنف الصير الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل في مج ١٠٠/٦٦٦.

٣- (على) سقطت من (د).

٤- كذا في (ف) و (د) و (ح) وسقطت من الأصل، وسيذكر المؤلف النص مرة أخرى ويشتمها. انظر ص ٢٨٤

٥- انظر شرح مسلم للنووي ج ٧/١٣٣ فقد نقل اتفاق العلماء على منع السؤال. وانظر فتح الباري لابن حجر ج ٣/٤٢٨.

٦- حكى الأثرم عن أحمد بن حنبل وقد سُئِلَ عن المسألة ... قيل لأبي عبد الله: فإن اضطر إلى المسألة؟ قال: هي مباحة إذا اضطر. قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير

الأكل من الميتة عند الضرورة^(١)، فإن الله لم يوجب سؤال الخلق، بل قد وصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً فكان^(٢) أحدهم إذا سقط سوطه لا يقول لأحد ناولني إياه، منهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-^(٣).

له. ثم قال: ما أظن أحداً يموت من الجوع ! الله يأتيه بالرزق. انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج٣/٣٤٤. ونص العلامة منصور البهوتي في كشف القناع عن متن الإقناع ج٦/١٩٦ (راجع هلال مصيلحي هلال طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان) على أنه يجب تقديم السؤال على أكل الحرام.

١- قال ابن قدامة: وجوب الأكل من الميتة هو قول مسروق وظاهر كلام الأئمة الأربعة وغيرهم. وخالف بعضهم فقالوا الأكل من الميتة رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص. وقال النووي والأصح وجوب الأكل. انظر: المغنى وبهامشه الشرح ج١١/٧٤ وروضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي إشراف زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت ج٣/٢٨٢ وحاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي ج٧/٤٣٢ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢- في (د) (وكان).

٣- يشير المؤلف -رحمه الله- إلى حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله ثم قال «ألا تبايعون رسول الله؟» قلنا قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال «ألا تبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا (وأمر كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئاً» فلقد رأيت بعض أولئك نفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه. أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب كراهية سؤال الناس) ج٢/٧٢١ رقم ١٠٤٣. وعن ابن أبي مليكة قال: ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق

وصاحب الفاقة إذا^(١) سأل الله - تعالى -^(٢) [أنزلها بالغني المنيّ العليم
القدير]^(٣)

وقيل: يجب السؤال^(٤)، وهذا منقول عن الثوري^(٥) وهو اختيار أبي
الفرج ابن الجوزي^(٦) وعلى هذا قال قائل: يسأل الناس ما يجب عليهم

-رضى الله عنه- فيضرب بذراع ناقته فينيحها فيأخذه، قال فقالوا له: لو أمرتنا
تناولكه، فقال إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لأسأل الناس شيئاً» أخرجه
الإمام أحمد أنظر الفتح الرباني في ترتيب مستند الإمام أحمد ج ٢٣/٦٦ رقم ١٤٨
وقال أحمد البنا: ابن أبي مليكة تابعي ثقة لم يدرك أبا بكر فإسناده ضعيف
للاتقطاع . ا.هـ. وهو كذلك. إلا أن له شواهد صحيحة.

١- في الأصل و(ف) (سأل) زيادة.

٢- في (د) و(ف) (إذا أنزلها بالله - تعالى -).

٣- ما بين المعقوفين من (د) و(ت) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٤- وزاد بعض أهل العلم قولهم: يجب حال الاضطراب في العري والجوع. انظر: عون
المعبود شرح سنن أبي داود ج ٥/٤٩.

٥- الثوري: هو أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ولد سنة
٩٧هـ قال عنه الذهبي: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في
زمانه، مصنف كتاب الجامع، أثنى عليه الأئمة، قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم
ويحيى بن معين وغيرهم سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، كان رأساً في
الزهد، والتأله والخوف، والحفظ، ومعرفة الآثار . ا.هـ. له من الكتب "الجامع
الكبير" و "الجامع الصغير" كلاهما من الحديث. توفي سنة ١٦١هـ. انظر السير
ج ٧/٢٢٩ ترجمة رقم ٨٢ والأعلام ج ٣/١٠٤.

٦- أبو الفرج ابن الجوزي: هو جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
القرشي، البغدادي، الحنبلي يرجع نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق -رضى الله
عنه- ولد سنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ انتفع في الحديث بملازمة ابن ناصر، كان رأساً
في التذكر والوعظ، وبحراً في التفسير صاحب التصانيف الكثيرة منها "زاد المسير"

أن يعطوه إياه؛ إما من الزكاة وإما من غيرها، فإن إطعام الجائع فرض على الكفاية من الناس / كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني»^(١) وقد جاء في الحديث «لو صدق السائل ما أفلح من رده»^(٢).

"وتذكرة الأريب" وفنون الأفتان" وغيرها. نالته محنة في أواخر عمره، ووشوا به إلى الخليفة الناصر بأمر اختلف في حقيقته توفي بين العشائين الثالث عشر من رمضان سنة ٥٩٧هـ، أنكر عليه بعض العلماء كلمات يخالف فيها السنة. انظر السير ج٢١/٣٦٥ ترجمة رقم ١٩٢ والأعلام ج٣/٣١٦.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير) ج٢/٩٣٧ برقم ٣٠٤٦ وأطرافه بالأرقام ٥١٧٤، ٥٣٧٣، ٥٦٤٩، ٧١٧٣ وهذا اللفظ أخرجه أبو يعلى في المسند ج١٣/٣٠٩-٣١٠ رقم ٧٣٢٥ من حديث أبي موسى -رضى الله عنه- و أخرجه غيرهم.

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٨/٢٩٤ رقم ٧٩٦٧ ورقم ٧٩٦٨ ولفظه «لو أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم» وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣/١٠٢ بجعفر بن الزبير وقال: ضعيف ١.هـ. وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٨٢ تحقيق محمد محي الدين الأصفر (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت، ودار الإشراف بيروت لبنان): بلفظ المصنف وقال ليس له أصل ١.هـ. وذكر روايات الخبر ابن الجوزي في الموضوعات تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ج٢/١٥٥ الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية وبين ضعفها ونقل عن العقيلي قوله: لا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء ١.هـ. قلت: وما يروى عن الإمام أحمد أنه قال : أربعة أحاديث تدور عن رسول الله ﷺ في الأسواق ليس لها أصل ذكر منها «للسائل حق وإن جاء على فرس» قال العراقي: لا يصح هذا الكلام عن الإمام أحمد فإنه أخرج هذا الحديث في المسند ثم ذكر العراقي طرق الحديث وأعلها.

ونقل المروزي^(١) عن أحمد أنه إذا عَلِمَ صدق السائل وجب أن يعطيه، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج: ٢٤-٢٥]، وإذا كان يسألهم ما أوجب الله عليهم كان بمنزلة أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه الذي جعل الله له في المال، وسؤال ذي السلطان جائز^(٢)، كمن سأل المودع أن يرد عليه

انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح تأليف زين الدين العراقي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

١- في (د) (المروزي) والصواب المروزي نسبة إلى مرو الروذ، والروذ بالذال المعجمة بالفارسية: النهر، من مدن خراسان. انظر معجم البلدان ج ٥ / ١٣٢ رقم (١١٦٧). وهو: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحاج المروزي، صاحب الإمام أحمد، كان ذكياً، يقدمه أحمد على جميع أصحابه، ويأنس به، ويعتد في الحاجة، قال له الإمام أحمد: كل ما قلت عني فهو على لساني وأنا قلته. نقل عن أحمد مسائل كثيرة، وهو الذي أغمض الإمام أحمد، وكان فيمن غسله روى جزءاً فيه كلام الإمام أحمد في علل الحديث ومعرفة الرجال حققه صبحي البدر السامرائي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض. توفي عام ٢٧٥هـ. أنظر البداية والنهاية ج ١١ / ٥٨ والأعلام ج ١ / ٢٠٥.

٢- (جائز) سقطت من (ف). وقد اختلف العلماء في سؤال السلطان وقبول عطيته على ثلاثة أقوال:

أولها: يحرم قبول عطية السلطان.

الثاني: يكره قبول عطية السلطان.

الثالث: الإباحة وهو الأصل، إذا كان ماله حلالاً، وتحرم إذا كان حراماً، ومن شك فالاحتياط رده وهو الورع، وأصحاب هذا القول حملوا القول الأول على أنه إذا كان السلطان جائراً، والثاني على الورع وهو المشهور عن السلف. واستدلوا

وديعته، وأن يعطيه حقه من الميراث والمغنم ونحو ذلك.

وعلى هذا فليس للسائل أن يسأل من لافضل عنده، وليس له أن يتعدى في السؤال على الناس، وليس له أن يجزع ويعدل عن الصبر الجميل، وعليه أن يرغب إلى الله ويتوكل عليه، وحينئذ فلا يكون قد أنزلها بالناس مع أن القول الأول وهو عدم وجوب السؤال أظهر، فإن النصوص تقتضي أن ترك سؤال الخلق أفضل مطلقاً^(١)، ولهذا فإن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفاً «هم الذين لا يسترقون»^(٢) والمسترقي يطلب الدعاء^(٣) من الراقي، وقد قال -تعالى- ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣] فقد بين أنه كافي من توكل عليه، وأنه لا بد أن يرزق

بحديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ : «إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطاناً، أو في أمر لا بد منه» أخرجه الترمذي في السنن (المسمى جامع الترمذي) في (كتاب الزكاة، باب ماجاء في النهي عن المسألة) ج٣/٦٤ رقم ٦٨١ وقال: هذا حديث حسن صحيح أ.هـ. وأبو داود في (كتاب الزكاة، باب مايجوز فيه المسألة) ج٢/٢٨٩ رقم ١٦٣٩ والامام أحمد في == المسند ج٥/١٠، ١٩، ٢٢ وابن أبي الدنيا في القناعة والتعفف ص ٢٤ رقم ٢٠ وغيرهم. وللتوسع انظر شرح مسلم ج٧/١٤١ وفتح الباري ج٣/٤٣١.

١- وهذا هو الراجح انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣/٣٤٤ وشرح مسلم ج٧/١٣٣ وفتح الباري ج٣/٣٤٢.

٢- سبق تخريج الحديث.

٣- في هامش (د): رقيه، وفي (ط): الرقية.

المتقي من حيث لا يحتسب^(١)، والميتة رزق ساقه الله إليه عند الضرورة فليس له أن يمتنع من أكله فيعين على قتل نفسه، ولو أتاه مال من غير مسألة ولا إشراف نفس أخذه^(٢)، وهذا/ كله يدل على أن سؤال الخلق والاستغاثة بهم حرام في الأصل؛ لا يباح إلا لضرورة، وهو في الاظهر أشد تحريماً من الميتة.

فكيف يقال إنه مأمور به فيما لا يقدر عليه الخلق؟ وهل قال أحد أن سؤال المخلوق والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله -تعالى- مأمور به أو مباح، ومن هنا يظهر الوجه السادس: قوله (والمراد به التنبيه على الرجوع إلى الله -تعالى- بالقلب لا بترك السبب، بل أن يذكر الله في ذلك السبب).

الاستغاثة بالمخلوق
ليست من
الأسباب المشروعة

فيقال له: هذا إنما يصح إذا كان السبب مشروعاً، فإن السبب المشروع

١- في (ف) (قف على قوله لابد أن يرزق المتقي من حيث لا يحتسب) ا.هـ. وهذه الجملة من باب التصديق بكلام الله -تعالى- والثقة بما عنده، وأنه لابد أن يرزق المتقي من حيث لا يحتسب، وهي من جنس قوله في معركة شقحب لما حلف الأمراء والناس أنهم منصورون في هذه الكره، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول تحقّقاً لاتعليقاً، وكان يتأول أشياء من كتاب الله، منها قوله تعالى ﴿ثم بغي عليه لينصرنه الله﴾ [سورة الحج: ٦٠] انظر: البداية والنهاية ج ٤/ ٢٦/ ٢٦.

٢- يشير المؤلف إلى حديث ابن عمر -رضي الله عنه- قال: سمعت عمر يقول: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني. فقال: «خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء، وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذ، وما لا فلا تتبعه نفسك» أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس) ج ١/ ٤٤٠ رقم ١٤٧٣.

لا ينافي التوكل، والكلام هنا في من يستغيث بالخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كما قيل في الجواب، فأما مالا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا من الله، لا يطلب ذلك من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم.

ومعلوم أن سؤال الخلق^(١) مثل هذا باطل شرعاً وعقلاً، فمن الذى جعل هذا من الأسباب الشرعية؟ ومن قال إن النبي ﷺ إذا لم يكن عنده شئ يعطيه فينبغي للإنسان أن يسأله ويستغيث به؟ وإذا لم يمكنه دفع العدو ينبغي للإنسان أن يسأله ويستغيث به في ذلك؟ وقد تقدمت النصوص عن النبي ﷺ بأنه كان يمدح من لا يسأله مطلقاً، ويذم من يسأله ما لا يجب أن يعطيه، ويذم من يسأله ما لا يقدر عليه.

النهى عن سؤال النبي ﷺ مطلقاً

فسأله والاستغاثة به^(٢) في ذلك أذى وعدوان عليه، يحرم فعله معه ﷺ، أعظم مما يحرم أذى غيره والعدوان عليه، مع مافيه من الشرك والجزع، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- نهوا أن يسألوه/ كما ثبت في الصحيح عن أنس -رضي الله عنه- قال: «نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ فكان يعجبنا أن يجيئ الرجل من أهل البادية -العاقل- فيسأله ونحن نسمع»^(٣) وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن

٤٩

١- في (د) (سؤال) زياده.

٢- (به) سقطت من (د).

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام) ج ١/ ٤١ برقم

١٢ ولفظه «... رسول الله ﷺ عن شئ...» والنسائي في (كتاب الصيام، باب

وجوب الصيام) ج ٤/ ١٢١ رقم ٢٠٨٩ وغيرهم.

أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴿ [سورة المائدة: ١٠١] هذا وإن كان في سؤال العلم أحياناً، فسؤال الدنيا أولى.

وقد ذم من كان يسأل الرسل الآيات، قال تعالى ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ [سورة البقرة: ١٠٨] وقال تعالى ﴿يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ [سورة النساء: ١٥٣] ولو كان يجوز السؤال له ^(١) والاستغاثه به في كل ما يسأل الله ويستغاث به فيه، - كما قال هؤلاء المفترون إنه تجوز الاستغاثه به وبغيره من الصالحين في كل ما يستغاث الله فيه-، لم يحرم من مسأله إلا ما يحرم من مسألة الله، والعبد يجوز أن يسأل الله الرزق والعافيه والنصر على الأعداء والهداية، والنبي ﷺ لا يجوز أن يسأله أحد كل ما ^(٢) يقدر، فضلاً عن أن يسأله مالا يقدر عليه؛ لما في ذلك من الأذى والعدوان عليه، وهو أحق بالتعزير والتوقير من غيره، فإذا كان يحرم أذى غيره بذلك؛ فأذاه أولى ^(٣) بالتحريم، بل أذاه كفر، وأذى المؤمنين ذنب قال تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [سورة الأحزاب: ٥٧-٥٨].

١- (له) سقطت من (د)

٢- في (ف) و(د) كما وفي (ط) مما.

٣- (أولى) سقطت من (د).

فصل

قال (و كثيراً ما تنفى الأشياء في النصوص الشرعية إشارة إلى التوحيد)، ويثبتها الباري - سبحانه^(١) - في مواضع أخر^(٢) اعتباراً بالأسباب، وإثباتاً لبساط الحكمة، فيأتي هذا المبتدع^(٣) فيخلط في الحقائق ويلحد في الآيات، كما قال في الإغائة والنصرة وغيرهما أنها لا تصح في الخلق ولا يسألونها ولا تضاف إليهم، وأخطأ في ذلك، فإن هذه الحقائق ثبتت للمخلوقات حقيقة لغوية بإجماع العلماء ونصوص الكتاب والسنة اعتباراً بالسبب والحكمة، وتنفى عن الخلق إشارة للتوحيد وانفراد الباري بخلقها، كما انفرد بخلق غيرها، كما قال سبحانه^(٤) من بساط التوحيد ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦] وقال عز وجل ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾^(٥) [سورة القصص: ٥٦] وقال ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [سورة الفاتحة: ٥] ثم قال لنبيه ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [سورة الشورى: ٥٢] وقال ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]^(٦) وفي الصحيح «انصر أخاك ظالماً أو

هـ كلام البكري في الرد على ابن تيمية

١- في (د) تعالى.

٢- الأولى (أخرى).

٣- في هامش الأصل : ((يشير إلى شيخ الإسلام - رحمة الله - وهو المبتدع ... ثم ثلاث كلمات غير واضحة).

٤- في (د) تعالى.

٥- قوله تعالى ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ سقط من (د).

٦- في (ف) وقال في.

مظلوماً»^(١) وقال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة: ٤٥] وقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢] وفي الصحيح «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٣) و«أعني على نفسك بكثرة»^(٤) السجود»^(٥) وجمع الوجهين في قوله تعالى ﴿وَمَارِمِيتَ إِذْ رَمِيتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأنفال: ١٧].

فيقال: في هذا الكلام من الكذب والافتراء والظلم والاعتداء والجهل والضلال ما يظهر عند التأمل، وجوابه من وجوه: الأول: أن لفظ المذكور جواب المسألة التي سألتها، واعترض بعد جوابها، [وصورة السؤال: المستول من السادة العلماء أئمة الدين، أن يبينوا ما يجوز وما لا يجوز من الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والصالحين. وصورة

رد ابن نيمية

الوجه الأول: إثبات شفاعة النبي ﷺ في الآخرة

١- أخرجه البخاري في (كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً) جـ ٢/٧٣٢ رقم ٢٤٤٣ بلفظه من حديث أنس بن مالك وطرفه رقم ٦٥٥٢.

٢- (تعالى) سقطت من (د).

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) جـ ٤/٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «من نفس عن مؤمن ... الحديث».

٤- في (د) بكسر.

٥- أخرجه مسلم في (كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه) جـ ١/٣٥٣ رقم ٤٨٩ من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي وأوله «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي «سل» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال الحديث».

الجواب^(١): قد ثبت بالسنة المستفيضة [بل]^(٢) المتواترة
واتفاق^(٣) الأمه أن النبي ﷺ الشافع / المشفع، وأنه يشفع في الخلائق
يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به ، ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى
ربهم - عز وجل - وأنه يشفع لهم ، ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه

٥١

١- بياض في الأصل و(د) و(ف) و(ح) و(ط). وما أثبت أعلاه من كتاب قاعدة
حليّة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ض ٢٤٤، من كلام المؤلف عن هذه الرسالة
و من هنا تبدأ رسالة «الاستغاثة» لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً خرج أحاديثها
محمود إمام منصور وسبق الإشارة إليها في الدراسة، وسيشير المؤلف بعد انتهائه
من نقل أجراء من الرسالة أنه ذكر السؤال والجواب عليه كما في ص ٣٠٢ ، ولم
أثبت السؤال من رسالة الاستغاثة لأنه لا يستقيم معه الكلام . وقد قارنت الرسالة
بهذا النص وتبين وجود سقط وتحريف بها ، لعل الله ييسر إخراجها .

٢- كذا في (ف) وسقطت من الأصل و(د) و(ح). والسنة المستفيضة: هي السنة
المشهورة عند المحدثين وجماعة من الفقهاء. وسميت بذلك لاشتهارها وتطلق على
ماشتهر على الألسنة، فتشمل ماله إسناده واحد فصاعداً، بل مالا يوجد له إسناده
أصلاً. شرح نخب الفكر لابن حجر العسقلاني تعليق محمد الصباغ ص ١٤ (الطبعة
الثانية ١٤١٠ هـ الناشر مكتبة الغزالي-دمشق). وقال بعضهم: هو ما كان من
الآحاد في الأصل، ثم اشتهر فصار ينقله قوم عن قوم لا يتصور تواطؤهم على
الكذب، فيكون كالتواتر بعد القرن الأول. التعريفات ص ٢١٤.

والتواترة هي: ما رواها جمع عن جمع بلا حصر عدد معين بحيث تكون
العادة قد أحالت تواطؤهم على الكذب وهي ما أفادت العلم اليقيني. انظر نخب
الفكر ص ٨-١٠. وكذلك خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له
يفيد العلم اليقيني. شرح الطحاوية ص ٣٥٥ وينقسم التواتر إلى: تواتر لفظي وتواتر
بالمعنى، وأحاديث الشفاعة متواترة معنى. انظر مع ج ١٨/١٦.

يشفع في أهل الكبائر وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد.

وأما الخوارج^(١) والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين؛ إلا ما يحكى عن طائفة قليلة منهم وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل. ومن أنكر ماثبت بالتواتر والإجماع فهو كافر بعد قيام الحجة عليه.

وسواء سمي هذا المعنى استغاثة أو لم يسمَّه، وكذلك من أقر بشفاعته في الآخرة؛ وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به؛ كما رواه البخارى في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن

١- الخوارج: سموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعد التحكيم، ويسمون الحرورية والنواصب والشراة. والوعيدية داخلية في الخوارج. ويجمع الخوارج القول بالتبرى من عثمان وعلي -رضي الله عنهما- ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

ومن فرقهم: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجارده، والثعالبة، والصفرية، والأباضية. ويرفض الأباضية من الخوارج اليوم نسبتهم إلى الخوارج، ويدعون أنهم أحد المذاهب الإسلامية، وأن قولهم بكفر مخالفين يقصدون كفر النعمة، وأنهم لم يستحلوا سلاح وخيل وأموال مخالفينهم، وهم الآن في دولة سلطنة عمان وشمال أفريقيا انظر التنبيه والرد للملطي: ٦٢، والمقالات ج١/١٦٧ والملل والنحل ج١/١١٤-١١٥ وما بعدها، والفرق بين الفرق ص ٧٢-٧٥ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د. أحمد جلى ص ٩٠-٩١.

عبدالمطلب^(١) وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتنسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون»^(٢)، وفي سنن أبي داود وغيره أن أعرابيا قال للنبي ﷺ جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فسبح رسول الله ﷺ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «ويحك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك»^(٣) وذكر تمام الحديث.

١- في (د) بالعباس رضى الله عنه.

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا) ج ٢/٣٠٢ رقم ١٠١٠ ولفظه «... استسقى قال: فيسقون» وطرفه رقم ٣٧١٠.

٣- أخرجه أبو داود في (كتاب السنن، باب في الجهمية والمعتزلة) ج ٥/٩٥ رقم ٤٧٢٦ والدارمي في الرد على الجهمية تخريج وتعليق بدر البدر ص ٤١ رقم ٧١ (الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر الدار السلفية حولي الكويت)، والدارقطني في كتاب الصفات تدقيق وتعليق عبد الله الغنيمان ص ٣١ (الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة)، وابن خزيمة في التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل - دراسة وتحقيق د. عبدالعزيز الشهوان ج ١/٢٣٩ (الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د. أحمد سعد حمدان ج ٣/٣٩٤ رقم ٦٥٦ (الطبعة الثانية ١٤١١ هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية)، والطبراني في المعجم الكبير ج ٢/١٣٣ رقم ١٥٤٧، وابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق عبد الله صديق ج ٧/١٤١، والبغوي في شرح السنة (ج ١/١٧٥) رقم (٩٢) وغيرهم. بالفاظ قريبة من لفظ المؤلف. ويعرف بمحدث أطيح العرش.

وقد اختلف فيه فرواه علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن سعيد وأبو الأزهر ومحمد بن يزيد وعبد الله بن محمد عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق

عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده،
وخالفهم عبدالأعلى النرسي ومحمد بن المثني ومحمد بن بشار فرووه عن وهب عن
أبيه عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد عن أبيه عن جده، وقد
رجح الحفاظ الرواية الأولى، فقال أبوداود في السنن جـ ٥/٩٦: والحديث بإسناد
أحمد بن سعيد هو الصحيح (أي: الإسناد الأول) ١هـ وقال الدار قطني في كتاب
الصفات ص ٣١: ومن قال فيه عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد فقد وهم. وقال
الذهبي في العلو للعلي الغفار تصحيح محمد رشيد رضا ص ٥٠ (طبعة ١٣٣٢هـ
الناشر محمد أفندي نصيف) الأول أصح ١هـ فإذا ترجحت الرواية الأولى، فابن
إسحاق مدلس وقد صرح بالنعنة، قال ابن حجر في كتابه تعريف أهل التقديس
بمراتب الموصفين بالتدليس تحقيق د. أحمد المبارك ص ٦٨ (الطبعة الثانية
١٤١٤هـ): صدوق مشهور بالتدليس ١هـ وجعله من الطبقة الرابعة التي اتفق على
أنه لا يحتج بشئ من حديثهم انظر ص ٦٣، وجبير بن محمد مجهول لم يوثقه سوى
ابن حبان. انظر النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٥ رقم
٥٩٢ وقال ابن حجر في التقریب جـ ١/١٥٧ رقم ٩٠٤: جبير بن محمد بن جبير
بن مطعم مقبول. أي مقبول حيث يتابع وإلا فلين الحديث ١هـ. وقد استغرب
الحديث ابن كثير في تفسيره جـ ١/٣١٠ وضعفه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
في بعض نسخ كتاب التوحيد، وصنف ابن عساكر جزءاً وضعفه فيه. انظر الدر
النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي ص ١٧٧ (الطبعة الأولى
١٤١٣هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض - السعودية)، وقال حمدي السلفي في
حاشية المعجم الكبير للطبراني جـ ٢/١٣٣: لم يصح في أطيح العرش حديث ١هـ.
وقال شعيب الأرناؤوط في حاشية شرح السنة جـ ١/١٧٥: الحديث ضعيف لا تقوم
به حجة ١هـ وضعفه الألباني في مختصر العلو للذهبي ص ٩٢ (الطبعة الأولى
١٤٠١هـ الناشر المكتب الاسلامي بيروت - لبنان). وقال ابن تيميه في مج
جـ ١٦/٤٣٥ ولفظ "الأطيح" قد جاء في حديث جبير بن مطعم الذي رواه أبو

فأنكر قوله «نستشفع بالله عليك» ولم ينكر قوله «نستشفع بك على الله» بل أقره عليه فعلم جوازه، فمن أنكر هذا فهو مخطئ ضال مبتدع؛ وفي كفره نزاع وتفصيل.

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع من / شفاعته والتوسل به ونحو ذلك، ولكن قال : إنه لا يدعى إلا الله وأن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فلا تطلب إلا منه، مثل : غفران الذنوب؛ وهداية القلوب، وإنزال المطر، وإنبات النبات ونحو ذلك، فهذا مصيب في ذلك، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً، كما قال تعالى ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥] وقال ^(١) ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [سورة القصص: ٥٦] وكما قال تعالى ^(٢) ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ [سورة فاطر: ٣] وكما قال تعالى ﴿وما

٥٢

داود في السنن. وابن عساكر عمل فيه جزءاً، وجعل عمدة الطعن في ابن إسحاق. والحديث قد رواه علماء السنة كأحمد وأبي داود وغيرهما، وليس فيه إلا ماله شاهد في رواية أخرى، ولفظ الأطيع قد جاء في غيره أ.هـ. وأجاب ابن القيم عن علل الحديث على لسان المثبتين له وأطال في ذلك انظر: عون المعبود جـ ١١/١٣ وما بعدها وتابعه فريح البهلال في كتابه تخريج أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد ص ١٢٥ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر دار الأثر الرياض - السعودية.

مما سبق يتبين أن الحديث ضعيف، وقد استدل به أهل السنة على إثبات العلو مع الأدلة الكثيرة التي استدلو بها، وشنع عليه المبتدعه.

١- في (د) تعالى.

٢- (تعالى) سقطت من (د).

جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله ﴿سورة آل عمران: ١٢٦﴾ وقال ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب إثباتها، والمعاني المنفيه بالكتاب والسنة يجب نفيها، والعبارة الدالة على المعاني نفيًا وإثباتًا، إن وجدت في كلام (١) الله (٢) ورسوله وجب إقرارها، وإن وجدت في كلام أحد فظهر مراده من ذلك؛ رتب عليه حكمه؛ وإلا رجع إليه فيه، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح، لكن بعض الناس يفهم من تلك العبارة (٣) غير مراد الله ورسوله، فهذا يُرد عليه فهمه، كما روى الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق [يؤذى] (٤) المؤمنين فقال أبوبكر الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: «/إنه لا يستغاث بي؛ إنما يستغاث بالله (٥)» (٦) فهذا إنما أراد به النبي ﷺ

٥٢ شرح حديث إنه لا يستغاث بي

١- في (د) كتاب

٢- في (د) تعالى وفي (ط) زاد (وكلام).

٣- (العبارة) سقطت من (ف)

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يؤى)

٥- في (د) عز وجل

٦- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عبادة بن الصامت - كما في مجمع الزوائد ج ١٠/ ١٥٩- (ومسند عبادة من القسم المفقود من المعجم) وأحمد في المسند ج ١٧/ ٣١٧ ولفظه «.. لا يقيم لي ولكن يقيم لله» وابن سعد في الطبقات الكبرى

ج١/٣٧٨ بلفظ الإمام أحمد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد في إسناد الطبراني ج١/١٥٩: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث أ.هـ. وقال في إسناد الإمام أحمد ج٤/٨٠: فيه راو لم يسم وابن لهيعة وهو حسن الحديث أ.هـ. قال ربيع المدخلي في حاشية التوسل والوسيلة لابن تيمية ص٢٦٤: وفي هذا الإسناد ابن لهيعة وهو ضعيف، والراوي عنه ليس من العبادلة وليس ممن روى عنه قبل الاختلاط. وفيه الرجل المجهول الراوى عن عبادة، وما قاله من أن الهيثمي في إسناد الطبراني فيه نظر أ.هـ.. وقال ابن كثير في تفسيره ج٣/١٧٣: هذا الحديث غريب جدا. أ.هـ.

وفي تلخيص الاستغاثة ص١٥٣-١٥٤: هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه بل ذكر ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذكر ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك لما فيه من الاعتضاد والمعاونة لا لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي. وهذا الخبر مما يصلح للاعتضاد به. وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفا، وإلا فهو مروى من زمان النبي ﷺ وما زال العلماء يقرؤون ذلك ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار، ولم يقل أحد إن إطلاق القول أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ كفر ولا حرام. أ.هـ. وقيل نقله الملخص عن ابن تيمية في التلخيص نظر، لأن ابن تيمية قال عن الحديث في ص٢٦٩: ((إن صح)) وأيضا ص٢٧٣ واستدل به في قاعدة جلية في التوسل والوسيلة في ص٢٦٤ ولم يتكلم عليه. وقال في الفتاوى عن ابن لهيعة ج١٨/٢٦: ((إنه من أكابر علماء المسلمين وكان قاضيا بمصر، كثير الحديث، لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه، فوقع في حديثه غلط كثير مع أن الغالب على حديثه الصحة. قال أحمد: اكتب حديث الرجل للاعتبار به مثل ابن لهيعة)) وبهذا يتضح أن تضعيف الحديث في التلخيص غالبه زيادة من الملخص، بناء على ما سبق يتضح أن الحديث ضعيف،

المعنى الثاني، وهو أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله، وإلا فالصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال «ربما ذكرت قول الشاعر، [وأنا]»^(١) انظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش له الميزاب .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب»^(٢). ولهذا قال المصنفون في أسماء الله -تعالى- : يجب على كل مكلف أن يعلم أن لاغيث ولاغيث على الإطلاق إلا الله^(٣)، وإن كل غوث فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يد غيره؛ فالحقيقة له سبحانه^(٤)، ولغيره مجازا. قالوا: ومن أسمائه المغيث والغيث، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة^(٥)، قالوا:

من أسماء الله
المغيث والغيث

ولكن كما قال الذهبي في السير ج ٨/ ١٤ عن ابن لهيعة «وبعضهم يبالغ في وهنه، ولا ينبغي إهداره، وتجنب تلك المناكير، فإنه عدل في نفسه اهـ والله أعلم».

١- كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) إنما

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا) ج ١/ ٣٠٢ رقم ١٠٠٩ ولفظه «... كل ميزاب ...» وطرفه ١٠٠٨ والبيت من قصيدة أبي طالب -عم النبي ﷺ- قالها في استعطاف قريش ومدح النبي ﷺ ومطلعها:

ولما رأيت القوم لاود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل.

انظر : سيرة ابن هشام ج ١/ ٢٧٢ وثمان اليتامى: غياثهم، وفلان ثمال بني فلان أي عمادهم وغياث لهم يقوم بأمرهم. لسان العرب ج ١١/ ٩٤ مادة ثمل.

٣- في (د) تعالى.

٤- في (د) تعالى وفي الأصل و(ف) (لذلك) وهي زيادة.

٥- في (د) رضي الله عنه. يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ولفظه «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن

الرحيم ... » الذى ورد فيه سرد أسماء الله -عز وجل- وقد أخرجه الترمذى في (كتاب الدعوات، باب ٨٢) ج٥/٥٣٠-٥٣٢ وابن ماجه في (أبواب الدعاء، باب أسماء الله -عز وجل-) ج٢/٣٤٨ رقم ٣٩٠٧ والحاكم في المستدرک ج١/١٦ وابن حبان في الإحسان ج٣/٨٨١ رقم ٨٠٨ والبيهقي في السنن الكبرى ج١٠/٢٧ وفي الأسماء والصفات ج١/٢٩ تحقيق عمادالدين أحمد حيدر والبغوي في شرح السنة ج٥/٣٢ رقم ١٢٥٧ ورد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص ١٢-١٣ تصحيح محمد الفقى (ط الأولى ١٣٥٨هـ دار الكتب العلمية بيروت) وابن منده في التوحيد ومعرفة أسماء الله -عز وجل- وصفاته على الاتفاق والتفرد تحقيق د.علي الفقيهي (الطبعة الثانية ١٤١٤هـ -الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية) ج٢/٢٠٥-٢٠٦ ورقم ٣٣٦ وغيرهم.

وقد ورد اسم «المغيث» المعجمة والمثلثة بدل «المقيت» بالقاف والمثناة عند البيهقي وابن منده من طريق موسى بن أيوب عن الوليد. فتح الباري لابن حجر ج١١/٢٥٨ ، فأخرجه ابن منده في التوحيد ج٢/٢٠٦ والبيهقي في الأسماء والصفات ج١/٢٩، والمغيث لم يرد في القرآن الكريم أو السنة وكثير من ألف في أسماء الله -تعالى- لم يذكره. مثل: تفسير أسماء الله لأبي إسحاق الزجاج، وشأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، وشرح أسماء الله الحسنى تأليف فخر الدين الرازي، وصفات الله -عز وجل- تأليف علوى بن عبدالرحمن السقاف وغيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى ج٦/٣٧٩-٣٨٠ -بعد أن ذكر رواية الترمذى وابن ماجه لهذا الحديث-: وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروایتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق الحديث أ.هـ.، وقال ابن حجر في فتح الباري ج١١/٢٥٧-٢٦٠: واختلف العلماء في سرد

وأجمعت الأمة على ذلك، وقال أبو عبد الله الحليمي^(١) :
الغيث هو المغيث ، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين،
ومعناه المدرك عبادة في الشدائد إذا دعوه، ومريجهم^(٢) ومخلصهم.
وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : «اللهم أغثنا اللهم أغثنا»^(٣) ،
يقال أغاثه إغاثه وغياثاً وغوثاً، وهذا الاسم في هذا المعنى [المجيب]^(٤)

الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمشى بعضهم على
الأول واستدلوا به على جواز تسمية الله - تعالى - بما لم يرد في القرآن بصيغة
الاسم، لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك. وذهب الآخرون إلى أن التعيين مدرج
لخلو أكثر الروايات عنه، ونُقل عن أكثر العلماء، والعلة في الحديث ليست تفرد
الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليس اهـ.

١- أبو عبيد الله الحليمي: هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم
البخاري الشافعي. ولد سنة ٣٣٨هـ ونشأ ببخارى، أحد الأذكياء، سيال الذهن،
من أهل الحديث، طويل الباع في الأدب والبيان. له كتاب "المنهاج في شعب
الإيمان" له طبعه قديمة كثيرة الأخطاء وهو مصنف نفيس، يكثر النقل منه اعتنى به
تلميذه أبو بكر البيهقي. توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر السير ج ١٧/ ٢٣١ ترجمة رقم
١٣٨ طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير الدمشقي تحقيق د. أحمد عمر هاشم
ود. محمد زنيهم ج ١/ ٣٥٠ طبعة مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد - مصر، والأعلام
ج ٢/ ٢٣٥.

٢- في رسالة الاستغاثه : ومجيبهم ، وهي من إضافات الناشر .

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير
مستقبل القبلة) ج ١/ ٣٠٣ رقم ١٠١٤ من حديث أنس بن مالك وأوله «أن
رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة الحديث».

٤- ما بين المعقوفتين من رسالة الاستغاثه ص ٥١ وكتاب الدر النضيد للإمام
الشوكاني، وقد نقل قطعة من هذا الكتاب، وفي جميع النسخ مجيب بدون (ال)
التعريف ولا يستقيم المعنى. وفي (ط) (مجب المجيب والمستحجب).

والمستجيب، قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الانفال: ٩]، إلا أن الإغائة أحق بالأفعال، والاستجابة أحق بالأقوال، وقد يقع كل منهما موقع الآخر. قالوا: والفرق بين المستغيث والداعي، أن المستغيث ينادي بالغوث، والداعي ينادي بالمدعو، وقد تقدم حكاية هذا إلى آخره فليس هذا موضع استقصائه^(١).

وفيه: والاستغائة بالرسول بمعنى أن / يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم، كما أنه يستغاث بغيره بمعنى أن يطلب منه ما يليق به، ومن نازع في هذا المعنى فهو [إما]^(٢) كافر إن أنكر ما يكفر به؛ وإما مخطئ ضال، وأما بالمعنى الذي نفاه الرسول ﷺ فهي^(٣) أيضاً مما يجب نفيها، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة [التي]^(٤) يكفر تاركها. ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي^(٥): استغائة المخلوق بالمخلوق

٥٤

طلب ما يليق
بمنصب الرسول لا
ينازع فيه

انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني تحقيق أبو عبدا لله الحلبي ص ١١ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض.

١- هنا ترك المؤلف ثمانية عشر سطرا من رسالة الاستغائة لابن تيمية.

٢- كذا في هامش (د) ورسالة الاستغائة ص ١٨ وسقطت من الأصل و(ف) وأصل (د) و (ح)

٣- كذا في جميع النسخ و (ط)، والضمير يعود على الاستغائة، وفي رسالة الاستغائة ص ١٩، والدر النضيد للشوكاني ص ١٣ (فهو).

٤- كذا في (ح) و (ط) وفي الأصل و (د) و (ف) الذي.

٥- في (د) رحمه الله وهو: أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، يسميه ابن عربي أبا يزيد الأكبر. أحد الزهاد، كان جده مجوسياً فأسلم، يحكى عنه الشطح في أشياء، منها ما لا يصح، أو يكون مقولا عليه، وأشياء مشككة لا مساغ لها، إذ

كاستغاثة الغريق بالغريق، وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي^(١) -الشيخ المشهور بالديار المصرية وغيرها-: " استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون".

وفي دعاء موسى -عليه السلام- «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢)، ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق، صح

ظاهاها إلحاد مثل سبحاني وما في الجبة إلا الله وغيرها. توفي سنة ٢٦١هـ. انظر السير جـ ٨٦/١٣ ترجمة رقم ٤٩ والأعلام جـ ٢٣٥/٣.

١- هو أبو عبد الله محمد سعيد القرشي له كتاب في شرح التوحيد نقل عنه أبو نعيم في حلية الأولياء بعض الأقوال. انظر: حلية الأولياء جـ ١٠/٣٧٧ ترجمة رقم ٦١٠ وذكره الكلاباذي بأبي عبد الله هيكمل القرشي وقال أحمد شمس الدين لم أجد له ترجمة: أنظر التعرف ص ٢٨، وذكره صفى الدين الحسين الأنصاري في سير الأولياء في القرن السابع تحقيق مأمون محمود ياسين وعفت وصال ص ٤٩ وما بعدها (الطبعة الأولى الناشر دار العالم بيروت - لبنان) ولم يذكر له نسبا ولا مولدا ولا تاريخ وفاة، وذكر ما يقطع بكذبه فيه وطن أنه كرامة له، وكذلك الشعراني في الطبقات الكبرى مثل قولهم إنه كان أجذم أبرص أعمى وعند زواجه بينت أحد أتباعه غير شكله إلى شاب جميل وسيم. وانظر الطبقات الكبرى المسماة بلواقع الأنوار في طبقات الأخيار لعبد الوهاب الشعراني جـ ١٥٩/١ (الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار الجليل بيروت، وبالهامش الأنوار القدسية).

٢- أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير تحقيق بدر البدر ص ١٧١ رقم ٢٣٣ من حديث ابن مسعود ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك الكلمات التي قالهن موسى -عليه السلام- حين انقلب البحر، قلت بلى، قال: قل: «... وبك المستغاث وأنت المستعان...» قال أبو بكر: تفرد به عبد الله بن نافع وليس بالقوي وقال بدر البدر في حاشية الدعوات ص ١٧١: إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن نافع. ١هـ.

إطلاق نفيا عما سوى الله - عز وجل - ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله.

وكذلك [الاستعانة]^(١) أيضاً منها ما لا يصلح إلا لله وهي المشار إليها بقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [سورة المائدة: ٢].

الاستعانة منها ما لا يصلح إلا لله ومنها غير ذلك

وكذلك الاستنصار قال^(٢) تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] والنصر المطلق ؛ وهو خلق ما به يغلب

والطبراني في المعجم الصغير جـ ١/ ١٢٢ وقال: لم يروه عن الأعمش إلا وكيع، ولا عن وكيع إلا زكريا بن فروخ، تفرد به جعفر بن النضر. قال الهيثمي في الجمع جـ ١٠/ ١٨٣ رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم. وقال المنذرى في الترغيب والترهيب ضبط وتعليق مصطفى عمارة جـ ٢/ ٦١٨ (طبعة ١٤٠١ هـ) الناشر دار الفكر بيروت - لبنان: ((ورواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد)). وقال ربيع المدخلي في حاشية التوسل والوسيلة ص ٢٦٤: ولقد بحثت كثيراً عن ترجمة جعفر بن النضر فلم أقف له على ترجمة مما يؤيد قول الهيثمي أ. هـ. وأخرجه أيضاً محمد بن جعفر المعروف بالخرائطي في فضيلة الشكر لله على نعمته تحقيق محمد مطيع ود. عبدالكريم اليافي ص ٣٧ رقم ١١ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

١- كذا في (د) و(ت) وفي الأصل و(ف) الاستغاثة وسقطت من (ج) ، لأن ما سبق عن الاستغاثة.

٢- في (د) وقال - بزيادة واو.

العدو لا يقدر عليه إلا الله^(١)، فهذه ألفاظ جواب السؤال/ الذي طلب
جوابه ؛ كما تقدم ذكر سؤاله^(٢) والجواب.

كذب البكري
على ابن تيمية

وقد ذهب إليه الجواب ووقف عليه، وزعم أنه يرد عليه فافترى
على المجيب بقوله (إنه يخلط في الحقائق ويلحد في الآيات كما قال في
الإغاثة والنصرة وغيرهما، أنها لا تصح من الخلق ولا يسألونها؛
ولا تضاف إليهم، وأخطأ في ذلك فإن هذه الحقائق ثبتت للمخلوقات
حقيقة لغوية بإجماع العلماء، ونصوص الكتاب والسنة، اعتباراً بالسبب
والحكمة، وتنفي عن الخلق إشارة إلى التوحيد، وانفراد الباري -
عز وجل- بخلقها، كما انفرد بخلق غيرها، كما قال تعالى من بساط
التوحيد ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦] وقال
﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [سورة القصص: ٥٦] وقال ﴿إياك نعبد
وإياك نستعين﴾ [سورة الفاتحة: ٥] وقال لنبيه ﷺ ﴿وإنك لتهدي إلى
صراط مستقيم﴾ [سورة الشورى: ٥٢] وقال ﴿وإن استصروكم في
الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] وقال تعالى ﴿وتعاونوا على
البر والتقوى﴾ [سورة المائدة: ٢].

١- في (د) تعالى ، و إلى هنا انتهى النقل من رسالة الاستغاثة للمؤلف و قد ترك منها
أسطراً قليلة عن حكم من أخطأ على علم أو اجتهد فأخطأ.

٢- يشير المؤلف -رحمه الله- إلى الإجابة المتقدمة، وأما السؤال فلم أجده في جميع
النسخ الموجودة لدى وفي بداية الجواب المسمى -رسالة الاستغاثة- بياض في جميع
النسخ، وقد أوردت السؤال كما ذكره المؤلف في كتاب قاعدة جلييلة في التوسل
والوسيلة ص ١٥٩.

جواب ابن تيمية

فيقال^(١): المحيب لم ينفها عن الخلق مطلقاً كما ذكرت، بل قال: ((وقد يستعان بالخلق فيما يقدر عليه كما قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [سورة المائدة: ٢] وكذلك الاستنصار قال تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]))^(٢) فقد ذكر هاتين الآيتين قبلك وفرق بين^(٣) [ما يضاف إلى المخلوق وما يضاف إلى الخالق؛ من النصر والإعانة كما فرق بين^(٤) هذا وهذا في الإغاثة، فنقلك عنه النفي العام كذب بين، ولكن هو فصل فجعل ما يخص به الله الذي لا يضاف إلى غيره وهو المطلق، وإنما يضاف إلى المخلوق ما يليق به، وأنت تريد أن تجعل المخلوق عدل الخالق، يضاف إليه جميع ما يضاف إلى الرب -عز وجل- مضاهاة للحولية والنصاري والمشركين، الذين أنت وأمثالك من طلائع جيوشهم، وأبواب مدائنهم، وهم دعاة إلى مذهبهم في الحقيقة، وإن كانوا لا يعلمون لوازم قولهم، وهذا بين يكشف ضلال هؤلاء.

٥٦ قول البكري
فيه مضاهاة
للهولية
والنصاري

ونقول في الوجه الثاني: قوله: ((وكثيراً ما تنفى الأشياء في النصوص الشرعية إشارة إلى التوحيد، [و]^(٥) يثبتها الباري -سبحانه-

١- هذا هو الوجه الأول، لأن المؤلف سيذكر الوجه الثاني فيما بعد.

٢- انظر الصفحة السابقة الاستغاثة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تعليق وتخريج محمود إمام منصور ص ١٩.

٣- (بين) سقطت من (د).

٤- ما بين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٥- كذا في (د) و(ف) و(ح) وسقطت الواو من الأصل.

في مواضع أخر^(١) اعتباراً بالأسباب وإثباتاً لبساط الحكمة).

الله تعالى لا ينفي
الشيء ويثبت

هو كلام باطل فإن الله - سبحانه - لا ينفي شيئاً ويثبت إياه إذ الجمع بين نفيه وإثباته تناقض، وكلام الله منزّه عن التناقض قال الله - تعالى - ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]، ولكن المنفي غير المثبت، فالذي ينفي في موضع ليس هو الذي يثبت في موضع آخر، ولكن هؤلاء الضلال يجعلون المنفي عين المثبت، فيكون ما يضاف إلى الرب بطريق التوحيد؛ يضاف إلى غيره بطريق السبب والحكمة، ولهذا قالوا: إن كل ما يطلب من الله؛ يُطلب من غيره (بهذا الطريق)^(٢).

فأشركوا في ربوبية الله ، وفي دعاء الله وعبادته، حيث جعلوا ما يضاف إلى المخلوق يضاف إليه تعالى، فصار حقيقة قولهم أن المخلوق تضاف إليه مفعولات الله كلها، ويطلب منه مقدرات الرب كلها؛ لما في الخلق من السبب والحكمة، ولم يعلم هؤلاء الجهال أن السبب لا يستقل بالتأثير، بل تأثيره متوقف على سبب آخر وله موانع؛ وحينئذ فلا يجوز تخصيصه بالإضافة إليه، وإن كان سبباً، وأيضاً فالأسباب التي نعرفها مضبوطة، وأكثر ما فعله الله ويفعله لانعرف نحن أسبابه، وأيضاً أثبتوا أسباباً في خلقه وأمره ونهيه ما أنزل الله بها من سلطان، بل إثباتها / مخالف للشرع والعقل، فضلوا في إثبات أسباب لاحقيقة لها، وفي [الإضافة]^(٣) إليها، وفي تعليق الحوادث كلها [بسبب]^(٤)

٥٧

١- كذا في جميع النسخ والصواب أخرى.

٢- ما بين القوسين في (ف) (بطريق) وبعدها بياض بقدر كلمة ، وفي (د) بياض بمقدار كلمة ، وفي (ح) بياض بمقدار كلمتين، وليس في الكلام سقط.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل إضافة

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) سبب

واحد^(١).

١- السبب: في اللغة اسم لما يتوصل به إلى المقصود، وفي الشريعة: عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. التعريفات للشريف الجرجاني ص ١١٧. وقد اختلف المسلمون في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب.

الأول: الفلاسفة والمعتزلة، والذين اعتمدوا على الأسباب، فالمعتزلة مثلاً جعلوا العمل الصالح سبباً للثواب، والفلاسفة جعلوا العلة سبباً في وجود المعلول.

الثاني: الجهمية ومن تابعهم من الأشاعرة والماتريدية والذين أنكروا الأسباب والحكمة والعلل والغايات، وأشهر من أنكر الأسباب أبو حامد الغزالي، فلا يقولون بتأثير الأسباب ولا بالتعليل، فلا مؤثر في الوجود إلا الله، والتأثير إنما هو عند الأسباب لا بها.

وعلى هذا زعم بعضهم: أن أحدهم إذا طلب شيئاً من نبي أو ولي فالله هو المعطي لمن سأل عند الطلب، ومن أسند التأثير لغير الله فقد أشرك. وانطلاقاً من هذا زعموا أن النار ليست سبباً في الإحراق، والأكل ليس سبباً في الشبع وغير ذلك.

الثالث: مذهب السلف فقالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

والله - سبحانه - ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدرًا، والشرع كله أسباب ومسببات، وهو سبحانه الذي جعل هذا سبباً لهذا، وبمجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فلا بد من تمام الشروط، وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. انظر شرح الأصول الخمسة ص ٦١٤ وتهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق د. سليمان دنيا ص ٢٣٩-٢٥١ (الطبعة السادسة الناشر دار المعارف القاهرة - مصر) والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة إملاء قوام السنة أبي القاسم الأصبهاني تحقيق محمد ربيع المدخلي ج ٢/٥٢-٥٥ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الناشر دار الراية - الرياض السعودية ومج ج ٨/٧٠، ١٧٥، ٤٦٦، وشرح الطحاوية ص ٤٦٠ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣/٦٢٨.

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشخص^(١) أنه كان يقول: إن النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التي قال فيها النبي ﷺ^(٢) «خمس لا يعلمها إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وماتدري نفس ماذا تكسب غدا، وماتدري نفس بأي أرض تموت»^(٣) وأظنه ذكر عنه أنه قال «علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله».

وآخر من جنسه يباشر التدريس ويُنسب إليه الفتيا كان يقول: دعوى الشاذلي (إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله^(٤))، ويقدر على ما يقدر عليه الله،

وعلى كل فإن مسألة الأسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم غيرهم لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة، فإن ذلك من خصائص الله -تعالى- باتفاق العقلاء وأهل المعرفة، كما أن الأشاعرة القائلين بعدم تأثير الأسباب لا يقولون بجواز عبادة غير الله، فلا يسجد لغير الله، ولا يذبح لغير الله، ولا ينذر لغير الله، ولا يحلف بغير الله، ولا يستغاث بغير الله. انظر غاية الأمان في الرد على النبهاني جـ ٢/٣٥٥. قلت: ولكن بعضهم وبالذات متأخريهم وقعوا في هوة الشرك أو وسائله.

١- أي البكري.

٢- في هامش (د) في نسخته «تكذيباً لقوله ولقول غيره ورداً عليهم».

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يبيح المطر إلا الله) جـ ١/٣١٠ رقم ١٠٣٩. ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام وإلحسان) جـ ١/٣٩ رقم ٩ واللفظ له. وهو قطعة من حديث جبريل عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «كان رسول الله ﷺ بارزاً يوماً للناس ... الحديث».

٤- يدعى زنادقة الصوفية هذه الدعوى ليس حياً للنبي ﷺ أو تعظيماً له كما يدعون، بل ليثبتوا بها أمراً آخر خاصاً بهم يقول الشعراي: اعلم أن رسول الله ﷺ أعطى القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور، فقليل له لاتعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقه على الأمة مجملاً فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله ﴿وقل

وأن السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي^(١) وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد

ربي زدني علماً أي بتفصيل ما أجمل من المعاني في التوحيد والأحكام.... ويقول ما بقي للأولياء إلا وحي الإلهام على لسان ملك مغيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الإلهام من غير شهود للملك إذ لا يجمع بين شهود الملك والجاحدين أ.هـ. الكبريت الأحمر بهامش اليواقيت والجواهر لعبد الوهاب الشعراني ص ٦ طبعة ١٣٧٨ هـ الناشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

وقال: وقد أخبرنا ﷺ بأنه أوتي علم الأولين والآخرين، ونحن الآخرين بلا شك، وقد عمم محمد ﷺ الحكم في العلم الذي أوتي فيشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب أ.هـ. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني ج ٢/ ٣٩ طبعة ١٣٧٨ هـ الناشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وبهامشه الكبريت الأحمر. قلت (كذب الشعراني لم يخبر ﷺ بشيء من ذلك) وقال إنه ﷺ تعرف نبوته قبل خلق آدم أ.هـ. اليواقيت والجواهر ج ٢/ ١٨. هذا كلام الصوفية من كتبهم التي ذكر مؤلفها أنها في عقائدهم .

١- هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، نسبه أتباعه ومريدوه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كعادة أهل كل طريقة صوفية، ينسبون إمامهم إلى آل البيت ولو كان من غير العرب أصلاً. واختلف مريدوه في أسماء آبائه، فالبعض ينسبه إلى إدريس بن عبد الله وبعضهم إلى غيره، بل نسبه الجامي في نفحات الأنس إلى الحسين، لا الحسن -رضي الله عنهما- ولم يذكر الشعراني وهو من المتعصبين له والغلاة فيه هذا النسب المدعى، والله أعلم بحقيقة الحال. خلف عدداً من الأحزاب منها حزب البر، والبحر وغيرها. ادعى لنفسه مرتبة القطب الغوث الجامع ووصفه بها أتباعه.

ألف عبد الحليم محمود في ترجمته وطريقته بعد أن أتبعها فبالغ في المديح والإطراء وزاد على النصارى في غلوهم وضلالهم، وادعى له كرمات (ظنها كذلك) لا يليق

الجامع^(١).

بمسلم أن يتكلم بها فضلاً عن أن يدعيها. انظر: الطبقات الكبرى وبهامشها الأنوار القدسية كلاهما للشعراني ج٢/٤ وما بعدها الطبعة الأولى ١٣٤٣هـ والأعلام ج٤/٣٠٥ والمدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي تأليف د. عبدالحليم محمود ص ٢٠ طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة - مصر وما بعدها ودائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين (ج١٣/٥٦) مادة الشاذلي ودراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير ص ٢٣٥ وما بعدها.

ونقل عن أبي الحسن الشاذلي دعوى هذا العلم المزعوم تلميذه أحمد أبو العباس المرسي قال وكان يقول -أي أبو الحسن-: والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحداً بعد واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وكان يقول لأعلم أحداً اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض ا.هـ. الطبقات الكبرى للشعراني ج٢/١٣.

١- القطب الغوث الفرد الجامع: القطب عرفه الصوفية: بأنه عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله -تعالى- من العلم في كل زمان، يسمى غوثاً أيضاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو خلق على قلب محمد ﷺ ويسمى بقطب الأقطاب، وقطب العالم، والقطب الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار. انظر معجم مصطلحات الصوفية تأليف د. عبد المنعم الحفني ص ٢١٧ حرف القاف.

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢٧/٩٦ عن (القطب الغوث الفرد الجامع): فهذا يقوله طوائف من الناس، ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام مثل تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، وهذا من جنس قول النصارى في المسيح -عليه السلام- والغالية في علي وهذا كفر صريح، يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل ا.هـ. وقال عبدالرحمن الوكيل في "هذه هي الصوفية" ص ١٢٤: القطب وأعوانه أسطورة خرافية، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والألوهية، وخلعها على كل وهم باطل سمى في الفلسفة: "العقل الأول" وفي النصرانية "الكلمة" وفي الصوفية "القطب".

ذكر بعض
مقولات الصوفية

وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدّعي هذه المنزلة ؛ ويقول: إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ وأنه يزوج عيسى بابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائماً، وأنه هو الذي يمد حملة العرش وحيتان البحر، وقد عززته تعزيزاً بليغاً في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجة.

ومن هؤلاء من يقول في قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ * لتؤمنوا بالله ورسوله/ وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ [سورة الفتح: ٨-٩] ^(١) إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلاً ^(٢). ومنهم من يقول أسقط الربوبية وقل في الرسول ماشئت:

دع ما دعتُهُ النصرارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له	حدٌ فيعربُ عنه ناطقٌ بقم ^(٣)
وانسبْ إلى ذاته ماشئت من شرف	وانسبْ إلى قدره ماشئت من عظم
لونا سبت قدره آياته عِظْماً	أحيا اسمه حين يُدعى دارسَ الرمم ^(٤)

١- في (د) يقول وهي زيادة.

٢- مرادهم يسبحون للرسول بكرة وأصيلاً، وقد اجمع أهل التأويل على بطلان ذلك. قال ابن جرير في تفسيره ج ١١/ ٣٣٨: وقوله ﴿وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ يقول تصلوا لله بالغدوات والعشيات، والهاء في قوله ﴿وتسبحوه﴾ من ذكر الله وحده دون الرسول. وقد ذكر ذلك في بعض القراءات: «وتسبحوا الله بكرة وأصيلاً» وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

٣- في (ف) بقم وهو خطأ.

٤- هذه الأبيات من قصيدة محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، المعروفة "بالردة" والتي مطلعها:

ومنهم من يقول : نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا.
ومنهم من يأتي قبر الميت الرجل أو المرأة -الذى يحسن به الظن
لنفسه- فيقول اغفر لي وارحمي، [ولاتوقعي]^(١) على زلة ، [ولاتوقفي
على خطيئة]^(٢)، ونحو هذا الكلام يرد إلى أمثال هذه الأمور التي
تتخذ (المخلوق إلهاً)^(٣)، ولما استقر في نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى مع مقلة بدم
وفيهما تقدم البيت الثالث على الثاني انظر ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد
كيلاني ص ١٩٣ الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلي وأولاده.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو، فإن من جملة معجزاته ﷺ القرآن العظيم،
وهو كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، فكيف يحل لمسلم أن يقول: إن القرآن
لا يناسب قدر النبي ﷺ بل هو منحط عن قدره، وهو كلام الله -تعالى- صفة من
صفات الرب تعالى، ثم إن اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنی إذا ذكرها
الذاكر لم تحي دارس الرمم. وقد ذهب المتعصبون للناظم في كل واد من أودية
التأويل. وقد أنكر أهل العلم على الشاعر منذ عصره إلى اليوم. انظر غاية الأمانی
في الرد على النهجاني ج ٢/ ٣٥٠ والتوضيح عن توحيد الخلاق ص ٣٢٠ والعقيدة
السلفية تأليف محمد عبدالرحمن المغراوي القسم الخامس الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
الناشر دار المنار الرياض ص ١٣٩ وما بعدها.

وقائل هذه القصيدة شاعر وليس من أهل الفقه أو العلم، وأيضاً فقد كان يمدح
ذوي السلطان فمدح الممالك مدحاً فيه غلو كبير، وهجا العرب هجاء مرا. انظر
مقدمة ديوان البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٥-١١.

١- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) لاتوقعي.

٢- ما بين المعوقتين من (د) و سقط من الأصل و(ف) و(ح).

٣- في (د) المخلوق فيها إلهاً..

سئل عمن^(١) ينهاهم عن هذا، ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده مائتم إلا الله لِمَا استقر في نفوسهم، (أنهم يجعلون معه آلهة أخرى)^(٢) وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر. (وآخر يقول هذا معظماً لمن ينهى عن هذه الأمور حيث إنه عنده ما ثم إلا الله)^(٣) وآخر يقول معظماً لمن يدعو إلى التوحيد، قد جعل الآلهة إلهاً واحداً.

والمقصود هنا أن نبين خطأه فيما ذكر عن الله - تعالى -^(٤) من أنه ينفي الأشياء إشارة إلى التوحيد، ويثبتها اعتباراً بالأسباب. ونبين أنه سبحانه لا ينفي ما يثبت ولا يثبت ما نفاه.

أما قوله تعالى ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦] فهذا النصر المنفي في هذه الآية عن غير الله لم يثبت الله لغيره / قط، والذي ذكره في قوله ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] ليس هذا هو ذاك، يبين هذا أنه قال ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشري لكم

النصر الذي أثبتته
الله لنفسه لم يثبت
لغيره قط

٥٩

١- في (ف) عن من.

٢- ما بين القوسين سقط من (د).

٣- ما بين القوسين سقط من (د).

٤- (تعالى) سقطت من (د).

ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١﴾
[سورة آل عمران: ١٢٤-١٢٦] وقال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ * وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا
بَشْرَى وَلِتُطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ (٢) [سورة الأنفال: ٩-١٠]، فهو سبحانه قد أمدهم
بالملائكة، ومعلوم أن نصر الملائكة لهم أعظم من [النصر] (٣) الذي
أُمرُوا به في قوله ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [سورة
الأنفال: ٧٢] فإن هؤلاء غاية ما يفعلونه دون ما تفعله الملائكة، ثم يبين
أنه وإن نزلت الملائكة وقاتلت؛ فالنصر لا يحصل بمجرد هذا؛ إن لم
يحدث الله ما به ينتصر المؤمنون؛ وذلك لأن المقاتل من الملائكة والبشر
غاية قدرته نفسه، وأما ما يتولد عن ذلك فهو لا يستقل به.

نزاع الناس في
المتولدات

والناس متنازعون في هذا، فكثير من النظائر المبتئين للقدر يقولون:
إن جميع المتولدات فعل الله، ليست فعلاً للعباد، مثل الشيع والري
وانقطاع العضو، وخروج السهم من القوس (٤).

١- الآية (١٢٥) من (ج) وسقطت من الأصل و(ف) وفي (د) ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا﴾ إلى أن قال ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

٢- الآية سقطت من (ف).

٣- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل و(ف) (نصر).

٤- مذهب الأشاعرة ومن وافقهم في هذه القضية يبني على مذهبهم في خلق أفعال
العباد، فإذا كان عندهم أن فعل العبد فعل الله حقيقة وللعباد مجازاً، فمن باب أولى
الفعل المتولد ولذلك جعلوا الفعل المتولد فعلاً لله - تعالى - وردوا على المعتزلة.

وأما القدرية فيقول أكثرهم إنها مفعول [فاعل] ^(١) السبب،
ويقسمون الأفعال إلى مباشر ومتولد؛ لكنهم مع هذا يعلمون أن الفعل
لا يتم بمجرد قدرة العبد، بل بأمور خارجة عن قدرته ^(٢).

وقالت الطائفة الثالثة: إن هذه المتولدات حادثة بفعل العبد
وبالأسباب الأخرى، فالعبد مشارك فيها؛ لم ينفوا أثره كما نفاه
الأولون، ولا جعلوه فاعلاً/ كالأخرين، بل جعلوه مشاركاً فيها، وهذا
أعدل الأقوال ^(٣). ولهذا فرّق الله - تعالى - بين الأعمال المباشرة
والمتولدة في قوله - تعالى - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيْبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيْظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ

انظر: الإرشاد للجويني ص ٢٠٦ والمواقف في علم الكلام للإيجي ص ٣١٦ طبعة
عالم الكتب بيروت - لبنان وشرح المقاصد ج ٤/ ٢٧١-٢٧٣.

١- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) وفاعل بزيادة واو.

٢- اختلف المعتزلة في المتولدات فمنهم من علقها بالطبع كالجاحظ (أي بطبع
الإنسان)، ومنهم من قال إنها تحدث في الجمادات تحصل فيها بطبع المحل وذهب
إليه النظام ومعمر (أي بإيجاب الخلقة)، وقال ثمانية أفعال التولد لا تحدث لها عدا
الإرادة. وأكثر المعتزلة قسموا أفعال التولد إلى قسمين:

القسم الأول : ماتولد من غير الحي كحرق النار واختلفوا فيه فقال بعضهم فعل
الله وقال آخرون فعل الطبيعة وقال فريق ثالث أفعال لافاعل لها.

القسم الثاني: ماتولد من الحي فقالوا من فعل الإنسان. انظر: شرح الأصول
الخمس للقساضي عبد الجبار ص ٣٨٧-٣٩٠ والملل والنحل ج ١/ ٧١، والمعتزلة
وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف عواد المعتقد ص ١٨٤ وما بعدها
النشرة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٣- انظر الفصل لابن حزم ج ٣/ ١٣٦.

نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ﴿ الآية (١) ﴾ ثم قال ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠-١٢١] فلما كان الإنفاق والسير عملاً مباشراً قال فيه ﴿ كتب لهم ﴾، وتلك الأمور من النصب والجوع وغيظ الكفار والنيل من العدو [ليس] (٢) مباشراً، بل هو مما يسمى متولداً، فلهذا قال فيه ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ لأنهم مشاركون في حصول هذه الآثار، وحصول هذه الآثار لا بد فيه من الأسباب التي يخلقها الله، ومن دفع الموانع، فلا تجوز أن تجعل مفعولة لسبب معين، بل هي مفعولة لله - تعالى -، وانتصار المؤمنين على الكفار هو أعظم من النيل الذي ينال من العدو، فإذا لم يكن هذا مفعولاً لمخلوق فكيف يكون النصر .

وهب أن الملائكة نزلت بقذف الرعب في قلوب الكفار كما قال - تعالى - ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ [سورة الأنفال: ١٢]، وأيضاً فهب أن الملائكة حضروا فمن الذى يخلق القدرة فيهم وفي المؤمنين، والقدرة التي بها يكون الفعل أكثر؛ [لا تكون] (٣) إلا مع الفعل، وهب أن القدرة حصلت فمن يخلق الأسباب الخارجة؛ كقبول الجلود للجرح؛ وحصول الزهوق بعد الجرح والهزيمة المستمرة إذ يمكن أن الكفار يفرون ويكفرون، ويمكن أنهم يقاتلون حتى يقتلوا؛ فلا

١- تكملة الآية ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) وليس بزيادة (واو).

٣- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) لا يكون.

يقتل منهم واحد / حتى يقتل غيره.

فالنصر الذي قال الله -تعالى- فيه ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦] لا يقدر عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يقدر عليه إلا الله، ليس في الموجودات سبب يحصل به هذا النصر ولا موجب له إلا مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإن كل ما يكون لسبب فلا بد من حصول سبب آخر، ومن رفع موانع ثم خلق الأسباب.

ورفع الموانع لابد أن يُحدث هو سبحانه ذلك الأثر بفعل منه، على أصح قولي الجمهور الذين يقولون: إن الخلق غير المخلوق، فإن هؤلاء لهم قولان: [هل] ^(١) يخلق بفعل واحد قديم يوجد جميع الموجودات؟ أم هو يوجد به المفعولات بأفعال متعاقبة، كما قال -تعالى- ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ [سورة الزمر: ٦] على قولين ^(٢) ومن قال بالثاني قال: إن

الخلق هل هو بفعل واحد قديم أم بأفعال متعاقبة

١- كذا في (د) وسقطت من الأصل (ف) و(ح)

٢- سبق الكلام على أصل هذه المسألة في الهامش رقم ١٧٥ وهي مسألة طويلة، وفيها اضطربت رؤوس أهل النظر والفلسفة والكلام.

وكما سبق بيانه فإن المتكلمين لما استدلوا بدليلهم على حدوث العالم، اقتضى نفسي صفات الفعل عن الله -تعالى-، وأن التسلسل ممتنع، وبنوا عليه أصلاً آخر وهو القول بامتناع حوادث لا أول لها، واحتجوا على ذلك بدليل لهم سموه: برهان التطبيق.

وبناء على ذلك قالوا: إن الله -تعالى- لم يكن قادراً على الفعل في الأزل ثم صار قادراً، أو بمعنى آخر قالوا: إن الفعل كان ممتنعاً عليه ثم صار ممكناً، ولجأوا إلى هذا ليسلم لهم القول بحدوث العالم، لأنه لو قيل يجوز أن يكون قادراً على الفعل قبل يكون الصانع موجباً بذاته وعلة أزلية مستلزمة لمعلولها، ومع قوله أن كل ما لا يسبق

ذلك؛ لأدى ذلك إلى صحة القول بقدوم العالم، لأنه مامن زمن يفترض فيه خلق العالم إلا وجائز أن يقع قبله، لأن الله أزلى وهذا ممتنع.

واختلف أهل الكلام في التسلسل في الآثار مع إجماعهم على منعه في الماضي، على قولين:

أحدهما: منعه في الماضي والمستقبل، وهذا قول الجهم والعلاف.

الثاني: منعه في الماضي وتجويزه في المستقبل، وهذا قول أكثر أهل الكلام.

وذهب أهل السنة والحديث إلى جوازه فيهما، أي في الماضي والمستقبل واعترض على المتكلمين في قولهم بجواز دوام في المستقبل دون الماضي، بأنه لا دليل على التفريق بينهما ، وقد اعترض الفلاسفة على المتكلمين وغيرهم باعتراضين:

الأول: إن القول: بأنه تعالى لم يكن قادراً ثم صار قادراً، ترجيحاً لأحد طريقي الممكن بلا مرجح، والترجيح لا بد له من مرجح تام يجب به، كما أن القول بوجود سبب يقتضي الترجيح يحتاج إلى سبب آخر وهكذا إلى غير نهاية فليزِم التسلسل وهو ممتنع عندهم.

وأجاب أهل الكلام عن اعتراض الفلاسفة بإجابات غير مفيدة وبعضها متناقض فقالوا: إن المرجح عندهم هو الإرادة القديمة أو القدرة، أو العلم القديم، أو إمكان الحدوث أو غير ذلك.

الاعتراض الثاني: أن المؤثر التام يستلزم أثره، والعلة التامة تستلزم معلولها، ولذا قال الفلاسفة بقدوم العالم لأن العلة التامة الأزلية يجب أن يقارنها معلولها، وهذه من أعظم أدلتهم على قدم العالم.

وأجاب أهل الكلام بأن المؤثر التام يجوز وقد يجب أن يتراخى عنه أثره، وهذا باطل لأنه يلزم منه أن يصير المؤثر مؤثراً تاماً بعد أن لم يكن مؤثراً تاماً بدون سبب حادث، وأن الحوادث تحدث بدون سبب حادث وأن الممكن يتزحج وجوده على عدمه بدون المرجح التام أو غير ذلك وكله باطل.

وبسبب هذه الاجوبة الضعيفة من المتكلمين تسلط عليهم الدهرية القائلون بقدوم العالم. وكما سبق بيانه فإن دليل المتكلمين على الحدوث أدى بهم إلى هذه الشناعات. أما موقف أهل السنة والحديث فقالوا:

١- القول الحق في مسألة التسلسل في الآثار هو جوازه في الماضي والمستقبل وهو مذهب أهل السنة وأئمة السلف، وإن وافقهم الفلاسفة فيتميز مذهب أهل السنة عنهم بما يلي:

أ- أن أهل السنة يصفون الله بصفات الكمال، أما الفلاسفة فينكرون الصفات جميعها، ولذلك آلت أقوالهم في التسلسل إلى القول بقدوم العالم.

ب- أن أهل السنة يفرقون بين النوع والآحاد من المفعولات، فالفلاسفة قالوا بقدوم الآحاد، وأهل السنة قالوا بقدوم النوع أو الجنس، ومعنى قدم النوع أو الجنس أن الله لم يزل فاعلا، خالقا، متكلما، إذا شاء متى شاء.

٢- أن قول أهل الكلام في العلة التامة بأنه يجب أن يتراخى عنها معلولها غير صحيح، وكذلك قول الفلاسفة أن العلة التامة يجب أن يقارنها معلولها، والصواب مذهب أهل السنة وهو أن التأثير التام من المؤثر يستلزم الأثر فيكون عقبه، ولا مقارنا له، ولا متراخيا عنه، كما يقال: كسرت الإناء فانكسر، وكما قال تعالى ﴿كن فيكون﴾ [سورة: يس: ٨٢] فإذا كان كون شيئا كان عقب تكوين الرب له، لا يكون مع تكوينه ولا متراخيا عنه. ا. هـ. من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣/ ٩٩٦

والخلاصة: أن من سلك الطرق النبوية السامية علم أن العقل الصريح مطابق للنقل الصحيح، وقال بموجب العقل في هذا وهذا، وأثبت ما أثبتته الرسل من خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، ولم يجعل شيئا سوى الله قديما معه، بل كل ماسواه محدث كائن بغد أن لم يكن، مع قوله إن ترجيح أحد التماثلين على الآخر لا يكون إلا بمرجح، ولا فرق في ذلك بين مرجح ومرجح، ومع قوله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومع إثباته حدوث

المؤثر التام يستلزم الأثر التام، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح فإن الفاعل إذا كان قبل حدوث المفعول. وحين حدوثه على حال واحدة؛ كان تخصيص أحد الحالين بحدوث المفعول ترجيحاً لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح، وهذا ممتنع في صريح العقل.

كل ماسوى الله بالبرهان العقلي الصريح الذى لا يحتاج معه إلى تعجيز الله في الأزل عن الفعل، وإلى أن يقول إنه لم يكن الفعل ممكناً ثم صار ممكناً من غير حدوث شئ ومن غير أن يحتاج إلى أن يجعل الحوادث تحدث بلا سبب أصلاً، ومع إبطاله أن الحوادث من الممكنات فإنه لا يكون إلا حادث بها لامتناع دوام الحوادث، بل لامتناع صدور المحدثات، وما لا يتقدم عن موجب بالذات، وإذا بطل الموجب بالذات لزم حدوث كل ممكن، فإن قدم شئ من الممكنات لا يكون إلا إذا كان له موجب تام أزلي، وإذا امتنع شرط القدم لشئ من الممكنات امتنع قدم شئ من الممكنات. والله أعلم.

انظر: تهافت الفلاسفة ص ٩٦ وما بعدها، ودرء التعارض ج ١/ ٣٢٠-٣٢٢، ج ٣/ ٦٤-٦٣، و ج ٨/ ٢٧٠، ٣٤٥-٣٤٦، ج ٩/ ١٤٧-١٤٨، ١٨٥، والصدفية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ج ١/ ١٠-١١، ٢٢-٢٧، ٥٠ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومع ج ١٢/ ٤٥، وشرح حديث عمران بن الحصين - مع ١٨/ ٢٢٤-٢٢٥، وغاية السؤل في شرح مناهج الأصول للقاضي البيضاوي تأليف جمال الدين الاسنوي ومعه حواشيه المسماة "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل" تأليف الشيخ محمد بنحيت مطيع مفتى الديار المصرية سابقاً ج ٢/ ١٠٣ (طبعة دار عالم الكتب بيروت - لبنان) وقد نصرروا القول بحوادث لأول لها، والتسلسل في الآثار، وهم من كبار علماء المتكلمين، وابن تيمية السلفي تأليف الشيخ محمد خليل هراس ص ١٥٣-١٦٨ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣/ ٩٩٦ وما بعدها، ودفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف مراد شكري ص ٢٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

فالأثر لا يوجد إلا إذا حصل مؤثره التام، فإنه بدون تمامه لا يكون مؤثراً، فلا يحصل الأثر، وإذا تم وجب حصول الأثر، إذ لو لم يجب لأمكن وجوده؛ وأمكن عدمه، فكان ^(١) يتوقف على حدوث شيء آخر فلا يكون المؤثر تاماً، وهؤلاء يقولون: [إن] ^(٢) القدرة مع الفعل، [وكذلك الإرادة، وسائر ما يتوقف عليه الفعل] ^(٣)، وإن كان بعض ذلك قد يتقدم عليه ويبقى إلى حين حصوله، لكن لا بد من وجوده معه؛ وهذا الفعل [الذي هو] ^(٤) تكوين الرب، خارج عن جميع الأسباب المخلوقة.

وأما قوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القصص: ٥٦] مع قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢]، فقد اتفق المسلمون على أن تلك الهداية المنفية ليست هي الهداية المثبتة له، لانزاع في هذا بين أهل السنة والقدرية.

٦٢

الهداية المنفية ليست هي الهداية المثبتة

وأما الهداية الثابتة ^(٥) فهي الدعوة والبيان وهذا ^(٦) يشترك فيه من يحبه ومن لا يحبه، فإن عليه البلاغ المبين، وقد بلغ ﷺ البلاغ المبين، وقال في آخر عمره في حجة الوداع «اللهم هل بلغت» قالوا: نعم، قال «اللهم

١- كذا في جميع النسخ والصواب (فإن كان).

٢- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣- ما بين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤- ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٥- في (ط) (المثبتة).

٦- كذا الأصل و(ف) و(ح) وفي (د) وهذه.

اشهد»^(١)، ونظير هذا قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [سورة فصلت: ١٧] وقوله ﴿فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [سورة التغابن: ٦] وقال تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧]، والهداية^(٢) هي الدلالة والإرشاد، بكلامه وبعلمه وأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، وأما حصول الهدى في القلب فهذا لا يقدر عليه [إلا الله]^(٣)، باتفاق المسلمين سنيهم وقدرهم^(٤).

أقوال الفرق في
هدى القلب

أما أهل السنة فيقولون: إن الاهتداء الذي في القلب لا يقدر عليه إلا الله، ولكن العبد يقدر على أسبابه وهو المطلوب منه بقوله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، وهو المنفي [عن]^(٥) الرسول بقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القصص: ٥٦] وقوله ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ﴾

١- أخرجه البخاري في (كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى) ج ١/ ٥١٣ رقم ١٧٣٩ وطره ٧٠٧٨ ومسلم في (كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) ج ٣/ ١٣٠٥ رقم ١٦٧٩ وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة، باب في كراهية الاقتراض في آخر الزمان) ج ٣/ ٣٦٢-٣٦٣ رقم ٢٩٥٨ واللفظ له من حديث ذو الزوائد من أصحاب النبي ﷺ وأوله «سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع... الحديث».

٢- في (ف) فالهداية، وفي (د) و(ح) فإن الهداية.

٣- كذا في (ف) وفي (د) أحد، وتأخر في الأصل عن هذا الموضع إلى نهاية الجملة، وسقط من (ح).

٤- في الأصل (إلا الله) وفي هامش (د) وأصل (ط) : (لأن أحداً لا يستطيع أن يهدي القلوب، ويخلق الهدى فيها غير الله).

٥- كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) من.

[سورة النحل: ٣٧]، وقوله ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣]. وأما القدرية فيقولون: إن ذلك مقدور للعبد^(١).

١- الهداية عند أهل السنة أربعة أقسام: الأول: الهداية إلى مصالح الدنيا، وهذا مشترك بين الحيوان والإنسان والمؤمن والكافر.

الثاني: الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى الدين الحق وهذا القسم هو الذى ذكره المؤلف أعلاه.

الثالث: هدى التوفيق والإلهام، الذى هو جعل الهدى في القلوب وهذا القسم أخص من القسم السابق، وهذا القسم ضل فيه المعتزلة من القدرية وكذلك الجبرية. فقد فسر القدرية هذا القسم بالقسم الثاني هدى البيان العام والتمكن من الطاعة والاعتقاد عليها، وقالوا لو أفرد المؤمن بتوفيق وقع به الإيمان منهم والكفار بخذلان امتنع به الإيمان لكان عندهم ذلك ظلماً ومحاباة. وأثبتوا القدرة السابقة للفعل، وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف ولم يعرفوا غيرها ولذلك عندهم العبد يهدي نفسه.

وقابلهم الجبرية ببدعة أخرى فأنكروا الأسباب والقوى وأنكروا فعل العبد وأن يكون له تأثير في الفعل ألبيته، وأثبتوا قدرة واحدة مقارنة للفعل. وهدى الله أهل السنة للحق فأثبتوا كلا النوعين من الاستطاعة، الاستطاعة الأولى التي قبل الفعل، والثانية المقارنة للفعل. وهذا القسم يستلزم أمرين: أحدهما فعل الرب - تعالى - وهو الهدى، والثاني فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي.

والرابع: الهدى في الآخرة كما قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ [سورة يونس: ٩] وغيرها من الآيات وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا، كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا. انظر مج (ج١٨/١٧١) وشفاء العليل لأبن القيم (ج١/١٨١) وما بعدها ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ج١/٣٣٤ والإرشاد للجويني ص ٢٣٣.

ولهذا تنازعوا في العلم الحاصل في القلب عقب الاستدلال، فقالت
القدرية: هو فعل العبد. وقالت المثبتة: هو مفعول الله كسب للعبد.^(١)
وتنازعوا في النظر هل هو متضمن له مستلزم له أو مقترن اقترانا /
عادياً؟ على قولين مشهورين^(٢)، والتحقيق أنه من جملة الأمور التي
تسمى المتولدات كالشبع والري والرؤية في العين والسمع في الأذن،

١- في جميع النسخ (ونظيره) ويظهر أنها زيادة، ولا يستقيم المعنى بها .

٢- تنازع الناس في حصول العلم في القلب عقب النظر في الدليل: فقالت القدرية:
ذلك على سبيل التولد. وقال الأشاعرة: ذلك فعل الله وهم ينكرون التولد وقال
الفلاسفة: ذلك يحصل بطريق الفيض من العقل الفعال عند استعداد النفس لقبول
الفيض. وقد يزعمون أن العقل الفعال هو «جبريل»

والصواب: أن قول القائلين إن ذلك بفعل الله فهو صحيح بناء على أن الله هو
معلم كل علم وخالق كل شيء؛ لكن هذا كلام مجمل ليس فيه بيان لنفس السبب
الخاص، وأما قول القائلين بالتولد فبعضه حق وبعضه باطل، فإن كان دعواهم أن
العلم المتولد هو حاصل بمجرد قدرة العبد، فذلك باطل قطعاً، ولكن هو حاصل
بأمرين قدرة العبد ولسبب آخر، كالقوة التي في السهم والقبول الذي في المحل. ولا
ريب أن النظر هو بسبب، ولكن الشأن فيما يتم به حصول العلم. وأما قول
الفلاسفة إنه بالعقل الفعال: فمن الخرافات التي لا دليل عليها. انظر مج جـ ٤/
٣٤-٣٥ ومحصل أفكار المتقدمين للرازي ص ٦٦ والمواقف للابجي ص ٢٣.

وتنازعوا في النظر هل هو متضمن للعلم مستلزم له أو مقترن اقترانا عادياً؟ فقال
المعتزلة: إنه متولد. وقال الأشاعرة: النظر متضمن للعلم أو موجب له. وقال
السلف إذا كان النظر في دليل هادٍ - كالقرآن والسنة - وسلم من معارضات
الشیطان تضمن ذلك النظر العلم والهدى. فالناظر في الدليل بمنزلة المترائي للهِلال،
قد يراه وقد لا يراه لعشى في بصره، وكذلك أعشى القلب. انظر محصل أفكار
المتقدمين ص ٦٦ والمواقف ص ٢٧ ومج جـ ٤/ ٣٦-٣٧.

فهي حاصلة بفعل العبد المقدور له^(١)، وبأسباب خارجة عن قدرته، ولهذا يثاب عليه لما له في حصوله من التسبب والاكتساب.

وكذلك قوله تعالى^(٢) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]، فإن هذه الاستعانة^(٣) التي يختص بها الله -تبارك وتعالى- لم يثبتها لغيره أبداً، كما أن العبادة له لم يثبتها لغيره أبداً وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢] ليس ذلك التعاون هو هذه الإعانة المطلوبة من الله، فإن إعانة الله لعبده على عبادته تكون بأمور لا يقدر عليها غيره، مثل جعل العلم والهدى في القلب، وجعل الإرادة والطلب في القلب، وخلق القوى الباطنة والظاهرة^(٤)، موضع^(٥) بناء الأسباب المنفصلة التي [بها]^(٦) تحصل العبادة. ومعونة الإنسان لغيره إنما هي بفعله القائم في محل قدرته، وهي شئ لا يخرج [عنه، وما خرج]^(٧) عن محل قدرته فقد تقدم الكلام فيه، وغايته أن يكون له فيه شرك.

الاستعانة لم يثبتها
الله لغيره

المعونة التي تطلب
من العبد

والمقصود أن مأمور الخلق به وجعله فعلاً هو الذي نفاه عن غيره، ويبين أنه يختص به.

١- (له) سقطت من (د).

٢- (تعالى) سقطت من (د).

٣- في (ف) الاستعانة وفي هامش (د) في نسخة الاستعانة.

٤- في (ف) الظاهرة الباطنة.

٥- في (د) موضع ومصححه في الهامش (خلق).

٦- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٧- ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

وأما قوله ﴿وما رميت إذ رميت﴾ [سورة الأنفال: ١٧] فقد تقدم الكلام عليها^(١)، وبيننا غلط من ظن أن الرمي المنفي عن الرسول هو [عين]^(٢) المثبت له، وبيننا أن المنفي هو وصول الرمي إلى الكفار وتأثيره فيهم، والمثبت هو الحذف الذي يقدر^(٣) عليه الرسول ﷺ.

وقوله - ﷺ - ^(٤) «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(٥) ^(٦) هو من جنس قوله ﴿وإن استنصروكم / في الدين فعليكم النصر﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]، وأما قوله تعالى^(٧) ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [سورة البقرة: ٤٥] فالمستعان به فعل يفعله العبد، والمعنى اصبروا وصلوا فإن ذلك يعينكم على المطلوب.

والأعمال الصالحة بينها تصادق وتلازم كما قال النبي ﷺ «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٨)، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله

١- انظر ص ١٩٩.

٢- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- (يقدر) سقطت من (د)، وفي (ح) و(ط) فعله.

٤- ما بين الشرطتين سقط من (د).

٥- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٦- سبق تخريجه.

٧- (تعالى) سقطت من (د).

٨- في (د) (وكذلك الأعمال السيئة بينها تصادق وتلازم، كما قال في نفس الحديث).

كذابا»^(١) أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود -رضي الله^(٢) عنه-، وهداية الصدق مثل إعانة الصبر والصلاة، وليس ذلك هو [ما]^(٣) أثبتته الله لنفسه و نفاه عن غيره، سبحانه وتعالى أن يكون تأثيره مثل تأثير الأعراض^(٤).

وقول النبي ﷺ «[والله]^(٥) في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٦) هو من جنس قوله تعالى^(٧) ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة: ٢] فقد تبين أن جميع ما ذكره من النصوص ليس فيه أن مانفاه عن غيره أثبتته لغيره في موضع آخر، بل الذي أثبتته لغيره غير الذي نفاه عن غيره.

الوجه الثالث: قوله (إن هذه الحقائق تثبت للمخلوقين حقيقة

الرد على احتجاج
البكري باللفظ

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾) جـ ٤/ ١٩٢٣ رقم ٦٠٩٤، ومسلم في (كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) جـ ٤/ ٢٠١٣ رقم ٢٦٠٧ واللفظ له.
٢- في (د) تعالى.

٣- (ما) من (د) و(ح) وسقطت من الأصل وفي (ف) الذي.

٤- الأعراض: جمع عرض وهي ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده.

انظر: التعريفات للجرجاني ١٤٩ باب العين. وقال أبو البقاء العرض بفتحيتين: عبارة عن معنى زائد على الذات، أي ذات الجوهر. الكليات لأبي البقاء ص ٦٢٤.

٥- كذا في (د) و(ح) وسقطت الواو من الأصل و(ف) وما أثبت الله أعلاه هو الصواب حسب نص الحديث السابق.

٦- سبق تخريجه.

٧- (تعالى) سقطت من (ف).

لغوية بإجماع العلماء) غايته أن قول العرب مات زيد وتحركت الشجرة وهبت الرياح ونحو ذلك، يسمى في لغتهم حقيقة، وهذا لا ينفعه لأن المضاف إلى المخلوق ليس هو الذي نفاه الرب عن غيره، فإنه يقال: أماته الله، والإماته التي اختص الله بها لا تثبت لغيره، وإن قيل إن فلاناً أماته فالمراد أنه فعل فعلاً خلق الله الموت فيه مع أسباب آخر هو من/ ٦٥ جملة، وهو المضاف إلى العبد، وليس هو الذي نفاه الرب عن غيره، فما يضاف إلى السبب لم ينفعه الله عن غيره، ومانفاه لا يضاف إلى السبب، وأيضاً فهب أن هذه حقيقة لغوية أي قاعدة في هذا، والكلام^(١) هنا في الحقائق العقلية والأحكام الشرعية، لا في استعمال الألفاظ، وليس كل من أضيف إليه الفعل لغة يترتب على ذلك الأحكام الشرعية التي للفاعلين^(٢).

١- في (د) الكلام بدون واو.

٢- يقسم الأصوليون الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: الأول حقيقة لغوية وهي: اللفظ المستعمل فيما وضع له لغة. والثاني حقيقة عرفية وهي: اللفظ الذي وضع لغة لمعنى ولكن استعمله أهل العرف في غير هذا المعنى وشاع حتى صار لا يفهم منه إلا هذا المعنى. وبعضهم جعل الحقيقة العرفية قسمين عرفية عامة وعرفية خاصة، والثالث حقيقة شرعية وهي: ألفاظ استعملها الشارع في معانٍ لم تضعها العرب لها، إما لمناسبة بينها وبين المعاني اللغوية وإما لغير مناسبة.

واختلف العلماء هل الأصل الحقيقة الشرعية أم الحقيقة اللغوية على ثلاثة مذاهب: الأول: أن الحقيقة الشرعية هي في الأصل غير موجودة، والأصل الحقيقة اللغوية، وغاية الأمر أن الشارع شرط شروطاً لا يكون معتبراً بدونها. لأنه لو كانت الحقائق الشرعية أصلاً بذاتها لكانت غير عربية لأن العرب لم تضعها لتلك المعاني. وقال به أبو بكر الباقلاني وغيره. والثاني الحقائق الشرعية موجودة مطلقاً بمعنى أنها أصل

الرد على قول
البكري في
الأسباب والحكمة

الوجه الرابع: قوله (اعتباراً بالأسباب وإثباتاً لبساط الحكمة) ماذا تعنى به؟ فإن الناس يتنازعون في ذلك فمنهم من يقول ليس في الوجود سبب له تأثير وحكمة يُفعل لإجلها، بل^(١) محض مشيئة الرب قرنت بين الشيئين قرناً عادياً، فإن تقدم سمي سبباً، وإن تأخر سمي حكمة، من غير أن يكون للمتقدم تأثير في اقتضاء الفعل، ولالفعل تأثير في إقتضاء الحكمة، وليس عند هؤلاء في القرآن لام تعليل في فعل الله، وهذا قول الجهم^(٢) بن صفوان وكثير من النظار المنتسبين إلى القدر كالأشعري وأتباعه ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي

بذاتها، لأن الشارع أتى بمعان لم تكن معروفة عند العرب وهذا قول المعتزلة. والثالث: الألفاظ الشرعية مستعملة في معانيها الشرعية لمناسبة بينها وبين المعاني اللغوية، فهي ابتداء مجازات باعتبار اللغة، ولما كثر استعمالها في هذه المعاني كانت حقائق شرعية. انظر: أصول الفقه تأليف د. محمود أبو النور زهير ج ٢/٥٢-٥٩ طبعة ١٤١٢ هـ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة.

ولما كان الكلام هنا في المعاني الشرعية وجب حمل الألفاظ على الحقيقة الشرعية وليس على الحقيقة اللغوية. قال موفق الدين ابن قدامة وإطلاق الألفاظ في لسان الشرع، وكلام الفقهاء، يجب حمله على الحقيقة الشرعية، دون اللغة ولا يكون مجملاً، لأن عادة الشارع استعمال هذه الأسامي على عرف الشارع لبيان الأحكام الشرعية. ١. هـ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي تحقيق عبدالكريم النملة ج ٢/٥٥٢ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

و لذلك ألفاظ النصرة والإغاثة والاستعانة يجب حملها على ألفاظ الشرع.

١- في (د) بلا.

٢- في (د) جهم.

وأحمد،^(١) ولا يقولون: إن هذا الشخص^(٢) ينسب إليهم، فعلى قولهم لا سبب ولا حكمة^(٣).

ومن الناس من أثبت حكمة منفصلة عن الرب يفعل لأجلها، وهو قول المعتزلة ونحوهم من الجهمية، ثم القدرية من هؤلاء يثبتون التأثير لأفعال الحيوان، ولا يثبتون تأثيراً لغير ذلك^(٤).

وأما الفقهاء وأهل الحديث والصوفية (وكثير من)^(٥) أهل الكلام كالكرامية وغيرهم فإنهم يثبتون السبب والحكمة، لكن كثير من هؤلاء يتناقض، فيتكلم في الفقه بلون، وفي أصول الفقه بلون، وفي أصول الدين بألوان، ففي الفقه يُثبت/ الأسباب والحكم، وفي أصول الفقه يسمى العلل الشرعية أمارات^(٦)، خلاف ما يقوله في الفقه، وفي أصول الدين ينفي الحكمة والتعليل بالكلية، لظنه أن قول القدرية لا يمكن إبطاله إلا بذلك، والقليل من هؤلاء هو الذي يحقق الحكمة ويُبين رجوعها إلى الفاعل الحكيم؛ مع حصول موجبها في مخلوقاته^(٧).

١- في (د) بل.

٢- أي: الجهم بن صفوان.

٣- انظر: المواقف في علم الكلام تأليف عضد الدين الأيجي ص ٣٣١-٣٣٢ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى تأليف د. محمد ربيع المدخلي ص ٦٢ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور.

٤- انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٢٥.

٥- ما بين القوسين سقط من (د).

٦- أمارات جمع أمانة بالفتح وهي العلامة. الكليات لأبي البقاء ص ١٨٧.

٧- وقد أبان هذا التناقض - عند الأشاعرة ومن وافقهم - ابن المرتضى اليماني في إشار الحق على الخلق ص ٢٠٠-٢٠١ (طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة - مصر، ومكتبة

وهذه المسائل من أشرف العلم، وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضوع^(١).

العلم بمجدة: فقد نقل عن ابن الحاجب اتفاق العلماء على أن أفعال الله -تعالى- في الشرائع معللة ... ثم قال وجميع الأشعرية يتابعونه على ذلك في أصول الفقه كالرازي في المحصول والغزالي في المستصفى ... ثم قال فالزنجاني والذهبي وابن كثير من أئمة الأثر والشافعية وأهل السنة وقد تطابقوا على تعليل أفعال الله بالحكمة من غير حكاية خلاف في ذلك ا.هـ. وقد أطل في ذلك.

وقال العلامة صالح المقبلي اليمني في العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ص ١٨٨ وبهامشه كتاب الأرواح النوافع له أيضاً (طبعة مكتبة دار البيان دمشق): قال جماعة من متأخري المتكلمين منهم (أي الأشاعرة) يستحيل تعليل أفعال الباري -تعالى- وظهر هذا المذهب وغلب حتى يظن من لم يكثر مطالعة كتبهم أنهم يجمعون عليه، وأما المكثرون فيجد القائل بهذه المقالة هم الأقل في المتأخرين فضلاً عن المتقدمين ويرشدك إلى هذا إطباق فقهاء الأشاعرة على تعليل الأحكام ا.هـ.

١- انظر أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ج ٨١/٨ وما بعدها. وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف ابن قيم الجوزية تخريج وتعليق مصطفى الشلي ط ١٤١٢ هـ الناشر مكتبة السوادى جده المملكة العربية السعودية ج ٢/ ١٢٧-٢٥٦. والحكمة والتعليل في أفعال الله -تعالى- تأليف د. محمد هادي ربيع المدخلي ص ١٣- ٧٥، ص ١٩٥- ٢١٠. وخلاصة مذهب السلف في الحكمة والتعليل، أن الله -تعالى- حكيم، والحكمة صفة من صفاته شأنها شأن صفاته الأخرى، وحكمته سبحانه تتجلى في أفعاله وأوامره ومخلوقاته. وفعله وأمره لحكمة وغاية حميدة، والحكم والمصالح تعود على الخلق، ويعود له سبحانه من الحكمة حبه لها ورضاه بها، ولا يلزم من كونه يفعل الحكمة أن يكون مستكملاً بغيره؛ لأن حكمته ليست غيراً له.

والمقصود هنا أن^(١) مذكره هذا الشخص^(٢) من النصوص ليس فيه إثبات الأسباب والحكم لأفعال الرب التي نفاها عن غيره، وبيان ذلك أن الأسباب عند من يقول بإثباتها هي من جملة الحوادث^(٣)؛ التي يكون الرب -عز وجل- فاعلاً لها، فالقول في إحداثه للسبب والحكمة كالقول في إحداثه ما بينهما، يمتنع أن يكون شيء من ذلك محدثاً لغيره، بل هو مُحدث جميع^(٤) المحدثات، وليس في ذلك ما يوجب كون الأسباب محدثة، وأيضاً فهذه الآيات التي ذكر ليس فيها إثبات حكم شيء من المحدثات كقوله ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [سورة الشورى: ٥٢] ﴿فعليكم النصر﴾^(٥) [سورة الأنفال: ٧٢]، بل ولا فيها إثبات نسبة الفعل إلى الرب، بل فيها إثبات بعض أفعال العباد؛ كهدايته وإعانته، وأفعال العباد لا تختص بكونها أسباباً دون غيرها من الحوادث، فكلام هذا الرجل كلام من لم يتصور صحيحاً ولا غير فصيحاً.

الاستغاثه بالمخلوق
ليست سببا في
حصول مالا يقدر
عليه إلا الله

الوجه الخامس: أن يقال: نحن لاننازع في إثبات ما أثبتته الله من

ولا يسمون الحكمة غرضاً؛ لأنهم يتقيدون بألفاظ الشرع، ولأن لفظ الغرض يوم نقصا. انظر الحكمة والتعليل في أفعال الله -تعالى- ص ٤٣.

١- (أن) سقطت من (د).

٢- أي البكري.

٣- الحوادث: جمع حادث وهو ما يكون مسبوقاً بالعدم، ويسمى حدوثاً زمنياً، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ويسمى حدوثاً ذاتياً التعريفات ص ٨١ باب الحاء.

٤- في (د) لجميع.

٥- الآية في جميع النسخ ﴿وعليكم النصر﴾ ولم ترد الآية بالواو بالقرآن الكريم، ويظهر أنه خطأ من الناسخ لأنه سبق ذكر الآية صحيحة.

الأسباب والحكم، لكن من هو الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله ومن الذى قال / إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر نبياً كان أو غير نبي كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟ ومن الذى شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذى فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان [إلى يوم الدين] (١) ؟.

فإن هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين أحدهما: أن هذه أسباب (٢) لحصول المطالب التى لا يقدر عليها إلا الله.

والثانية: أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها، فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله؛ وكلاهما محرم، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه؛ وهو محرم، وشهادة الزور قد تكون سبباً لما يؤخذ من المشهود له؛ وهو حرام، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطالب؛ وهو محرم، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب؛ وهو محرم، وكذلك الشرك مثل دعوة الكواكب والشياطين، وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم، فإن الله - تعالى - حرم من الأسباب ما كانت مفسدته راجحة على مصلحته، وإن كان يحصل به بعض الأغراض أحياناً، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرأ، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً

١- مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢- في (د) الأسباب.

أو غائباً، أو (١) يستغيثوا به، سواء كان ذلك عند قبره أو لم يكن عند قبره (٢)، وهم لا يقدرّون على ذلك.

سؤال الميت حرام
باتفاق المسلمين

٦٨

بل نقول في الوجه السادس: سؤال الميت والغائب نيئاً كان أو غيره من المحرمات المنكرة؛ بإتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحسّنه أحد من أئمة المسلمين. وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين (٣)، فإن أحداً منهم ما كان يقول - إذا نزلت به تيرة (٤) أو عرضت له حاجة - لميت ياسيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي!!.

كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحداً من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته؛ ولا غيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها!! [وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين] (٥)، بل ولا أقسموا بمخلوق على الله أصلاً، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور

١- في (د) وأن.

٢- في (د) (والله تعالى حي عالم قادر لا يغيب كفى به شهيداً وكفى به عليماً).

٣- في (ف) : الإسلام.

٤- في (ف) مضرة وفي (ح) شدة. تيرة أي النقص ويقال وتره حقه وماله: نقصه إياه.

لسان العرب لابن منظور ج ٥/ ٢٧٤ مادة وتر وفي لغة تميم الكسر والفتح في لغة الحجاز. المصباح المنير ص ٢٤٨ مادة وتر.

٥- ما بين المعقوفتين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

الأنبياء، ولا الصلاة عندها.

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف^(١).

١- قال بهذا المتقدمون من الصحابة والتابعين وغيرهم، نقل ابن فرحون عن ابن عساكر قال: قال ابن عساكر والذي بلغنا عن ابن عمر -رضي الله عنهما- وغيره من السلف الأولين الاختصار والإيجاز في السلام جدا. انظر إرشاد السالك إلى أفعال المناسك تأليف ابن فرحون المالكي تحقيق محمد بن الهادي أبو الأحنان (الطبعة الثلاثية الرابعة لسنة ١٩٨٨م الناشر وزارة الثقافة والإعلام بتونس).

وروى عبدالرزاق في مصنفه ج٣/٥٧٦ رقم ٦٧٢٤ عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه، وأخبرناه عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال: مانعلم أحداً من أصحابه ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. والسند صحيح.

وفي مصنف ابن أبي شيبة ج٣/٢٨ رقم ١١٧٩٢ سئل هشام: أكان عروة يأتي قبر النبي ﷺ؟ فقال: لا.

وتابع الإمام مالك السلف -ابن عمر وغيره- في ترك التطويل قال مالك: لأرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي، وقال القاضي أبو الوليد الباجي: عندي أنه يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر: انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض تحقيق محمد أمين وآخرين ج٢/١١٩-١٢٠ (ط مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق - سوريا) وقال أبو بكر الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع تحقيق علي حسن عبد الحميد ص ١٥٦ (الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية) يسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره وقيل لا يوليه أ.هـ.

وأما مايروى عن بعضهم أنه قال قبر معروف^(١) الترياق المحرب،

وقال ابن تيمية في الرد على الاختائي ص ٢٦٩ بهامش الرد على البكري (طبعة ١٣٤٦هـ): وروى أبو الحسن القزويني بسنده إلى إبراهيم بن عبدالرحمن الزهري قال: مارأيت أبي قط يأتي إلى قبر النبي ﷺ، وكان يكره إتيانه.

وإبراهيم بن سعد من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علماً وأوثقهم، وأبوه سعد من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين وأصلحهم وأعبدهم، وكان قاضى المدينة في زمن التابعين، وقد أدرك الصحابة أكابر التابعين والفقهاء السبعة، ومعلوم أنه لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه، ومانقل عنه ابنه يقتضى أنه كان لا يأتيه لا عند السفر ولا غيره بل يكره إتيانه مطلقاً كما كان جمهور الصحابة على ذلك، لما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك.

وأبو الحسن على بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون مثل ذلك ١هـ باختصار.

١- هو أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل فيروزان البغدادي المعروف بالكرخي، ولد في كرخ بغداد ونشأ في بغداد وتوفي فيها، كان والداه نصارى فأسلما، اشتهر بالصلاح والزهد، ونسب إليه الصوفية أقوال كثيرة وهو من أعلامهم توفي سنة ٢٠٠هـ وقيل ٢٠٤هـ قال الذهبي: وقد حكى السلمي شيئا غير صحيح، وهو أن معروفاً الكرخي كان يحجب علي بن موسى الرضى، قال: فكسروا ضلع معروف فمات، فلعل الرضى كان حاجبه اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق. انظر السير ج ٣٣٩/٩ ترجمة رقم ١١١ والاعلام ج ٢٦٩/٧.

ومقالة: قبر معروف الترياق المحرب تروى عن إبراهيم الحربي كما في السير ج ٣٤٣/٩ وهذا الكلام لا يسلم لقائله، فقد ورد النهي عن الدعاء عند قبر أفضل الخلق ﷺ وإطالة الوقوف، فغيره أولى، وليس لهذا الكلام دليل من الكتاب والسنة أو نقل عن سلف الأمة.

وقال بعضهم فلان يدعى عند قبره، وقول بعض الشيوخ [لمريده]^(١):
 إذا كانت لك حاجة إلى الله^(٢)، فاستغث بي أو قال: استغث عند
 قبري ونحو ذلك، فإن هذا وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم، وكثير
 من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته؛ وربما قضى بعض حاجته
 فيظن أنه الشيخ نفسه، أو أنه ملك تصور على صورته؛ أو أن^(٣) هذا
 من كراماته، [فيزداد به شركاً ومغالة]^(٤)، ولا يعلم أن هذا من جنس
 ماتفعله الشياطين بعباد الأوثان، حيث تراءى أحياناً لمن تعبدوها،
 وتخطبهم ببعض الأمور الغائبة، وتقضي لهم بعض الطلبات، ولكن هذه
 الأمور / كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة.

وقوع كثير من
 المتأخرين في الاستغاثة
 بالمقبر وقتنة
 الشياطين لهم

٦٩

وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في
 الإسلام، والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن بُني من ذلك [شيئاً]^(٥)

بناء المساجد على
 القبور محدث في
 الإسلام

ومثل هذه المقالة وسيلة للشرك، فإنه وسيلة لدعاء المقبر، كما يحدث اليوم، وإجابة
 الدعاء عند قبر معين لاتدل على المشروعية، فإن الدعاء يستجاب أحياناً من كافر
 عند الاصنام.

وقد ورد عن بعض السلف أن الترياق المحرب هو الدعاء، دعاء الله - عز وجل - .
 انظر: المستغيثين بالله لابن بشكوال ص ٩٥.

١- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢- في (د) إلى الله حاجة.

٣- في (د) و(أن).

٤- ما بين المعقوفين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٥- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

في القرون الثلاثة المفضلة^(١).

بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يُتخذ مسجداً^(٢). وثبت في الصحيح عنه أنه

١- وقال المصنف في الفتاوى ج ٤٦٦/٢٧: وكان ظهور المشاهد وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة. فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاءوا إلى أرض مصر. وقرىباً من ذلك ظهر بنو بويه، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية أ.هـ.

وقد اشتهر نكير السلف في القرون الثلاثة المفضلة على زخرفة المساجد وكتابة القرآن على جدرانها ووضع المحاريب وغيرها مما هي دون بناء المشاهد ودفن الموتى فيها، ولو كانت موجودة لنقل عنهم إنكارها. انظر: كتاب الحوادث والبدع للطبرطوشي ص ١٠٣ والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة تحقيق عادل عبد المنعم ص ٤٠ (الناشر مكتبة الساعى الرياض - السعودية)، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي تحقيق مصطفى عاشور ص ٥٢ وما بعدها (الناشر مكتبة القرآن القاهرة - مصر)، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد للعلامة محمد جمال الدين القاسمي تخريج وتعليق الألباني ص ١٦٤ الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، والمساجد بين الاتباع والابتداع تأليف محمد القيسي ص ٣٩ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر دار عمار عمان - الأردن.

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) ج ١/٣٩٥ رقم ١٣٣٠ واللفظ له وأطرافه (٤٣٥، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥) ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) ج ١/٣٧٦ رقم ٥٢٩.

قال - قبل أن يموت بخمس-: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» (١)، وقد تقدم في الجواب أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما أجذبوا استسقى بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون» (٢) فلم يذهبوا إلى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ (٣) وكان توسلهم بدعائه كالإمام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، فهذا لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز، ونُقل عن بعضهم جوازه (٤)، فكيف يقول القائل للميت أنا

١- أخرجه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)، باب النهي عن بناء المساجد

على القبور واتخاذ الصور فيها، ج ١/ ٣٧٦ رقم ٥٢٩

٢- (فيسقون) سقطت من (د) والحديث سبق تخريجه ص ٢٩١.

٣- (ﷺ) سقطت من (د).

٤- سؤال الله -تعالى- بجاه فلان أو حرمة أو حقه أو غير ذلك، منعه أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما من أئمة الحنفية فقد جاء في الفتاوى الهندية: ويكره أن يقول في دعائه بحق فلان وكذا بحق أنبيائك وأوليائك أو بحق رسولك أو بحق البيت أو المشعر الحرام لأنه لاحق للمخلوق على الله -تعالى- كذا في التبيين أ.هـ.

انظر: الفتاوى الهندية المسماة الفتاوى المالكية لفخر الدين حسن بن منصور الحنفي وبهامشها فتاوى قاضيخان البزازية ج ٥/ ٣١٨ الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ

أستغيث بك، وأستجير بك، أو أنا^(١) في حسبك، أو سل لي الله،

الناشر دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، وفتح القدير تأليف كمال الدين محمد بن عبدالواحد وبهامشه شرح العناية على الهداية ج٨/٤٩٨ طبعة دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

ونقل المنع عن جمع من علماء الحنفية السهسواني الهندي في صيانة الأنسان عن وسوسة دحلان ص ٢٠٥ الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بمكة: وانظر جهود علماء الحنفية ج ٢/ ١١٢٣ وما بعدها
واتفق أئمة الدعوة السلفية على أنه بدعة محرمة مذمومة انظر: الصواعق المرسلة الشهابية ص ١٤ ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ومنعه الشيخ مبارك بن محمد المليي أمين مال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في رسالة الشرك ومظاهره ص ٢١٣ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة الإيمان الاسكندرية - مصر وهي إجماع من علماء الجمعية كما في تقديم الأمين العام في ص ٧ .

وقال بمجوازه بعض العلماء من المالكية والشافعية ومتأخري الحنفية ومتقدمي الحنابلة.

انظر الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ طبعة ذات السلاسل - الكويت. وأما الأئمة المتقدمون كالإمام مالك والشافعي وأحمد واصحابهم فكلامهم في هذه المسائل قليل لأنها لم تكن في زمنهم ، وإنما حدثت بعد ذلك .

وقال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله في التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢٤٠: ومن المحال أن دعاء الموتى والدعاء بهم والدعاء عندهم وسيلة مشروعة وعمل صالح مأمور [في الأصل بالنصب] به، وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة هل يمكن لبشر [في الأصل بشراً] على وجه الأرض أن يأتي عن أحدهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور. ا.هـ.

ونحو ذلك، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة؛ ولو^(١) قُدِّرَ أن^(٢) له تأثيراً، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله.

وذلك أن من الناس الذين يستغيثون / بغائب أو^(٣) ميت تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغي أن يُعرف.

ومن هؤلاء من يؤدي الميت بسؤاله إياه؛ أعظم مما يؤديه لو كان حياً، وربما قضيت حاجته مع ذم يلحقه، كما كان الرجل يسأل النبي ﷺ أحياناً^(٤) فيعطيه ويقول «إن أحدكم»^(٥) يسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها ناراً»^(٦) ومن هذا الحكاية المذكورة في الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه سكباجاً^(٧) فأتاه بعض أهل المدينة فأطعمه سكباجاً

سؤال الميت أدى له أعظم من إيدائه لو كان حياً

١- في (ف) لو بدون (واو)

٢- في هامش (د) في «نسخه لما يقولونه تأثيراً فليس هو من الأسباب المشروعة ولا له تأثير صالح»

٣- (أو) سقطت من (د)

٤- (أحياناً) سقطت من (د).

٥- في (د) و(ح) أحدهم.

٦- سبق تخريجه . ص ٢٦٣.

٧- السكباج بالكسر طعام معرب وهو لحم يطبخ بخل. القاموس المحيط للفيروز آبادي

تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ص ٢٤٨ الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ

الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .

وأمره بالخروج من المدينة وقال: إنه رأى النبي ﷺ فأمره أن يطعمه وأن يخرج، وقال: من يقيم بالمدينة لا يتمنى ذلك^(١) أو كما قال ولاريب أن النبي ﷺ بل ومن هو دونه حيّ يسمع كلام الناس، وكما قال ﷺ: «مامن رجل يسلم علي إلا رداً لله علي روعي حتى أرد عليه السلام»^(٢)، [«وما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم

١- وانظر قصة قرية منها في وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى لنور الدين السهمودي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جـ ٤/ ١٣٨٤ (الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ الناشر مكتبة محمد المدني المدينة المنورة - السعودية)، وعمدة أدلة القائلين بالاستغاثة مثل هذه الحكايات والمنامات وهذه حكايات ترد زعمهم.

٢- أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب زيارة القبور) جـ ٢/ ٥٣٤ رقم ٢٠٤١ ولفظه «مامن أحد يسلم...» وأحمد في المسند جـ ٢/ ٥٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى جـ ٥/ ٢٤٥ باب زيارة النبي ﷺ وغيرهم. وقد صححه المصنف وقال على شرط مسلم في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم تحقيق د. ناصر العقل جـ ٢/ ٦٦٣ (الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية) جـ ٢/ ٦٦٣ وابن القيم في عون المعبود جـ ٦/ ٢٦ وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي تحقيق أبي عبد الرحمن السلفي ص ١٨٨-١٩٧ (الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرياض بيروت - لبنان): واعلم أن هذا هو الذي اعتمد عليه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدل به في هذا الباب، ومع هذا فإنه لا يسلم من مقال في إسناده، ونزاع في دلالة أما المقال في إسناده فمن جهة تفرد أبي صخر في روايته عن ابن قسيط عن أبي هريرة، ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة، ولم يتابع أباصخر أحد في روايته عن قسيط. وأما النزاع في دلالة فمن جهة احتمال لفظه، فإن قوله «مامن أحد يسلم علي» يحتمل أن يكون المراد به عند قبره، كما فهمه جماعة من الأئمة، ويحتمل أن يكون معناه على العموم، وأنه لا فرق في ذلك بين

القريب والبعيد، وهذا هو ظاهر الحديث وهو الموافق للأحاديث المشهورة التي فيها فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم. ١. هـ باختصار. وحسن الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٥/ ٣٣٨ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض.

واختلف العلماء في سماع الأموات على قولين:

الأول: قال بعض العلماء إنهم يسمعون. منهم قوام السنة الأصبهاني وابن عبد البر والبيهقي، ويقول القبورية بهذا ويستدلون به على الاستغاث بالأموات.

الثاني: عدم سماع الأموات، وبه قالت عائشة -رضي الله عنها- وطائفة من أهل العلم منهم الألويسي والألباني وغيرهم، وتعضد هذا القول الآيات والأحاديث الصحيحة.

وبما أن هذه المسألة من الغيب الذي لا يعرف إلا بالنصوص، فبعض الأحاديث التي ذكرها مثبتو السماع صحيحة ثابتة ويمكن الجمع بينها وبين الآيات الكريمة النافية للسماع، وبعضها الآخر اختلف العلماء في تصحيحها.

فالراجح أن الأموات يسمعون في حالات خاصة.

أما سماع النبي ﷺ فقد ثبت له بطريقين: الأول: رد الروح إليه، الثانية: تبليغه السلام من قبل ملك أو كُلت إليه هذه المهمة. وحياته ﷺ في القبر حياة برزخية خاصة أكمل من حياة الشهداء، فهو كالنائم، والنائم لا يسمع حتى ينتبه، فالمراد أنه إذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها فيقظ ورد. انظر: حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي ص ٦٩، ٦٦ وما بعدها، والفصل لابن حزم ج ٤/ ١١٩-١٢٠، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ج ١/ ٣٠٩ وما بعدها ومج ج ٤/ ٢٦٤ والروح لابن القيم تحقيق د. بسام العموش ج ١/ ١٤٠-١٤٤، ١٦٧ وما بعدها (الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ الناشر دار ابن تيمية الرياض - السعودية)، والآيات البينات في عدم سماع الأموات للعلامة نعمان الألويسي تحقيق الألباني

عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه»^(١) رواه ابن عبد البر

ص ٢١ وما بعدها، وص ٦٧ وما بعدها (الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان).

وهنا مسألة هامة وهي أن بعض أهل البدع يقولون: إن النبي ﷺ حي حياة حقيقية، فيحوز أن يدعى ويستغاث به، وأيضاً الأموات مادام أنهم يسمعون، فيحوز أن يدعون من دون الله، وهذا لا يصح بالدعاء والطلب شيء آخر ولا يلزم من سماعهم جواز الطلب منهم ودعائهم.

وأصل هذه البدعة بدعة أخرى وهي: أن بعض الأشاعرة لما قالوا: العرض لا يبقى زمانين، والروح عرض، قالوا: إن روح النبي ﷺ قد فنيت وبطلت، ولا روح له، وأما جسده ففي قبره ميت فبطلت نبوته الآن، فهرباً من ذلك، قالوا: النبي ﷺ حي حياة حقيقة، فدعاه من جاء بعدهم. انظر: الفصل لابن حزم ج ١/١٦٢-١٦٣، ومقدمة حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي للدكتور أحمد الغامدي ص ٥٠-٥١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٢/٥٩٤ والإغاثة بأدلة الاستغاثة للسقاف ص ٤-٥.

١- أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار تحقيق علي النحدي ناصف ج ١/٢٣٤ (طبعة إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العربية المتحدة) باب جامع في الوضوء من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - ولفظه «ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان ... إلا عرفه ورد عليه السلام» ونقل المؤلف تصحيح عبدالحق الأشبيلي صاحب الأحكام في الفتاوى ج ٢/٣٣١ وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٦/١٣٧ ترجمة رقم ٣١٧٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة والمكتبة العربية - بغداد) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولفظه «... إلا عرفه ورد عليه السلام» وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

وذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب تحقيق السعيد بسيوني زغلول ج ٤/١٩ رقم ٦٠٥٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر دار الكتب بيروت - لبنان) عن عائشة - رضي الله عنها - ولفظه «... يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا

رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده» وفيه عبد الله بن سمعان، وأخرجه ولي الدين العراقي في جزء منتقى من حديثه تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ص ٢٢٦-٢٢٧ مجلة الحكمة العدد الخامس في شهر شوال ١٤١٥ هـ وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وضعفه.

قال العراقي في تخريج الإحياء ج ٢/ ١٢٢٩ رقم ٤٤٣٥ في حديث عائشة: رواه ابن أبي الدنيا في "القبور" وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله، ورواه ابن عبدالبر في "التمهيد" من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبدالحق الأشبيلي أ.هـ.

وقال ابن رجب في أحوال القبور في أحوال أهلها إلى النشور ص ٧٣ (الطبعة ١٣٥٧ هـ مطبعة أم القرى مكة المكرمة): أخرجه ابن عبدالبر وقال عبدالحق الأشبيلي إسناده صحيح يشير إلى أن رواه كلهم ثقات وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر، وقال في حديث أبي هريرة: عبدالرحمن بن زيد ضعيف وقد خولف في إسناده من رواية هاشم بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة موقوفاً. وقال في حديث عائشة رواه عبد الله عن [كذا في المطبوع] ابن سمعان وهو متروك أ.هـ.

ونقل ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٢٢٥: أن الأشبيلي صححه في العاقبة أ.هـ.

قلت: ذكره عبدالحق الأشبيلي في كتاب العاقبة ص ١٢٠ تحقيق أبي عبدالرحمن المصري الأثري عدة طبعات، ولم أجد تصحيحه، وأما عبد الله بن سمعان فهو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان وهو متروك، اتهمه أبو داود بالكذب. انظر تقريب التهذيب ج ١/ ٤٩٣ رقم ٣٣٣٧.

وأما حديث ابن عباس ففي إسناده عبيد بن عمير واختلفوا فيه فقال بعضهم عبيد بن عمير مولى ابن عباس وهو مجهول كما في تقريب التهذيب ج ١/ ٦٤٦ رقم ٤٤٠٢، وقال السقاف في الإغاثة ص ٣٩: بل هو عبيد بن عمير من رجال الستة أ.هـ.

وصححه^(١).

لكن في مسألتهم أنواع من المفاصد منها إذاؤهم له بالسؤال، ومنها إفضاء ذلك إلى الشرك، وهذه المفسدة توجد مع الموت دون الحياة، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يُعبد في حياته، إذ هو ينهى عن ذلك، وأما بعد الموت فهو لا ينهى، فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً يعبد ولهذا قال النبي ﷺ «لاتتخذوا قبوري عيداً»^(٢) وقال «اللهم لاتجعل

قلت: يريد عبيد بن عمير بن قتادة الليثي من كبار التابعين ثقة كما في التقريب ج١/٦٤٥ رقم ٤٤٠١. والراجح أنه الليثي لأن عبيداً مولى ابن عباس تفرد عنه ابن أبي ذئب كما ذكر الذهبي في الميزان

وفيه فاطمة بنت ريان المخزومي المسلمي لا ذكر لها في كتب الرجال، وشيخ ابن عبدالر عبيد بن محمد لم يوثقه أحد. انظر العدد (٥) من مجلة الحكمة حاشية جزء ولي الدين العراقي ص ٢٢٧ وقد ضعف الحديث ابن الجوزي والمناوي. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبدالرؤف المناوي ج٥/٤٨٧ (الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ الناشر المكتبة التجارية - مصر).

وضعف طرق الحديث ابن عبدالهادي في الصارم المنكي ص ٢٢٤-٢٢٥ ماعدا حديث ابن عباس سكت عنه، وضعفه العلامة الألباني في حاشية الآيات البينات ص ٧٠، وضعف بعض طرق الحديث الذهبي في السير ج١٢/٥٩٠ ومما سبق يتبين أن الحديث ضعيف والله اعلم.

١- ما بين المعقوفين من (د) وسقط من الأصل و(ف) و(ح).

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج٢/١٥٠ رقم ٧٥٤٢ من حديث علي بن حسين عن أبيه عن جده ولفظه «لاتتخذوا ... ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث ما كنتم» ورقم ٧٥٤٣ وعبدالرزاق في مصنفه باب السلام على قبر النبي ﷺ ج٣/٥٧٧ رقم ٦٧٢٦ وأبو يعلى في مسنده ج١/٣٦١-٣٦٢ رقم ٤٦٩.

قبري وثناً يعبد»^(١) وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى

وأخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب زيارة القبور) جـ ٢/٥٣٤ رقم ٢٠٤٢ ولفظه «لا تجعلوا...» وصحح النووي حديث أبي داود في الأذكار ص ١٧٢ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط (الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ دار الهدى الرياض) وأخرجه أيضاً أحمد في المسند جـ ٢/٣٦٧ والقاضي في فضائل الصلاة على النبي ص ٣٦ رقم ٢٠ كلاهما بلفظ أبي داود. وسعيد بن منصور في سننه - كما في اقتضاء الصراط (جـ ٢/٣٠٢) - ولم أجده في المطبوع منها - وقال المصنف في اقتضاء الصراط جـ ٢/٦٥٩-٦٦٠ في حديث أبي داود: وهذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبداً لله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه. وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي ﷺ بأسانيد معروفة. ١. هـ. وقال أيضاً في جـ ٢/٦٦٢ عن الإسناد المرسل لهذا الحديث: وهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به من أرسله وذلك يقتضي ثبوته عنده. ١. هـ. وقد أطال الكلام على هذا الحديث، وقال شمس الدين السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ١٥٥ (الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ المكتبة العلمية المدينة المنورة): حديث حسن وله شاهد. ١. هـ. وقال العلامة الألباني في حاشية كتاب فضائل الصلاة على النبي للإمام إسماعيل القاضي المالكي ص ٣٦ الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

١- أخرجه الإمام مالك في الموطأ مرسلًا في (كتاب قصر الصلاة في السفر) جـ ١/١٧٢ والحميدي في مسنده، باب الجنائز جـ ٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥ ولفظه «... وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا أو (جعلوا) قبور أنبيائهم مساجد» تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وأحمد في المسند جـ ٢/٢٤٦ وعبدالرزاق في مصنفه مرسلًا جـ ١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧ ولفظه «... وثناً يصلّى إليه فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وكذا ابن أبي شيبة جـ ٢/١٥٠ رقم ٧٥٤٤ وأبو سعيد المفضل المكي في فضائل المدينة تحقيق محمد الحافظ وغزوة

﴿وقالوا لاتذرُنْ أهلكم ولا تذرُنْ وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ [سورة نوح: ٢٣] إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم^(١)، ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأما النبي والصالح إذا^(٢) بنى له مسجداً في حياته يصلّى فيه معه فهذا من أفضل الأعمال. فحكم الحياة يفارق حكم الممات، وذلك كما جاءت السنة بذلك.

فصل

قال (ثم اعلم أنه من نفى الحقائق نفياً عاماً يفهم به الإشارة
كلام البكري في
أن تخصيص النبي
بالنفي تنقص له

بدير ص ٣٩ رقم ٥٢ (الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر دار الفكر دمشق سوريا)
وأبو يعلى في مسنده ج ١٢/٣٣-٣٤ رقم ٦٦٨١ ولفظه «لاتجعلن قبري وثناً،
لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وابن سعد في الطبقات ج ٢/٢٤١-
٢٤٢ وغيرهم. وصححه ابن عبد البر في التمهيد ج ٥/٤٢.

١- أخرجه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال «صارت الأوثان التي كانت
في قوم نوح في العرب بعدد، أما ود: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع:
كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني عطيف بالجووف عند سبأ، وأما
يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال
صالحين، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا
يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ
العلم عبت» (كتاب التفسير، باب تفسير سورة نوح) ج ٣/١٥٧٢ رقم ٤٩٢٠.
وأنظر أقوال السلف في تفسير الطبري في تفسير هذه الآية ج ١٢/٢٥٣-٢٥٤.

للتوحيد وإفراد الباري بالقدرة عددناه من المنزهين، ولم نجعل ذلك إبطالاً للحكمة إذ الألفاظ يعتبر حكمها بما تفهم العقول منها. بمقتضى الأوضاع والقرائن، ومن خص الرسول أو^(١) الملائكة بنفي خاص، يفهم منه طرح رتبهم وعدم صلاحيتهم للأسباب فقد نقصهم بعبارته؛ وإن نوى معاني التوحيد، ولم يجعل الله لأحد تنقيص الرسول، وأجمع الخلف والسلف على وجوب تعظيمهم في الاعتقاد والأقوال والأفعال).

والجواب من وجوه أحدها: أن الجواب المذكور ليس فيه تخصيص النبي ﷺ بالذكر بل قد صرح فيه بالعموم، وقيل فيه: من قال لا يدعى إلا الله، وأن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فلا تطلب إلا منه، مثل غفران الذنوب، وهداية القلوب وإنزال المطر، وإنبات النبات ونحو ذلك، فهذا مصيب، ولذلك حيث ذكر هذا فلم يذكره إلا على وجه التعميم، فدعوى المدعي أن النبي ﷺ والملائكة خصوا بالذكر كذب لا يحتاج إلى جواب.

رد ابن تيمية

الوجه الثاني: أن يقال التحقيق في هذا الباب؛ أنه إذا كان المنفي^(٢) لا يصلح لمخلوق؛ فذكرت الأنبياء والملائكة على سبيل تحقيق النفي العام، كان هذا من أحسن الكلام، وكان هذا من باب التنبيه، كما يقال لا تجوز العبادة إلا / لله - تعالى - لا للملك مقرب ولا نبي مرسل، فينبه بنفيها عن الأعلى على انتفائها عن من هو دونهم بطريق الأولى، وكذلك إذا كان المخصوص بالذكر ممن قد حصل فيه غلو،

٧٢

١- في (ف) (واو).

٢- في (د) النفي.

كما يقال ليس في الصحابة معصوم، لا علي ولا غيره، وليس في النبيين إله لا المسيح ولا غيره، فهذا أحسن.

فالمخصص إذا كان فيه فائدة مطلوبة كان حسناً، ومنه قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ * أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَىٰ * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٩-٢٦]، فنفي سبحانه أن تغني شفاعته الملائكة الذين في السماء إلا من بعد إذنه، تنبيهاً بذلك على [أن] (١) من دونهم أولى أن لا تغني شفاعتهم، فإن المشركين كانوا يقولون عن الأصنام إنها تشفع لهم قال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبَهُنَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس: ١٨] ولا يجوز أن يكون الكلام تنقيصاً بالملائكة، ولذلك قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ

١- كذا في (ف) و(ح) و(ط) وسقطت من الأصل و(د).

يستنكف عن عبادته ويستكبر/ فسيحشرهم إليه جميعاً [سورة النساء: ١٧١-١٧٢]، فإنه لما كان الكلام في إثبات توحيد الله - تعالى - والنهي عن الغلو في الدين الذى فيه تشبيه المخلوق بالخالق، قال ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ بعد أن قال ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ [سورة المائدة: ٧٥] فنسبه إلى أمه وهذا قد جرى في القرآن في غير موضع، فنسبه إلى أمه لينفي نسبته إلى غيرها، فلا ينسب إلى الله أنه ابنه؛ ولا إلى أب من البشر؛ كما زعمت النصارى الغالية فيه، ولا كما زعمت اليهود الكافرة به^(١).

استطرد في اعتقاد النصارى في المسيح

وأبلغ من هذا قوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾ [سورة المائدة: ١٧] فذكر أهل الأرض جميعاً؛ وخص المسيح وأمه بالذكر؛ من أنه إن أراد إهلاكهم لن يملك أحد لهم

١ - زعم اليهود أن عيسى - عليه السلام - ولد زناً، واتهموا أمه بتركيا وأنه كاذب في دعوى نبوته ولذلك لقي جزاءه بالقتل، وقابلهم النصارى بزعم آخر وهو أنه إله أو ابن إله واختلفوا في طبيعته، وهدى الله المسلمين للحق بإذنه فشهدوا بأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

انظر : تاريخ الطبري (ج ١/ ٣٥٣) وقصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٧٥ والمسيحية تأليف د. أحمد شلبي ص ٥٣ الطبعة الثامنة ١٩٨٤م الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - مصر.

منه شيئاً، لأن المسيح وأمه أُتخذَا آلهين كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، فكان التخصيص بالذكر لنفي هذا الشرك والغلو الذي وقع في المسيح وأمه، ولم يكن ذلك من باب التنقيص بالمسيح وأمه، بل كان التخصيص لأجل أن الكلام وقع في ذلك المعين.

فالتخصيص للحاجة إلى ذكر المخصوص والعلم به؛ أو لأجل التنبيه به على ما سواه، ولهذا لا يكون التخصيص في هذا^(١) مفهوماً مخالفاً، بنفي نقيض الحكم عن ما سواه، وهو الذى يسمى دليل الخطاب للتخصيص^(٢)، لم يكن للاختصاص بالحكم، وقال تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ / وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ

١- في (د) هذه.

٢- دليل الخطاب هو: إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. وأما نوع التخصيص الذى ذكره المؤلف هنا فهو فحوى الخطاب ويسمى تنبيه الخطاب، ومفهوم الموافقه. وهو نوعان: تنبيه بالأقل على الأكثر كقوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لِهَما أَف﴾ [سورة: الإسراء الآية ٢٣] فإنه نبه بالنهي عن قول أف على النهي عن الشتم والضرب وغير ذلك، والنوع الآخر تنبيه بالأكثر على الأقل مثل ما ذكره المؤلف. انظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول تأليف أبي القاسم محمد الغرناطي المالكي تحقيق د. محمد المختار الشنقيطي ص ١٦٨-١٦٩ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، والأحكام في أصول الأحكام للآمدى تعليق عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - ج ٤ / ٣ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

بعد إذ أنتم مسلمون» [سورة آل عمران من ٧٩ - ٨٠] فتخصيص
الملائكة والنبين بالذكر تنبيه على [من] ^(١) دونهم ، فإنه ^(٢) لا يأمر
باتخاذ الصالحين أرباباً بطريق الأولى.

تخصيص الأنبياء
والملائكة بالذكر
تنبيه على من
دونهم

ومن هذا الباب قوله ﷺ في الحديث الصحيح «لن يدخل أحد
منكم الجنة بعمله قيل: ولأنت يا رسول الله قال: ولأنا، إلا أن يتغمدني
الله برحمة منه وفضل» ^(٣) فكان تخصيصه بالذكر لتحقيق العموم، وأن
هذا النفي يتناول أفضل الخلق ، فلا يظن أحدٌ غيره أنه يدخل الجنة
بعمله.

وكذلك قوله في الحديث الصحيح «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به
قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا : وإياك يا رسول الله. قال :
وإيائي، إلا أن الله أعاني عليه فأسلم» ^(٤).

ومنه قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون *
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ما).

٢- في (د) أن.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب المرضى، باب نهى تمني المريض الموت) ج٤/١٨١٦
رقم ٥٦٧٣ ولفظه «.... بفضل ورحمه» وطرفه ٦٤٦٧ ومسلم في (كتاب
صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) ج٤/٢١٦٩ رقم ٢٨١٦
بألفاظ متقاربة. وأحمد في المسند ج٢/٤٧٣ واللفظ له .

٤- أخرجه مسلم في (كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان) ج٤/٢١٨٦ رقم
٢٨١٤، وأحمد في المسند ج١/٤٠١ واللفظ له من حديث ابن مسعود -رضي الله
عنه- وأخرجه غيرهم.

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكذلك نجزي الظالمين ﴿سورة الأنبياء: ٢٦-٢٩﴾ فذكر هذا الوعيد في الملائكة، وخصهم بالذكر، تنبيهاً على أن دعوى الإلهية لا تجوز لأحد من المخلوقين لملك ولا غيره، وإنه لو قدر وقوع ذلك من ملك من الملائكة لكان جزاؤه جهنم، فكيف من دونهم ! وهذا (١) التخصيص لإفراد الله بالآلهية ومنه قوله تعالى في الأنبياء ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ [سورة الأنعام: ٨٧-٨٨].

٧٥

المشرك يحبط عمله
كائناً من كان

والأنبياء معصومون من الشرك والكفر (٢)، ولكن المقصود بيان أن الشرك لو صدر من أفضل الخلق لأحبط عمله، فكيف بغيره؟ وكذلك قوله تعالى (٣) لنبيه - ﷺ - (٤) ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [سورة الزمر: ٦٥] مع أن الشرك منه ممتنع لكن يبين بذلك أنه إذا قدر وجوده كان مستلزماً لحبوط عمل المشرك وخسرانه كائناً من كان، وخطوب بذلك أفضل الخلق لبيان عظم هذا (٥) الذنب، لالقص (٦) قدر المخاطب كما قال تعالى ﴿ولو تقول

١- (وهذا) سقطت من (ف).

٢- (والكفر) سقطت من (ف).

٣- (تعالى) سقطت من (د).

٤- ما بين الشرطتين (عليه الصلاة والسلام) في (ف) و(د) و(ح).

٥- (لا لنقص) سقطت من (د).

٦- في (ف) لغض.

علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿[سورة الحاقة: ٤٤-٤٧]، ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائناً من كان ، وأنه لو قدر أنه غير الرسالة لانتقم منه، والمقصود نفى هذا التقدير^(١) لانتفاء لازمه.

وكذلك قوله تعالى ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ [سورة الشورى: ٢٤] (ثم قال)^(٢) ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ [سورة الشورى: ٢٤] وفي الحديث المعروف «إن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»^(٣) فهذا من بيان عدل الرب وإحسانه وتقصير الخلق عن واجب حقه؛ حتى الملائكة والأنبياء

١- يباض في الأصل و(ف) بمقدار ثلاث كلمات وفي (د) و(ح) بمقدار كلمتين وليس في الجملة سقط.

٢- ما بين القوسين سقط من (ف) و(د).

٣- أخرجه أبو داود في (كتاب السنة، باب في القدر) ج٥/٧٥ رقم ٤٦٩٩ بلفظ قريب وأوله «قال ابن الدليمي أتيت أبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر... الحديث» وابن ماجه في المقدمة، باب القدر) ج١/١٦-١٧ رقم ٦٥ وأحمد في المسند ج٥/١٨٢، ١٨٥، ١٨٩ وغيرهم بالفاظ متقاربة وقرية من لفظ المؤلف، وفي سند الحديث سعيد بن سنان البرجمي الشيباني قال فيه ابن حجر في التقريب ج١/٣٥٦ رقم ٢٣٣٩ صدوق له أوهام. ١هـ، وقال المنذري في اسناده أبو سنان سعيد بن سنان الشيباني وثقه يحيى بن معين وغيره وتكلم فيه أحمد وغيره. انظر مختصر سنن أبي داود (ج٧/٦٩) تحقيق محمد حامد الفقي الناشر دار المعرفة بيروت لبنان، وقد صححه الالباني في حاشية مشكاة المصابيح (ج١/١١٧) الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

وغيرهم، وأنه لو عذبهم لم يكن ظالماً لهم، فكيف بمن دونهم؟ وهذا باب واسع.

فمن غلا في طائفة من الناس؛ فإنه يُذكر له من هو أعلى منه ^{الاستدلال بالأعلى على الأدنى} ويبين أنه لا يجوز هذا الغلو فيه، فكيف يجوز الغلو في الأدنى؟ كما قال بعض الشيعة لبعض شيوخ أهل ^(١) السنة: تقول ^(٢) إن مولانا أمير المؤمنين علياً ما كان معصوماً، فقال أبو بكر وعمر عندنا أفضل / منه وما كانا معصومين.

٧٦

وكما يقال لمن يعظم شيخه أو أميره بأنه يطاع في كل شيء، وأنه لا تنبغي مخالفته، [فيقال] ^(٣) له: أبو بكر أفضل منه، وقد قال «أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني» ^(٤) وكما ظن الغالي أن الصالحين لا يؤذيهم عدوهم، [ولا يخرجون] ^(٥) لاعتقاده أن ذلك

١- (أهل) سقطت من (ف) و(د).

٢- في (ف) نقول.

٣- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (فقال) وفي هامش الأصل (لعله فيقال).

٤- أخرج ابن جرير أول الاثر عن أبي بكر -رضي الله عنه- في تاريخه ج٢/ ٤٥٠ وكذلك ابن كثير في تاريخه ج٦/ ٢٩٤ وقال ابن كثير هذا إسناد صحيح، وآخره عند ابن جرير في ج٢/ ٤٦٩ من قوله «إنما أنا متبع ولست بمبتدع...» وعند ابن كثير ج٦/ ٢٩٦.

٥- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يخرجون، وما أثبت أعلاه هو الصواب للسياق.

نقص فيهم، وأنهم^(١) قادرون على دفع كل أذى، فيقال: أفضل الخلق محمد ﷺ قد أؤذي وقد جرح يوم أحد^(٢)، وذلك كرامة من الله - تعالى - ليعظم أجره ويزيده^(٣) رفعة بالصبر على الأذى في الله. [وكذلك]^(٤) لو حلف حالف بشيخه، فقليل له لا تحلف بغير الله؛ فمن حلف بغير الله فقد أشرك^(٥). وكذلك إذا اعتقد معتقد

فهم الغلاة
للشفاعة

١- في الأصل كرر أنهم.

٢- في هامش (د) وكسرت رباعيته، ويشير المؤلف رحمه الله إلى ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ، فقال «أما والله إنني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ... (إلى أن قال) وكسرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه» (كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد) جـ ٣/١٢٤٣ رقم ٤٠٧٥.

٣- في هامش (د) الله بذلك.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل لذلك.

٥- هذا لفظ حديث أخرجه أبو داود في (كتاب الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأبواء) جـ ٣/٥٧٠ رقم ٣٢٥١ والترمذي في (كتاب النذور والإيمان، باب ما جاء في كراهة الحلف بغير الله) جـ ٤/١١٠ رقم ١٥٣٥ وزاد «... كفر أو أشرك» وقال حديث حسن. وأحمد في المسند جـ ٢/٩٦، ١٢٥ من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- واللفظ له. وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند جـ ٧/٢٢٩ والحاكم في المستدرک جـ ١/١٨ ولفظه «كل يمين يحلف بها دون الله شرك» وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي وصححه جاسم الدوسري في النهج السديد ص ٢٢٣ رقم ٤٦٤ وقد أعله البيهقي بالانقطاع وقال وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر. السنن الكبرى جـ ١٠/٢٩ باب كراهية الحلف بغير الله، ويرد عليه تصريح سعد بن عبيدة بالسماع من ابن عمر في المسند جـ ٢/٦٠، ٥٨ وفي صحيح ابن جبان جـ ١٠/١٩٩ رقم ٤٣٥٨ الإحسان في

بشيخه أنه يشفع لمريديه^(١). وأن له راية في الآخرة يُدخِلُ تحتها مريديه^(٢) الجنة، فيقال له: المرسلون أفضل منه، وسيد ولد آدم ﷺ إذا جاء يشفع يسجد بين يدي الله - عز وجل - ويحمد ربه بمحامد. فيقال له «ارفع رأسك وقل يسمع»^(٣) وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يارب أمي فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة»^(٤).

فهو ﷺ لا يشفع إلا أن بعد يؤذن له بل يبدأ^(٥) بالسجود لله والثناء عليه، ثم إذا أذن له في الشفاعة وشفع حد له حداً يدخلهم الجنة، فليست الشفاعة مطلقة^(٦) في حقه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يكون الشيخ إن كانت له شفاعاة؟.

تقريب صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الارنؤوط وقال شعيب إسناده صحيح على شرط مسلم. حاشية الإحسان جـ ١٠/ ٢٠٠ وقد رد دعوى الانقطاع المباركفوري في تحفة الأحوزي تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان جـ ٥/ ١٣٦ (الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ مطبعة الفحالة الجديدة مصر)، والدوسري في النهج السديد ص ٢٢٣ وغيرهم.

١- في هامش (د) يوم القيامة.

٢- في (ح) (مريده)

٣- في (د) لك.

٤- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قوله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ جـ ٥/ ٢٣١٢ رقم ٧٤١٠ وطرفاه: ٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٣٣٦١ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) جـ ١/ ١٨٣ رقم ١٩٣ واللفظ لمسلم.

٥- في هامش (د) أولاً.

٦- في (د) له مطلقاً.

وكذلك إذا قيل عن بعض الشيوخ إن قبره ترياق مجرب (أو أنه) ^(١)، قيل له : إذا كانت قبور الأنبياء -عليهم السلام- ليست ترياقاً مجرباً فكيف تكون قبور الشيوخ؟.

مألاً يصح
للأنبياء فغيرهم
أول

وكذلك إذا قيل إن الشيخ الميت يستسقى عند/ قبره، ويقسم به على الله، ويعرّف عنده عشية عرفه ^(٢) ونحو ذلك، قيل له: إذا كان النبي ﷺ سيد الخلق لم تستسقى الصحابة -رضوان الله عليهم- عند قبره، ولا أقسموا به على الله، ولا عرفوا عند قبره. فكيف غيره؟.

٧٧

وكذلك إذا قيل : إنه يسجد لقبر الشيخ أو يستلم ويُقبل، قيل: إذا كان قبر النبي ﷺ لا يسجد له ولا يستلم ولا يقبل باتفاق الأئمة ^(٣). فكيف بقبر غيره؟.

وكذلك إذا قيل الموضع الذي كان الشيخ يصلي فيه، لا يصلي فيه غيره احتراماً له، قيل له ^(٤): إذا كان الصحابة صلوا في الموضع الذي

١- هكذا في الأصل. ولعلها زائدة.

٢- التعريف: هو اجتماع الناس عشية يوم عرفة في غير عرفة يفعلون مايفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء. انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث للعلامة أبي شامة الشافعي تحقيق عادل عبد المنعم ص ٤٨ وسيأتي بيان هذه البدعة والكلام عنها ص ٤٦٨.

٣- نقل هذا الإجماع الإمام النووي في الإيضاح في المناسك ص ١٦٠ - ١٦١ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ وقال الغزالي في إحياء علوم الدين ج ٣/ ١٠٣ : مس وتقيل المشاهد من عادات اليهود والنصارى. ا.هـ. وقد ذكره غيرهم.

٤- سقط من (ف) و(د).

كان النبي ﷺ يصلي فيه، فكيف لا يصلي في موضع مصلى غيره؟ وهو أحق بالاحترام من كل أحد.

وكذلك إذا قيل إن الشيخ الميت يدعى ويسأل ويستغاث به، قيل له (١): إذا كان الأنبياء بعد موتهم لا يدعون ولا يسألون ولا يستغاث بهم. فكيف [بمن دونهم] (٢)؟.

وإذا قيل يُطلب من الشيخ كل شيء، فقل ما لا يقدر عليه إلا الله؛ لا يطلب من الأنبياء، فكيف يطلب ممن دونهم؟.

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول (٣): لأملك لك شيئاً قد أبلغتك (٤). لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حممة، فيقول: يا رسول الله: أغثنى فأقول لأملك لك شيئاً قد أبلغتك (٥)» (٦) أخرجاه.

١- سقط من (ف) و(د).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل بغيرهم وعليها إشارة للهامش وليس فيه شيء.

٣- في (ف) (قد أبلغتك) وهي زيادة على نص البخاري.

٤- في (د) و(ح) قد أبلغتك لأملك لك من الله شيئاً.

٥- في (د) و(ح) قد أبلغتك لأملك لك من الله شيئاً.

٦- أخرجه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب الغلول) جـ ٢/ ٩٤٤ رقم ٣٠٧٣ واللفظ له ومسلم في (كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول) جـ ٣/ ١٤٦١ رقم

فقد أخبر أنه يستغيث به أهل الغلول يوم القيامة فلا يغيثهم، بل يقول [قد أبلغتكم] ^(١) لا أملك لكم من الله شيئاً.

كما قال «يا فاطمة بنت محمد لا أعني عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً، ياعباس عم رسول الله لا أعني / عنك من الله شيئاً ^(٢)» ^(٣).

٧٨

وهذا النوع من الكلام يقال على وجه [العموم] ^(٤)، (تارة يقال: السجود لا يصلح إلا لله لالني ولا لغيره) ^(٥)، وتارة يقال السجود لا يصلح للأنبياء، فكيف بمن دونهم، وتارة يقول السائل: هل أسجد للشيخ؟ فيقال له: الرسول لا يسجد له، فكيف يسجد للشيخ؟ فتارة يذكر الاسم العام ويخص الأفضل بالذكر تحقيقاً للعموم؛ وأنه لا يستثنى من هذا العموم أحد؛ وإن كان أفضل.

كما يقال مات الناس حتى الأنبياء. وتارة يذكر الأفضل ويعطف عليه غيره تحقيقاً للعموم، وتارة يختص الأفضل بالذكر تنبيهاً على من

١- كذا في (د)، وفي (ح) (أبلغتكم) وفي الأصل و(ف) (أبلغتكم).

٢- في (ف) سقط قوله «ياعباس عم رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً».

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب) ج ٢/ ٨٤٧ برقم ٢٧٥٣ وطرفه رقم ٣٥٢٧. وأخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب قول الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾) ج ١/ ١٩٢ برقم ٢٠٦ بالفاظ متقاربة وقرية من لفظ المؤلف.

٤- ما بين المعقوفين ليس في جميع النسخ وفي (ح) بياض بمقدار كلمة، وقد أخذتها من تكرار المصنف لنفس المعنى في الكلام الذي بعدها بأسطر.

٥- ما بين القوسين سقط من (د).

سواه، فهذا النمط من الكلام حيث ذكر الافضل فيه فإنه لايراد اختصاصه بالحكم، بل يراد به العموم؛ وتحقيق العموم، وأن هذا الحكم ثابت في حق الأفضل، فكيف من (١) دونه؟.

وحينئذ فإذا قدر أن سائلاً سأل هل يستغاث بميت من الأنبياء والصالحين؟ فقل له: لا [تستغث] (٢) بأحد منهم لاني ولا غيره، أو قيل لا يستغاث بالنبي فكيف بمن دونه!! أو قيل أفضل الخلق لا يستغاث به، أو نحو ذلك من العبارات التي يفهم منها عموم النفي، وأنه ذكر الأفضل تحقيقاً للعموم، كان هذا من أحسن الكلام كما تقدم. (٣)

يذكر الأفضل تحقيقاً للعموم

كما إذا قيل لا يسجد لقبره ولا يتمسح به ولا يقبل، ولا يتخذ وثناً يعبد ونحو ذلك.

وكذلك لو كان الخطاب ابتداءً في سياق التوحيد ونفي خصائص الرب عن العبد، فقل: مالا يقدر عليه إلا الله لا يطلب إلا منه لامن نبي ولا غيره، أو قيل لا يستغاث فيه بالنبي، فكيف من دونه أو نحو هذا الكلام كان حسناً.

/ فالاستغاثه المنفيه نوعان أحدهما: الاستغاثه بالميت مطلقاً في كل شئ. والثاني (٤): الاستغاثه بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، فليس لأحد ان يسأل غير الله مالا يقدر عليه إلا الله لانبياً ولا غيره،

٧٩ أقسام
الاستغاثه المنفيه

١- في (د) بمن.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بتغيث).

٣- في ص ٣٥١

٤- في (د) الثانية.

ولا يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحد أن يسأل ميتاً؛ أو يستغيث به في شيء من الأشياء؛ سواء كان نبياً أو غيره، وإذا كان كذلك فجميع ما وقع هو من هذا الباب، ولم يفهم أحد من الخلق شيئاً إلا هذا.

الوجه الثالث: قوله (من نفى الحقائق نفياً عاماً يفهم به الإشارة للتوحيد، وإفراد الباري بالقدرة، عددناه من المنزهين؛ ولم^(١) يجعل ذلك إبطالاً للحكمة، ومن خص الرسول أو الملائكة بنفي خاص، يفهم من طرح رتبهم وعدم صلاحيتهم للأسباب، فقد نقصهم بعبارته وإن نوى معاني التوحيد).

دعوى البكري
أن من خص
الرسول
والملائكة بنفي
خاص فقد
نقصهم بعبارته

يقال له: أولاً قولك: عددناه من المنزهين، عبارة في غير موضعها، بل حقه أن يقال من الموحدين، فإن التنزيه نفي النقائص عن الله - عز وجل -، وأما^(٢) الإشارة إلى التوحيد وإفراده بالقدرة فيسمى توحيداً.

رد ابن تيمية الوجه
الأول

ويقال له: قولك (خصهم بنفي خاص يفهم منه طرح رتبهم وعدم صلاحيتهم للأسباب) كلام مجمل؛ فماذا تريد به؟ أتريد به عدم صلاحيتهم للأسباب التي أثبتها الله - تعالى^(٣) - لهم، مثل عدم صلاحية الملائكة للنزول بالوحي والعذاب وتدبير^(٤) العالم، وعدم صلاحية

الوجه الثاني الرد
على عدم صلاحية
الأنبياء للأسباب

١- في (د) فلم.

٢- في (ف) فأما).

٣- تعالى سقطت من (د).

٤- في (ف) تدبّر).

الرسول لتبليغ رسالة (١) الله ونحو ذلك، مما أثبتته الله لهم.

أو عدم صلاحيتهم لما اختص الرب -تبارك وتعالى- [به] (٢) مثل أن يطلب منهم الأمور التي لا يقدر عليها غيره، وعدم صلاحيتهم لكونهم يُسألون/ ويدعون بعد موتهم، أو يطلب منهم كما يطلب من الله (٣).
٨٠. فإن غنيت الأول فقائله أعظم جرماً من أن يقال نقصهم بعبارته، إذ قد يكون كافراً، مثل أن يتضمن نفيه جحد رسالة الرسول، أو جحد نزول الملائكة عليه بالوحي، أو جحد ما يدخل في الإيمان من الإيمان بالملائكة، ولكن مانحن فيه ليس من هذا الباب.

وإن أردت الثاني فليس في نفي خصائص الربوبية عن المخلوق نقص له يجب تنزيهه عنه، فضلاً [عن] (٤) أن يجب نفيه عنه، فمن قال: لا إله إلا الله لم يكن قد نقص الملائكة والأنبياء بنفي الآلية عنهم، (ومن قال إن الملائكة والأنبياء) (٥) ليسوا أرباباً ولا آلهة ولا يعبدون ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، كان (٦) قد نفى عنهم ما يختص به الرب -تبارك وتعالى- ولم ينف عنهم (ماهم أسباب فيه) (٧)، وإنما يكون نافياً للأسباب إذا قال: لا شفاعة لهم ولا يشفعون لأحد ولا يدعون

١- في (ف) و(د) و(ح) رسالات.

٢- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) وفي (ح) لم تظهر في الصورة.

٣- في (د) تعالى.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥- ما بين القوسين سقط من (د) وعليه إشارة للهامش وليس فيه شيء.

٦- في (ف) (كما).

٧- ما بين القوسين سقط من (د) وفي (ط) الأسباب.

لأحد، أو دعاؤهم لا ينفع أحداً، فهذا^(١) باطل بل كفر، أو قال إنه لا يتوسل إلى الله بالإيمان بهم ومحبتهم وطاعتهم، أو لا يتوسل إليه بدعائهم وشفاعتهم فهذا باطل بل كفر.

وهذا المفترى لما قال إنه يجوز أن يستغاث بالنبي ﷺ في كل ما يستغاث بالله فيه؛ وأن ذلك صحيح في حق النبي والصالحين، وقال: (إن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفرج كربة؛ فقد استغاث به سواء كان حياً أو ميتاً، وإن من سأله وطلب منه فقد استغاث به، فاقضى ذلك أنه يطلب منه حياً وميتاً كل شئ كما^(٢) يطلب من الله^(٣))، (ويطلب بالتوسل/ به حياً وميتاً كل^(٤) ما يطلب من الله، وأن ذلك ثابت للصالحين أيضاً)، اقتضى كلامه أنه يطلب من المخلوق حياً وميتاً كل ما يطلب من الخالق - سبحانه وتعالى -^(٥).

جعل البكري
المستغاث بالنبي
والصالحين مستغنياً
بالله

٨١

ومعلوم^(٦) أن هذا الذي قاله لو كان حقاً لم يجز نفي الاستغاثة به بوجه من الوجوه، كما لا يجوز نفي شفاعته التي أثبتها الله، ونفى استشفاع الناس به يوم القيامة كما نطقت به^(٧) النصوص، ونفى توسل الصحابة بشفاعته ودعائه في الدنيا.

١- في (د) فهو.

٢- في (د) (ما) بدون (كاف) وفي الهامش ((ويطلب بالتوسل به حياً وميتاً)).

٣- في (د) الخالق سبحانه وتعالى.

٤- في (ف) (شئ) عليها أثر شطب خفيف.

٥- ما بين القوسين سقط من (د).

٦- بياض في (ف) بمقدار كلمتين.

٧- في (د) إشارة للهامش وفيه «وأن ذلك ثابت للصالحين أيضاً» ثم كلمة غير

فمن قال: إن النبي ﷺ لا يشفع لأحد ولا يستشفع به، وإنه لم تكن الصحابة يستشفعون به فهو مفرّ كذاب؛ بل هو كافر بعد قيام الحجة عليه.

وإما من قال: إنه لا يطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله، أو قال إنه لا يسأل بعد موته كما كان يسأل في حياته فهذا قد أصاب؛ فأين هذا من هذا!! وأما من قال إنه لا يقسم على الله بمخلوق ولا يتوسل بميت ولا يُسأل بذات مخلوق، فإن الصحابة إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، ولما مات لم^(١) يتوسلوا بدعائه وشفاعته ولم يتوسلوا بذاته، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه توسل إلى الله بميت [في دعائه]^(٢)، ولا أقسم به عليه.

وهكذا قد قال أبو حنيفة وأبو يوسف^(٣) وغيرهما: إنه لا يجوز أن يقال: أسألك بحق الأنبياء، وكذلك قال أبو محمد ابن عبدالسلام^(٤): إنه

١- (لم) سقط من (ف) و(د) و(ح).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بدعائه).

٣- أبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، البغدادي. وُلِدَ سنة ١١٣هـ، صاحب أبي حنيفة وتلميذه. قال الإمام أحمد: أول ما كتبت الحديث اختلفت إلى أبي يوسف، وكان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. وثقه أهل الحديث. وكان صاحب حديث وسنه تولى القضاء، ولقب بقاضي القضاة صنف "الخراج" "والآثار" وغيرهما، وهو الذي استتاب بشراً المريسي توفي يوم الخميس الخامس من ربيع الأول سنة ١٨٢هـ. وعاش ٦٩ سنة. انظر السير ج٨/٥٣٥ ترجمه رقم ٢٤٩ والأعلام ج٨/١٩٣ وقد سبق الكلام على هذه المسألة. في ص ٣٣٧

٤- أبو محمد ابن عبدالسلام: هو عز الدين أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة ٥٧٧هـ، في دمشق،

لا يقسم عليه بحق الأنبياء وتوقف في نبينا ﷺ لظنه أن ذلك خير يخصه، وليس كذلك.

فهذا وإن كان مصيباً ففيه نزاع؛ فقد نقل عن بعض العلماء أنه لا يجوز أن يتوسل به بعد موته، ونُقل ذلك^(١) في منسك الحج الذي نقله المروزي^(٢) عن الإمام أحمد، وقد تنازع العلماء في القسم به هل ينعقد به على قولين أشهرهما: أنه لا ينعقد اليمين به وهو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحد^(٣) القولين في مذهب أحمد، والثاني تنعقد به اليمين وهو الرواية الأخرى عن أحمد اختارها طائفة من أصحابه، وعلى هذه الرواية فهل الحلف يختص به؛ أو يُحلف بسائر الأنبياء؟ على وجهين أشهرهما الأول والثاني ذكره ابن عقيل وغيره. فقد يقال: إن

٨٢ نزاع العلماء في القسم بالنبي ﷺ

فقيه شافعي تولى الخطابة والتدريس بالجامع الأموي، ثم في مصر، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، غضب عليه الصالح بن إسماعيل، لإنكاره عليه؛ تسليم قلعة «صفد» للفرنج. انتهت إليه رئاسة الشافعية. له "القواعد الكبرى والصغرى" و"كتاب الصلاة"، و"الفتاوى الموصلية" وغيرها توفي ٦٦٠هـ. انظر البداية والنهاية ج١٣/٢٦٤ والأعلام ج٤/٢١.

ونص فتواه قال «لما ذكر حديث الأعمى (وسيأتي تخريجه والكلام عليه) وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوداً على رسول الله ﷺ لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء. هـ فتاوى العز بن عبد السلام خرج أحاديثه عبد الرحمن عبد الفتاح ص ١٢٦-١٢٧ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

١- (ذلك) سقطت من (د).

٢- في (د) المروزي والصواب المروزي بالذال وسبق التعريف به في ص ٢٨٢.

٣- كذا في جميع النسخ وفي الأصل «أحدى» وهو خطأ.

التوسل به والإقسام على الله به [هو] ^(١) من جنس الحلف به، فيكون النزاع في هذا كالنزاع في هذا ^(٢).

والصواب ما عليه الجمهور من أنه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا النبي -ﷺ- ^(٣) ولا غيره ^(٤).

١- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢- فرق المؤلف -رحمه الله- بين التوسل والإقسام، فقال: إن البائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الإجابة، والمقسم أعلى من هذا فإنه طالب مؤكد طلبه بالقسم. انظر التوسل والوسيلة ص ١١٥.

٣- ما بين الشرطين سقط من (د).

٤- وإليك أقوال العلماء من المذاهب الأربعة:

قال ابن قدامة المقدسي من الحنابلة في المغني ج ٢٠٩/١١ وبهامشه الشرح الكبير: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، وقال أصحابنا الحلف برسول الله ﷺ يمين موجبة الكفارة، ورؤي ذلك عن أحمد ورجح ابن قدامة الأول للأدلة الواردة ولأنه ليس بمنصوص عليه ولا في معنى المنصوص، ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه، وحمل كلام الإمام على الاستحباب دون الإيجاب. ١.هـ.

وقال القدوري من الحنفية: ومن حلف بغير الله لم يكن حالفاً كالنبي والقرآن والكعبة. انظر الباب في شرح الكتاب تأليف عبدالغني الحنفي تحقيق محمود أمين النواوي ج ٤/٥ طبعة دار الحديث، والاختبار لتعليق المختار تأليف عبدالله الموصلي الحنفي تعليق الشيخ محمود أبو دقيقه ج ٤/٥١ الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ الناشر دار المعرفة.

وقال أبو عمر من المالكية في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق عبدالله صديق ج ١٤/٣٦٧-٣٦٨: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها لا يجوز الحلف بها لأحد واختلفوا في الكفارة هل تجب على من حلف

سبب خطأ
البكري في مسألة
٥٦١-٥٦٢

ولكن لم يسم^(١) أحد من الأئمة هذا استغاثة، فإن الاستغاثة به^(٢) طلب منه لاطلب به، وهذا اعتقد جواز هذا بالإجماع وسماه استغاثة، فلزم جواز الاستغاثة به بعد موته بالإجماع^(٣)، فإذا^(٤) جاز أن يتوسل به في كل شيء جاز أن يستغاث به في كل شيء، ثم إنه لم يجعل هذا وحده معنى الاستغاثة؛ بل جعل الاستغاثة الطلب منه أيضاً، وكان لا يميز^(٥) بين هذا المعنى وهذا المعنى، بل يجوز عنده أن يستغاث به في كل ما يستغاث الله فيه؛ على معنى أنه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث، وهذا عنده ثابت للصالحين.

بغير الله فنحن، فأوجبها بعضهم في أشياء يطول ذكرها، وأبى بعضهم في إيجاب الكفارة على من حنث في يمينه بغير الله وهو الصواب عندنا والحمد لله. ١.هـ.

وقال ابن حجر من الشافعية في فتح الباري ج ١١/٦٥١-٦٥٢: وأما اليمين بغير الله وصفاته فقد ثبت المنع فيها وهل المنع للتحريم؟ قولان للمالكية، كذا قال ابن دقيق العيد والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضاً عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز، والكراهة أعم من التحريم والتنزيه، والخلاف موجود عند الشافعية. وقال إمام الحرمين القطع بالكراهة ١.هـ.

١- في (ف) (يسمه) وفي (د) فوق السطر (يسمى).

٢- (به) سقطت من (ف).

٣- من هنا يبدأ فراغ في السطر في (ف) بمقدار ثلاث كلمات تقريباً، وليس في الكلام سقط.

٤- في (ف) وإذا.

٥- هنا انتهى الفراغ في أسطر (ف).

والاستغاثه طلب الغوث [كالاستعانه]^(١) والانتصار، وذلك ثابت في حياته، وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته^(٢) بثبوتها في حياته، لأنه عند الله في مزيد دائم لا ينقص جاهه. فدخل عليه الخطأ من وجوه^(٣): / منها: أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغاثاً به، وهذا لا يعرف في لغة أحد من الأمم لاحقيقة ولا مجازاً؛ مع دعواه الإجماع على ذلك، وأن المستغاث به هو المستول المطلوب منه لا المستول به.

٨٣

والثاني: ظنه أن توسل الصحابه به في حياته كان توسلاً بذاته لا بدعائه وشفاعته؛ فيكون التوسل به بعد موته كذلك، وهذا غلط يوافقه عليه طائفة من الناس بخلاف الأول فإني ما علمت أحداً وافقه عليه.

الثالث: أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثه وهذا صحيح جائز في حياته، وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته، وهنا أصاب في لفظ الاستغاثه؛ لكنه أخطأ في التسوية بين الحيا والمات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد^(٤) من العلماء؛ لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) كالاستغاثه.

٢- في (د): موتها.

٣- في هامش الأصل: (جاعلها في الأصل الخطاب ولا أظن ذلك) قلت: لعله يقصد كلمة خطأ.

٤- (أحد) سقطت من (د).

العلماء الذين
يؤخذ بقولهم في
شرائع الإسلام

الشيخ يحيى الصرصري^(١) ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان^(٢) كان له كتاب "المستغِيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والنام"، وهذا

١- الشيخ يحيى الصرصري: هو أبو زكريا، جمال الدين يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، من أهل صرصر (قرية قرب بغداد) سكن بغداد. وكان ضريراً وشاعراً، له ديوان شعر، ومنظومات في الفقه والعقيدة وغيرها منها "المنتقى في مدائح الرسول ﷺ" و"عقيدة" وغيرها. قاتل التتار يوم دخلوا بغداد بعكازه، فقتلوه. وحمل إلى صرصر فدفن فيها سنة ٦٥٦هـ. انظر البداية والنهاية ج ١٣/٢٣٩ الأعلام ج ٨/١٧٧ ومن شعره الذي أشار له شيخ الإسلام ابن تيمية قوله في قصيدته اللامية:

يا رسول الله يا من مدحه
من القوافي أقوم الألفاظ قبيلا
من ذنوب غادرت قلبي كليلا
مسنى ضرعناه ثابت
وقوله:

لأنت إلى الرحمن أقوى وسيلة إليه بها في الحادثات تنصل

إلى غير ذلك مما قاله، وقد استشهد بشعره النبهاني في كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وغيره من القائلين بالاستغاثة بالخلق، كما سبقهم إلى ذلك البكري كما أشار المؤلف. وقد أول بعضهم بعض أقواله. لكن بعض شعره تأويله مشكل. انظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني للألوسي ج ٢/٣٤٢-٣٤٥.

ومهما يكن فإن الصرصري ليس من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام وله شعر كثير وجيد في توحيد الله وإخلاص العمل والرد على الفرق المخالفة، فيحمل متشابه قوله على محكمه، وقد وصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ج ٢/٢٦٣ فقال: كان صالحاً قدوه، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة عفيفاً صبوراً قنوعاً، محباً لطريقة الفقراء ومخالطتهم، وكان يحضر معهم السماع ويرخص في ذلك أ.هـ. فلم يصفه بالعلم.

٢- انظر المقدمة ص ٦٦.

الرجل قد نقل [منه]^(١) فيما يغلب على ظني، وهؤلاء لهم صلاح ودين؛ لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام؛ الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام، وليس معهم دليل شرعي؛ ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جرؤا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد؛ إذا نزل به أمر خطأ إلى جهة الشيخ عبدالقادر^(٢) خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس وأكبر منه. [ومنهم]^(٣) من

٨٤

١- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (فيه) وفي (ح) (عنه).

٢- الشيخ عبدالقادر هو: محي الدين أبو محمد، عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله بن جنكي دوست الجيلي أو الجيلاني، ولد بجيلان سنة ٤٧١هـ، قدم بغداد شاباً، نسبته أتباعه للحسن بن علي بن أبي طالب واختلفوا في أسماء آبائه، وأنكر هذا آخرون ونسبوه إلى قبيلة من العجم وقد كان كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله، ودعاؤه، وبعض ذلك مكنوب عليه. وتنسب إليه الطريقة القادرية، تصدر التدريس والافتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ، له "الغنية لطالب طريق الحق" والفيوضات الربانية" وغيرها. عاش تسعين سنة وتوفي في بغداد سنة ٥٦١هـ. انظر السير ج ٢٠/٤٣٩ ترجمة رقم ٢٨٦ والاعلام ج ٤/٤٧.

وانظر هذه الحكايات الباطلة في ((بهجة الأسرار ومعدن الأنوار)) لنورالدين الشنوطي ت ٧١٣هـ نقلاً عن دراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير ص ٢٤٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور - باكستان.

٣- بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين. وفي هامش الأصل: (بياض في الأصل) وما بين المعقوفين من (ط)

يأتي إلى قبر الشيخ يدعوه، [ويدعو به] ^(١) ويدعون ^(٢) عنده، وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب أو سنة أو قول عن الصحابة والأئمة، وهؤلاء ليس عندهم إلا قول طائفة من الشيوخ: إذا كانت لكم حاجة فاستغيثوا [بي] ^(٣)، وتعالوا إلى قبري ونحو ذلك؛ مما فيه تصويبه لأصحابه بالاستغاثة به حياً وميتاً، ومعهم قول طائفة أخرى: قبر معروف ^(٤) أو غيره ترياق مجرب، والدعاء عند قبر الشيخ ^(٥) بحباب ونحو ذلك، ومعهم أن طائفة من الناس استغاثوا بحي أو ميت فأروه قد أتى في الهواء وقضى بعض تلك الحوائج وأخبر ببعض ما سئل عنه.

إضلال الشياطين
لمن يدعون الملائكة
والأنبياء والصالحين

وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء أو ^(٦) الصالحين أو ^(٧) الكواكب والأوثان، فإن الشياطين كثيراً ما تمثل لهم فيرونها قد تخاطب أحدهم ولا يراها.

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال [هذا] ^(٨) المقام، وكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً كانت هذه

١- كذا في (ف) وفي (د) و(ح) (ويدعوا) وفي الأصل (ويدعونه) وفي الهامش: لعله (ويدعوا به)

٢- في (ف) و(د) و(ح) يدعوا.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) به وفي هامش الأصل لعله «فاستغيثوا بي».

٤- هو معروف الكرخي وسبق التعريف به.

٥- في (ط) زاد الناسخ كلمة (فلان) وجعلها بين معقوفين، وهي شرح للمعني.

٦- (أو) في (د) و(ح) واو.

٧- (أو) في (د) واو.

٨- كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

الأحوال الشيطانية عندهم أكثر، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك، وهو لا يرى أحداً أتاه به، فيحسب ذلك كرامة^(١)؛ وإنما هي من الشيطان، وسببه شركه بالله وخروجه عن

١- الكرامة عند المتكلمين: هي أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح، يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة. التعريفات للجرجاني ص ١٨٤ باب الكاف، وزاد النواوي عن الأمر الخارق. وقد يكون من الشيطان. انظر التوقيف على مهمات التعريف ص ٢٨١ باب الكاف فصل الرءاء.

وعلى هذا التعريف بعض الانتقادات منها: أن بعض معجزات النبي ﷺ غير مقرونة بالتحدي، كما أن بعض كرامات الأولياء مقرونة بالتحدي مثل ماروي عن خالد بن الوليد -رضي الله عنه- في شرب السم كما في السير ج ١/٣٧٦ قال الذهبي: قلت هذه والله الكرامة. ا.هـ: وغيرها كثير، ثانيها: عدم التفريق بين الكرامة والخارقة الشيطانية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ١١/٣١١: اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد ابن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة. ا.هـ.

و للتوسع انظر: النبوات لابن تيمية ص ٣٠٦-٣٠٧ طبعة ١٤٠٥ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان والكرامة تأليف عبد الله العنقري رسالة ماجستير قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود ص ١٧-٢٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣/١٣٨٠-١٣٨٢ وأولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي تأليف عبدالرحمن دمشقية ص ١١٦-١١٧ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض - السعودية.

وهذه الأحوال ليست دليلاً على صحة مذهبهم فإنها تقع للكفار والوثنيين وغيرهم يقول محمد فريد وجدى: أما ما يروى عن أتباعه -أي الرفاعي- من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك فيظهر أنه صحيح وهو أثر من آثار سلطة الروح على

طاعة الله ورسوله إلى طاعة [الشياطين] ^(١) فأضلّتهم الشياطين ^(٢) بذلك كما كانت تضلّ عبّاد الأصنام، ومثل هذه الأحوال لا تكون من كرامات أولياء الله المتقين.

الجسم وإشراقها عليه بسلطانها حين يدخل الإنسان في حالة غير اعتيادية سواء أكانت بالذكر أم التنويم المغناطيسي وقد روت مجلة المجلات الفرنسية عن الأستاذ الانجليزي الكيماوي كروكس رئيس الجمعية الملكية العلمية الإنجليزية سابقاً أنه وضع جذوة في يد فتاة نومها نوماً مغناطيسياً فلم تتأثر به مطلقاً فأعلن عن هذه الحادثة وقال باعتباره كيماوياً إنه لا يعرف أي مادة كيماوية تحمي الجلد من الإحتراق مطلقاً. وكتبت مجلة المجلات الفرنسية سنة ١٨٩٦م فصلاً تحت عنوان (الكهان الذين لا يحترقون) أثبتت فيه أن لدى الوثنيين سكان جزائر فيجي وغيرها حوادث من هذا القبيل فيدخل كهانهم إلى النيران المستعرة دون أن يمسهم ضرر وقد حصل ذلك بمراى من بعض علماء أوروبا ا.هـ. وقد ذكر حوادث كثيرة. ثم قال: إن الكافر قد تحصل على يديه الخوارق بواسطة الرياضات والمجاهدات النفسية ا.هـ. انظر دائرة معارف القرن العشرين ج٤/ ٢٦٦-٢٦٨ الطبعة الثانية ١٣٤١هـ مطبعة دائرة القرن العشرين.

وللتوسع في الكلام على الأحوال الشيطانية انظر قطر الولي للشوكانى ص ٢٥٣ تحقيق إبراهيم هلال طبعة دار الكتب الحديث القاهرة - مصر، وعالم الجن والشياطين للأشقر الفصل الرابع ص ٨٣ وحقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي السيدابي ص ٢١ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الحارث الخرطوم - السودان، وخوارق العادات المعجزة والكرامة والسحر تأليف نجدى محمد الشهاوي ص ٤٢ وما بعدها، الناشر مكتبة القرآن القاهرة - مصر، ودراسات في التصوف للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٢٣١ وما بعدها والرفاعية للشيخ عبدالرحمن دمشقية ص ٩٤.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الشيطان.

٢- في (ف) الشيطان.

ثم انقسموا حزبين حزباً رأوا فيمن^(١) يفعلها من الكفر والفسوق والعصيان ما يخرجهم عن كونه / من أولياء الله المتقين، (وكذبوا بما ينقل عنه من ذلك، وحزباً رأوا ذلك منه أو يثبت بالنقل المتواتر عن واحد أو عدد من ذلك ما يوجب حصول مثل ذلك لهؤلاء، فيظنون أنهم من أولياء الله المتقين)^(٢).

ثم من هؤلاء من يقول: من أولياء الله من له طريق إلى الله غير مبايعة الرسل، ومن هؤلاء من يفضل كثيراً من الأولياء على الأنبياء، ومنهم من يقول: هؤلاء يتصرفون بالقدر^(٣) والمشية تصرفاً خرجوا به عن حكم وجوب طاعة الأنبياء عليهم، وصاروا غير مكلفين بأمر الأنبياء ونهيهم.

حكايات غلاة
الصوفية

ويذكرون حكايات يظنونها صدقاً، منها أن أهل الصفة قاتلوا النبي ﷺ مع الكفار لما [انهزم]^(٤) بعض أصحابه يوم أحد وحنين، فقال لهم يا أصحابي أين تذهبون وتدعوني فقالوا نحن مع الله، من كان الله معه كنا معه.

ومرادهم أن كل من معه القدر كانوا معه؛ وإن كان كافراً أو فاسقاً؛ من غير نظر في العاقبة ولا في وعد الله ووعيده.

ويذكرون ما هو أعظم كفرأً من هذه الحكاية وهو أن الله -

١- في (د) فيما.

٢- ما بين القوسين ساقط من (د).

٣- في (د) القدرة.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (نهزم) بدون همزه.

تعالى - أطلع رسوله على سر^(١) ليلة المعراج وأمره أن لا يخبر به أحداً، وأنه رأى أهل الصفة يتكلمون به، ففضال لهم: من أين لكم هذا؟ فقالوا: أخبرنا الله به. فقال: يارب ألم تأمرني أن أكتم هذا السر؟ فقال: أنا أمرتك أن تكتمه، وأنا أخبرهم به.

وقد ذكر لي هذه الأمور غير واحد من كبار شيوخ هؤلاء عن غير واحد من شيوخهم^(٢)؛ فبينت لهم كذب هذا حتى قلت لبعضهم: الصفة إنما كانت بالمدينة والمعراج كان بمكة فلم يكن ليلة المعراج أحد يُذكر أنه من أهل الصفة^(٣).

وأعظم من هذا كفرا ما/ يذكره بعضهم أن الله أمر نبيه بزيارة أهل الصفة، وأنه ذهب ليزورهم فلم يفتحوا له الباب، وقالوا له: اذهب إلى من أرسلت إليه فإنه لا حاجة لنا بك، وأنه عاد إلى ربه فأمره أن يذهب إليهم ويتأدب معهم؛ ويقول خادكم محمد جاء ليزورك^(٤)، ونحو هذه الكفريات التي لا يقولها إلا من هو أبعد الناس عن الإيمان بالله ورسوله.

٨٦

١- في هامش (د) سر الأسرار.

٢- في هامش (د) شيوخهم الكبار.

٣- في هامش (د) في نسخه «فلم يكن ليلة المعراج أحد يعرف الصفة ولا أهلها والصفة إنما كانت بمسجد المدينة والمسجد إنما بني بعد الهجرة والحجرة كانت بعد المعراج بمدة».

٤- في هامش الأصل (سبحان الله ما أعظم هذه القرية ومن أكفر ممن اعتقد هذا أعوذ بالله من زيغ القلوب ورين الذنوب). وفي هامش (د) في نسخه (وكل هذا كفر من قائله ومعتقده فإن هذه) [كذا].

ومع هذا فهي عند أصحابها من حقائق العارفين وأسرار أولياء الله المصطفين، خواص الرب الذين هم أفضل من الأنبياء والمرسلين عند أصحابهم، هؤلاء الكفار الذين هم أكفر من اليهود والنصارى.

فهذه حكايات في آثار حصلت لبعض من استغاث ببعض المخلوقين الميتين والغائبين، وعندهم عادات وجدوا عليها سلفهم [ومن] ^(١) كان له نوع من العلم والعبادة والزهد، فليس معهم بذلك حديث يروى، ولا نقل عن [صحابي] ^(٢) ولا تابعي ولا قول إمام مرضي.

ولهذا لما نُبه من نُبه من فضلائهم على ذلك تنبهوا وعلموا أنّ ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام؛ بل هو مشابهة لعباد الأصنام.

لكن هؤلاء كلهم ما فيهم من يُعَدُّ نفياً هذا والنهي عنه كفر؛ إلا مثل هذا الأحمق الضال، الذي حاق به وبيل النكال فإنه من غلاة أهل البدع الذين يتدعون القول ويكفرون من خالفهم فيه، كالخوارج والروافض والجهمية. فإن هذا القول الذي قالوه لم يوافقهم عليه أحد من علماء المسلمين الأولين والآخرين.

وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبه فما خالفوه، وقد

امتناع علماء مصر
عن موافقة البكري
في الاستغاثة

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فمن).

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (صاحب) وهي صحيحة، ولكن ما أثبت أعلاه موافق لما بعدها.

كان بعض الناس يوافقه على جواز التوسل بالنبي/ الميت؛ لكنهم لم يوافقوه على تسميته استغاثة، ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به^(١)، ولا جعلوا هذا السبب بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به؛ بمعنى أن يطلب منه مالا يقدر عليه.

وما علمت عالماً نازع في أن الاستغاثة بالنبي وغيره من المخلوقين بهذا المعنى لا تجوز، مع أن قوماً كان لهم غرض^(٢) وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياماً عظيماً واستعانوا بمن كان له غرض من ذوي السلطان وجمعوا الناس؛ وعقدوا مجلساً عظيماً ضل فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن كان يعاونهم من الأعيان؛ وتمنوا أن مافعلوه ما كان، لأنه كان سبباً لظهور الحق مع الذي عادوه وقاموا عليه وسبباً لانقلاب [الخلق]^(٣) إليه، وكانوا كالحافر^(٤) حتفه بظلفه، والجادع مارن^(٥) أنفه بكفه، مع فرط [عصبيتهم]^(٦)

١- في الأصل «معنى أنه يطلب منه» ومشطوب عليه. وقال الألوسي عن المؤلف لما نقل إجماع علماء مصر في زمنه: وهو ثقة فيما يحكيه بالإجماع. ١. هـ غاية الأمانى في الرد على النبهاني ج ٢/ ٣٤٨.

وانظر المقدمة ص ٢٨ فقد عقد للشيخ مجلس في شوال سنة ٧٠٧ هـ في قضية الاستغاثة ولم يثبت عليه شئ.

٢- في هامش (د) في نسخة «غرض وهوى من ذوي السلطان».

٣- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) الحق.

٤- في (ف) كالحامل.

٥- المارن هو مادون قصبه الأنف وهو ما لان منه والجمع مَوَارِن. المصباح المنير ص ٢١٧ مادة (مرن).

٦- كذا في (ح) وفي الأصل و(د) عصبتهم، وفي (ف) عصبتهم.

وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم^(١).

وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع؛ الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم، كالخوارج المارقين الذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفروا من خالفهم حتى كفروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين.

نقل الأشعري في كتاب المقالات أن الخوارج مجمعة على تكفير علي -رضي الله عنه-^(٢).

وكذلك الرافضة ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة /
وتقديمه في الإمامة والنص عليه، [وادعوا]^(٣) العصمة له، وكفروا من خالفهم، وهم جمهور الصحابة وجمهور المؤمنين حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم^(٤)، هذا الذي عليه

١- انظر خبر هذه المناظرة في مج مجلد التصوف ج١١/٤٤٥-٤٧٥ وقد كانت مع البطائحية والرافعية من الطرق الصوفية؛ وقد ألزموا في هذه المناظرة باتباع الشرع.

٢- انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ج١/١٦٧) وزاد: وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا؟.

٣- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) ودعوى.

٤- في (د) توليهم.

أتمتهم^(١).

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق ونفي صفاته وأفعاله وأسمائه؛ وأظهرت القول بأنه لا يرى؛ وأن كلامه مخلوق خلقه في غيره لم يتكلم هو بنفسه وغير ذلك، ثم إنهم امتحنوا الناس فدعوههم إلى هذا وجعلوا يكفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وكذلك القدريّة ابتدعت التكذيب بالقدر؛ وأنكرت مشيئة الله النافذة وقدرته التامة وخلقها لكل شيء، وكفّروا أو [منهم]^(٢) من كفر من خالفه.

وكذلك الحلولية والمعطلة [للذات]^(٣) والصفات يُكفر كثيراً منهم من خالفهم، فالذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان منهم من يكفر من خالفه، والذين يقولون: إنه لامباين للمخلوقات ولا حال^(٤) فيها فمنهم من يكفر من خالفه^(٥).

١- انظر: التنبيه والرد ص ٤٥ ومقالات الإسلاميين ج ١/ ٨٩، بل إنهم كفروا الزيدية وهم منهم، ومعاصروهم يصرحون بهذا. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية تأليف د. ناصر القفاري ج ٢/ ٧١٦ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

٢- كذا في (ط) وفي جميع النسخ تأخرت الكلمة هكذا (أو من كفر منهم من) ولا يصح لها معنى.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) في الذات.

٤- في (د) و(ح) ولا عال عليها.

٥- في هامش الأصل (قلت: العجب ممن نجا كيف نجا ليس العجب ممن هلك كيف هلك ولهذا لم يقنع من قريش بعبادة الأصنام حتى صبرهم مجانين يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء).

والذين يقولون ليس كلامه إلا معنى واحد قائماً بذاته، ومعنى التوراة والإنجيل (والقرآن واحد)^(١)، والقرآن العزيز ليس هو كلامه؛ بل كلام جبرائيل^(٢) أو غيره، فمنهم من يُكفر من خالفه.

والذين يقولون بقدّم بعض أحوال العبد، كالذين يقولون بقدّم صوته بالقرآن أو قدّم بعض أفعاله أو صفاته، وقدّم أشكال المداد، فمنهم من يكفر من خالفه^(٣).

بل والذين يقولون بقدّم روح العبد أو بقدّم كلامه مطلقاً أو قدّم أفعاله الصالحة أو^(٤) أفعاله مطلقاً، فمنهم من يُكفر من خالفه.

والذين يقولون إن الله يُرى بالأعين في الدنيا^(٥)، منهم من يُكفر من خالفه.

والذين يُهينون المصحف وربما كتبوه بالنجاسة فمنهم من يُكفر

١- ما بين القوسين سقط من (د).

٢- في (ف) و(د) و(ح) جبريل، وهذا هو مذهب الكلاية الأشاعرة والماتريدية انظر: مج ١٢/ ٣٧٦-٣٧٧ وشرح المقاصد ج ٤/ ١٥٢ وما بعدها، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية تأليف عبداً لله الجديع ص ٢٩٧-٢٩٩ الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ الناشر دار الإمام مالك ودار الصميعي الرياض - السعودية، وقد أفرد فصلاً في الرد عليهم انظر ص ٣٤٥ وما بعدها.

٣- وهذا مذهب السالمية ومن وافقهم. انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ٣٠٠-٣٠١؛ والسالمية هم اتباع أحمد بن محمد بن أحمد بن سالم ت (٣٦٠ هـ). مج ١٢ / ٥٢٧ والمصادر العامة للتلقى عند الصوفية ص ٤٥

٤- في (د) و(واو).

٥- قال به بعض الصوفية: انظر: مج ٥ / ٧٩-٤٨٩-٤٩٠.

من خالفه، ونظائر هذا متعددة.

وأئمة/ السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى ﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [سورة المائدة: ٨]، ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء؛ بل إذا عاقبوه وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا.

٨٩

منهج أهل السنة
الجمع بين العلم
والعدل والرحمة

فالمؤمنون أهل السنة هم يقاتلون في سبيل الله ومن قاتلهم يقاتل في سبيل الطاغوت، كالصديق مع أهل الردة، وكعلي بن أبي طالب مع الخوارج المارقين ومع الغلاة والسبائية^(١)، فأعمالهم خالصة لله -تعالى-

١- كذا في جميع النسخ، والصواب السبئية وهم: أصحاب عبد الله بن سبأ قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٤/ ٥١٨: "هو رأس المنافقين أظهر الإسلام وأراد فساد دين المسلمين، كما أفسد بولس دين النصارى. هـ. وهو الذي يقال له ابن السوداء، كان يهودياً من أهل صنعاء فأسلم لارغبة فيه بل لفساد". كان له دور كبير في أحداث الفتنة التي قُتل فيها عثمان -رضى الله عنه- ادعى هو وأصحابه في علي -رضى الله عنه- الإلهية، وأن علياً مامات ولا يجوز عليه أن يموت، وأنه يجي في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه وإنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وذهب بعضهم إلى أنه يبعث قبل يوم القيامة حتى يقاتل الدجال. وكلهم يقولون بالبداء على الله.

موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لخالصة ولا صواباً؛ بل بدعة واتباع هوى ، ولهذا يسمون أهل البدع وأهل الأهواء.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿لِيُلوّكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧] قال أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة^(١).

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزنى بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله.

وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله،/ وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من

قال الملطى في التنبيه والرد ص ٢٩-٣٠: ولهم كلام لأستحيز شرحه في كتاب ولا أقدم على النطق به، وهؤلاء كلهم أحزاب الكفر والجهل ... وقد ضاهوا أقوال النصارى. هـ. انظر: مقالات الإسلاميين ج ١/ ٨٦ والملل والنحل ج ١/ ١٧٤ وعقائد الثلاث وسبعين ج ١/ ٤٧٢.

١- انظر حلية الأولياء ج ٨/ ٩٥ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ قال أبو نعيم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالوا حدثنا إسماعيل بن يزيد حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول ... الأثر ا. هـ.

شروط قبول العمل

٩٠. حكم تكفير المعين

الدين يُكفر.

ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون^(١)

١-قدامة بن مظعون: هو أبو عمرو، قدامة بن مظعون الجمحي، من السابقين للإسلام هاجر للحبشة، وشهد بدرًا، ولي إمرة البحرين لعمر. شرب مرة الخمرة متأولًا، فحده عمر، وعزله من إمرة البحرين توفي سنة ٣٦هـ وله ثمان وستون سنة. انظر السير ج١/١٦١ ترجمة رقم ١٠ والأعلام ج٥/١٩١.

وأخرج هذه القصة عبدالرزاق في مصنفه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وكان أبوه شهد بدرًا أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر فقدم الجارود سيد عبدالقيس على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين! إن قدامة شرب فسكر، ولقد رأيت حدًا من حدود الله، حقا علي أن أرفعه إليك، فقال عمر ومن يشهد معك؟ قال: أبو هريرة، فدعا أبا هريرة، فقال بم تشهد؟ قال: لم أره يشرب، ولكني رأيته سكران، فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة، قال ثم كتب إلى قدامة أن يقدم إليه من البحرين، فقال الجارود لعمر أقم على هذا كتاب الله -عز وجل-، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ قال بل شهيد قال: فقد أدبت شهادتك، قال فقد صمت الجارود حتى غدا على عمر، فقال أقم على هذا حد الله، فقال عمر: ما أراك إلا خصما، وما شهد معك إلا رجل، فقال الجارود إني أنشدك الله، فقال عمر: لتمسكن أو لأسوأئك، فقال الجارود: أما والله ما ذاك بالحق أن شرب ابن عمك وتسوؤني؟ فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة، فأرسل عمر إلى هند ابنة الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها، فقال عمر لقدامة: إني حادك فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تجلدوني فقال عمر: لم؟ قال قدامة قال الله تعالى ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا﴾ [سورة المائدة: ٩٣] الآية فقال عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك ... الخبر» ج٩/٢٤٠ رقم ١٧٠٧٦ وأخرجه البيهقي في السنن ج٨/٣١٦ باب من وجد منه ريح شراب أو

وأصحابه شرب الخمر؛ وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة؛ اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصرروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة التي عرضت [لهم]^(١) حتى يتبين لهم الحق، فإن أصرروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله «إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البرّ فرد ما أخذ، وأمر البحر فرد ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلت، قال خشيتك يا رب فغفر له»^(٢) فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يعيده أو جوز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق فغفر له.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون^(٣) الله - تعالى - فوق العرش لما وقعت محتتهم، أنا لو وافقتكم

لقي سكران. وقال شعيب الارنؤوط في حاشية السير جـ ١/١٦١ رجاله ثقات
١.هـ.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (عليهم).

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب حديث أبو اليمان أخبرنا شعيب) رقم ٣٤٨١ جـ ٢/١٠٨٢ وطره رقم ٣٤٧٨ ومسلم في (كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله) رقم (٢٧٥٦) ورقم (٢٧٥٧) (جـ ٤/٢١١٠) بالفاظ متقاربه وقرينة من لفظ المؤلف.

٣- (يكون) سقطت من (د).

كنت كافراً؛ لأنني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم^(١).

١- سئل العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين - رحمه الله - عن كلام المصنف أعلاه فقال في مجموع مخطوط: تضمن كلام الشيخ - رحمه الله تعالى - مسألتين أحدهما: عدم تكفيرنا لمن كفرنا وظاهر كلامه أنه سواء كان متأولاً أم لا، وقد صرح طائفة من العلماء أنه إذا قال ذلك متأولاً لا يكفر ونقل ابن حجر الهيثمي عن طائفة من الشافعية أنهم صرحوا بكفره إذا لم يتأول، فنقل عن المتولي أنه قال إذا قال لمسلم ياكفر بلا تأويل كفر، قال وتبعه على ذلك جماعة واحتجوا بقوله ﷺ «إذا قال الرجل لأخيه ياكفر فقد باء بها أحدهما» (سيأتي تحريجه) والذي رماه مسلم فيكون هو كافر، قالوا: لأنه سمي الإسلام كافراً. وتعقب بعضهم هذا التعليل وهو قولهم لأنه سمي الإسلام كافراً، فقال هذا المعنى لا يفهم من لفظه ولا هو مراده، وإنما مراده ومعنى لفظه أنك لست على دين الإسلام الذي هو حق؛ وإنما أنت كافر دينك غير الإسلام وأنا على دين الإسلام هذا مراده بلا شك؛ لأنه إنما وصف بالكفر الشخص لادين الإسلام، فنفي عنه كونه على دين الإسلام فلا يكفر بهذا القول وإنما يعزر بهذا السب الفاحش بما يليق به ... ثم نقل عن الأستاذ أبي إسحاق الاسفرائيني أنه قال لا أكفر إلا من كفرني ... وكان هذا المتكلم أي أبو إسحاق يقول الحديث دل على أنه يحصل الكفر لأحد الشخصين إما المكفر وأما المكفر فإذا كفرني بعض الناس فالكفر واقع بأحدهما وأنا قاطع أنني لست بكافر فالكفر راجع إليه

والمسألة الثانية: إن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ... الخ، يشمل كلامه من لم تبلغه الدعوة وقد صرح بذلك في موضع آخر، ونقل ابن عقيل عن الأصحاب أنه لا يعاقب وقال: إن عفو الله عن الذي كان يعامل ويتجاوز لأنه لم تبلغه الدعوة وعمل بخصلة من الخير واستدل لذلك بما في صحيح مسلم مرفوعاً «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من

وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور في معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له، فكان هذا خطابنا.

فلهذا لم يقابل جهله وافتراؤه بالتكفير بمثله كما لو شهد شخص بالزور على شخص، أو قذفه بالفاحشة كذبا عليه لم يكن له أن يشهد / عليه بالزور ولا أن يقذفه بالفاحشة.

٩١

رد ابن تيمية على
دعوى تنقص
عليه

وقد كفانا ذلك شيخه وغيره من الناس، فبينوا من ضلاله وجهله ما^(١) ذكروه وذموه وعابوه وتنقصوه^(٢) به كما هو معروف عن شيخه الجزري وغيره من أهل العلم.

رد ابن تيمية على
دعوى تنقص
الرسول أو الملائكة

والمقصود هنا أن قوله: (ومن خص الرسول أو الملائكة بنفي

أصحاب النار» (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل، علقته) ج ١/ ١٣٤ رقم ١٥٣ قال في شرح مسلم خص اليهودي والنصراني لأن لهما كتابا. قال وفي مفهومه أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، قال: وهذا جارٍ على ما تقرر في الأصول لاحكم قبل ورود الشرع على الصحيح ... فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلا عذر بعد ذلك بالجهل، وقد أخبر سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ووصف النصاري بالجهل مع أنه لا يشك مسلم في كفرهم، ونقطع أن أكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم. هـ باختصار انظر: مجموع يشتمل على رسائل وفوائد كثيرة أصولية ومنظومة ومديح ومراثي. تأليف العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين وآخرين جمع عبد الله الربيعه (مخطوط) قسم المخطوطات جامعة الملك سعود رقم ٩/٣٤٢٢ ص ٣٠-٣٣.

١- كذا في جميع النسخ والأولى (ما).

٢- في (ف) وتنقصوا.

خاص يفهم منه طرح رتبته وعدم صلاحيتهم فقد تنقصهم^(١)
بعبارته) فهي كلمة حق أريد بها باطل^(٢).

ونحن نقول بموجب هذا الكلام وهو معناه الصحيح فإن من نفى
ما يستحقونه من [الرتبة]^(٣) وما يصلحون له من الأسباب فهو مفتر
كذاب، لكن الشأن [ليس]^(٤) المنفى هر من هذا الباب، ولو لم تقابل
دعواه إلا بالمنع لكفانا، فإنه يقال له: لانسلم أن الاستغاثة بهم مشروعة
في كل ما يستغاث فيه بالله، ولا أنها وسيلة من وسائل الله في ذلك
كله، بل سلمنا أن الاستغاثة بالحبي فيما يقدر عليه قد تكون سبباً وقد
لا تكون. فإن الناس يستغيثون بالنبي ﷺ يوم القيامة في الشفاعة فيشفع
لهم، ويستغيث به من أنذره في دفع الذنوب فيقول: «لا أملك لك من
الله شيئاً» كما في الحديث الصحيح، «لا ألفين أحدكم يجيء يوم
القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول:
لا أملك لك^(٥) شيئاً قد أبلغتك»^(٦).

وليس كل من طلب من النبي ﷺ ما يقدر عليه يعطيه إياه؛ إذ قد
يكون ذلك غير جائز، كما في الصحيح أنه سأل الفضل بن عباس

١- في (ف) و(د) و(ح) نقصهم.

٢- في (د) باطلا.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) الربوبية وفي الأصل عليها إشارة للهامش
وليس فيه شيء.

٤- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٥- في (د) (من الله).

٦- سبق تخريج الحديث.

وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب أن يوليها على الصدقات فلم يجبهما وقال «إنها أوساخ الناس وإن الصدقة لا تحل لمحمد و[لا]» (١) لآل محمد» (٢).

وكذلك سألته وفد هوازن السي والمال فبذل لهم إحدى الطائفتين (٣). وسألته/ أم حبيبة أن يتزوج أختها فقال «إنها لا تحل لي» (٤).

بل يقال لانسلم أن التوسل بذاتهم مشروعة بحال في الحياة والممات، وليس في شيء مما ذكر دليل على مورد النزاع، فلإن مضمون ما ذكره جمل:

أحدها: أن الاستغاثه طلب الإغاثة والتخلص من الكربة والشدة، وأن الإغاثة تضاف إلى المخلوق كما يُضاف إليه الإطعام والاستعانة

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢- أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة) ج٢/ ٧٥٢ رقم ١٠٧٢ وأبو داود في (كتاب الخراج والإمارة، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذى القربى ج٣/ ٣٨٦ رقم ١٩٨٥ والنسائي في (كتاب الزكاة، باب استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة) ج٥/ ١٠٥ رقم ٢٦٠٧ وغيرهم بالفاظ متقاربة وقرية جداً من لفظ المؤلف.

٣- سبق تخريجه.

٤- أخرجه البخاري في (كتاب النكاح، باب ما يحل من النساء وما يحرم) رقم ٥١٠٦ ج٤/ ١٦٤٥ من حديث أم حبيبة. وطرفه ٥١٠٧ ولفظه عن أم حبيبة قالت: قلت يارسول الله، هل لك في بنت أبي سفيان؟ قال: «فأفعل ماذا» قلت: تنكح، قال: «أتحنين» قلت: لست لك بمُخلية، وأحب من شركني فيك أختي، قال: «إنها لا تحل لي» الحديث. وأم حبيبة هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان.

والإعانة والهداية والتعليم، وهذا صحيح، وليس فيه أن الميت يستغاث به، كما أنه ليس فيه أن^(١) يستطعم ويستسقى ويستهدى ويستنصر ويستغاث به، ولا فيه أن ما كان من هذا الباب لا يقدر عليه إلا الله فإنه يطلب من غيره.

والجملة الثانية التي من كلامه أن من توسل إلى الله -تعالى- بنبيه في تفريج كربه فقد استغاث به؛ سواء كان بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما فيه معناهما وقول القائل أتوسل إليك يا إلهي برسولك عندك أن تغفر لي، استغاثة بالرسول حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم.

لا فرق بين
الاستغاثة والتوسل
عند البكري

وهذا الكلام كذب باطل لم يسبقه إليه أحد، ولا ريب أنه لجهله وهواه وقع في هذا، وإلا فما تعمد أن يقول ما يعلم أنه كذب، ولم يقل أحد قط أستغيث برسولك عندك، ولا هذا عند أحد، لا العرب ولا غيرهم، وهو ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة وليس كذلك، فإنه يقال استغاثه واستغاث به، كما يقال^(٢) استعانه واستعان به، فالمستغاث به هو المسئول، وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسئول.

الجملة الثالثة: قوله (إن الاستغاثة به بعد موته ثابتة بثبوتها في حياته؛ لأنه عند الله في مزيد دائم^(٣) لا ينقص جاهه)، وهذا لفظ

الرد على من جوز
الاستغاثة بالنبي ﷺ
بعد موته

١- في (د) و(ح) أنه.

٢- في (د) أنه.

٣- في (د) ثم وهي زيادة.

٩٣ صحيح لو كان معنى الاستغاثه /الإقسام به والتوسل بذاته، فإن ذاته بعد الموت لم تنقص ، بل هي في مزيد دائم من ربه -عز وجل- بأبي هو وأمي ﷺ، لكن هذه المقدمة باطله كما قد عرف . فأما إذا كان معنى الاستغاثه هو الطلب منه، فما الدليل على أن الطلب منه ميتا كالطلب منه حيا؟ وعلو درجته بعد الموت لا يقتضي أن يسأل، كما لا يقتضي أن يستفتى، ولا يمكن أحداً أن يذكر دليلاً شرعياً على أن سؤال الموتى من الأنبياء والصالحين وغيرهم مشروع، بل الأدلة الدالة على تحريم ذلك كثيرة.

حتى إذا قدر أن الله وكلهم^(١) بأعمال يعملونها بعد الموت؛ لم يلزم من ذلك جواز دعائهم، كما لا يجوز دعاء الملائكة؛ وإن كان الله وكلهم بأعمال يعملونها لما في ذلك من الشرك والذريعه إلى الشرك.

رد احتجاج
البكري بحديث
الأعمى

وهو قد احتج بحديث الأعمى الذي قال: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد^(٢) نبي الرحمة»^(٣) وهذا الحديث لاحجه فيه لوجهين.

١- في (د) و(ح) يكلفهم.

٢- في (د) صلى الله عليه وسلم.

٣- أخرجه الترمذي في (كتاب الدعوات، باب ١١٨) ج٥/ ٥٦٩ رقم ٣٥٧٨ ولفظه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني: قال: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في» قال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر الخطمي.

وبهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في (أبواب الصلاة، باب ماجاء في صلاة الحاجة) ج١/٢٥٢ رقم ١٣٨١ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤١٧ رقم ٦٥٩ وعبد الله بن الإمام أحمد في المسند ج٤/١٣٨ والحاكم في المستدرک ج١/٣١٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (باب ما في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة) ج٦/١٦٦ ولفظه «... قال «فلان شئت أخرت ذلك فهو خير لك، وإن شئت دعوت الله» ... نبي الرحمة، بإحمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضيها، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي» قال البيهقي: هذا لفظ العباس زاد محمد بن يونس في روايته قال : فقام وقد أبصر، ورويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح عن روح بن عبادة عن شعبة ففعل الرجل فبرأ وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي. وبهذا اللفظ أخرجه النسائي أيضاً في عمل اليوم والليلة ص ٤١٧ رقم ٦٥٨ وعبد الله بن الإمام أحمد في المسند ج٤/١٣٨ وزاد قال: فكان يقول هذا مراراً ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، ففعل الرجل فبرأ، وقد أخرجه غيرهم.

أولاً : في الحديث اختلاف في الإسناد قال النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤١٨: خالفهما هشام الدستوائي فقال عن أبي جعفر عمير بن يزيد بن خراشة عن أبي أمامة بن سهل عن عثمان ا.هـ. وفي الإسناد السابق عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمه.

وأما في المتن فالترمذي ومن معه لم يستوعبوا لفظه كما استوعبه سائر العلماء بل روه إلى قوله «اللهم شفعه لي».

ومدار الحديث على أبي جعفر الخطمي وعليه الاختلاف في إسناد هذا الحديث، ومتنه، وقد تفرد بهذا الحديث، فإنه يدور عليه وحده، وليس له متابعات ولا شواهد. انظر حاشية قاعدة جلية ص ١٨٩.

ورأى طائفة من أهل العلم ضعف الحديث، لأن أبا جعفر فيه كلام، وبعضهم ضعف الإسناد لأجل عدم الثبوت أن أبا جعفر هو الخطمي، معتمدين على نفي الترمذي أن يكون هو الخطمي كما نقل ابن تيمية عنه في قاعدة جليلة ص ١٦٨ انظر صيانة الإنسان ص ١٢٧ وهذه مفاهيمنا تأليف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٦ طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض - السعودية.

وذهب العلامة الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه تنسيق محمد عيد العباسي ص ٦ (الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) إلى أن الإسناد جيد لاشبهة فيه. وهذا هو الراجح.

ثانياً: أن لفظة «يا محمد» والتي يتمسك بها بعضهم في دعاء الميت والغائب لم ترد في كل روايات الحديث، وورد في بعض ألفاظ الحديث «إني أتوجه به إلى ربي» انظر الرد على القبورين تأليف حمد آل معمر ص ٨٥ وفي حال ثبوتها فهي دالة على خطاب الحاضر في القلب مثل التشهد.

ثالثاً: التوجه في الحديث لا بد أن يكون بواحد من ثلاثة أمور: ١- أتوجه إليك بحمد نبيك محمد ﷺ ٢- أتوجه إليك بجاه نبيك محمد ﷺ ٣- أتوجه إليك بدعاء نبيك محمد ﷺ. واستدل المتصوفة بالحديث على التوسل والتوجه بالذات والجاه ولم يذكروا دليلاً سوى قصة سيأتي ذكرها، واستدل السلف بهذا الحديث على التوسل بالدعاء للأدلة التالية:

١- أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعوه له، وذلك قوله «ادع الله أن يعافيني» فهو قد توسل إلى الله - تعالى - بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة إلى أن يأتي النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يقعد في بيته، ولكنه لم يفعل هذا، لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم. وأن التوسل لا بد فيه من طلب الدعاء من المتوسل به.

٢- أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو أفضل له، وهو قوله ﷺ «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك».

٣- إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله «فادع» فهذا يقتضى أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد وقد وعده بالدعاء.

٤- أن النبي ﷺ وجه الأعمى إلى التوسل بالعمل الصالح وهو توسل مشروع، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له.

٥- زعم بعض الصوفية أن قوله ﷺ «إن شئت دعوت» أي إن شئت علمتك دعاء تدعو به، ولقنتك إياه، وهذا التأويل واجب ليتفق أول الحديث مع آخره، والجواب أن آخر الحديث «اللهم فشفعه في، وشفعني فيه» تفسير للدعاء، أي اقبل شفاعتي أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ.

٦- أن العلماء ذكروا هذا الحديث في معجزاته ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه.

٧- لو كان التوسل في هذا الحديث بذاته وجاهه ﷺ كما يفهمه هؤلاء المتأخرون، لكان المفروض أن يحصل الشفاء لغير هذا الأعمى، وبالذات من الصحابة -رضي الله عنهم- وهم أقرب الناس إليه ومعرفة به.

٨- أن الجميع يتفقون على حذف المضاف وهو أمر معروف في اللغة، والتقدير إما أن يكون: أ- إني أتوجه إليك (بذات) نبيك. ب- إني أتوجه إليك (بجاه) نبيك. ج- إني أتوجه إليك (بدعاء) نبيك، ولا بد للترجيح من دليل يدل عليه، وليس في الحديث أي إشارة أو ذكر للذات أو الجاه، وليس في الكتاب أو السنة أو فعل الصحابة ما يدل على التوسل بالذات أو الجاه. وأما الدعاء فعليه أدلة كثيرة من طلب الدعاء وقوله «وشفعني فيه» وغيرها.

انظر قاعدة جليلة ص ١٩١ وما بعدها، وتلخيص الاستغاثة ص ١٢٩-
١٣٠ والتوسل للألباني ص ٧٦ وما بعدها، وهذه مفاهيمنا ص ٣٧
وكشف المتوارى من تلبسات الغماري تأليف علي حسن عبد الحميد
ص ٦٥ وما بعدها (الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام
- السعودية).

٩- أن التوسل بدعاء النبي ﷺ توسل مشروع موافق لنصوص الكتاب والسنة
وعمل الصحابة -رضي الله عنهم- مثل توسل عمر بدعاء العباس، ولو
كان مشروعاً التوسل بذات النبي ﷺ وجأه لما عدل عنه ووافقه الصحابة،
وكذلك معاوية توسل بدعاء يزيد بن الأسود الجرشي -رضي الله عنهم
أجمعين-.

فإذا تبينَ بحمد الله أنه لا دليل لهم في هذا الحديث، فإنهم استدلوا بقصة
أخرجها البيهقي في دلائل النبوة تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ج ١/١٦٨
(الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان) قال:
أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن شبيب، حدثنا أبي عن روح بن القاسم عن
أبي جعفر المديني، عن أمانة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى
عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في حاجته، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا
ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك فقال له عثمان بن
حنيف: ائت الميضاة فتوضاً ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم
إني أسألك وأتوجه إليك بنيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك
إلى ربي فتقضي لي حاجتي، واذكر حاجتك، ثم رُح حتى أرفع، فانطلق
الرجل وصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فجاء
البواب، فأخذ يده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال:
انظر ما كانت لك من حاجة، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن
حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى

كلمته، فقال له عثمان بن حنيف ما كلمته ولكني سمعت رسول الله ﷺ
وقد جاءه رجل ضرير ... وذكر الحديث». قال البيهقي قد رواه أحمد بن
شبيب [بن] سعيد عن أبيه بطوله.

وأخرج هذه القصة أيضاً الطبراني في المعجم الصغير ج ١/١٨٣-١٨٤
والكبير ١٧/٩ وقال في الصغير: لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن
سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة. وهو الذي يتحدث عنه (في الأصل أحمد بن
أحمد) أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي.

وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمر بن يزيد
وهو ثقة وتفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث
صحيح. ١. هـ وظن بعضهم أن تصحيح الطبراني للقصة، والصواب أنه
للحديث المرفوع دون القصة، ويدل على ذلك أول كلامه «لم يروه عن
روح ...» إشارة إلى توهين القصة. وعلل هذه القصة ما يلي:

أولاً: تفرد شبيب بن سعيد بها كما قاله الطبراني وقد رواها عنه عبد الله بن وهب
عند الطبراني، وأحمد وإسماعيل أبناء شبيب عند البيهقي، أما ابن وهب فقال
ابن حجر في التقریب ج ١/٤١١ رقم ٢٧٤٧ عن شبيب: لا بأس بحديثه من
رواية ابنه أحمد عنه، لامن رواية ابن وهب. ١. هـ وقال ابن حجر أيضاً في هدي
الساوي مقدمة فتح الباري ص ٥٧٥: أخرج البخاري من رواية ابنه أحمد عن
يونس أحاديث ولم يخرج من روايته عن غير يونس ولا من رواية ابن وهب عنه
شيئاً. ١. هـ وقال ابن عدي في الكامل ج ٤/٣١ رقم الترجمة ٨٩١ في ترجمة
شبيب: حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير ... ثم قال: وكان شبيباً إذا
روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس عن الزهري إذا هي أحاديث
مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذي يحدث عنه ابن وهب بالمناكير الذي
يرويها عنه، ولعل شبيباً بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه
فيغلط ويهم، وأرجو أن لا يعتمد شبيب هذا الكذب. ١. هـ. فالطعن في شبيب

قائم إذا كانت روايته عن غير يونس، ولو من رواية ابنه أحمد. وابن عدى أحال الغلط على شبيب لا على ابن وهب وهذا صحيح. انظر قاعدة جلية ص ١٩٤. فتبين أن رواية ابن وهب عن شبيب منكرة جميعها ومنها هذا الحديث.

وأما رواية ابنه أحمد فمشروطة بكونها عن يونس بن يزيد كما ذكره ابن عدي، وابن حجر عن فعل البخاري، وما يشعر به كلام الطبراني بقوله: وهو الذي يحدث عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد. والقصة هنا من رواية شبيب عن روح بن القاسم. وأما إسماعيل بن شبيب فقال العلامة الألباني في التوسل ص ٩٤: وأما إسماعيل فلا أعرفه، ولم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه. هـ.

ثانياً: هذه الرواية ليست بمحفوظة فإنه تارة تذكر القصة، وتارة تهمل كما عند البيهقي ج ١٧٦/٦-١٨٦ بالوجهين، وبدون القصة عند الحاكم ٥٢٦/١ وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٧٠ رقم ٦٢٨ (الطبعة الثانية ١٣٥٨ هـ الناشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جلية ص ١٩٠: ولم يروه أحد من هؤلاء - لا الترمذي ولا النسائي ولا ابن ماجة - من تلك الطريق الغريبة التي فيها الزيادة، طريق شبيب عن روح بن القاسم. هـ وخلاصة القول: أن هذه القصة ضعيفة منكورة لأمر ثلاثة ١- ضعف المتفرد بها. ٢- الاختلاف عليه فيها. ٣- مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟ انظر التوسل للألباني ص ٩٦.

ثالثاً: لم يصحح هذه القصة أحد من أهل العلم، وتصحيح الطبراني للحديث المرفوع بدون القصة وهو كذلك، وتابعه على ذلك كثير من أهل العلم منهم المنذري في الترغيب والترهيب ج ٤٧٦/١ قال: قال الطبراني بعد ذكر طريقه: والحديث صحيح.

وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢/٢٧٩، وقد ادعى الغماري كذباً وزوراً تصحيح المنذري والهيثمي لهذه القصة. انظر كشف المتواري ص٣٥. وهناك زيادة يحتجون بها وهي: روى أبو بكر ابن خثيمة في تاريخه حديث حماد بن سلمة فقال «... (بعد ذكر الحديث) وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» قال ابن أبي خثيمة: وأبو جعفر هذا -الذي حدث عنه حماد بن سلمة- اسمه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر، الذي يروي عنه شعبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جليلة ص١٩٦: وقد يقال: إن هذه الزيادة توافق قول عثمان بن حنيف، لكن شعبة وروح بن القاسم أحفظ من حماد بن سلمة، واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى، وقوله «وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» قد يكون مدرجاً من كلام عثمان، لامن كلام النبي ﷺ ١هـ.

وبالحملة فهذه الزيادة لاتصح لشذوذها وعلى فرض ثبوتها لم تكن دليلاً على التوسل بذاته ﷺ لاحتمال أن يكون معنى قوله «فافعل مثل ذلك» يعنى من إتيانه ﷺ حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به. التوسل للألباني ص٩٢ كما أن لفظ الحديث يناقض ذلك فإن في الحديث «اللهم فشفعه في» وإنما يدعى بهذا إذا كان النبي ﷺ داعياً شافعاً، بخلاف من لم يكن كذلك انظر قاعدة جليلة ص١٩٧.

وأخيراً هذه القصة والزيادة لاتثبت بها شريعة، كسائر ماينقل عن آحاد الصحابة، في جنس العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات، إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان كل ماثبت عن النبي ﷺ يخالفه لا يوافقه، لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها. انظر قاعدة جليلة ص١٩٩ والله أعلم.

أحدهما: أنه ليس هو استغاثة بل توجه به.

والثاني : أنه إنما يتوجه بدعائه وشفاعته، فإنه طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقال في آخره : «اللهم فشفعه في» فعلم أنه يشفع له فتوسل بشفاعته لابذاته، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء، كما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته.

وهذا المحتج به بنى حجته على مقدمتين فاسدتين: على أنهم توجهوا بذاته ، وأن ذلك يسمى استغاثة به، فلزم من ذلك جواز ذلك بعد موته، وفساد إحدى المقدمتين يطل كلامه، فكيف إذا بطلنا . و ما ذكره من توسل آدم^(١) وحكاية

رد احتجاج
البكري بحديث
توسل آدم وحكاية

وللتوسع انظر: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ١٨٥ وما بعدها. والصواعق المرسله الشهائية تأليف سليمان سحمان ص ١٦٣ وما بعدها وصيانة الإنسان ص ١٢٥ والتوسل للألباني ص ٧٥ وما بعدها وهذه مفاهيمنا ص ٣٦ وغيرها.

١- توسل آدم: عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «لما اقترَف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال : يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يارب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك».

أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢/ ٦١٥ من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري: ثنا إسماعيل بن مسلمة: أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر وقال: صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب اهـ. وتعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع وعبد الرحمن واه... ثم

قال ورواه وعبد الله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا ؟ عن إسماعيل بن مسلمة عنه .ا.هـ.

والبيهقي في دلائل النبوة جـ ٤٨٩/٥ وقال: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف .ا.هـ والطبراني في المعجم الصغير جـ ٣٥٥/٢ رقم ٩٧١ تقديم وضبط كمال يوسف الحوت (الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان) من طريق محمد داود بن أسلم الصدي: ثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري: ثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ ٢٥٣/٨): رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم .ا.هـ. وأخرجه أبو بكر الآجري في الشريعة تحقيق محمد حامد الفقي ص ٤٢٥، ٤٢٧ (الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ الناشر مطبعة السنة المحمدية) مرة موقوفاً. وقد ذهب أصحاب الهوى إلى تقليد الحاكم في تصحيحه، فتابع الحاكم في تصحيحه السبكي في: شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص ١٦٢ (الطبعة الثانية ١٩٧٨ م الناشر دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان)، والمالكي في مفاهيم يجب أن تصحح ص ٤٦ (طبعة ١٤٠٥ هـ مصر) نقلاً عن هذه مفاهيمنا ص ٢٠.

وهذا الحديث موضوع لايصح الاحتجاج به لما يلي:

أولاً: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، وضعفه أحمد بن حنبل، وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم. انظر الكامل لابن عدي جـ ٢٦٩/٤ رقم ١١٠٥ والجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي جـ ٢٣٣/٥ الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ الناشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد الدكن الهند، وقاعدة جليلة ص ١٦٨. قال أبو حاتم البستي في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين تحقيق محمود إبراهيم زايد جـ ٥٧/٢ (طبعة ١٣٩٥ هـ الناشر دار الوعي حلب - سوريا): كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك من روايته، من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك .ا.هـ، وقال الحاكم نفسه في المدخل إلى الصحيح تحقيق د. ربيع المدخلي ١٥٤/١

رقم ٩٧ (الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان) عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه ا.هـ.

ونقل ابن عبدالمهادي في الصارم المنكي ص ٤٤ عن الحاكم قال في آخر هذا الكتاب (أي المدخل): فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به، فإن الجرح لأستحله تقليداً، والذي اختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديثاً واحداً لهؤلاء الذين سميتهم، فالراوى لحديثهم داخل في قوله -ﷺ- «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» صحيح مسلم (المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين) ص ٩ ا.هـ.

وقد روى الحاكم أيضاً في المستدرک ج ٣/٣٣٢ لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ولم يصحح حديثه، وقال: الشيخان لم يحتجا بعبدالرحمن بن زيد ا.هـ.

ثانياً: أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال تحقيق علي البجاوي ٥٠٤/٢ رقم الترجمة ٤٦٠٤ (الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ الناشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه) روى عنه إسماعيل بن سلمة بن قعنب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خيراً باطلاً، فيه: يا آدم، لولا محمد ما خلقتك، رواه البيهقي في دلائل النبوة ا.هـ.

وزاد ابن حجر في لسان الميزان ٤٤١/٣ رقم الترجمة ٤٦٤/٤٨١٥ (طبعة دار الفكر بيروت - لبنان) بقوله في الفهري هذا: لأستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته قلت: والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رشيد قال الحافظ ابن حجر فيه: ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث، وقال حدثنا به جماعة. يضع على ليث، ومالك وابن لهيعة، لا يحمل كتب حديثه ا.هـ.

وأما حديث الطبراني فتقدم كلام الهيثمي قال العلامة الألباني في التوسل ص ١١٦-١١٧ وهذا إعلال قاصر، يوهم من لاعلم عنده أن ليس فيهم من هو

المنصور^(١) فجوابها من وجهين أحدهما : أن هذا لا أصل له ، ولا

معروف بالطعن، وليس كذلك فإن مداره على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وقال عن إسناد الطبراني: وهذا سند مظلم، فإن كل من دون عبدالرحمن لا يعرفون ١.هـ.

والخلاصة أن في الحديث ثلاث علل، الأولى: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف جداً. الثاني: جهالة الإسناد إلى عبدالرحمن. الثالثة: اضطراب عبدالرحمن أو من دونه، فتارة يرفعه كما مضى وتارة يرويه موقوفاً عن عمر، لا يرفعه إلى النبي ﷺ كما في إحدى روايات الآجری.

ثالثاً: إن تضعيف ابن حجر لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم لا يفيد من تمسك به، فقد وصف الحافظ الذهبي الحديث بأنه خير باطل وتابعه ابن حجر كما في اللسان بل هو حديث موضوع باطل.

رابعاً: مثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين، وهو مخالف لما ثبت في الكتاب والسنة من توبة آدم -عليه السلام- وما ثبت عن الصحابة -رضى الله عنهم- ومخالفته للعقائد في سبب خلق الخلق. وانظر تلخيص الاستغاثة ص ٥ وما بعدها.

١- حكاية المنصور قال ابن حميد: ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله -تعالى- أدب قوماً فقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [سورة الحجرات: ٢] ومدح قوماً فقال ﴿إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ [سورة الحجرات: ٣] وذم قوماً فقال ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [سورة الحجرات: ٤] وإن حرمة ميتا كحرمة حيا. فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم -عليه السلام-

إلى الله - تعالى - إلى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله، قال الله - تعالى - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [سورة النساء: ٦٤] ذكرها القاضي عياض عن شيوخه من طريق أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهات، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج، حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حُميد. انظر الشفاء للقاضي عياض تحقيق على البحوي جـ ٢/ ٥٩٥ طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

والجواب أولاً: هذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨هـ وتوفي الإمام مالك سنة ١٧٩هـ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ٢٤٨هـ. ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه. انظر قاعدة جليلة ص ١٢٢.

ولم يذكره أحد في تلاميذ مالك وقد قسم القاضي عياض في ترتيب المدارك الرواة عن مالك إلى طبقتين: كبرى وصغرى وعلى حسب البلدان، ولم يذكر فيهم ابن حميد. انظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تحقيق د. أحمد بكري جـ ١/ ٢٥٤-٥٤٥ طبعة دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان ودار الفكر طرابلس - ليبيا. وحاشية قاعدة جليلة ١٢٣.

ثانياً: محمد بن حميد الرازي ضعيف عند أكثر أهل الحديث، قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب جـ ٢/ ٦٩ رقم ٥٨٥٢: حافظ ضعيف ١هـ. وقال ابن حبان في المحروحين جـ ٢/ ٣٠٣: كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده، قال أبو زرعة وابن وارة - للإمام أحمد -: صحَّ عندنا أنه يكذب، قال صالح بن الإمام أحمد: فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفّض يده ١هـ.

تقوم به حجة ولا إسناد لذلك.

/والثاني: أنه لو دلّ لدل على التوسل بذاته لا على الاستغاثة به.
وأما فتح الكوة^(١) لينزل المطر فهو باطل كما تقدم التنبيه عليه،

٩٤

رد احتجاج
البكري بحديث
الكوة

ثالثاً: محمد بن حميد ضعيف في أحسن الأحوال كما تبين إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لاتعرف إلا من جهته. ولم يصرح في رواية هذه الحكاية بصيغة من صيغ التحديث، وإنما قال: ناظر مالك. فهي بهذا التعبير مرسلة.

رابعاً: معظم رجال الإسناد من ابن دهاث إلى يعقوب غير معروفين ولا يعرف حالهم. انظر قاعدة جلييلة ص ١٢٤ والصارم المنكي ص ٢٦٢.

خامساً: اتفق أصحاب مالك على أنه يمثل هذا النقل لايثبت عن مالك قول في مسألة في الفقه. فكيف بحكاية ساقطة الإسناد وتناقض مذهبه.

سادساً: الثابت عن مالك في هذه المسألة قوله: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، لكن يسلم ويمضي أ.هـ، وقد سبق بيان هذه المسألة وما صح عن الإمام مالك فيها، وهذه الحكاية مخالفة أيضاً للكتاب والسنة وما ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ والأئمة الأربعة. والله أعلم.

١- أخرجه الدارمي في السنن قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا من كوى إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق. (المقدمة، باب ما أكرم الله - تعالى - نبيه ﷺ بعد موته) ج ١/ ٤٣ رقم ٩٣ من حديث أبي النعمان: ثنا سعيد بن زيد: ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله.

والكوة تفتح وتضم وهي الثقب في الحائط وجمع المفتوح على لفظه كَوَات. المصباح المنير ص ٣٠٨ مادة كوى.

وفي الحديث العلل التالية:

أولها: إن سعيد بن زيد وهو سعيد بن زيد بن درهم الأزدي أخو حماد بن زيد صدوق وله أوهام. انظر التقريب لابن حجر ج ١/٣٥٣ رقم ٢٣١٩ قال عنه الذهبي في الميزان ج ٢/١٣٨ رقم الترجمة ٣١٨٥ تحقيق علي محمد البحاري : علي عن يحيى بن سعيد ضعيف. وقال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه، وقال النسائي وغيره ليس بالقوي. وقال أحمد: ليس به بأس. كان يحيى بن سعيد لا يستمره. ا.هـ.

ثانياً: عمرو بن مالك النكري ضعيف قال ابن عدي في الكامل ج ٥/١٥٠-١٥١ رقم ١٣١٥/٣٤٧: منكر الحديث عن الثقات ويسرق الحديث وذكر بعض أحاديثه ثم قال ولعمرو غير ما ذكرت أحاديث مناكير بعضها سرقها عن قوم ثقات (ا.هـ). ثالثاً: إن أبا النعمان هو محمد بن الفضل يعرف بعارم، قال العلامة الألباني في التوسل ص ١٤١: قد اختلط في آخر عمره، وقد أورده الحافظ برهان الدين الحلبي في المختلطين من كتابه المقدمة ص ٣٩١ (لم أقف على كتاب الحلبي) وهذا الأثر لا يدري هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أو بعده، فهو إذن غير مقبول، فلا يحتاج به (ا.هـ).

رابعاً: في تلخيص الاستغاثة ص ٦٨-٦٩ مانصه: ما روى عن عائشة -رضي الله عنها- من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب، وما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة «أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفياء بعد» صحيح البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت صلاة العصر) ج ١/١٨٢ رقم ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦.

ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد ... وإلا فهي قبل ذلك كانت خارج المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته.

ومع هذا فليس من هذا. وكذلك أستسقاؤهم بدعائه ليس من هذا الباب، وأما اشتكاء البعير^(١) إليه فهذا كاشتكاء آدمي

ثم إنه بُني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين. ولو صح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت ولا يسألون الله به، وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء.

خامساً: لا يعرف في تاريخ المسلمين عام سمى بعام الفتق، كما أن الإبل لا تتفتق من الشحم بل إذا زاد قد يقتلها أو يكسر ظهرها أما التفتق فلا يحصل لها، كما هو معلوم لدى أهلها.

سادساً: لو سلمنا فرضاً بصحة الخبر فإنه موقوف على عائشة -رضى الله عنها- وليس بمرفوع. فليس فيه حجة لأنه يحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصحابة. انظر التوسل للألباني ص ١٤١.

١- يشير المؤلف إلى ماورد عن جابر بن عبد الله، ويعلى بن مرة -رضى الله عنهما- من شكوى البعير للنبي ﷺ وقد اختلف العلماء هل هما حادثة واحدة، أم واقعتان؟ ففي خبر جابر ذكر أن شكوى الجمل سببها أن أهله أرادوا نحره، ويعلى بن مرة ذكر كثرة العمل وقلة العلف. والراجح أنهما واقعتان.

عن يعلى بن مرة الثقفي قال ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانته، فوقف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير فجاءه، فقال بعنيه، فقال: لا بل أهبه لك، فقال: لا، بعنيه، قال: لا بل نهبه لك، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه ثم ذكر سلام الشجرة عليه ﷺ، والصبي الذي به جنون».

إليه، وما زال الناس يستغيثون به في حياته [كما] ^(١) يستغيثون به يوم القيامة.

وقد قلنا إنه إذا طُلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لانزاع فيه، والطلب منه في حياته والاستغاثه به في حياته فيما يقدر عليه لم ينزع فيه أحد، فما ذكره لا يدل [على] ^(٢) مورد النزاع.

ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثه ومعناها العام فجعل يتشبث به، وهذا إنما يليق بمن قال لا يستغيث به أحد حياً ولا ميتاً في شئ من الأشياء:

تشبث البكري
بلفظ الاستغاثه
ومعناها العام

ومعلوم أن عاقلاً لا يقول هذا في آحاد العامة، فضلاً عن الصالحين فضلاً عن الأنبياء والمرسلين؛ فضلاً عن سيد الأولين والآخرين، فإنه مامن أحد إلا ويمكن أن يستغاث به في بعض الأشياء؛ فكيف بأفضل

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج ٦/٢٢-٢٦ وذكر روايات الخير، وقال: ولما رويناه في حديث يعلى بن مرة في أمر البعير الذي شكى إلى النبي ﷺ حاله بإسناد صحيح وكأنه غير البعير الذي أرادوا نحره، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائله ج ٢/٣٨٢ رقم ٢٨٣ وغيرهم.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦/١٣٩ عن حديث يعلى بن مرة بعد أن ذكر طريقه: فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة ١هـ. وليس في الحديث دلالة على ما ادعاه البكري ولذا حكم النبي ﷺ كما يحكم للبشر.

جرجر أي ردد صوته في حنجرتة. المصباح المنير ص ٣٧ مادة جرر. والجران مقدم عنق البعير من مذبجه إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه. المصباح المنير ص ٣٨ مادة جرر.

١- كذا في (د) و(ف) و(ح) وفي الأصل (كا).

٢- كذا في (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

الخلق وأكرمهم على الله.

ولكن النفي عاد إلى الشيعين: إلى الاستغاثة به بعد الموت، وإلى أن يطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله، فكيف إذا اجتمعاً جميعاً؟ فإن من الناس من يستغيث بالموتى من الأنبياء والصالحين، ويطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله - تعالى -، فهذه الجمل الثلاث ملخص كلامه، وليس فيما ذكره ما يدل على مورد النزاع، ولا ما يناقض جواب المجيب والحمد لله رب العالمين.

فعلم أن منازعيه لم يخصوا الملائكة والرسول بنفي يفهم منه طرح رتبهم، وعدم صلاحيتهم للأسباب.

وأما قوله (ولم يجعل الله لأحد تنقيص الرسل، وأجمع السلف والخلف/ على وجوب تعظيمهم في الاعتقاد والأقوال والأفعال).

٩٥ تعظيم
الأنبياء بين
المتبعة وأهل
السنة

فيقال: هذا حق، لكنه كما قال على بن أبي طالب -رضي الله عنه- «كلمة حق أريد بها باطل»^(١)، وهو أن من سألهم مالا يقدر على عليه أحياء وأمواتا فقد آذاهم واعتدى عليهم؛ وهو مستحق للعقوبة التي يستحقها مثله.

بل من سألهم مالا يريدون فعله حتى فعلوا ما يكرهون فهو مستحق للذم والمقت.

١- أخرجه مسلم في كتاب (الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج) ج ٢/ ٧٤٩
رقم ١٠٦٦ أوأوله: عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قالوا: لا حكم إلا حكم الله. قال علي: كلمه.... الحديث.

ومن ابتدع في دينهم ما لم يأذن به الله؛ [وما] ^(١) يخالف ما جاؤوا به؛ لزم أن يكون دينهم ناقصاً، وأنهم أتوا بالباطل، وهذا مناقض بلا ريب لما يجب من الإيمان بهم وتعزيزهم وتوقيرهم.

ومن خالف ما جاؤوا به من توحيد الله وإفراده بالدعاء؛ فهو من أعظم المخالفين لهم اعتقاداً وقولاً وعملاً، فإن أعظم مادعوا إليه التوحيد، فالمخالف له من أعظم الناس مخالفة لهم.

وقد بينا في " الصارم المسلول " ^(٢) أن التوحيد والإيمان بالرسول متلازمان، وكل أمة لاتصدق الرسل فلا تكون إلا مشركة، وكل مشرك فإنه مكذب للرسول، فمن دخل في نوع من الشرك الذي نهت عنه الرسل فإنه مناقض لهم مخالف لموجب رسالتهم.

وإذا كان كذلك فما قال هذا المفترى وأمثاله هو بدعة لم تشرعها الرسل؛ لو لم يرد ما يتضمن النهي عنها، فكيف إذا علم أنه نهى عنها.

أما المقام الأول: فإنه لا يمكن أحد أن يقول إن النبي ﷺ شرع لأمته أن يستغيثوا بميت لاني ولا غيره، لاني جلب منفعة ولا دفع مضرة، لابهذا اللفظ ولا معناه.

النبي ﷺ لم بشرع لأمته الاستغاثه بميت

٩٦ فلا يشرع لهم أن يدعوا ميتاً ولا يسألوه/ ولا يدعوا إليه ولا أن يستجيروا به، ولا يدعوه (لارهبة ولا رغبة) ^(٣)، ولا يقول أحد لميت

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ومن).

٢- انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٠.

٣- في (ف) لارغبة ولا رهبة.

أنا في حسبك أو أنا في جوارك أو أنا أريد أن تفعل كذا و كذا، ولأن يخطوا إلى قبر ميت خطوات وأن يتوجه إلى جهة قبره ويسأله ، كما يفعل كثير من النصارى؛ وأشبه النصارى من ضلال هذه الأمة بكثير من شيوئهم وغير شيوئهم.

ولا يشرع لأحد أن يقول لميت سل الله لي، أو [ادع] ^(١) لي. ولا يشرع لهم أن يشكوا إلى ميت؛ فيقول أحدهم مشتكياً إليه علي دين أو آذاني فلان أو قد نزل بنا العدو أو أنا مريض أو أنا خائف ونحو ذلك من الشكاوى، سواء كان هذا السائل عند قبر الميت أو كان بعيداً منه، وسواء كان الميت نبياً أو غيره.

بل ولا يشرع لأتمته إذا كان لأحدهم حاجة أن يقصد قبر نبي أو صالح فيدعو لنفسه ظاناً أن الدعاء عند قبره يجاب.

بل ولا يشرع لأتمته أن يقسموا على مخلوق من المخلوقات لاني ولا غيره؛ سواء أقسموا عليه بحاجة أو غير حاجة.

ولا يشرع لأتمته أن يتوسلوا إلى الله بذات ميت أصلاً؛ بل ولا بذات حي، إلا أن يكون التوسل بما أمر الله به من الإيمان به وطاعته، أو بدعاء المتوسل به وشفاعته، فأما إذا لم يكن المتوسل يتوسل بما أمر الله به؛ ولا بدعاء الداعي له. فليس هناك وسيلة شرعها الله ورسوله.

فإذا كان النبي والرجل الصالح له عند الله من الجاه والقدر الصالح لا ينفع من ^{جاه النبي والرجل} والحرمة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا ^{توسل بذاتهم}

لا ينتفع المتوسل به إلا بأحد وجهين:

(١) إما أن يتوسل المتوسل بما أمر الله به من الإيمان / به ومحبه ٩٧
وطاعته وموالاته والصلاة عليه والسلام ونحو ذلك، فهذه هي الوسيلة المتوسل المشروع
التي أمر الله بها في قوله ﴿اتقوا الله وابتهوا إليه الوسيلة﴾ [سورة
المائدة: ٣٥].

فالوسيلة تجمعها طاعة الرسول؛ فكل وسيلة طاعة للرسول، وكل طاعة
للرسول وسيلة، ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٢) [سورة
النساء: ٨٠] ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾
[سورة النساء: ٦٩].

الوجه الثاني: أن يدعو له الرسول فهذه (٣) أيضا مما يتوسل به إلى
الله - تعالى - فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل، فأما إذا
لم يتوسل العبد بفعل واجب [ولا] (٤) مستحب ولا الرسول دعاء له؛
فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه.

ولكن بعض الناس (٥) الذين دخلوا في دين

١- هذا هو الوجه الأول.

٢- في جميع النسخ لم يفصل بين الآيتين.

٣- في (د) فهذا.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (أو).

٥- (الناس) سقطت من (د).

الشفاعة عند
الفلاسفة وأتباعهم

الصابئين^(١) والمشركين؛ ظنوا شفاعاة الرسول لأمته لا يحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول تفيض على المستشفع؛ من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه^(٢)، ومثلوا ذلك

١- الصابئة: أمة كبيرة اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم أهل دعوة إبراهيم -عليه السلام- ويدعي المندائيون منهم أن نبيهم هو يحيى -عليه السلام- وكتابتهم الزبور، وهم ينقسمون إلى صابئة حنفاء، وصابئة مشركين وهم الأكثر، وبعض المؤلفين يقسمهم إلى: الصابئة المندائيين، وقد يكون أصل دينهم الحنيفية ولكن مالوا لغيرها، والصابئة الحرائين وهم المشركون، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة مثل الزهرة والمشتري والمريخ وغيرها؛ وتلك الكواكب هياكل مخصصة، ومن هذه الطائفة أي المشركين الفلاسفة. وهم في أكثر الأمم ففي الروم والفرس والهند صابئة، ولم يبق من الصابئة اليوم إلا المندائيين، وهم في إيران والعراق وأكثرهم بالعراق "يعرفون بصابئة البطائع"، والمندائيون ليسوا بموحدين بل مشركون تأثروا بالحرائين في عبادة الكواكب وتعظيمها واعتقاد تأثيرها، وعبادة الروحانيات والتقرب إليها والتلقي عنها. ولهم صلوات وصيام ذكرها مؤرخو الفرق.

ومنهم أخذ الجعد بن درهم مقولته في نفي الصفات، والفارابي أخذ عنهم فلسفته، منهم قرّة بن ثابت وهلال بن محسن الصابئي وغيرهم.

وسأيت ذكر المؤلف للمناظرة بينهم وبين المسلمين في تفضيل الروحانيات على البشر.

انظر: الفهرست تأليف محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم تحقيق رضا تجمد ص ٣٨٢-٣٩٢ الناشر مكتبة الأسد ومكتبة الجعفري طهران - إيران، والملل والنحل ج ١/ ٢٣٠-٢٣١، ومج ٥/ ٢١-٢٢، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة ج ٢/ ٧٣٩، وإغاثة اللهقان لابن القيم ج ٢/ ٣٥٩-٣٦٢، والموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة للنندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣١٧-٣٢٦.

بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة؛ وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفس الأنبياء والصالحين: ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذات فكذلك الفيض لا بد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة/ ٩٨
و[جعل] ^(١) هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها ^(٢)،

١- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل و(ف) (وجعلوا)

٢- انظر هذه الأقوال في كتاب المضمون به على غير أهله لأبي حامد الغزالي ضبط رياض مصطفى العبد الله ط ١٤٠٧ هـ الناشر دار الحكمة دمشق فقد تكلم على الشفاعة في ص ٩٤-٩٧ وعلى زيارة القبور في ص ١٢١-١٢٦.

وهذا الكتاب في نسبه لأبي حامد الغزالي خلاف يقول المؤلف في مجموع الفتاوى ج ٤/ ٦٥: كان طائفة من العلماء يكذبون بثبوت عنه، أما أهل الخبرة به وبحاله فيعلمون أن هذا كله كلامه، لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضاً، ولكن كان هو وأمثاله - كما قدمت - مضطرين لا يثبتون على قول ثابت، لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يشوقون به إلى طريقة خاصة الخلق، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة ١ هـ. وما ذكره الغزالي في كتاب المضمون به على غير أهله، ذكر نحوه في مشكاة الأنوار والأربعين ومعارج القدس وغيرها. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٢/ ٦٢٥، ٦٣٦ والفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي تأليف د. زكريا بشير إمام ص ١٠٢ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة الفلاح الكويت.

و[هذه] (١) المعاني [ذكرها] (٢) طائفة من الفلاسفة (٣) ومن أخذ عنهم
كابن سينا (٤) وأبي حامد (٥) وغيرهم.

وكل ما في كتاب المضمون به على غير أهله ماهو إلا كلام الصابئة، غير أنه غير
ترتيبه وألفاظه فقط.

١- كذا في (ط) وفي جميع النسخ (هي) وفي هامش (ح) لعله (هذه)، ولا يستقيم
المعنى إلا بما أثبت أعلاه.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ذكر).

٣- الفلاسفة هم من ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين
هما (فيللا) أي: محبة، و(سوفيا) أي: الحكمة، فمعناها محبة الحكمة، ومبدأ الفلسفة
من الروم واليونان وغيرهم عيال عليهم.

وقد مرت الفلسفة بعدة أدوار، وأهم أراء الفلاسفة : القول بقدم العالم،
واكتساب النبوة، وإنكار البعث الجسماني. ومن أشهر من يسمى بفلاسفة
الإسلام الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. انظر الملل والنحل ج٢/ ٥٩
وعقائد الثلاث والسبعين ج٢/ ٧٤٥.

٤- ابن سينا: هو أبو علي، الحسين بن عبدالله بن سينا، شرف الملك، الفيلسوف
الرئيس. ولد سنة ٣٧٠هـ، أصله من بلخ. طاف البلاد، وناظر العلماء تقلد
الوزارة في همذان، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية. أخبر عن نفسه أنه ووالده
من أهل دعوة الحاكم، من الباطنية. تكلم في الإلهيات، والنبوات، والمعاد،
والشرايع، ولم يتكلم فيها سلفه وبرز في الطب واشتهر.

كان يأخذ من الملاحدة المنتسبين للإسلام كالإسماعيلية. كفره أئمة المسلمين
وعلمائهم. أشهر كتبه "القانون" في الطب وله "المعاد" و"أسرار الحكمة المشرقية"
وغيرها هلك سنة ٤٢٨هـ في همذان. انظر السير ج١٧/ ٥٣١ ترجمة رقم ٣٥٦
الأعلام ج٢/ ٢٤١.

٥- أبو حامد: هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي
الشافعي الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ. تفقه ببلده، ثم تحول إلى نيسابور، فلازم إمام

وهذه الأحوال هي من أصول الشرك وعبادة الأصنام، وهي من المقاييس^(١) الفاسدة التي قال بعض السلف: "ما عُبِدَت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"، وهي من أقوال من يقول إن الدعاء إنما تأثيره بكون النفس تتصرف في العالم، لإبكون الله يجيب الداعي^(٢)، وهي مبنية على أن الله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره.

أصل قول الفلاسفة
في الشفاعة وسببه

بل هؤلاء يقولون: إن الرب يوجب العالم بذاته، ويسمونه علة العلل، ويقولون: إنه علة تامة^(٣)، وإذا كان كذلك فلا بد للحوادث من

الحرمين، برع في الفقه، والكلام والجدل. ولاه نظام الملك الوزير تدريس نظامية بغداد، وسينه نحو الثلاثين، أداه نظره في العلوم وممارسته للزهديات إلى رفض الرئاسة، وأتاب إلى دار الخلود، والتأله، وإصلاح النفس، ألف كتاب "تهافت الفلاسفة" و"الإحياء" و"الأربعين" و"محك النظر" وغيرها. كانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث وبمحالسة أهله. قال عنه أبوبكر بن العربي: شيخنا أبو حامد بلع الفلسفة، وأراد أن يتقيائها، فما استطاع ١هـ. توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر السير ج١٩/٣٢٢ ترجمة رقم ٢٠٤ والأعلام ج٧/٢٢.

١- في (د) مقائس.

٢- انظر مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي ص ٣٨٠-٣٨٢ الطبعة الثانية تحقيق د. سليمان دنيا الناشر دار المعارف مصر ونصه: الخاصة الأولى في قوة النفس في جوهرها، بحيث تؤثر في هيولى العالم بإزالة صورة وإيجاد صورة، بأن يؤثر في استحالة غيرها، ويؤثر في استحالة الهواء غيما، ويحدث مطر كالطوفان، أو بقدر الحاجة للاستسقاء ١هـ. وذكر تصرف النفس والعين وقالوا مثل هذا يعبر عنه بالكرامة والمعجزة.

٣- العلة التامة: هي ما يجب وجود العلول عندها، وقيل العلة التامة: جملة ما يتوقف عليه وجود الشيء، وقيل هي تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء. بمعنى أنه لا يكون وراءه شيء يتوقف عليه. التعريفات للخرجاني ص ١٥٤ حرف العين والمراد الأول.

سبب فجعلوا حدوثها بسبب حركة الفلك وما يحدث عنها من الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية^(١).

ثم الإلهيون منهم يقولون: إن الحركة سبب الاستعدادات من العالم السفلي^(٢) لأن يفيض عليها من العقل الفعال^(٣) الصور النوعية^(٤)، وأن يفيض على النفوس العلوم والأخلاق وغير ذلك.

وهؤلاء يجيزون أن يعبد الإنسان الكواكب، لأنه بتوجهه إليها يفيض إليه منها أمور، وكذلك الأصنام لأنه بتوجهه إلى الصنم يكون متوجها إلى صاحبه فيفيض عليه أمور، والنفوس المفارقة^(٥) هي سعيدة ؛ فإذا توجه المتوجه إلى تلك النفوس والقبور الذى دفن فيه / بدنها فاض

٩٩

١- في (ف) المملوكة.

٢- يقسم الفلاسفة العالم إلى العالم العلوي أي عالم الأفلاك وما فيه من العقول والنفوس والأجرام. وعالم سفلي وهو عالم الكون والفساد، وهو ما تحت السماء. المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ج٢/٤٦ الناشر دار الكتاب اللبناني.

٣- العقل الفعال هو الذي تفيض عنه الصور على عالم الكون والفساد، وإذا أصبح العقل الإنساني شديد الاتصال بالعقل الفعال كأنه يعرف كل شئ من نفسه سمي بالعقل القدسي. المعجم الفلسفي تأليف د. جميل صليبا ج٢/٨٦.

٤- الصور النوعية: الصورة عند الفلاسفة مقابلة للمادة، ويفرقون بين الصور الجسمية والصور النوعية: ويعرفون النوعية بأنها: جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ماحل فيه. والجسمية بأنها: جوهر بسيط متصل لا وجود لمحلّه دونّه. انظر التعريفات للهرجاني ص ١٣٥-١٣٦ باب الصاد، والمعجم الفلسفي د. جميل صليبا ج١/٧٢٤.

٥- النفوس المفارقة أي المفارقة للبدن.

[عليه] ^(١) منها ما يفرض، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء وبيننا فساد قولهم بالعقل الصريح المطابق بالنقل الصحيح بما ليس هذا موضعه ^(٢). والكلام [إذا] ^(٣) كان في أحكام أفعال العباد لم يكن لأحد أن يتكلم إلا بدليل شرعي، [إلا] ^(٤) أن يدعو ^(٥) إلى دين غير الإسلام، ولا ريب أن هذه الأقوال ونحوها تدعو إلى غير دين الإسلام.

أصل دين
البكري وأمثاله

وقول هذا المفترى وأمثاله يجر إلى مثل هذا؛ لكنهم لا يعرفون أصل قولهم ولوازمه؛ بل هم على عادة تعودوها واتباع [أشياخ] ^(٦) لهم، فيهم نوع من علم ودين، ليس لهم خبرة بحقيقة ما جاء به الرسول، وعندهم تعظيم للأنبياء ^(٧) والصالحين من جنس تعظيم النصاري والمشركون، يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة ما يرجونه من حصول مطالبهم من جهتهم، لا يعظمونهم لكونهم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم، فيجب أن يطاعوا فيما أمروا به؛ وأن يقتدى بهم فيما شرع

١- في الأصل وجميع النسخ (عليها) ولا يستقيم المعنى.

٢- قال المؤلف في درء التعارض جـ ١٧٥/٧: الفلاسفة القائلون بدعوة الكواكب فيهم المشرك، وفيهم المعطل، ونفي الصفات من أقوالهم، فمنهم من لا يثبت لهذا العالم المشهور رباً أبده، كما هو قول الدهرية الطبيعة منهم، ويجعلون العالم نفسه واجب الوجود بذاته، ومنهم من يثبت له مبدعاً واجباً بنفسه أبده، كما هو قول الدهرية الإلهية منهم ١ هـ. وانظر إغاثة اللهفان جـ ١/٣٣٧-٣٣٨.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (إذ) وفي (ف) غير واضحة ويبدو أنها (إذا).

٤- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) لا.

٥- في جميع النسخ يدعوا بزيادة الف الجماعة.

٦- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الشيوخ ولا يستقيم المعنى.

٧- في (د) الأنبياء.

التأسي بهم فيه، يعرضون عن بعض طاعتهم والتأسي بهم، ويقبلون على نوع من دعائهم وسؤالهم والإشراك بهم، وهؤلاء بالنصارى أشبه منهم بالصابئة الفلاسفة^(١)، لكن الجميع فيهم شرك.

ونحن في هذا الموضع ليس بنا حاجة إلى نفي تأثير هذه الأسباب فإنه ليس لكل سبب أثر يكون مشروعا، بل الشارع ينهى عن أمور لها تأثير في طلب بعض المطالب؛ إذا كان ضررها راجحاً على نفعها، كما ينهى عن السحر ونحو ذلك، وإن كان قد يمكن أن يُقتل به كافر، ويُطْلَعُ بذلك على بعض أخبار اعداء الإسلام، وكذلك [عباد]^(٢) الكواكب قد تخاطبهم الشياطين / وتحصل لهم بعض مطالبهم، ودعاء الغائبين والأموات من هذا الباب، فقد يحصل أحيانا [أن]^(٣) شيطانا يتمثل للداعي، وقد يُحصل بعض مطالبه، لكن هذا كله منهى عنه لما ترتب عليه من الفساد ما يغمر ما يُظنُّ فيه من المنفعة.

وهذه التأثيرات قد تحصل عند بعض القائلين بقدم العالم والقائلين بحدوثه، بخلاف من يقول إن الأثر الحاصل لا يكون إلا فيضا، فهذا لا يكون إلا على قول القائلين بالقدم، وقد بينا في غير هذا الموضع أن

حقيقة قول
الفلاسفة في قدم
العالم

١- لأن النصارى تدعي الإلهية في الأنبياء والصالحين، وأنهم قادرون على الضر والنفع، أما الفلاسفة فلا يعظمون الأنبياء بل يحطون من قدرهم حتى جعلوا الفيلسوف أعلى منهم درجة. وهؤلاء القبورية مثل النصارى في التعظيم.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عبادة.

٣- ما بين المعقوفين يقتضية السياق ، وهو في (ط) بين معقوفين ، وليس في جميع النسخ

هؤلاء الذين يقولون بقدّم العالم وصدوره عن موجب [بذاته] ^(١) هو علة تامة. [حقيقة] ^(٢) قولهم : إن الحوادث تحدث بلا محدث أصلاً، وأن حركة الفلك الحادثة شيئاً بعد شئ ليس لها محدث أصلاً، ويقولون إنه يتحرك حركة شوقية ^(٣) بقولهم في حركته من جنس قول القدرية في حركة الحيوان.

والقدرية أخرجوا فعل الحيوان [أن يكون] ^(٤) مخلوقاً لله - عز وجل -، وأثبتوا حادثاً لا محدث له ^(٥)، وهؤلاء الصابئة والفلاسفة أخرجوا حركة الفلك وجميع الحادثات من أفعال الحيوان وغيرها عن أن تكون مخلوقة لله - سبحانه ^(٦) - وأثبتوا هذه الحوادث بلا محدث.

والناس ردوا على القدرية، وقالوا: إرادة العبد حادثة بعد أن لم تكن فلا بد لها من محدث، وإذا قيل العبد أحدثها بلا إرادة لزم وقوع الحوادث من المختار بلا إرادة، وإن قيل بإرادة فالقول فيها كالقول في الأولى.

استطرد في الرد
على قول القدرية
في الإرادة

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بذته) بدون الف.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (حقيقة) بزيادة ياء.

٣- الحركة الشوقية هي: أي أن يكون الفلك متحركاً بطريق العشق، ولا يكون الرب - تعالى - فاعلاً للحركة بل تكون لأجله الحركة، من حيث كونه معشوقاً ومقصوداً يطلب التشبه به والافتداء. انظر مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي ص ٢٨٠ الطبعة الثانية تحقيق د. سليمان دنيا الناشر دار المعارف مصر .

٤- مابين المعقوفتين من (د) و(ح) وفي (ف) (أنه يكون) وسقط من الأصل.

٥- سبق بيانه في التعليق على الأفعال المتولدة.

٦- في (د) تعالى.

وهؤلاء القدرية قالوا : إرادة الرب يحدثها لافي محل بلا إرادة منه، كما قال ذلك البصريون من المعتزلة^(١) وقالوا إرادة / العبد يحدثها في نفسه بلا إرادة منه، وكلاهما ممتنع.

١٠١

ثم يقال لهم حدوثها بعد أن لم تكن حادثة أمر حادث فلا بد له من محدث، وقد يقال الإرادة أمر ممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح تام، والمحدث والمرجح إن كان من العبد فالقول في حدوثه كالقول في الأول، وذلك يستلزم التسلسل في أفعال العباد، وأفعال العباد لها أول فيمتنع التسلسل فيها، فلزم أن يكون المحدث المرجح لها خارجاً عن العبد، وكل ما يذكر سوى الرب - تعالى - مُنته إليه والمحدث والمرجح هو الله - تعالى -.

وقول الصابئة والفلاسفة أفسد من قول القدرية، فإنه يقال إذا كان الرب عندكم علة تامة موجباً بذاته في الأزل لم يزل ولا يزال هكذا، ومعلوله لازم لذاته لا يمكن تأخره عنه امتنع أيضاً [أن تصدر عنه حركة الفلك وغيرها من الحوادث، وامتنع]^(٢) أن يصدر عنه ما يستلزم الحوادث، والعالم مستلزم للحوادث، فيمتنع صدوره عن العلة التامة لأن الحوادث تحدث شيئاً بعد شيء؛ كما أن حركة الفلك تحدث شيئاً بعد شيء. والعلة التامة لا يحدث معلولها ولا شيء من معلولها شيئاً بعد شيء،

١- انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١/ ٨٠ والمعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعثق

٢- ما بين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

بل جميع معلولها^(١) مقارنة لها أزلاً وأبداً لا يتأخر منه شيء عن الأول، وإذا كان كذلك^(٢) فالحوادث كأجزاء الحركة الفلكية يمتنع صدورها عن الموجب بذاته، وإذا قيل: إن الحركة سببها الشوق الذي في الفلك للتشبه بالأول، قيل فتلك الإرادة والتصور الذي هو سر ما في الإرادة الذي هو سبب الحركة (المتجددة، التي تجددُ الحركة)^(٣) بتجدده هو أيضاً من الحوادث المتعاقبة وهو نوع حركة نفسانية؛ فلا بد لها من محدث. فإذا كانت العلة / التامة لا يتأخر عنها معلولها امتنع (صدور ذلك)^(٤) عنه، وإذا كان الفلك لا يخلو عن الحوادث امتنع صدور [ها]^(٥) عنه، لأن [وجود]^(٦) الملزوم بدون اللازم ممتنع، ووجود^(٧) اللازم ممتنع، ولو قدر مقدر أن العالم لم يكن فيه حادث ثم تجددت الحوادث؛ لكان القول فيما ليس بمتجدد؛ كالقول في غيره، فإن التقدير أنه هناك فاعل لاعلة تامة، والعلة التامة لا يتجدد عنها شيء بل معلولها مقارنة لها.

١- في (ف) معلومها.

٢- كذلك (سقطت من (د)).

٣- ما بين القوسين سقط من (د) و(ح).

٤- ما بين القوسين في (د) صدورها.

٥- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (صدوره) والضمير يعود على الحوادث.

٦- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ج) و(هـ) وفي (ح) لم يظهر في الصورة.

٧- في (ف) غير واضحة.

قيام الصفات
الاختيارية بالرب
- تعال -

وهذا إذا تصوره العاقل علم بالضرورة بطلان قول هؤلاء الذين هم من أبعد الناس عن المعقول الصريح كبعدهم عن المنقول الصحيح، ثم هل تقوم بالرب الأمور الاختيارية التي يسمونها الحوادث؟ لهم في ذلك [قولان] ^(١) كما للمتكلمين قولان، وطائفة من الأساطين القدماء يجوزون ذلك وهو قول أبي البركات ^(٢) صاحب "المعتبر" وغيرهم من متأخريهم، ومنهم من لا يجوز له كابن سينا وأمثاله، فمن لم يجوز ذلك ظهر فساد قوله بقدوم العالم ظهوراً بيناً، ومن جوزه أيضاً فيمتنع عليه أن يقول بقدوم شيء من العالم، فإنه حينئذ إذا كان الرب يفعل شيئاً بعد شيء بأفعال يقوم ^(٣) بذاته؛ لم يكن قط علة تامة لمفعولاته، بل كل ما يفعله ويحدثه هو فاعل له حين أحدثه وفعله، والمؤثر التام يستلزم أثره، كما أن الأثر يستلزم مؤثره التام ^(٤).

ولهذا كان مذهب أهل السنة أن القدرة لا بد أن تكون مع

القدرة عند أهل
السنة

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل قولاً.

٢- هو أبو البركات، هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، كان يهودياً فأسلم في آخر عمره. الفيلسوف، الطبيب، خدام الخليفة المستنجد، له كتاب "المعتبر" و"اختصار التشریح من كلام جالينوس" وغيره هلك نحو ٥٦٠ هـ عن ثمانين سنة. انظر السير ج ٢٠/٤١٩ ترجمة رقم ٢٧٥ والأعلام ج ٨/٧٤.

وقد نقل عنه ابن تيمية قوله في مجموع الفتاوى ج ١٦/٣٠٢ قال أبو البركات: لم يقل ذلك أحد من العقلاء هـ.

٣- كذا في جميع النسخ.

٤- سبق بيان هذه المسألة في التعليق انظر ص ٣١٥.

مقدورها، ولا يجوز أن تكون معدومة عند^(١) وجود المقدور، ولكن تنازعوا هل يكون وجودها قبل مع بقائها؟.

والصواب التفريق بين القدرة المصححة^(٢) التي / يشترط في الفعل معها وجود الإرادة؛ وبين القدرة الموجبة^(٣) وهي مجموع ما يستلزم المقدور.

وأما القدرية فقالوا: إن القدرة لا تكون إلا قبل الفعل، وإذا كان الحوادث يحدثها^(٤) شيئاً بعد شيء بحسب حدوثها لزم أن تقوم به الأفعال الاختيارية، وإذا كان كذلك بطل أصل قولهم الذي بنوا عليه قدم العالم، حيث قالوا هو موجب بالذات لافعل بالاختيار، وإذا كان كذلك قارنت موجب، فإذا كان نفس الحوادث يستلزم أن يكون فاعلاً أفعالاً متعاقبة بطل كونه موجباً بذاته بمقارنة موجب، فبطل التلازم الذي

١- في (د) عن.

٢- القدرة المصححة: وهي السابقة للفعل، وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف كما قال تعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] وهي صالحة للفعل والترك ولم يعرف القدرية غيرها، كما لم يعرفها الجبرية. انظر مج ١٨/١٧٢-١٧٣.

٣- القدرة الموجبة: وهي المقارنة للفعل، وهي المنفية عن لم يفعل في مثل قوله ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ [سورة هود: ٢٠] ولم يعرف الجبرية كالأشاعرة وغيرهم غير هذه القدرة، ولم يعرفها القدرية. انظر مج ١٨/١٧٣.

٤- كذا في جميع النسخ والأولى أن تكون الجملة هكذا (وإذا كانت الحوادث يحدثها المحدث) ولكن المؤلف - إن لم يكن هناك سقط - بناها للمجهول.

الرد على الفلاسفة في قولهم بقدرة العالم

ذكره وجاز أن يكون محدثاً للأفلاك.

وإن كان قد أحدث قبلها شيئاً آخر كما أخبر الله - تعالى - أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء^(١)، كذلك في التوراة أنه خلق السموات والأرض وكان الماء مستبحراً^(٢) غامراً الأرض والرياح تهب فوقه^(٣).

وملخص ذلك أنه لو كان شيء من العالم قديماً لكان موجباً بذاته بمقارنة^(٤) موجب لا يتأخر عنه، والثاني باطل لأنه لو كان كذلك لم يحدث في العالم شيء؛ لأن العالم بجميع ما فيه موجب له فلو كان موجب يقارنه^(٥) في الأزل [لزم أن لا]^(٦) يحدث في العالم شيء؛ ولو

١- يشير إلى قول الله - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبَلِّغَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الآية [سورة هود: ٧].

٢- مستبحراً أسم مفعول للبحر والبحر هو الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً وهو خلاف البر. وإنما سُمي البحر بحراً لسعته وانبساطه، وقد غلب على الماء المالح حتى قل في العذب. انظر لسان العرب لابن منظور ج ٤/ ٤١، والقاموس المحيط ص ٤١ مادة بحر.

٣- جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول فقره ٢: وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمه وروح الله يرف على وجه المياه. انظر الكتاب المقدس - التوراة طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٤- كذا في الأصل و(ج) وفي (ف) و(د) بقارنه.

٥- في (ف) بقارنه.

٦- كذا في (ف) و(د) و(ج) وسقط من الأصل.

أوجب^(١) العالم دون الحوادث لوجد الملزوم دون اللازم، ولحدثت الحوادث بعد ذلك عن الموجب^(٢) المستلزم لموجبه في الأزل وكلاهما ممتنع.

وكل خبر في العالم فهو مستلزم لمقارنة الحوادث؛ إذ يمكن أن تقوم به الحوادث، فلو كان صادراً عن موجب بالذات لامتنع حدوث الحوادث مقارنة له أو حادثة/ بعده، لأن صدورهما عن موجب بالذات ممتنع؛ لاسيما والذات التي من شأنها أن تقوم بها الأفعال المتعاقبة فيفعل شيئاً بعد شيء، لا يكون فعلٌ معين لازماً لذاتها، فلو كان في العالم شيء قديم تبين أنه إنما يلزمها نوع الأفعال لافعل معين.

وأيضاً فلزوم الفعل المعين لمفعول معين لذات تقوم بها الأفعال المتعاقبة وتفعل شيئاً بعد شيء غير معقول، فإنها متى كانت كذلك؛ امتنع أن يلزمها أزلاً وأبداً فعل^(٣) معين، فإن ملازمة المعين ينافي كون فعلها شيئاً بعد شيء.

وإذا قيل يلزمها فعل معين ولا يلزمها شيء من الأفعال، كانت أفعالها منقسمة إلى معين لازم لها؛ وإلى نوع يحدث شيئاً بعد شيء فهي

١- في (ف) و(د) وجد وفي (ح) وجب.

٢- في (د) الموجد.

٣- في (ف) (افعل).

للأول موجبة [بذاتها]^(١) وللثاني^(٢) فاعلة باختيارها، فيكون موجبة بالذات لمفعول وفاعل بالاختيار لمفعولات، واجتماع هذين في الذات الواحدة تناقض، لأن كونها فاعلة بعد اختيارها شيئاً بعد شيء، يناقض اتصالها بالإيجاب بالذات، مع أن الفعل المعين الملازم للذات لا يعقل، ولا يعقل الفعل إلا الاحداث، وإنما يعقل^(٣) فيما كان لازماً لها أن تكون صفة لها كالحياة، لأن يكون مفعولاً لها، فكونه مفعولاً يناقض كونه معه لازماً؛ لاسيما إذا كان الفاعل فاعلاً بالاختيار.

والمقصود هنا أنه إذا لم يحصل من العبد فعلٌ أمره الله به في حق الرسول، ولم يحصل من الرسول شفاعته له، فلا يتصور أن ينتفع بجاه الرسول؛ منفعة أمر الله بها^(٤) في دين الرسل واتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، لكن (على قول)^(٥) غير أهل التوحيد من المشركين القائلين بحدوث العالم والقائلين بقدمه، فإن المشرك قد يدعو^(٦) إلهاً من دون الله فتخاطبه الشياطين وربما قضت له بعض

الشفاعة بين
الموحدين
والمشركين

١٠٥

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل بذتها بدون ألف.

٢- في (د) والثاني.

٣- كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) يفعل وفي (د) يقل.

٤- في الأصل و(ف) و(د) كلمة (ودينه) وليس لها معنى، وفي (ح) بياض بمقدار كلمة وقد حذفت كلمة (ودينه) ليستقيم المعنى، ويظهر لي أنها زيادة من الناسخ.

٥- ما بين القوسين سقط من (د) و(ح).

٦- في الأصل و(د) زيادة ألف وهو خطأ.

الحاجات، وهذا معروف في عباد الكواكب وعباد الموتى من الصالحين وغير الصالحين.

وأما على قول الصنف الثاني من المشركين الذين جمعوا في الحقيقة بين التعطيل والإشراك، فأنكروا أن يكون خالقاً للعالم بقدرته ومشيتته، وهم مشركون، فمن هؤلاء من يقول إنه قد يفيض عليه من الشفيع شيء بغير دعاء الرسول، لكن لا بد عند هؤلاء من توجه من العبد؛ ولا يشترطون التقرب بما شرعته الرسل، بل يمكن عندهم إذا سجد لتمائله أو لغيره ودعاه من دون الله أن يحصل له ذلك، كما يحصل إذا توجه إلى الشمس من سخونة شعاعها ما يحصل.

والفرق بين الموحدين والمشركين، أن الموحدين يقولون: إن ما أمرت به الرسل من العبادات إنما يتقرب [به] ^(١) إلى الله، والأجر فيه على الله، وإنما على الرسول البلاغ؛ ليس عليه حصول الثواب، ولا يشترط أن يكون واسطة في وجوده بل يخلق الله الثواب بغير واسطة الرسول.

وأما شفاعة الرسول فهي دعاء الله -تبارك وتعالى-، وهؤلاء يقولون لا يحصل إلا بتوسطهم وإن فاض عنهم بغير قصد، فهذا أصل ينبغي معرفته، فإن هذا الضال وأمثاله يجعلون الأنبياء والصالحين من جنس الذين يظنون أن النفع والضرر يحصل لهم بتوسطهم؛ كما يجعل الشعاع والحرارة بتوسط الشمس.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

ونحن نقول إن كل ماشرعه الله ورسوله فهو من أعظم الوسائل (إلى الله، لكن دعاؤهم بعد الموت لم يشرعه الله ورسوله فليس من الوسائل)^(١)، وكذلك سؤال أحدهم مالا يقدر عليه إلا الله ليس مشروعاً، وأصل الدين أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع / وما ذكره هؤلاء يتضمن عبادة غير الله بغير أمر الله.

١٠٦

المقام الثاني: أن يقال هذا مما نهت عنه الرسل فقد ثبت في الصحاح أن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا^(٢)، وقال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»^(٣).

نهى الرسل عن
اتخاذ القبور
مساجد

فلو كان الدعاء عند القبور أجوب منه في غير تلك البقعة لكان قصدها للدعاء عندها مشروعاً لم يَنْهَ أن يتخذ مسجداً، فإن اتخاذ القبور [مساجد]^(٤) يدخل فيه الصلاة وغيرها؛ ويدخل فيه بناء المساجد

١- مابن القوسين سقط من (د).

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) ج ١/ ٣٩٥ رقم ١٣٣٠ وأطرافه بالأرقام التالية: ٤٣٥، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥. ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) ج ١/ ٣٧٧ رقم ٥٣٢ وغيرهم من حديث عائشة - رضي الله عنها-.

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه) رقم ٩٧٢ ج ٢/ ٦٦٨ من حديث أبي مرثد الغنوي.

٤- كذا في (ح) وفي الأصل (ولمساجد) وفي (ف) و(د) (لمساجد).

عليها، وكلاهما منهي عنه بل يحرم كما صرح به غير واحد من العلماء^(١). فإن النبي ﷺ لعن من فعل ذلك تحذيراً لأمته، وهذا يقتضى تأكيد التحريم.

الدعاء في الصلاة
وبعدها وفي
المشاعر

فإن الدعاء في الصلاة أجوب منه في غيرها؛ كالدعاء في دبرها كما جاءت به السنة في الأدعية الشرعية؛ فإنها مشروعة في آخر الصلاة، و^(٢) كذلك الدعاء عقب الصلاة.

وأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة؛ وإنما يكون بعد صلاة الظهر والعصر،

١- قال النووي في المجموع ج ٥/ ٢٨٥ ط مطبعة الإمام بمصر: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهية بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصالح أو غيره، لعموم الأحاديث وقال الشافعي: وتكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحاً أو غيره.

وقال الحافظ أبو موسى قال الإمام أبو الحسن الزعفراني: ولا يصلى إلى القبر ولا عنده تبركاً به أ.هـ.

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٠/ ٣٨٠: قال علماؤنا: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد أ.هـ.

واتفق العلماء في عصر الملك الظاهر بيبرس في القرن الثامن الهجري على لسان واحد أنه يجب على ولي الأمر أن يهدم القباب كلها وأن يكلف أصحابها برمي ترابها ولم يختلف منهم أحد. انظر المدخل لابن الحاج ج ١/ ٢٥٣ طبعة ١٤٠١ هـ. الناشر دار الحديث. وأقوال العلماء في هذه المسألة كثيرة تركناها للاختصار. وانظر أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في كتاب النبذة الشريفة في الرد على القبوريين ص ١٣٢ وما بعدها فقد نقل أقوالهم بالفاظهم، فأفاد وأجاد في ذلك.

٢- الواو سقطت من (ف) و(د).

والوقوف بمزدلفة ودعاؤها بعد صلاة الفجر، والطواف يجري مجرى الصلاة ولهذا يستحب الدعاء في آخره، كما كان النبي ﷺ يقول بين الركنتين «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»^(١)، والطواف تحية المسجد الحرام.

وأما " منى " فعبادتها رمي الجمار، ولهذا يرمونها يوم النحر ثم ينحرون، كما يصلون في الأمصار ثم ينحرون، فليس بمنى صلاة عيد بل رمي جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لغيرهم، وسائر الجمرات ترمى عقب الزوال قبل صلاة الظهر، وفي السنن عن النبي ﷺ قال «إنما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»^(٢).

١- أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب الدعاء في الطواف) رقم ١٨٩٢ ج٢- ٤٤٩/٢ واللفظ له. وأحمد في المسند ج٣- ٤١١/٣. والحاكم في المستدرک ج١- ٤٥٥/١ وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وابن حبان في صحيحه في (كتاب الحج، ذكر مايقول الحاج بين الركن والحجر في طوافه) رقم ٣٨٢٦ ج٩- ١٣٤/٩، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الحج، باب القول في الطواف) ج٥- ٨٤/٥. وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود ج١- ٣٥٤/١ رقم ١٦٦٦ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢- أخرجه الترمذی في (كتاب الحج، باب ماجاء كيف ترمى الجمار) رقم ٩٠٢ ج٣- ٢٤٦/٣ ولفظه «إنما جعل رمي الجمار والسعى» وأبو داود في (كتاب المناسك، باب في الرمل) رقم ١٨٨٨ ج٢- ٤٤٦/٢ ولفظه « الطواف

١٠٧

فلما كان هذا من شعائر الصلاة والطواف كان الدعاء/ عندها مشروعا كما ثبت في الصحيح «أنه ﷺ كان يدعو^(١) بين الجمرتين بقدر سورة البقرة»^(٢)، وأما جمرة العقبة فليس عندها وقوف ولا دعاء^(٣)؛ فإنها آخر منى، والداعي يريد أن يتأخر عن الجمرة وما بعدها ليس من منى، وكان الداعي في نفس عرفة ومزدلفة ومنى لا خارجاً

.....». والحاكم في المستدرک ج١/٥٩ كتاب المناسك. وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وقال العلامة ناصر الدين الألباني في حاشية مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) رقم ١٣٨١ ج٢/٨٠٦: إسناده ضعيف أ.هـ.

١- في الأصل و(ف) و(د) بزيادة ألف.

٢- أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر «أن رسول الله ﷺ كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها، فوقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات، يكر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار، مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة، فيرميها بسبع حصيات، يكر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها» (كتاب الحج، باب الدعاء عند الجمرتين) ج١/٥١٧ رقم ١٧٥٣ وقد وقع تفسير القيام الطويل فيما رواه ابن أبي شيبه بإسناد صحيح عن عطاء «كان ابن عمر يقوم عند الجمرتين مقدار ما يقرأ سورة البقرة». انظر فتح الباري لابن حجر ج٣/٧٤٥ ولم أجده في مصنف ابن أبي شيبة.

٣- في (ف) (ولا دعى)

عنها، ولهذا قال النبي ﷺ «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنه^(١)، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن محسر، ومنى كلها منحرج^(٢)»^(٣)، فلم يجعل الحدود الفاصلة بين المشاعر منها. وقد قال طائفة من السلف في قوله^(٤) «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» [سورة البقرة: ١٢٥] قالوا: مقام إبراهيم عرفة ومزدلفة ومنى، ومصلى أى مدعى^(٥)، وهذا

١- في (د) عرفة.

٢- ما بين المعقوفتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- أخرجه أبو داود في (كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع) جـ ٤٧٨/٣ رقم ١٩٣٧ وابن ماجه في (ابواب المناسك، باب الموقف بعرفة) جـ ١٧٩/٢ رقم ٣٠٤٦ والإمام أحمد في المسند جـ ٨٢/٤ والبيهقي في السنن الكبرى جـ ١١٥/٥ جميعهم بالفاظ متقاربة وقرينة من لفظ المؤلف. وأصله في مسلم (كتاب الحج، باب ماجاء في أن عرفة كلها موقف) جـ ٨٩٣/٢ رقم ١٢١٨ وأخرجه الترمذى مطولاً في (كتاب الحج، باب ماجاء في أن عرفة كلها موقف) جـ ٢٣٢/٣ رقم ٨٨٥ وقال حديث حسن صحيح.

٤- في (د) تعالى.

٥- انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ ١/٥٨٦-٥٨٧ في (تفسير سورة البقرة الآية: ١٢٥) قال: حدثني الثني قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا سفيان بن عيينه، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى» قال: مصلى إبراهيم مدعى. قال أبو جعفر: فكان الذين قالوا: تأويل «المصلى» ههنا: المدعى، وجهوا «المصلى» إلى أنه (مفعول) من قول القائل (صليت). بمعنى دعوت.

وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله. فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشرع والجمار، وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها، مذاعياً تدعونى عندها، وتأتمون بإبراهيم خليلي -عليه

لا ينافي عند كثير من العلماء ما ثبت في الصحيح «من أن النبي ﷺ لما طاف صلى عند المقام وقرأ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾» (١)، لأن الآية قد تناول هذا وهذا عند كثير من أهل العلم.

ففي الجملة أحق البقاع بدعاء الله فيها المساجد التي يصلى فيها، والمشاعر التي شرع الله فيها الدعاء والذكر، وأمر أن يكون الدين خالصاً له كما قال تعالى ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴿[سورة الأنعام: ١٦١-١٦٢].

فإذا كانت الصلاة والذكر لله وحده لم يكن ذلك مشروعاً عند قبر، وكما لا يذبح للميت ولا عند قبره؛ بل «نهى النبي ﷺ عن العقر عند القبر» (٢)، وكره العلماء الأكل من تلك

حكم الأكل من
الذبائح التي تذبح
عند القبر

السلام- فيها، فإني جعلته لمن بعده -من أوليائي وأهل طاعتي- إماماً يقتدون به وبآثاره، فاقتدوا به أ.هـ.

والراجع أن مقام إبراهيم هو المقام المعروف. انظر: تفسير الطبري جـ ١/٥٨٧ والجامع لأحكام القرآن جـ ٢/١١٣ وتفسير ابن كثير جـ ١/١٧١.

١- أخرجه مسلم في (كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ) رقم ١٢١٨ جـ ٢/٨٨٦ ولفظه «ثم نفذ إلى مقام إبراهيم -عليه السلام- فقرأ...» والنسائي في (كتاب مناسك الحج، كيف يطوف أول ما يقدم) رقم ٢٩٣٧ جـ ٥/٢٢٨ ثم أتى المقام فقال ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت وأخرجه غيرهم.

٢- أخرجه أبو داود في (كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر) جـ ٣/٥٥٠ رقم

الذبيحة^(١) فإنها شبه مذبح لغير الله، فلو كانت مقابر الأنبياء والصالحين مما يستحب الدعاء عندها لكانت إما من المساجد وإما من المشاعر التي يُحج إليها، وقد نهى النبي ﷺ عن هذا وهذا.

بل لعن الذين يتخذون / القبور مساجد وقال في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره «لاتتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني»^(٢)، فنهى أن يتخذ قبره عيداً وهذا معنى المشاعر فإن

١٠٨

اتخاذ القبر عيداً
يعني اتخاذه
مشعراً

٣٢٢٢ من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لاعقر في الإسلام» قال عبدالرزاق -صاحب المصنف-: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة. ١هـ وقد أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣/١٩٧ وعبدالرزاق في مصنفه ج٣/٥٦٠ رقم ٦٦٩٠ والبيهقي في السنن الكبرى ج٥/٥٧ باب كراهية الذبح عند القبر.

قال النووي في المجموع ج٥/٢٨٦: رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ١هـ. وقال العلامة الألباني: في أحكام الجنائز وبدعها ص ٢٥٩ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض - السعودية: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١هـ.

١- قال بذلك الإمام أحمد، ومراده -رحمه الله- بالكراهة الحرمية. انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة جمع وتحقيق عبدالأله الأحمد ج٢/١٢٩ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار طيبة الرياض. وللتوسع انظر شرح مسلم للنووي ج١/١٥٠ واقتضاء الصراط لابن تيمية ج٢/٧٤٥-٧٤٦ والزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ج١/٢١١ طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار المعرفة بيروت والفتوى رقم ٦٢٠٨ من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، بالمملكة العربية السعودية.

المشاعر تتخذ أعياداً^(١)، أي يجتمع الناس عندها في أوقات معتادة، والعيد^(٢) اسم للوقت والمكان الذي يعتاد الاجتماع فيه، وقد يعبر به عن نفس الاجتماع المعتاد، ولهذا سمي النبي ﷺ يوم الجمعة عيداً وقال «إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً»^(٣).

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه رأى قوماً يتابون مكاناً يصلون فيه، قال: ما هذا، قالوا مكاناً صلى فيه رسول الله ﷺ، قال: «أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض»^(٤) فقد نهاهم عن

١- من هنا يبدأ فراغ في السطر في (ف) لم يكتب فيه بمقدار ثلاث كلمات، وليس في الكلام سقط، ويبدو عليه أثر إصلاح.

٢- العيد: كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه. انظر لسان العرب جـ ٣/٣١٩، والقاموس المحيط ص ٣٨٦ ماد عود.

٣- أخرجه ابن ماجه في (أبواب إقامة الصلاة، باب ماجاء في الزينة يوم الجمعة) جـ ١/١٩٧ رقم ١٠٨٥ والطبراني في المعجم الصغير جـ ١/١٤٩ رقم ٣٥٠ طبعة كمال الحوت وعبدالرزاق في المصنف مرسلاً جـ ٣/١٩٧ رقم ٥٣٠١ وابن أبي شيبة في مصنفه جـ ١/٤٣٥ رقم ٥٠١٦ قال الدوسري في النهج السديد ص ٧٥ رقم ١٣٥: الحديث بهذه الطرق حسن لغيره أ.هـ.

٤- أخرج القصة ابن أبي شيبة في مصنفه جـ ٢/١٥١ رقم ٧٥٥٠، وسعيد بن منصور في سننه كما نقل المؤلف عنه في اقتضاء الصراط جـ ٢/٧٥١-٧٥٢ وعبدالرزاق في مصنفه جـ ٢/١١٨-١١٩ رقم ٢٧٣٤ وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٤١-٤٢ (الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ الناشر دار الرائد العربي بيروت - لبنان)

اتخاذ آثار الأنبياء مساجد.

وهذا لا ينافي قول عتبان بن مالك للنبي ﷺ إن السيول تحول بيني وبين قومي فلو صليت في بيتي في مكان أتخذته مصلى «فجاء النبي ﷺ فصلى ركعتين»^(١)، لأن عتبان كان مقصوده بناء مسجد لحاجته إليه وتركه يكون النبي ﷺ يصلي فيه أولاً، كما أنه ﷺ بنى مسجد قباء وبنى مسجده، والمسجد الذى يتخذة بناء أفضل من غيره، كما فضل المسجد الحرام ومسجد سليمان [عليه السلام]^(٢)، بخلاف من لم يكن مقصوده

الكلام على
حديث عتبان
وفعل ابن عمر

وصحح إسنادهما المؤلف في قاعدة جليله ص ٢٠٣ وابن كثير في مسند الفاروق تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي ص ١٤٢-١٤٣ (الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الناشر دار الوفاء المنصوره - مصر) وقال العلامة الألبانى في تحذير الساجد ص ٩٣ صحيح على شرط الشيخين ١ هـ وصححها غيرهم.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت) ج ١/١٥١ رقم ٤٢٥ بلفظ أطول من لفظ المؤلف. وقد شرح المؤلف -رحمه الله- هذا الحديث في مواضع أخرى انظر مع ج ١٧/٤٦٨.

٢- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف)، مسجد سليمان هو مسجد بيت المقدس، كما ورد في بعض الأخبار الصحيحة، وهذا مشكل، فقد أخرج البخاري في كتاب الأنبياء، لم يوب (ج ٢/١٠٤٠ رقم ٣٣٦٦ عن النبي ﷺ أن بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى أربعون سنة .

وكما هو معلوم أن الذى بنى المسجد الحرام هو إبراهيم -عليه السلام- وبين إبراهيم وسليمان -عليهما السلام- أكثر من ذلك. لذا اختلف العلماء فقيل أول من أسس المسجدين الحرام والأقصى آدم -عليه السلام-، وقيل أسس المسجد الحرام إبراهيم، وأسس المسجد الأقصى الملائكة، وقيل سام بن نوح وقيل يعقوب -عليه السلام-، والراجح الأول فأدم أسس المسجدين وسليمان جدد بناء بيت

إلا بناء مسجد لأجل ذلك الأثر.

وأما ما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى في سفره النزول في مكان النبي ﷺ والصلاة في مصلاه^(١)، فمن الناس من رخص في مثل ذلك، بخلاف ما إذا اجتمع على ذلك الناس؛ [ومن الناس]^(٢) من قال هذا أمر انفرد به/ ابن عمر -رضي الله عنه-^(٣).

١٠٩

مخالفة أكابر الصحابة
لابن عمر في تتبعه
لآثار النبي ﷺ

والخلفاء الراشدون [و]^(٤) الأكابر من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يكونوا يفعلون ذلك، وهم أعلم من ابن عمر وأعظم اتباعاً للنبي ﷺ، فلو كان هذا مستحبا لفعله هؤلاء. وأيضاً لما فتح المسلمون تستر^(٥) وجدوا فيها قبر دانيال وكان أهل البلد

المقدس، وإبراهيم جدد بناء المسجد الحرام. والله أعلم.

انظر: تاريخ الطبري جـ ٢٨٦/١ وقصص الأنبياء لابن كثير ٥٠٦ وفتح الباري لابن حجر جـ ٥٤٠/٦-٥٥٠.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ) جـ ١٦٧/١ رقم ٤٨٣.

٢- مابين المعقوتين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف) وفي هامش الأصل لعله (ومن الناس).

٣- مابين الشرطتين سقط من (د) وانظر اقتضاء الصراط جـ ٢/٧٥٠-٧٥٧ فقد أطلال المؤلف في الكلام على هذه المسألة.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٥- تستر: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى وراء، وهي تعريب شوشتر ومعناه النزّه والحسن والطيب واللطيف، من إقليم خوزستان فيه أنهار كثيرة أعظمها نهر

يستسقون به فكتب في ذلك أبو موسى إلى عمر بن الخطاب^(١)،
فكتب إليه «[أن أحفر]^(٢) بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في
واحد منها لثلاً [يفتن به]^(٣) الناس فيستسقون به»^(٤).

تستّر فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب -رضى الله عنهما-
وفيها استسلم الهرمزان على حكم عمر، ينسب إليها جماعة منهم سهل التستري،
وفيها وجد دانيال الذي نحن بصدد ذكره . انظر: معجم البلدان ج٢/٣٤-٣٦
رقم ٢٥١٧.

١- في (ف) رضى الله عنه ومن هنا يبدأ فراغ في الأسطر مثل ماسبق.

٢- ما بين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (انحفر).

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يعتز به وما أثبت أعلاه يوافق لفظ الأثر في
مصادره.

٤- وردت عدة روايات في دفن دانيال -عليه السلام- فذكر الطبري في تاريخه
ج٢/٥٠٥ الخبر ولم يذكر طريقة الدفن، وقال البلاذري في فتوح البلدان ص٣٨٦
(الطبعة الأولى بمطبعة الموسوعات القاهرة - مصر) إن أبا موسى دفنه في نهر
وأجرى الماء عليه، وقال ابن كثير في قصص الأنبياء ص٥٢٩ وروى ابن أبي الدنيا
هذا الخبر من غير وجه في كتابه القبور وذكر إخفاء أبي موسى لقبره لكيلا يعلم
به أحد. (ولم أقف على كتاب القبور لابن أبي الدنيا مطبوعاً أو مخطوطاً) قال ابن
كثير في البداية والنهاية ج٢/٤٠ وفي قصص الأنبياء ص٥٢٨ قال: قال يونس بن
بكير عن محمد بن إسحاق عن أبي خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا
تستّر وجدنا في مال بيت [كذا في الأصل] الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند
رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً
فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا،
فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو

فهذه كانت^(١) سنة الصحابة -رضوان الله عليهم- ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان على وجه الأرض في ديار الإسلام مسجد مبني على قبر، ولا مشهد يزار لبالحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا مصر ولا العراق ولا خراسان، وقد ذكر مالك -رحمه الله- أن وقوف الناس للدعاء عند قبر النبي ﷺ بدعة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون، [وقال: لا]^(٢) يصلح [آخر]^(٣) هذه الأمة إلا ما أصلح أولها^(٤).

فأما ما أمر به النبي ﷺ في زيارة القبور فإنما هو دعاء للميت
زيارة القبور للدعاء للميت

كالدعاء في الصلاة على جنازته، والسنة في الدعاء التعميم كما في

كائن بعد. قلت فما صنعتكم بالرجل؟ قال: حفرنا ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها، لنعميه عن الناس فلا ينبشونه. قلت فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطروا إلى آخره . قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية. ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بني بل هو رجل صالح ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسحونا ا.هـ. وهذا هو الراجح.

١- إلى هنا انتهى الفراغ في اسطر (ف).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قال ولا)

٣- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٤- انظر الشفاء للقاضي عياض ج ٢/ ٢٠٥ تحقيق محمد أمين فره وآخرين الناشر مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق.

السنن أن النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعو فقال «يا علي عمّ فإن فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الأرض»^(١)، ولهذا يقال في دعاء الجنّاة «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا»^(٢)، ولم يخص الميت بالدعاء.

وكذلك يقال في السلام على الموتى «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين/ نسأل الله لنا ولكم العافية»^(٣)، كما يقال في الصلاة

١١٠

١- أخرجه أبو داود في المراسيل، باب ماجاء في الدعاء، ص ١٠١ عن عمرو بن شعيب: أن النبي ﷺ أتى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقد خرج لصلاة الفجر، وعلي يقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم تب عليّ، فضرب النبي ﷺ على منكبه وقال «عم ففضل ما بين العموم والخصوص كما بين السماء والأرض» والبيهقي في السنن الكبرى ج ٣/ ١٣٠ في (كتاب الصلاة، باب ما على الإمام من تعميم الدعاء) بنحوه مرسلًا، وعزاه جمال الدين المزي في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف تصحيح عبد الصمد شرف الدين ج ١٣/ ٣٢٦ رقم ١٩١٧١ (الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ الناشر الدار القيمة بمبائ - الهند ومعه النكت الظرف لابن حجر) لأبي داود في المراسيل وذكره بلفظ المؤلف.

٢- أخرجه أبو داود في (كتاب الجنّات، باب الدعاء للميت) ج ٣/ ٥٣٩ رقم ٣٢٠١ والترمذي في (كتاب الجنّات، باب ما يقول في الصلاة على الميت) ج ٣/ ٣٤٣ رقم ١٠٢٤ واللفظ له وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في (كتاب الجنّات، باب الدعاء) ج ٤/ ٧٤ رقم ١٩٨٤ وأحمد في المسند ج ٥/ ٣٠٨ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٣/ ٣٣: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ١ هـ.

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة) ج ١/ ٢١٨ رقم ٢٤٩ وفي (كتاب الجنّات، باب ما يقال عند دخول القبور) ج ٢/ ٦٦٩ رقم ٩٧٤.

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»^(١)، وكما رُوي عن النبي ﷺ أنه كان إذا ذكر نبينا قال «يرحمنا الله وفلانا»^(٢)، وكما يقول الخطيب وأستغفر الله لي ولكم.

والمقصود [بالصلاة على] ^(٣) الجنائزة ^(٤) الدعاء للميت وغيره يدخل تبعاً، بخلاف من يكون قصده أن يدعو لنفسه بالميت أو عند الميت وهذا كله من الدعاء عند القبور.

وأبو داود في (كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا زار القبور أو مر بها) رقم ٣٢٣٧ ج٢/٥٥٨. والنسائي في (كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين) رقم ٢٠٣٥ ج٤/٧٩١ وابن ماجه في (أبواب الجنائز، باب ما يقال إذا دخل المقابر) ج١/٢٨٣ رقم ١٥٤٦ ومالك في الموطأ في (كتاب الطهارة، باب جامع في الوضوء) ج١/٢٩ وأحمد في المسند ج٦/٢٢١ والبيهقي في السنن الكبرى ج٤/٧٩ (باب ما يقول إذا دخل المقابر) جميعهم بألفاظ متقاربة، وقرينة من سياق المؤلف ولفظه. وقد أخرجه غيرهم.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة) رقم ٨٣١ ج١/٢٥٣ من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- وأوله «كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ الحديث».

٢- أخرجه الترمذي في (كتاب الدعاء، باب ماجاء أن الداعي يبدأ بنفسه) رقم ٣٣٨٥ ج٥/٤٦٣ عن أبي بن كعب: أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه» وقال: حديث حسن غريب صحيح. وابن ماجه (أبواب الدعاء، باب إذا دعا أحداً فليبدأ بنفسه) رقم ٣٨٩٧ ج٢/٣٤٥ ولفظه «يرحمنا الله وأخا عاد».

٣- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف)

٤- في الأصل و(ف) بالجنائزة زيادة باء في أولها.

أقوال المفسرين في
الوسيلة

وأما دعاء الميت وسؤاله بلفظ الاستغاثة وغيرها، كقول الداعى أطلب منك المغفرة أو الرحمة أو قضاء الدين أو النصر على العدو، فهذا مما نهى عنه القرآن قال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [سورة الإسراء: ٥٦-٥٧] وفي التفسير الصحيح عن مجاهد ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: عيسى ابن مريم وعزير والملائكة^(١). كذلك عن إبراهيم النخعي قال كان ابن عباس يقول في قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ هو عزير والمسيح والشمس والقمر^(٢).

وكذلك روى شعبة عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأمه والعزير في هذه الآية^(٣) ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾^(٤).

١- انظر تفسير ابن جرير الطبري في تفسير سورة الإسراء الآية ٥٧ ج ٨/ ٩٦ وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ٣/ ٤٧.

٢- انظر تفسير الطبري ج ٨/ ٩٦ قال حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ٣/ ٤٧.

٣- (الآية) سقطت من (٥).

٤- انظر تفسير الطبري ج ٨/ ٩٦ قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عباد الله المحلي، قال: ثنا شعبة به وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ٣/ ٤٧.

وروى قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني^(١) عن ابن مسعود قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله، فأنزل الله - تبارك وتعالى - ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾^(٢)، وفي رواية عن الزماني^(٣) عن عبد الله بن عتبة بن مسعود (عن عبد الله)^(٤) قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والأنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾^(٥).

وكذلك قال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ﴿الذين يدعون﴾ الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة ﴿أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾، قال: هؤلاء الذين عبدوا

١- في (د) و(ح) الرماني بالراء، وما أثبت أعلاه بالزاي هو الصواب. انظر تقريب التهذيب لابن حجر ج ١/٥٣٧ رقم ٣٦٤٤

٢- انظر تفسير الطبري ج ٨/٩٦ قال: حدثنا الحسين بن علي الصدائي، قال: ثنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا أبو العوام قال أخبرنا قتادة به.

٣- في (د) و(ح) الرماني.

٤- ما بين القوسين سقط من (د)، وهو عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله عنه.

٥- أخرجه مسلم في (كتاب التفسير، باب في قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ ج ٤/٢٣٢١ رقم ٣٠٣٠.

الملائكة من (١) المشركين (٢).

وكذلك ذكر العوفي في تفسيره عن ابن عباس قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً (٣).

وثبت أيضاً في [صحيح] (٤) البخاري عن ابن مسعود أنه قال: كان ناس يعبدون قوماً من الجن فأسلم (٥) الجن وبقي الإنس على كفرهم فأنزل الله - تعالى - ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ (٦) يعني الجن (٧).

وهذا معروف عن ابن مسعود من غير وجه، وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف -رضى الله عنهم- في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول

١- من هنا يبدأ فراغ في أسطر (ف) وليس فيه سقط في الكلام ويظهر عليه آثار إصلاح، كما سبق إيضاحه.

٢- انظر تفسير الطبري ج ٨/ ٩٦.

٣- انظر تفسير ابن كثير ج ٣/ ٤٦.

٤- مابين المعرفين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الصحيح).

٥- إلى هنا انتهى الفراغ في اسطر (ف).

٦- في (د) زاد ﴿أيهم أقرب﴾.

٧- (كتاب التفسير، باب ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ ج ٣/ ١٤٦٠ رقم ٤٧١٤ بلفظ قريب جداً.

الترجمان لمن سألته مامعنى لفظ الخبز؟ فيريه رغيفاً فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه.

وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يتغى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، وهذا موجود في الملائكة والجن والإنس.

وقد اختار [الطبري]^(١) قول من فسرهما / بالملائكة أو بالجن لأنهم كانوا في زمن النبي ﷺ يتغون إلى ربهم الوسيلة، بخلاف المسيح والعزير فإنهما لم يكونا [موجودين]^(٢) على عهده، فلم يكونا حينئذ ممن يتغى الوسيلة، إذ ابتغاء الوسيلة العمل بطاعة الله والتقرب إليه بالصالح من الأعمال، فأما من كان لاسييل له إلى العمل، فبم يتغى إلى ربه الوسيلة، وهذا الذي قاله إن كان صواباً فهو أبلغ في النهي عن دعاء المسيح وعزير وغيرهما من الأموات من الأنبياء والصالحين، فإنه إذا كان الحي الذي يتقرب إلى ربه بالعمل لا يجوز دعاؤه، فدعاء الميت الذى لا يتقرب بالعمل أولى أن لا يجوز؛ وإن كانت الآية تعم هذا وهذا، فهي دالة على ذلك، فدلالته ثابتة على كل تقدير.

١- كذا في (ت) و(ط)؛ وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) الطبراني وهو تصحيف، لأن هذا الاختيار لابن جرير الطبري صاحب التفسير انظر ج ٨/ ٩٧، واختار ذلك أيضاً ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج ٣/ ٤٧ وهو الصواب والله اعلم.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ماجودين).

شمول الآية لكل
من دعا من دون
الله مدعواً

والصحيح أنها تعم هؤلاء وهؤلاء، وذلك أن أولئك^(١) كانوا في حياتهم يتتبعون إلى ربهم الوسيلة، وهو لم يقيد ذلك بزمان النزول بل أطلق، وإذا قال القائل آدم ونوح وإبراهيم وموسى يعبدون الله ولا يشركون به، علم أن مراد هذا دينهم قال تعالى ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار﴾ [سورة المائدة: ٤٤]، كان حكم [النبيون] بها قبل نزول الآية بدهر.

والعرب تقول مرض^(٢) حتى لا يرجونه، وشربت الأبل حتى يجيء البعير فيقول برأسه كذا، ومنه قراءة من قرأ ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول﴾ [سورة البقرة: ٢١٤] وهذا ماض^(٣)، وقد قال -تعالى- ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ [سورة مريم: ٥٨] وهذا قد مضى قبل نزول القرآن والفعل مضارع/ لأنه حكى حالهم في الماضي.

استطرد عن
حكاية الحال عند
النحاة

١١٣

١- في (د) و(ح) هؤلاء.

٢- في (د) مض.

٣- قرأ نافع بالرفع ﴿حتى يقول﴾ والباقون بالنصب، والرفع على تأويله بالحال، والنصب على تأويله بالمستقبل. والاختيار بالنصب لأن جماعة القراء عليه. انظر: تفسير الطبري ج ٢/ ٣٥٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣/ ٣٤ وشرح التحفة الوردية لزين الدين أبي حفص الوردي تحقيق د. عبد الله الشلال ص ٣٧٢ طبعة ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض.

ولهذا تقول النحاة هذا حكاية حال^(١) كقوله ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ [سورة الكهف: ١٨]، فإن قيل: المعروف في مثل هذا أن يقال كانوا يفعلون^(٢)، كما قال - تعالى - ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

قيل : لكن إذا كان في الكلام مايبين المراد لم يحتاج إلى ذلك، لاسيما إذا ذكر ماضٍ وحاضر عمهم الخطاب فهنا يتعين حذف كان، لأن المقصود الإخبار عن حال هؤلاء الحاضرين لا يخبر عنهم بكان، كما تقول : المؤمنون من الأولين والآخرين يعبدون الله لا يشركون به، وإذا أفردت الماضي قلت : المؤمنون كانوا يعبدون الله لا يشركون به^(٣). والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من دون الله، وكل من دعا ميتاً أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها؛ فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن.

ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يُقدِّره الله بأفعالهم، الأنبياء والصالحون لا يملكون كشف الضر ولا تحويله ومع هذا فقد نهى الله - تعالى^(٤) - عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه^(٥) بالكلية ولا يحولونه

١- في (د) و(ح) (هؤلاء) وهي زيادة .

٢- في (د) يفعلونه.

٣- ما بين القوسين سقط من (د).

٤- (تعالى) سقطت من (د).

٥- في (د) و(ح) (ولا يعرفونه) بزيادة واو.

من موضع إلى موضع أيضاً، فلا يرفعونه ولا يحولونه من حال إلى حال كتحغير صفة أو قدره، ولهذا قال ﴿ولا تحويلاً﴾ فذكر نكرة نعم أنواع التحويل، يقال: كشف البلاء أي: إزاله ورفع، ويقال: كشف عنه أي أظهره وبينه، فمن الأول قوله ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ [سورة التحل: ٥٤] وقوله ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في/ طغيانهم يعمهون﴾ [سورة المؤمنون: ٧٥] وقوله ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون﴾^(١) [سورة الأعراف: ١٣٥].

ومن الثاني قوله^(٢) ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [سورة القلم: ٤٢] لم يقل يوم يكشف الساق، وهذا يبين خطأ من قال المراد بهذه كشف الشدة، وأن الشدة تسمى ساقاً، فإنه لو أريد ذلك ل قيل يوم يكشف [الساق]^(٣) أو يكشف الشدة، وأيضاً فيوم القيامة لا يكشف الشدة عن الكفار، والرواية في ذلك عن ابن عباس [ساقطة]^(٤) الإسناد^(٥).

١- في جميع النسخ "فلما كشفنا عنهم العذاب إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون".

٢- في (د) تعالى.

٣- يابض في جميع النسخ وفي هامش الأصل (لعله الساق) قلت: وهو الأقرب للصواب، وفي هامش (د) (عن الشدة).

٤- كذا في (ح) وفي الأصل و(د) و(ف) ساقط.

٥- لم يتنازع الصحابة -رضوان الله عليهم- في شيء من آيات الضافات، إلا في تفسير هذه الآية فرؤي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، وأن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث

الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين . انظر مج ج٦/٣٩٤ ومختصر الصواعق لابن قيم ج١/٢٥.

والروايات عن ابن عباس -رضي الله عنه- أخرجهما الطبري في تفسيره ج١٢/١٩٧ قال: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: هو يوم حرب وشدة. وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف من قبل حفظه. انظر تقريب التهذيب ج١/٧٥ رقم ٣١٥.

ثم قال: حدثنا ابن حميد، قال ثنا مهران، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، عن ابن عباس قال: أمر عظيم، قال ابن كثير في تفسيره ج٤/٤٠٧: عن إبراهيم: عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جريرا. هـ. ولم أجد شك ابن جرير في تفسيره في نسخة مكتبة دار الباز. ثم ذكر روايات أخرى عن ابن عباس وغيره من السلف كقتادة ومجاهد وغيرهم . انظر تفسير الطبري ج١٢/١٩٧ وضعف أثر ابن عباس محمد بن موسى نصر في كتابه صفة الساق لله تعالى بين إثبات السلف وتعطيل الخلف ص٢٣ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية ونقله عن سليم الهلالي في ص٢٦؛ ومشهور حسن في الردود ص ١١٣ وقال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ج١/٢٥ : إنما أثبتوا صفة الساق بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته وهو حديث الشفاعة الطويل (أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ج٥/٢٣٢١ رقم ٧٤٣٩ وفيه «فيكشف عن ساقه» ومن حمل الآية على ذلك قال في قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ مطابق لقوله ﴿فيكشف عن ساقه﴾ وتنكيره للتعظيم والتفخيم، كأنه قال يكشف عن ساق عظيمة. هـ. قلت: وقد وردت أحاديث أخرى صحيحة في صفة الساق انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج١/١٢٤-١٢٩ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

والاستغاثة هي طلب كشف الشدة، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين (أو دعا الملائكة)^(١) أو دعا الجن، فقد دعا [من]^(٢) لا يغيثه، فلا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله.

وقد قال -تعالى- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [سورة الجن: ٦] كان أحدهم إذا نزل بواد يقول: اعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فقالت الجن: الإنس يستعينوننا فزادوهم

الاستغاثة لا يجوز
معلق

وأيضاً يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخير أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه -سبحانه وتعالى- ١. ه صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي عبدالقادر السقاف ط الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الهجرة المملكة العربية السعودية ص ١٣٨.

وبهذا فسر الآية ابن جرير الطبري في تفسيره جـ ١٢/١٩٩ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم جـ ٤/٤٠٧ مع ذكرهم للروايات السابقة وغيرها. وهذا هو الصواب. وإنما منع بعضهم حمل الآية على ذلك لأنكارهم صفة الساق أصلاً، وما علموا أنها ثابتة بالحديث الصحيح المتفق على صحته. وحمل معنى الآية على ماورد عن النبي ﷺ أولى من تفسير الصحابي وإن زعموا الصحة، أما الصحابة وسلف الأمة الذين فسروا الآية بالشدة فهم مثبتون لصفة الساق وليس من التأويل الذي هو صرف الآية عن ظاهرها، بل حكاية لقول أهل اللغة. وللتوسع انظر: صفة الساق لله -تعالى- بين إثبات السلف وتعطيل الخلف تأليف محمد موسى نصر ص ١٥ وما بعدها، والردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي تصنيف مشهور بن حسن ص ١١١ - ١٢١ الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ دار الهجرة.

١- ما بين القوسين سقط من (د).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ما).

رهقا^(١).

وقد نص الأئمة^(٢) كأحمد وغيره على أنه لا يجوز [الاستعاذه]^(٣) بمخلوق^(٤)، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، كقوله «أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق»^(٥) «وأعوذ بكلمات الله التامات كلها من غضبه وعذابه»^(٦) وشر عبادته ومن همزات الشياطين وأن يحضرون^(٧)» «وأعوذ بكلمات الله التامات

١- انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ ٢٦٣/١٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤٢٨/٤٢٩-٤٢٩.

٢- في (د) الآية.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الاستغاثه وفي هامش الأصل (لعل الاستعاذه صواب).

٤- نقل ذلك عن الإمام أحمد الخطابي في معالم السنن جـ ١٠٥/٥ بهامش سنن أبي داود طبعة ١٤٠١ هـ مطبعة المستشرقين، وقاله البخاري في خلق أفعال العباد ص ٨٩.

٥- أخرجه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره) جـ ٤/٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨ بدون قوله «كلها».

٦- في (ف) (عقابه) وهي موافقة لرواية الترمذي وأحمد وغيرهما.

٧- أخرجه الترمذي في (كتاب الدعوات، باب ٩٣) رقم ٣٥٢٨ جـ ٥/٥٤١ وقال الترمذي: حديث حسن غريب وأبو داود في (كتاب الطب، باب كيف الرقى) رقم ٣٨٩٣ جـ ٤/٢١٨-٢١٩ وأحمد في المسند جـ ١٨١/٢ واللفظ للترمذي بدون قوله «كلها» وقد أخرجه غيرهم.

[التي] ^(١) لا يجاوزهن بر ولا فاجر و ^(٢) من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض و(من شر) ^(٣) ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر/ كل طارق إلا طارقاً بخير يارحم» ^(٤).

١١٥

قالوا: والاستعاذة لا تجوز بالمخلوق، وقول القائل أعوذ بالله معناه أستجير بالله، فإذا لم يجوز أن يستغاث بمخلوق لاني ولا غيره، فإنه

وفي الحديث عن عنة ابن إسحاق وهو مدلس قال بشير عيون في حاشية الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم بتحقيقه الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة المؤيد ص ٢١٢: ولكن له شاهد مرسل في الموطأ وابن السني أ.هـ.

١- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (الذى) ولم تظهر في (ح).

٢- سقطت الواو من (د).

٣- ما بين القوسين سقط من (د) و(ح).

٤- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣/ ٤١٩ من حديث عبد الرحمن بن خنبل واللفظ له. وابن السني في (عمل اليوم والليلة، باب من يخاف مردة الشياطين) رقم ٦٤٢ ص ٢٣٨ ومالك في الموطأ في (كتاب الشعر، باب ما يؤمر بالتعوذ منه) رقم ١٠ ج ٢/ ٩٥٠ وأبو يعلى في مسنده رقم ٦٨٤٤ ج ١٢/ ٢٣٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠/ ١٢٧: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال إسنادي أحمد وأبي يعلى وبعض أسانيد الطبراني رجال الصحيح أ.هـ.

وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢/ ٥١٨ رقم ٨٤٠: والإسناد صحيح، ورجاله إلى ابن خنبل على شرط مسلم، وقد اختلفوا في صحبته، وقد اختار الحافظ ابن حجر في الإصابة قول من حزم بأن له صحبة، وهذا الحديث يشهد لذلك، فإنه قد صرح فيه أنه أدرك النبي ﷺ أ.هـ.

لا يجوز أن يقال له: « أنت خير معاذ يستغاث به » بطريق الأولى والأخرى.

ولهذا قال بعض الشعراء لبعض الرؤساء المدوحين:

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به فيما أحـاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره (١)

الكلام على
الفاظ الاستغاثه
والاستعاذه

فقول القائل لمن مات من الأنبياء أو غيرهم بك استجير من كذا وكذا، كقوله بك استعيز، وقوله بك أستغيث في معنى ذلك، إذا كان مطلوبه منع الشدة أو رفعها، والمستعيز يطلب منع المستعاذ منه أو رفعه، فإذا كان مخوفاً (٢) طلب منعه كقوله «أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر» (٣)، وإن كان حاضراً طلب رفعه كقوله (٤) في الحديث

١- البيهقي لأبي الطيب المتنبي - الشاعر المشهور - في مدح جعفر بن كيعل من قصيدة ومطلعها:

حاشي الرقيب فحانته ضمائره
وغيض الدمع فانهلت بوادره

انظر ديوان المتنبي طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار بيروت - لبنان ص ٤١ وقد أسرف في المدح. قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١/ ٢٧٥ بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه كان ينكر على المتنبي، هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا، لجناب الله - سبحانه وتعالى -، وقال ابن القيم سمعت ابن تيمية يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود، أدعو الله بما تضمنه في الذل والخضوع ا.هـ. وقال ابن القيم أيضاً في شفاء العليل في القضاء والقدر ج ٢/ ١٩١: ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله ا.هـ.

٢- في (د) و(ح) لحرف.

٣- رقم ٥٨٨ وأوله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع. يقول: اللهم إني أعوذ بك ... الحديث ».

٤- في (د) كلمة غير واضحة.

الصحيح «أعوذ بعزة [الله]»^(١) وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(٢)
فتعوذ بالله من شر الموجود وشر المحاذر.

والداعي يطلب أحد شيئين، إما حصول منفعة أو دفع مضرة،
فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب،
وقول القائل لا [يستعاذ]^(٣) به ولا يستجار به ولا يستغاث^(٤) به ألفاظ
مقاربة.

ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يدعى ويذكر عنده؛ فإنه
سبحانه يستجار به ويستغاث به هناك، ويتمسك بالتمسك^(٥) بأستار
الكعبة كما يتعلق المتعلق بأذيال من يستجير به، ومنه قول عمرو^(٦) بن

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢- أخرجه مسلم في (كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع
الدعاء) رقم ٢٢٠٢ ج٤/١٧٢٨ من حديث عثمان بن أبي العاص وأوله «أنه
شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا.....».

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (يسغاث) وفي (ف) يستغاث).

٤- في (ف) ولا يستعاذ.

٥- في (د) الممسك.

٦- في (د) عمر والصواب عمرو وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي
الأموي يُعرف بالأشدق قال عنه ابن حجر في فتح الباري ج١/٢٦٤: ليست له
صحبه ولا كان من التابعين لهم باحسان أ.هـ.

وأبو شريح اختلف في اسمه والمشهور أنه خويلد بن عمرو، أسلم قبل الفتح وهو

سعيد لأبي شريح «إن الحرم/ لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً
بخربه»^(١)، وفي الحديث الصحيح «يعوذ عائذ بهذا البيت»^(٢).

١١٦

ومنه قول القائل:

ستور بيتك ذيلُ الأمن منك وقد علقْتُها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لما أن علقْتُ بها خوفاً من النار تدنيني من النار^(٣)
ويسمى ذلك المكان المستحارة^(٤).

وقد كان من السلف من يدخل بين الكعبة وأستارها فيستعيد ويستجير

من خزاعة من بنى كعب بن ربيعة بن لحي بطن من بطون خزاعة، حمل بعض
ألوية قومه، له صحبة توفي سنة ٦٨ هـ بالمدينة. انظر فتح الباري ج٤/٥١.

١- أخرجه البخاري في (كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب) ج١/٦٠ رقم
١٠٤ و واللفظ له بسياق أطول من سياق المؤلف. و(لا تُعِيد) بضم المثناة أوله أي
مكة لا تعصم العاصي عن إقامة الحد عليه. و(لا فاراً) بالفاء والراء المشددة أي:
هازباً عليه دم يعتصم بمكة كيلا يقتص منه. و(بخرية) بفتح المعجمة واسكان الراء
: يعني السرقة كذا ثبت تفسيرها في رواية المستملي، والخربة بالضم يعني: الفساد.
انظر فتح الباري لابن حجر ج١/٢٦٥.

٢- أخرجه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يوم
البيت) ج٤/٢٢٠٨ رقم ٢٨٨٢ من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- وأوله
«دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما -أي عبيد الله
القطيبه- على أم سلمة فسألها عن الجيش الذي يخسف به. وكان ذلك أيام الزبير
ف قالت: «يعوذ عائذ بالبيت ... الحديث».

٣- لم أعرف القائل.

٤- في (ف) المستحار.

بالله ويدعوه ويتضرع إليه هناك.

ويجوز مدح الله والثناء عليه بالنظم وكذلك دعاؤه، كما قال الأسود بن سريع للنبي ﷺ لما نظم شعراً في مدح الله - تعالى - فقال:

استطرد في
الثناء على الله
عز وجل بالشعر

إني حمدت ربي بمحامد، فقال: «إن ربك يحب الحمد»^(١) فلم ينكر عليه ذلك، لكن روى أنه قال ولم يستشده، وروى أنه استشده كما روى الإمام أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله إني مدحت ربي^(٢) بمدحة ومدحتك بأخرى فقال النبي ﷺ «هات وابدأ بمدحة الله»^(٣).

١- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣/٤٣٥ والحاكم في المستدرک في کتاب معرفة الصحابة ج٣/٦١٤ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير ج١/٢٨٢ بالأرقام: ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، والبحاري في الأدب المفرد باب من الشعر لحكمه ص ٢٨٩ رقم ٨٦٤ ط كمال الحوت، واللفظ للحاكم وخسنه العلامة ناصر الدين الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ص ٣٢٠ رقم ٦٦٠ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر دار الصديق الجليل - السعودية.

٢- في (ف) و(د) و(ح) الله.

٣- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣/٤٣٥ ج٤/٢٤، واللفظ له، والحاكم في المستدرک ج٣/٦١٥ كتاب معرفة الصحابة وقال حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: معمر له مناكير واسمه معمر بن بكار السعدي. هـ والطبراني في المعجم الكبير ج١/٢٨٢ رقم ٨١٩ والبحاري في الأدب المفرد باب من مدح في الشعر ص ١٢٥ رقم ٣٤٣ ترتيب كمال الحوت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان وقد ضعفه العلامة الألباني في ضعيف الأدب المفرد ص ٤٥

ولكن ثبت عنه أنه كان يستنشد^(١) الشريد بن السويد الثقفي شعر أمية بن أبي الصلت وهو يقول: هيه هيه^(٢).
وذلك مثل قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهـل ربنا في السماء أمسى كبيراً
[بالبناء]^(٣) الأعلى سبق الناس وسوى [فوق]^(٤) السماء سريراً
شرجعاً ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صوراً^(٥)

رقم ٥٥ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الصديق الجليل وقال: ضعيف بهذا التمام ا.هـ والراجع - والله اعلم - أنه لم يستنشده.

١- في الأصل و(ف) زيادة (هـ).

٢- أخرجه مسلم في كتاب الشعر ولم يوب جـ ١٧٦٧/٤ رقم ٢٢٥٥ ولفظه «قال: ردت رسول الله ﷺ يوماً. فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت نعم: قال «هيه» فأنشدته بيتاً فقال «هيه» ثم أنشدته بيتاً فقال «هيه حتى أنشدته مائة بيت. وزاد في روايه «إن كاد ليسلم».

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (فالبناء) وما أثبت أعلاه هو الموافق لهذه الأبيات في مصادرها.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قو) هكذا.

٥- انظر ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت ص ٣٣-٣٤ (الطبعة الأولى ١٩٣٤م الناشر المكتبة الأهلية بيروت - لبنان) وفيه البيت الثاني قبل الثالث:

ذلك المنشئ الحجارة والموتى أحياءم وكان قديراً

وذكر هذه الأبيات ابن كثير في البداية والنهاية جـ ٢/٢٣٣.

والشرجع هو الطويل. انظر لسان العرب جـ ٨/١٧٩ وقال ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١/١١: الشرجع هو العالى المنيف ولا منافاة فالشرجع وصف للسريـر وهو العرش ا.هـ وصوراً جمع أصور وهو: المائل العنق لثقل حمله. لسان العرب

وقوله:

[زحل]^(١) وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى ليث مرصد^(٢)
وغير ذلك.

ومنه قول النبي ﷺ «إن أخاكم لا يقول الرفث»^(٣) يعني ابن رواحه،

جـ٤/٤٧٤ مادة صور وهم حملة العرش.

١- في جميع النسخ (رجل)، وعند الدارمي وابن كثير في تاريخه وديوان أمية بن أبي الصلت (زحل) وفي المسند

(رجل) كما سيأتي ، ونقل عن المسند ابن كثير في البداية والنهاية جـ٢/٢٣٢
والهيثمي في مجمع الزوائد جـ٨/١٢٧ قوله (زحل) بالزاي وهو الصواب، ولعل
ما في المسند خطأ طباعي.

٢- أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ١/٢٥٦ والدارمي في (كتاب الاستئذان، باب في
الشعر) جـ٢/٦٠٥ رقم ٢٧٠٦ ولفظه عن ابن عباس قال: صدق النبي ﷺ أمية بن
أبي الصلت في شيء من شعره فقال:

زحل وثور ... (البيت) فقال النبي ﷺ «صدق» ... الخ».

وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد صرح بالنعنة، قال الهيثمي في مجمع
الزوائد جـ٨/١٢٧ رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات وفيه ابن إسحاق
مدلس أ.هـ وانظر : البداية والنهاية لابن كثير جـ٢/٢٣٢ وديوان أمية بن أبي
الصلت جمع بشير يموت ص ٢٥.

وزُحَلْ: اسم كوكب. انظر لسان العرب جـ١١/٣٠٣ مادة زحل ، وثور برج من
بروج السماء على التشبيه. لسان العرب جـ٤/١١٢ ماد ثور، ونسر هو أحد
كوكبين في السماء معروفين على التشبيه بالنسر الطائر. لسان العرب جـ٥/٢٠٤
مادة نسر.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب التهجد، باب فضل من تعارَّ في الليل فصلي) برقم

وذلك كقوله الذى أنشده للنبي ﷺ :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

١١٧ / وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا^(١)

وتحملة ملائكة شداد ملائكة الأله مسومينا^(٢)

[وقوله]^(٣)

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

[أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع]^(٤)

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع^(٥)

١١٥٥ ج ١/ ٣٤٤ من حديث أبي هريرة -رضى الله عنه- وطرفه رقم ٦١٥١.

١- في الأصل (وقوله) حيث فصل البيت الثالث وهو خطأ ومخالف لجميع النسخ.

٢- أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٤٦ رقم ٨٢ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ص ٣٤٣ جزء عبد الله بن جابر وعبد الله بن زيد تحقيق د. شكرى فيصل وآخرين (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق - سوريا) واللفظ لابن عساكر. قال بدر البدر في تخريج الرد على الجهمية حاشية ص ٤٧: وطرفه ضعيفة ضعفا لا يقري بعضها بعضها ومتنه منكر ا.هـ.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وتقدمت في الأصل قبل البيت الثالث انظر فقره ٢.

٤- كذا في (ح) وهو الموافق لما ورد في صحيح الإمام البخاري وفي ديوان ابن رواحة -رضى الله عنه- وفي الأصل و(ف) و(د) تأخر هذا البيت بعد الثالث.

٥- هذه الأبيات جزء من حديث أبي هريرة في الفقرة الأخيرة من الصفحة السابقة. أخرجه البخاري في (كتاب التهجد، باب فضل من تعار في الليل فصلى) ج ١/ ٣٤٤ رقم ١١٥٥ وطرفه رقم ٦١٥١ ، وانظر ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره جمع د. وليد القصاب ص ٩٣ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

ومن ذلك ما كان النبي ﷺ والصحابة (١) يتمثلون به:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أردوا فتنه أبيننا (٢)

وهذا النظم فيه دعاء الله (٣)

فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
ومثل هذا البيت قولهم: اللهم ويقال فيه لأهم إن العيش، كما في قول
عبد المطلب:

لاهم إن المرء يمنع رحله (وحلاله) (٤) فامنع جلالك (٥)

الناشر دار العلوم.

١- في (د) رضى الله عنهم.

٢- أخرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة الخندق) رقم ٤١٠٧
جـ ٣/١٢٥٢-١٢٥٣ من حديث البراء بن عازب قال: لما كان يوم الخندق،
وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عنى التراب
جلد بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعت يرنجز بكلمات ابن رواحه، وهو ينقل
التراب فذكر الأبيات: قال ثم يمد صوته بأخرها. وأطرافه رقم: ٧٢٣٦، ٤١٠٥.

٣- في (د) تعالى.

٤- ما بين القوسين سقطت من (د).

٥- هذا البيت لعبد المطلب بن هشام جد الرسول ﷺ قاله يستنصر بالله - عز وجل - على
رد أبرهة حيث أراد هدم الكعبة. فقال: وهو أخذ بحلقة باب الكعبة هذا البيت
دون قوله (وحلاله) ويتلوه:

لا يغلبن صليهن
ومحاهم غلدوا محالك

ومنه قوله ﷺ :

إن تغفر اللهم تغفر جمـ وأي عبد لك لا (١) (٢)

ومنه قول الصحابة (٣):

انظر سيرة ابن هشام ج١/٥١ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج١/٤٤٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج٢/١٧٦.

لاهُم: يريد اللهم، حذفت الالف واللام، انظر لسان العرب ج١٢/٥٥٥ مادة لهم، وسيرة ابن هشام ج١/٥١ وجلالته: بالكسر، القوم المقيمون المتجاورون يريد بهم سكان الحرم. لسان العرب ج١١/١٦٥ مادة حلل.

١- في (د) ما.

٢- أخرجه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم) ج٥/٣٩٦ رقم ٣٢٨٤ عن ابن عباس في تفسيره قوله ﷺ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللثم قال: قال النبي ﷺ وذكر البيت - قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق، والحاكم في المستدرک في كتاب التفسير ج٢/٤٧٠ وقال: ((صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وابن جرير الطبري في تفسيره ج١١/٥٢٧-٥٢٨ في تفسير سورة النجم الآية ٣٢ عن مجاهد قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون - وذكر البيت وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج٤/٢٥٦ ساقه ابن أبي حاتم والبعثي من حديث أبي عاصم النبيل وفي صحته مرفوعاً نظر . ١. هـ.

والراجح أن قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت كما نسب إليه ابن منظور في لسان العرب ج١٢/٥٤٩ مادة لم، وابن كثير في تاريخه ج٢/٢٣٠ وفضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لفضل الله الجيلاني ج٢/٣١٨ الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ الناشر المطبعة السلفية ومكبتها القاهرة - مصر ويتلوه:

إني إذا ما حدثت أماً أقول يا لله هم يا لله همـ

٣- في (د) رضى الله عنهم.

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة^(١)

وكان النبي ﷺ يتمثل به لكن رُوي أنه قال «فاغفر للمهاجرين والأنصار»^(٢)، وهذا دعاء في الشعر وقد أقر الصحابة على قوله، فدل على جوازه.

وإن كان هو ﷺ لا يقول الشعر، فذلك من خصائصه كما قال - تعالى - ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [سورة يس: ٦٩]، فهو ﷺ لم يكن ينظم الشعر ولكن هل تمثل به؟ أو لم يتمثل بشعر؟ فيه نزاع ليس هذا موضعه^(٣).

١- أخرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة الخندق) جـ ٣/ ١٢٥٠ رقم ٤٠٩٩ وطره ٤١٠٠ من حديث أنس يقول: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: ... الحديث « وهذا البيت ينسب لعبد الله بن رواحة، وتمثل به النبي ﷺ. انظر فتح الباري لابن حجر جـ ٧/ ٥٠١.

٢- أخرجه البخاري في الموضع السابق من صحيحه رقم ٤٠٩٨ قال ابن حجر في فتح الباري جـ ٧/ ٥٠١: قوله (فاغفر للمهاجرين والأنصار) وفي حديث أنس بعده (فاغفر للأنصار والمهاجرة)، وكلاهما غير موزون، ولعله ﷺ تعمد ذلك أ.هـ.

٣- والصحيح جواز تمثل النبي ﷺ بشيء من الشعر حاكياً عن غيره، لما ثبت عن المقداد بن شريح عن أبيه عن عائشة قال: قيل لها: هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل ويقول: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود». أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ ٦/ ١٣٨، وغيرهم، وصححه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٥/ ٨٩ رقم ٢٠٥٧، ولا منافاة بين الحديث وقوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [سورة يس: ٦٩] فإن

١١٨

المباح والمذموم من
الشعر

وليس كل الشعر مذموم بل منه ما هو مباح كما / ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «إن من الشعر لحكمة»^(١)، وقد قال - تعالى - ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

فقد استثنى ممن ذمه [الله] ^(٢) من الشعراء من ذكره، فدل ذلك على أنه ليس كل الشعراء مذمومين، وقد ثبت في الصحيح أنه كان ينصب لحسان بن ثابت منبراً ويأمره بهجاء المشركين ويقول «اللهم أیده بروح القدس» ^(٣) وفي رواية «إن روح القدس معك مانفعت عن [الله]» ^(٤)

التمثل بالبيت وإصابة القافية من الرجز وغيره، لا يوجب أن يكون قائلها عالماً بالشعر، ولا يسمى شاعراً باتفاق العلماء.

وللتوسع انظر تفسير الطبري جـ ١٠/ ٤٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٥/ ٥١-٥٣ وغاية السؤل في خصائص الرسول لأبي حفص عمر الأنصاري المشهور بابن الملقن تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله ص ١٣٥-١٣٦ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان وفتح الباري لابن حجر جـ ١٠/ ٦٦٣-٦٦٥ وتفسير ابن كثير جـ ٣/ ٥٧٩.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه) برقم ٦١٤٥ جـ ٤/ ١٩٣٦ من حديث أبي بن كعب.

٢- كذا في (د) و(ح) وزاد في (د) تعالى وسقط لفظ الجلالة من الأصل و(ف).

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد) رقم ٤٥٣ جـ ١/ ١٥٩ وطرفاه رقم ٦١٥٣، ٣٢١٢.

رسوله» (١).

وقد سمع شعر خزاعة لما قدموا عليه حين عدت بنو بكر على
خزاعة وأنشدوه القصيدة المعروفة التي فيها:

إن قريشاً أخلفوك الموعداً ونقضوا ميثاقلك المؤكداً (٢)
إلى آخرها. وكذلك سمع قصيدة كعب بن زهير المشهورة التي أولها:
بانت سعاد (٣).

٤- ما بين المعقوفين من (ح) وهو الموافق للفظ الحديث عند مسلم وأبي داود، وسقط
من الأصل (ف) و(د).

١- أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت) رقم
٢٤٩٠ ج٤/١٩٣٥ والترمذي في (كتاب الأدب، باب ماجاء في إنشاد الشعر)
رقم ٢٨٤٦ ج٥/١٣٨ وأبو داود في (كتاب الأدب، باب ماجاء في الشعر) رقم
٥٠١٥ ج٥/٢٨٠ واللفظ له.

٢- هذا البيت من قصيدة عمرو بن سالم الخزاعي ومطلعها:

يارب إني ناشداً محمداً حلف أبيه وأبيننا الأتلداً

انظر السيرة لابن هشام ج٤/٣٩٤ ومنح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح
الرسول ﷺ لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمرى المشهور بابن سيد الناس
تحقيق عفت وصال حمزه ص ١٦٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار الفكر
دمشق - سوريا)، وسياق ابن هشام يخالف سياق المؤلف.

٣- هذه القصيدة لأبي المضرب كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني من أهل نجد،
اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجأ النبي ﷺ وشب بنساء المسلمين، فأهدر
النبي ﷺ دمه، فضاقت عليه الأرض، وجاء إلى النبي ﷺ مستأثماً وقد أسلم، وأنشده
لاميته المشهورة التي مطلعها:

إلى غير ذلك من الأدلة الشرعية التي تدل على أن من الشعر ما يجوز إنشاده^(١) وإنشاؤه واستماعه، ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها؛ وأنها كما قيل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق^(٢).

الخروج عن
المشروع قد
يؤدي إلى
الشرك

إذ الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة عن هؤلاء يصلّون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ونحو ذلك، ويسجد لقبره، ومنهم من يستقبل القبر ويصلي إليه مستدبراً الكعبة، ويقول القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً، وهو

بانت سعاد قلبي اليوم متبولٌ متيم إثرها لم يفد مكبولٌ
ومنها:

تُبْتُ أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولٌ

فحقاً عنه النبي ﷺ وخلع عليه برده، ولذلك سميت البردة. توفي سنة ٢٦هـ وقد انظر السيرة لابن هشام ج٤/٥٠٣ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤/٣٥ وقصيدة البردة لكعب بن زهير شرح أبي البركات ابن الأنباري دراسة وتحقيق د. محمود زيني دحلان ص ٧٩٠ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر مكتبة تهامة الرياض - السعودية والأعلام ج٥/٢٢٦.

١- (إنشاده) سقطت من (د).

٢- رويت هذه الحكمة عن مالك بن أنس - رحمه الله - إمام دار الهجرة. انظر ذم الكلام ص ١٧٤ خ نقلاً عن العقيدة السلفية القسم الخامس قسم مواقف السلف مالك بن أنس تأليف محمد عبدالرحمن المغراوي ص ٣٠ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار الخرج السعودية.

شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه، يقوله في شيخه^(١).
 وآخر / من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد
 في العبادة والزهد؛ يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ
 فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور
 يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب،
 مالا يجده أحدهم في [مساجد الله التي]^(٢) أذن الله أن ترفع ويذكر
 فيها اسمه.

وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك
 حج المشاهد، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان^(٣) الملقب

حج القبرية إلى
 القبور وأقوالهم في
 ذلك

١- نقل أحمد أبو العباس المرسى عن شيخه الشاذلي قريباً من هذا قال: يقول الشاذلي:
 لو كان الحق سبحانه يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة للقطب الغوث
 أولى من التوجه للكعبة. هـ انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢/ ١٣.
 ويقول شيخ الرافضة المجلسي: استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه
 الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحال. هـ ورجح المجلسي أيضاً
 وجوب اتخاذ القبر قبلة في الصلاة. انظر: أصول مذهب الشيعة ج ٢/ ٤٧٣-٤٧٤.
 ٢- كذا في (ف) و(د) وزاد في (د) تعالى بعد لفظ الجلالة وفي الأصل (المساجد الذي)
 وفي (ح) (مساجد التي).

٣- الشيخ محمد النعمان: هو أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري، يلقب بالشيخ
 المفيد، رافضي من الإمامية، انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه، ولد سنة ٣٣٦ هـ
 ونشأ في بغداد، كثير التصانيف، له نحو مائتي مصنف، منها "إيمان أبي
 طالب" و"الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام" كانت له رتبة في الدولة
 البويهية، وربما زاره عضد الدولة. كان يستأجر الصبيان الأذكياء، وبذلك كثر

بالمفيد - أحد شيوخ الإمامية - كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة عن أهل البيت مالا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ؛ وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحنجاً فالمعنى واحد، ومن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا، فيجعل الحج إلى القبر لآل بيت الله - عز وجل -، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لالحج البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه [الاستغاثة] ^(١) بالنبي ﷺ في اليقظة والنام ^(٢)، وهذا الضال استعان بهذا الكتاب، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده؛ ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجعل هذا من

تلامذته. مات سنة ٤١٣ هـ وله ٧٦ سنة. انظر: السير ج ١٧/ ٣٤٤ ترجمه رقم ٢١٣ والأعلام ج ٧/ ٢١١.

واسم كتابه كاملاً: "مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عني إليهم من المقيمين والزوار". انظر التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢١٧ ولم أجد من ذكر هذا الكتاب.

وكب الرافضة الداعية لزيارة القبور كثيرة حتى قال أحد شيوخهم اليوم وهو أغا برزك الطهراني في كتابه "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" ج ٢٠/ ٣١٦-٣٢٦ إن ماصفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري ج ٢/ ٤٦٧.

١- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل استغاثة.

٢- يريد بذلك أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المزالي المالكي وسبق التعريف به وبكتابه.

مناقبه، فإن كان هذا مستحباً فينبغي / [لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده] ^(١) ولا يذهب إلى مكة؛ فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل، وهذا لا يفعله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة، على طريقة ابن سبعين ^(٢) قيل عنه أنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة: « مكة ، وبيت المقدس ، [والبندر] ^(٣) الذي للمشركين بالهند، » وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود ودين النصارى حق، وجاء بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يدك، قال: على دين اليهود والنصارى أو المسلمين، فقال له: اليهود والنصارى ليسوا

تعظيم بعض
الشيوخ لابن
سبعين مع ضلاله
وزندقته

١- مابين المعقوفتين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٢- ابن سبعين: هو أبو محمد قطب الدين عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين الإشبيلي. ولد سنة ٦١٣ هـ في الأندلس، وانتقل إلى سبته، وحج واشتهر أمره. من القائلين بوحدة الوجود. يقول باكتساب النبوة، وأنها فيض يفيض على العقل. له كتاب "الحروف الوضعية في الصور الفلكية" و"أسرار الحكمة المشرقية" وكتاب "الهو" وغيرها. أقام في مكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن نُمي، وجاور في غار حراء بعض الأوقات يربحى أن يأتيه الوحي. يقول عن الطائفين حول البيت: كأنهم الحمير حول المذار ونقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال. هلك سنة ٦٦٩ هـ بعد أن مات نزفاً، حيث فصد فترك الدم يسيل. انظر البداية والنهاية ج٢٩/١٣ و الأعلام ج٢٨٠/٣. وسيأتي ذكر بعض كتبه في دعاء الكواكب وعبادتها.

٣- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) البد.

كفاراً؟! [قال] (١) : لا تشدد عليهم، لكن دين الإسلام أفضل.

ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت لكن قد يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثاً كان كحجة (٢)، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم يعرفون بها، كما يُعرف المسلمون بعرفات، كما يفعل هذا بالمشرق والمغرب (٣).

ترجيح بعضهم
الحج إلى القبور
على الحج إلى
البيت

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل سقطت اللام.

٢- وهذا كثير عند الرافضة وإليك مثال ذلك: يقول روح الله خميني في كشف الأسرار ترجمه للعريه د. محمد البنداري وعلق عليه سليم الهلالي وقدم له د. محمد الخطيب ص ٨٣-٨٤ (الطبعة الثانية الناشر دار عمار عمان - الأردن): ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر - واعظ أهل الحجاز - قوله: إني ذهبت إلى الصادق عليه السلام، وسألته: ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبي قبره؟ فرد على سؤالي يا أبا عامر! لقد روى أبي عن جده الحسين بن علي، بأن رسول الرسول قال لأبي: .. وذكر أن قبور الأئمة من بقاع الجنة وغير ذلك) ثم قال: إن من يبي قبوركم؛ ويأتي إلى زيارتها، يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس. ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياياه ويصبح كمن ولدته أمه توتاً. اهـ. [كذا العبارة ركيزة في الأصل]، ثم أخذ الخميني في شرحها. وجاء في بعض كتبهم أن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وجاء في أخرى أنها تعدل ثلاثين حجة زاكية متقبلة مبرورة مع رسول الله ﷺ، وزادت في روايات أخرى حتى وصلت سبعين حجة مع رسول الله ﷺ، وثمانين حجة. انظر: أصول مذهب الشيعة ج ٢/٤٥٢ وما بعدها.

٣- في (ف) (المشرق والمغرب) وفي (د) و(ح) (في المغرب والمشرق).

والتعريف: هو اجتماع الناس يوم عرفة في غير عرفة في المساجد لذكر الله - تعالى -

ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقرى الذى يعظمه أفضل من الحج، ويقول أحد المريدين للآخر وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق أتبيعي زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع؟ فشاور الشيخ، فقال: لو بعث لكنت مغبوناً، ومنهم من يقول: من^(١) طاف بقبر الشيخ سبعاً كان كحجة ومنهم من يقول: زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة، ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبره كحجة؛ ويوم القيامة لا أبيع^(٢) بحجة، وأنكر بعض الناس ذلك/ فتمثل له

تفضيل بعضهم
السفر إلى القبور
على السفر إلى
الحج

١٢١

وهذا اختلف فيه ، ففعله ابن عباس وعمرو بن حريث -رضي الله عنهما- من الصحابة وطائفة من التابعين ورخص فيه الإمام أحمد ولم يستحبه. ونهى عنه وأنكره عبدالرحمن بن أبي بكره وابن المسيب وإبراهيم النخعي والإمام مالك وأبو حنيفة وغيرهم. قال أبو بكر الطرطوشي : فاعلموا رحمكم الله أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لا غيرها، ولم يمنعوا من خلا بنفسه فحضرت نية صادقة أن يدعوا الله -تعالى-، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من السنة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع للدعاء. اهـ انظر المصنف لابن شيبه ج٣/٢٨٧ وكتاب الحوادث والبدع تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ص ١٢٦-١٢٧ والمغنى لابن قدامة وبهامشه الشرح ج٢/٢٥٩ واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ج٢/٦٤٣.

هذا موقف أهل العلم المحيذين والمائمين فكيف إذا كانت عند القبور وبذكر غير الله -تعالى- وقد ورد النهي عن تعظيم القبور والدعاء عندها.

١- (من) سقطت من (د).

٢- في (د) و(ج) أسع.

الشیطان بصورة الشیخ في منامه وزبره^(١) على إنكاره ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إبراهيم إمام الخنفاء، وليسوا من عمار المساجد الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٨]، فعمار مساجد الله لا يخشون إلا الله، وعمار مساجد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله.

خشية بعضهم
للميت اعظم من
خشية الله

حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لا يخشون^(٢) فيما يفعلونه من القبائح؛ كان [إذا رأى]^(٣) قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة خشي من فعل [الفواحش]^(٤)، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال؛ ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بإبراهيم^(٥) قال تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ

١- في هامش الأصل (صوابه وزجره)، قلت : بل هو تفسير لها ، فالزَّجْرُ : الزجر ، وزَّجَرَهُ : نهاه واتهره. انظر لسان العرب ج ٤ / ٣١٥ مادة زبر

٢- في (د) و(ح) ولا يتحاشون.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) بذي.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الواخش).

٥- في (د) عليه السلام.

ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما
أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله
ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم
تعلمون* (١) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون ﴿[سورة الأنعام: ٨٠-٨٢].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله ، والشيخ الحي المتعلق به
كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي
فالحلال ماحلله والحرام / ماحرمه، وكأنهم (٢) قد عزلوا الله عن أن
يتخذوه إلهاً، وعزلوا محمداً ﷺ عن أن يتخذوه رسولا.

١٢٢

وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام؛ أو التابع لهم الحسن الظن
بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت؛ إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه
أو غير ذلك، فيدخل ذلك (٣) السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ
يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولا إلى (٤) السلطان
فلان، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى!! وفيه من الكذب
والجهل مالا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه!! ويأكلون

كذب القبرية
على الناس وأكل
أموالهم بالباطل

١- في (ف) و(د) و(ج) قال الله تعالى.

٢- في (د) و(ج) وكانوا.

٣- في (ف) فراغ في وسط السطر، وعليه آثار إصلاح، وليس فيه سقط في الكلام.

٤- إلى هنا انتهى الفراغ في وسط السطر في (ف).

من النذور وما يؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به في معنى قوله (١) ﴿إِنْ كَثُرَ مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلْنَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٤]، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق ويصدون عن سبيل الله، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

والله - تعالى - لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها (٢) له، قال تعالى ﴿قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩] وقال تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٧-١٨]، وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبُيُوعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الحج: ٤٠] /

١٢٣

ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت الأصنام والمشاهد، ولا ذكر بيوت النار، لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب. فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى

١- في (د) تعالى.

٢- في (د) فإنها.

والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً.

بخلاف [بيوت] ^(١) الأصنام وبيوت النار وبيوت الصابئة المشركين، كالذين يسمونه هيكل العلة الأولى، هيكل العقل، هيكل النفس، هيكل زحل، هيكل المشتري، هيكل المريخ، هيكل الشمس، هيكل عطارد، هيكل الزهرة، هيكل القمر ^(٢)، فإن هذه البيوت ليس في أهلها مؤمن ولم يكن في أهلها عبادة أمر الله بها، فبيوت الأوثان ^(٣) وبيوت النيران ^(٤) وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها، ولم

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢- هذه الهياكل للصابئة المشركين يجعلون لكل كوكب هيكلًا مخصوصاً، وهذه الكواكب عبادات ودعوات مخصوصه، ويصورونها في تلك الهياكل، ويتخذون لها أصناماً تخصها، ويقربون لها القرابين. انظر الملل والنحل ج٢/٤٩-٥٠، وإغاثة اللفهان لابن القيم ج٢/٣٦٠.

٣- بيوت الأوثان: هي بيوت للأصنام تعظم ويهدى لها، ولها سدة وحجاب، ويطاف بها، وينحر عندها، مثل بيت مناة وكان على ساحل البحر بين مكة والمدينة، وبيت اللات بالطائف، وبيت العزى وغيرها، ومن بيوت الأوثان بيت بمولتان وبيت سدوسان بالهند، وغيرها انظر الملل والنحل ج٢/٢٤٣ وإغاثة اللفهان ج٢/٣٠٨-٣١٥.

٤- بيوت النيران للمحوس وهم يعظمون النار، ومن أهم هذه البيوت: بيت نار بطوس، وآخر بمدينة بخارى، ولبهمن بيت بسجستان يدعى كركو، ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى يدعى قباذان، وجدد زرادشت بيت نار بسابور، وفي بلاد الروم على أبواب القسطنطينية (استامبول اليوم) بيت نار اتخذها سابور بن أردشير فلم يزل كذلك إلى أيام المهدي، وفي الهند والصين بيوت نيران وغيرها كثير. انظر الملل

يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ ، قال تعالى ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجدا﴾ [سورة الكهف: ٢١]، فهؤلاء الذين اتخذوا على أهل الكهف مسجدا كانوا من النصارى^(١)، الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي رواية «والصالحين»^(٢).

وفي الصحيحين عنه أنه لما ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر حُسْنُهَا وتصاويرها، فقال «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»^(٣) فجمع بين التصاوير والمقابر، وفي الصحيح عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- [ألا ابغثك]^(٤)

الصور والتماثيل
والمقابر
وحكمها في
أماكن العبادة

والنحل ج١/٢٥٤.

١- انظر تفسير ابن جرير الطبري ج٨/١٩٧ في تفسير سورة الكهف الآية ٢١ وتاريخ الأمم والملوك ج١/٣٧٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج٢/١١٤.

٢- سبق تخريج هذا الحديث، وأما لفظ «الصالحين» فأخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) ج١/٣٣٧ رقم ٥٣٢ ولفظه «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد...» الحديث.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مسجدا) برقم ٤٢٧ ج١/١٥٢ واطرافه ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٣. ومسلم في (كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور) رقم ٥٢٨ ج١/٣٧٦. والنسائي في (كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد) رقم ٧٠١ ج٣/٤٠ وأحمد ج٦/٥١ بألفاظ متقاربة وقريبة من لفظ المؤلف.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لا بعتك).

على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا
سويته ولا تمثالاً إلا طمسته»^(١) وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لم
يدخل الكعبة حتى أخرج ما فيها من التماثيل^(٢).
وقد روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: «إننا
لاندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها»^(٣).

حكم الصلاة
في الكنيسة

وقد تنازع الفقهاء في الصلاة في الكنيسة، وقال البخاري: قال
ابن عباس: لا بأس في الصلاة في الكنيسة^(٤)، وقيل يكره مطلقاً، وقيل

١- أخرجه مسلم في (كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر) ج ٢/٦٦٦ رقم ٩٦٩.
٢- أخرجه البخاري في (كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة) برقم ١٦٠١
ج ١/٤٧٧ من حديث ابن عباس ولفظه «أن رسول الله ﷺ لما قدم، أبى أن
يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل ...
الحديث» وطرفه ٤٢٨٨، ٣٣٥٢.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة تعليقاً) ج ١/١٥٥
وعبدالرزاق في مصنفه ج ١/٤١١ ورقم ١٦١٠، ١٦١١ موصولاً عن أسلم مولى
عمر حين قدم الشام صنع له رجل من النصارى طعاماً، وقال لعمر: إني أحب أن
تحييني، وتكرمني أنت وأصحابك، وهو رجل من عظماء النصارى فقال عمر: «...
الأثر». ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ج ٢/٢٣٢ تحقيق سعيد عبدالرحمن
القرظي الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ودار عمار عمان - الأردن.

٤- أخرجه البخاري في الموضع السابق ج ١/١٥٥ ولفظه: وكان ابن عباس يصلي في
البيعة إلا بيعة فيها تماثيل قال ابن حجر في فتح الباري ج ١/٧٠٠: وصله البغوي
في الجعديات وزاد فيه: فإن كان فيها تماثيل خرج فصلى في المطر.
ومذاهب العلماء في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب كما ذكر المؤلف أعلاه، وهي:

يرخص فيها، والصحيح أنه إن كان فيها تماثيل كانت بمنزلة المساجد
المنبئة على القبور، ومنزلة دار الأصنام، فالمصلي فيها مشابه لمن يعبد
غير الله، وإن كانت [نيته] ^(١) الصلاة لله، كما أن المصلي عند طلوع
الشمس وعند غروبها لما شابه من يعبد غير الله نُهي عن ذلك سداً
للذريعة، وأيضاً فالملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، فكيف يصلى فيه؟
ولهذا لم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى أزيلت الصور، بخلاف الكنيسة
التي لا صور فيها، فإن قيل: تكره لكونها محل الكفر، قيل: الصلاة في
محل الكفر بمنزلة فتح دار الكفر فجعلها دار إسلام؛ ومنزلة صلاة
المسلمين في دار الحرب، وقد أمر النبي ﷺ ثقيفاً أن يتخذوا مسجدهم
موضع بيت اللات ^(٢) بعد هدم اللات، وكانوا يسمونها الربة.

المنع مطلقاً وقال به الإمام مالك وبعض الشافعية، والإذن مطلقاً وقال به ابن حزم
في المحلى وبعض أصحاب الإمام أحمد، والثالث: المنع من الصلاة في الكنيسة أو
البيعة إذا كان فيها صوراً أو تماثيل وقال به جمع من أصحاب الرسول ﷺ والتابعين
ورجحه المؤلف، وهو الراجح والله اعلم.

انظر المحلى تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ج ٤/ ٨١ (طبعة
المكتب التجاري بيروت لبنان)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ١/ ١١٥ (الطبعة
الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان)، وفتح الباري لابن حجر
ج ١/ ٦٩٩-٧٠٠

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (نية).

٢- أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد) رقم ٤٥٠ ج ١/ ٣١١
من حديث عثمان بن العاص ولفظه «أن النبي ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف
حيث كان طواغيتهم». وابن ماجه في (أبواب المساجد، باب أين يجوز بناء

ولهذا فضل ذاكر^(١) الله في الغافلين، وقيل^(٢): إنه كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس^(٣)، فالعابد بين أهل الكفر والغفلة أعظم أجراً من غيره، فإن^(٤) قيل الصلاة فيها غضب لهم، قيل له: الكنائس ليست ملكاً لأحد، وليس لهم أن يمنعوا من يعبد الله؛ لأننا صالحناهم على هذا، بل قد شرط عليهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن يوسعوا أبوابها للمارة. / ١٢٥

ومن ذلك أن هؤلاء المشركين من الصابئة ونحوهم لما كانوا يعبدون الكواكب والملائكة؛ وربما سموها العقول والنفوس وجعلوها

مناظرة بين
الحنفاء والصابئة

المساجد) رقم ٧٢٨ ج١/ ١٣٤ ضعه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص ٥٨
رقم ١٥٩ (الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ المكتب الإسلامي بيروت)

١- في (د) ذكر.

٢- (وقيل) سقطت من (د).

٣- هذا النص قطعة من حديث أخرجه الحسين بن عرفة في جزئه تحقيق عبدالرحمن الفريوائي الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الناشر مكتبة دار الأقبى الكويت ص ٦٦-٦٧ رقم ٤٥ ولفظه «... وذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحت ورقه من الصريد» الصريد أي البرد.

ومن طريقه أبي نعيم في الحلية ج١/ ١٨١ والبيهقي في شعب الإيمان (باب في محبة الله، فصل في إدانة ذكر الله) ج١/ ٣٣٤ بعناية عزيز بيك القادري النقشبندى الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ بمجيد آباد الهند. ضعه العلامة العراقي في تخريج الإحياء ج١/ ٢٤١ رقم ٩١٩، والعلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ج٢/ ١٢٠ رقم ٦٧١ (الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض - السعودية)

٤- في (ف) و(د) و(ح) وإن.

وسائط بين الله وبين خلقه، وأهل التوحيد لا يعبدون إلا الله^(١)،
ويطيعون رسله الذين أمروا بعبادته وحده لا شريك له.

فقلت الصابئة المشركون للحنفاء: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم
تتخذون البشر وسائط؛ فديننا أفضل من دينكم، فأخذ يعارضهم طائفة
من النظار [كالشهرستاني]^(٢) في كتابه المعروف بالملل والنحل^(٣)
وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيات العلوية،
وناظروهم مناظرة يعرف تقصيرهم فيها؛ لأنهم بنوها على أصل فاسد
وهو مقايسة وسائط المشركين بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين
الحنفاء، فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله - تعالى - واسطة في العبادة
والدعاء والاستعانة، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة،
وإنما الرسل بلغتهم عن الله - عز وجل -^(٤) ما أمر به وأحبه من العبادات
وغيرها، وما نهى عنه فهم وسائط في التبليغ والدلالة، وهم مع المؤمنين

١- في (د) تعالى.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كالشهرستاني).

٣- انظر ج ٢/٦-٤٨ وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء
والمتكلمين تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي راجعه وعلق عليه طه
عبدالرؤوف سعد ص ٣٢٣-٣٢٥ (الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار الكتاب
العربي بيروت - لبنان وبذيله تلخيص المحصل للطوسي) فقد ذكر أدلة الفلاسفة
على تفضيل الروحانيات ولم يرد عليها أو يذكر أدلة المسلمين، وعلق طه
عبدالرؤوف سعد بقوله: في هذا الكلام خبط كثير وأخذ في الرد عليه.

٤- ما بين الشرطتين في (د) تعالى.

كدليل الحاج مع [الحجاج]^(١)، وكإمام الصلاة مع المصلين، فالرسل - صلوات الله عليهم وسلامه- يعرفون الناس طريق الله -تبارك وتعالى- ؛ كما يعرف دليل الحاج طريق مكة -[شرفها]^(٢) الله- ثم الناس يعبدون الله كما أن الحاج يقيمون مناسك الحج، والرسل أيضا يقتدى بهم في الأفعال التي يتأسى بهم فيها، كما يقتدي المأموم بالإمام في الصلاة، وكل مصل يعبد ربه منه إليه (بلا واسطة)^(٣)، وأولئك الصابئة من الفلاسفة غاية سعادة النفوس أن تصل إلى العقل الفعال.

وساطة الرسل بين
الرب - تعالى -
وعباد

وأصحاب / [رسائل]^(٤) إخوان الصفا^(٥) صنفوا رسائلهم على

١٢٦

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الحاج.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل شرفه.

٣- ما بين القوسين في (د) (بواسطة).

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (وسائل).

٥- إخوان الصفا: هم فرقة من فرق الباطنية تهدف ظاهراً إلى التآلف والتصافي، ومذهبهم مزيج من أقوال الفلاسفة، والباطنية، والمعتزلة، يتظاهرون بالتشيع، ولهم مذهب في الكواكب والأفلاك وأثرهما في عالم الكون والفساد ويقولون بالفيزياء وعدد رسائلهم اثنتان وخمسون جعلوها في أربعة أقسام، وقد كتبوا أسماءهم طبعت في لبيز سنة ١٨٨٣م وفي بومباي سنة ١٨٨٦م وفي مصر سنة ١٨٨٩م وغيرها. انظر كتاب إخوان الصفا تأليف عمر الدسوقي ص ٤٨ وما بعدها (الطبعة الثالثة الناشر دار النهضة مصر-القاهرة). ومقدمة رسائل إخوان الصفاء لبطرس البستاني ج ١/٥- ٢٠ (طبعة ١٣٧٦ الناشر دار صادر ودار بيروت-لبنان). وتاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب تأليف محمد لطفي جمعة ص ٢٥٣-٢٥٧ الناشر المكتبة العلمية.

أصول هؤلاء ممزوجة بما أخذوه من دين الحنفاء، وأرادوا بزعمهم أن [يجمعوا]^(١) بين الحنفية والصابئة، فضلوا وأضلوا، وأما الحنفاء فعندهم أنه مامن عبد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب وترجمان^(٢)، وعندهم أن الملائكة عباد الله يفعلون ما أمرهم الله به، ومن أثبت أن دون الله روحاً يكون مبدعاً للعالم فهو أكفر عند الحنفاء من مشركي العرب، فإن مشركي العرب كانوا يقولون بأن الله خالق كل شيء، لا يثبتون دونه شيئاً أبدياً^(٣) العالم، ولما قال من قال منهم: إن الملائكة بنات الله؛ لم يجعلوا الملائكة مبدعة للعالم.

وأما هؤلاء الفلاسفة [يقولون]^(٤) إن الصادر الأول عن العقل الأول؛ وأن كل ماسواه صادر عنه، فالعقل الأول هو رب كل ماسوى الله^(٥) عندهم، وكذلك كل عقل هو مبدع ماسواه عندهم، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر فهو عندهم مبدع ماتحت فلك القمر.

١- كذا في (ج) وفي الأصل (ف) و(د) يجمع.

٢- يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد) ج٢/١٤١٣ رقم ١٤١٣ وأطرافه رقم ٧٥١٢، ٧٤٤٣، ٦٥٣٩ ومسلم في (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) ج٢/٧٠٣ رقم ١٠١٦ من حديث عدي بن حاتم.

٣- في (د) (أبدأ) وفي (ج) ابدء.

٤- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (يقول) وفي (ج).

٥- في (د) تعالى.

ومعلوم أن المسلمين واليهود والنصارى ومشركي العرب وغيرهم لا يجعلون أحداً من دون الله أبدع كل ما تحت السماء، وهؤلاء يجعلون الملائكة التي أُنشئت بها الرسل هي العقول والنفوس التي زعموها، ومنهم من يجعل العقل الأول هو القلم؛ ويجعل النفس هي اللوح، ومنهم من يحتاج بالحديث الموضوع « أول ما خلق الله العقل »^(١)، مع أنهم حرفوا لفظه

١- روى الحديث بأسانيده ابن الجوزي في الموضوعات ج١/١٧٤-١٧٦ من طريق أبي هريرة -رضي الله عنه- ثم قال وهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ فيه الفضل قال عنه يحيى بن معين: رجل سوء، وحفص بن عمر قال عنه ابن حبان: يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به، وأما ماروي من طريق أبي أمامة فقال: هذا حديث لا يصح، فيه سعد وعمر وأبو غالب مجهولون منكرو الحديث ولا يتابع أحد منهم على حديثه. وروى بسنده عن الدار قطني قال: كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن الحخير فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، فسرقه عبدالعزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد آخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد آخر . ١هـ.

وقد بين وضع الحديث الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة تصحيح عبد الله محمد الصديق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف ص ١١٨ رقم ٢٣٣ (طبعة ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي - مصر ومكتبة المثنى ببغداد - العراق) ، والعلامة جلال الدين السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج١/١٢٩-١٣٠ (الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان)، والعلامة إسماعيل بن محمد العلجوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث ج١/٢٣٦-٢٣٧ رقم ٧٢٣ (الطبعة الثانية سنة ١٣٥١ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان)

فرووه^(١) «أول» [بالضم]^(٢)، وإنما لفظه «أَوَّلَ ما خلق الله العقل قال: له أقبل فاقبل ثم قال: له أدبر فأدبر» وفي لفظ^(٣) «لما خلق الله العقل قال له ذلك»، فالحديث حجة على نقيض مذهبهم، فكيف وهو موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وقد بسطت الكلام على هذه الأمور في موضع آخر.

وهذا قد يوجد في كلام أبي حامد [و]^(٤) كثير من [متأخري]^(٥) المتصوفة والمتكلمين، أدخلوا^(٦) في دين الخفاء من دين المشركين، حتى صنف بعضهم تصنيفاً في ذلك مثل مصنف الرازي في "السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم"^(٧)، وآخرون صنفوا في الحروف وطبائعها

١- في (د) (فراوه).

٢- في الأصل (بالظم).

٣- في (د) لفظه.

٤- كذا في (ح) وسقطت من الأصل (ف) و(د).

٥- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل متأخر.

٦- في (د) أدخلوه.

٧- سبق التعليق على كتاب السر المكتوم للرازي، وقد ذكر الرازي بعض مباحث هذا الكتاب في كتابه المطالب العاليه من اتخاذ القرابين وتعظيم المزارات وسؤال الموتى انظر المطالب العاليه ص ٢١٦، ٢١٩-٢٢٣، ٢٤٣ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ج ٢/٦٦٧.

والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات^(١)، كما صنف [بعضهم في دعاء المقبور]^(٢)، ودعاء المقبور من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ^(٣) المشرق وتكلم معي في هذا، فبينت له فساد

١- ممن ألف في الحروف محي الدين ابن عربي وادعى أن لها أسراراً مثل كتاب "السبعة"، وهو كتاب البيان والحروف الثلاثة. له رسالة الألف ورسالة الميم والواو والنون وكتاب الياء ضمن رسائل ابن عربي طبعة حيدر آباد الهند. انظر تاريخ فلاسفة الإسلام تأليف محمد لطفي جميعه ص ٢٥٩.

وصنف ابن سبعين في علم الحروف والأسماء مثل كتاب الدرج له صنفه في الحروف وارتباطها بالأفلاك قال فيه ص ٣٢ - نقلاً عن كتاب ابن سبعين للتفتازاني ص ١٤١ - :واعلم أن علم الحرف علم شريف وسر لطيف من تأليف إدريس - عليه السلام - حل رموزها وفك معانيها أرسطاطليس اليوناني لأجل الإسكندر ... ١. هـ. وله ((لسان الفلك الناطقة عن وجه الحقائق))، ((ولحة الحروف)) وغيرها. انظر: ابن سبعين وفلسفته الصوفية تأليف د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ص ١٤٠-١٤٣ الطبعة الأولى ١٩٧٣م الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت-لبنان. وقد ادعى الباطنية أيضاً أن للحروف أسراراً، وقد ذكر اليمنى في عقائد الثلاث وسبعين ج ٢/٥٣٣-٥٣٥ طرفاً من أقوالهم فيها ورد عليهم.

٢- بياض في جميع النسخ بمقدار ثلاث كلمات، وفي هامش (ف) مكتوب بياض في الأصل. وما بين المعقوفين يقتضيه السياق وقد صُنف في دعاء المقبور بعض المؤلفات قال العلامة سليمان بن عبد الله في التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢١٧ - في الكلام على دعاء المقبور - : ((حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً سماه مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عني عليهم من المقيمين والزوار ، وصنف بعضهم كتاباً سماه "روضة الأبرار في دعوة الأولياء الأخيار في الشنائد المدلّمة الغزار))

هذا، فقال: أليس قد قال النبي ﷺ «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»^(١)، فقلت هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي ﷺ. أخذ من علماء الحديث وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن»^(٢) وفي الحديث الآخر الصحيح «لتسلكن أمتي مسالك الأمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا يا رسول الله: فارس والروم؟ قال:

الفرق بين اليهود
والنصارى
ومقالات الفلاسفة

١- هذا الحديث موضوع، ذكره العلجوني في كشف الخفاء جـ ١/ ٨٥ وعزاه لابن كمال باشا، وبين وضعه ابن القيم في إغاثة اللهفان جـ ١/ ٣٣٣، ومحمد نسيب الرفاعي في التوصل إلى حقيقة التوصل المشروع والمنوع ص ٢٥٢ الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ. وغيرها.

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لتبعن سنن من كان قبلكم») ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى جـ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩ ولفظ الصحيحين «... شبراً بشبراً وذراعاً بذراعاً...» وأما لفظ «... حذو القذة بالقذة...» فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ ١٢٥/٤.

والقذة: أي كل واحدة منهما على قدر صاحبها. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ ٢٨/٤.

ومن الناس إلا هؤلاء»^(١) فاتخاذ القبور مساجد هو من فعل اليهود والنصارى. وأما الخروج عن الملة بالكلية إلى دعوى الكواكب واتخاذ العلويات وسائط في العبادة كمقالات الفلاسفة؛ فهذا ليس من دين اليهود والنصارى ولا فارس والروم المنتصرة، بل هو^(٢) من فعل الروم الصابئة والمشركين كالفلاسفة الذين كانوا بمقدونية^(٣)

الكلام على دين
الروم قبل النصرانية

١- أخرجه الحاكم في المستدرک ج١/ ١٢٩ كتاب العلم ولفظه «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم إن شيراً فشير وإن ذراعاً فذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتم فيه، ألا إن بنى إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، وأنها افترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم، ثم أنهم [كذا] يكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم». وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ج١٧/ ١٣ رقم ٣ كلاهما من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ج٢/ ٣٩ رقم ٥٦٣٤: كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب وفي نسخة: منهم من نسبه إلى الكذب أ.هـ.

٢- في (ف) هي.

٣- في (ف) سقط أول الاسم ومقدونية هي: قطر في أوروبا واقع في شمال اليونان اشتهرت في زمن الإسكندر الأكبر ومدت نفوذها على جميع بلاد اليونان وممالك شاسعة من آسيا، ثم فتحها العثمانيون في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم انقسمت بين بلغاريا واليونان وصربيا، وفي سنة ١٩١٤م أصبحت من اليونان. وتضم مقدونية يوناناً وبلغاراً وصرباً وأتراكاً وألباناً مسلمين ويهوداً في سلانيك لذلك لاتنقطع المنازعات فيها. انظر دائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد

وغيرها، وهؤلاء كانوا مشركين إلى أن دخل إليهم دين النصارى، وآخر ملوكهم هو بطليموس^(١) صاحب "المجسطي" كان [بعد]^(٢) المسيح - عليه السلام - بمدة قليلة، وأما أرسطو^(٣) فإنه كان قبل المسيح

وحدى ج ٣٠٨/٩ ط الرابعة ١٣٨٦ هـ.

١- في (ف) بطليموس وهو بطليموس القلوذي صاحب "المجسطي" في الفلك، ولد في القرن الثاني الميلادي بمصر من أصل يوناني، وعاش في الإسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد، وكتابه المجسطي يتكون من ثلاث عشرة مقالة وأول من عني بتفسيره وأخرجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك. وقد تابع ابن تيمية بعض مؤرخي العرب الذين ظنوا أن بطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي واحداً من ملوك البطالسة، وليس كذلك، فإن آخر ملوكهم يدعى قلو بطره (كيلوباترا). انظر: الفهرست لابن النديم ص ٣٢٧ تحقيق رضا تجمد، وطبقات الأطباء والحكماء تأليف سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلدجل تحقيق فؤاد السيد ص ٣٧ (طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية)، وحاشية منهاج السنة لابن تيمية ج ١/٣١٨ تحقيق د. محمد رشاد سالم. ودائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد وحدى ج ٢٨/٢٣٨.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يعبد.

٣- هو أرسطو ويقال: أرسطاطليس، وأرسطوطاليس، هو الأقرب إلى الأصل اليوناني، وهو ابن نيقوماخس. وهو أول من وضع التعاليم المنطقية، وأخذ الحكمة عن أفلاطون اليونان، جعله فيلبس المقدوني أستاذا لابنه الإسكندر، ولما ولي الإسكندر المملكة كان لا يرم أمراً أو ينقضه إلا بإشارته. كان مولده قبل ميلاد المسيح ٣٨٤ ق.م وله كتب في المنطق والطبيعات، والإلهيات والأخلاق.

انظر: طبقات الأطباء والحكماء ص ٢٥، وتاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم ص ١١٢ ومابعدا الناشر دار القلم بيروت - لبنان ودائرة المعارف الإسلامية ج ١/٦١٢.

بأكثر من [ثلاثمائة]^(١) فإنه كان في زمن الإسكندر بن [فيلبس]^(٢) الذي تُوِّرخ به النصرارى اليوم، وكان بين المسيح وبين نبينا ﷺ ستمائة سنة/ شمسية وستمائة وعشرين قمرية، وكان هذا الإسكندر قبل المسيح بنحو من أربعمائة سنة.

١٢٨

وكانت الصابئة من النبط الذين بالعراق والجزيرة^(٣)؛ كالبطائح^(٤) وحران وغيرهما من الصابئة المشركين من أئمة

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ثلاث مائة).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فيلبس) بالياء، وهو: الإسكندر بن فيلبس المقدوني، وفي دائرة المعارف الإسلامية اسم أبوه فليب، ولد سنة ٣٥٦ ق.م ولما بلغ السنة الثالثة عشر تتلمذ على أرسطو، تولى الملك بعد مقتل أبيه، وكان له من العمر ٢٠ سنة، حارب الفرس وانتصر عليهم، وهو الذى بنى الإسكندرية بمصر، وإليه تنسب. دفن فيها وقد بلغ من العمر ٦٣ سنة بعد أن حكم ١٣ عاماً وليس هو ذي القرنين المذكور في القرآن.

انظر تاريخ الطبري ج١/٣٣٨-٣٤٠، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المشهور بالخطوط تأليف تقي الدين أبي العباس المقرئ ج١/١٥٠ طبعة مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٠م مصوره عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ، ومنها ج السنه لابن تيمية ج١/٣١٧ وطبقات الأطباء والحكماء ص٢٦، ٢٨ ودائرة المعارف الإسلامية ج٢/١٢٦.

٣- الجزيرة تقع بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات وهما يقبلان من بلاد الروم - تركيا اليوم - حتى يلتقيان قرب البصرة من أهم مدنها حران والرها والرقعة ونصيبين وغيرها. فتحها عياض بن غنم سنة ١٧هـ. انظر معجم البلدان ج٢/١٥٦-١٥٧ رقم ٣١٠٩.

٤- البطائح جمع بطيحة بالفتح ثم الكسر سميت بطائح واسط لأن المياه تبطحت فيها

الفلاسفة، وإبراهيم الخليل بعث إليهم، وفي مولده قولان قيل بالعراق وقيل بخران، وهذا قول أهل الكتاب وكذلك هو في التوراة التي عندهم^(١)، ويقال إن قبر أبيه بسور حران وبها آثار الصابئة، كاهياكل التي لليلة الأولى والعقل والنفس والكواكب، وما زال بها أكابرهم كتابت بن قرة^(٢) وأمثاله، وقد ذكر عبداللطيف بن يوسف^(٣)

أي سالت واتسعت في الأرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، كانت قديما قرى متصلة وأرضاً عامرة، فسال عليها الماء وطرده أهلها. غلب عليها قوم من أهلها أيام بني بويه، وتحصنوا بالمياه والسفن وخرجت عن طاعة السلطان. انظر معجم البلدان ج١/٥٣٤ رقم ١٩٩٨.

١- اختلف في مولد إبراهيم -عليه السلام- ففي التوراة إشارة إلى أنه ولد في أور الكلدانيين أي بالعراق انظر سفر التكوين الإصحاح ١١ بقرة ٢٩ وذكر الاختلاف في مولده ابن جرير في تاريخ الأمم والملوك ج١/١٤٢ ولم يرجح، وقال ابن كثير في قصص الأنبياء ص ١٣١ وعندهم -أي في التوراة- أن إبراهيم -عليه السلام- هو الأوسط، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها، وهي أرض الكلدانيين، يعنون أرض بابل.

وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصح ذلك الحافظ ابن عساكر أ.هـ.

٢- ثابت بن قرة: هو ثابت الحراني الفيلسوف، الصائبي، كان يتوقد ذكاء، فبرع في علوم الأوائل، وصار منجم المعتضد -الخليفة العباسي- لم يكن في زمانه من يماثله في الطب والفلسفة. من تلاميذه عيسى بن أسد النصراني، وابنه إبراهيم وحفيده ثابت ابن سنان ماتوا على ضلالهم.

حدثت له مع أهل مذهبه (الصابئة) أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرم عليه رئيسهم دخول الهيكل. من كتبه "الذخيرة في علم الطب" و"المباني الهندسية" وغيرها وأكثر كتبه في الهندسة والموسيقى. ترجم كثيراً من الكتب إلى العربية. هلك سنة ٢٨٨هـ. انظر السير ج١٣/٤٨٥ ترجمة رقم ٢٣٢ والأعلام ج٢/٩٨.

٣- عبداللطيف بن يوسف: هو موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن الفقيه يوسف بن محمد الموصللي ثم البغدادي الشافعي، نزل حلب، ويعرف قديماً بابن اللباد، وبابن

أن^(١) الفارابي^(٢) كان قد تعلق بالفلسفة في بلاده فلما دخل حران وجد بها من الصابئة من أحكمها عليه، وابن سينا إنما حذق^(٣) فيها بما وجدته من كتب الفارابي.

فهؤلاء وأتباعهم حقيقة قولهم هو قول الصابئة المشركين الذين هم شرك من مشركي العرب، وهؤلاء عند من لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب؛ لا تؤخذ منهم الجزية؛ إلا أن يدخلوا في دين أهل الكتاب، والناس لهم في تفسير الصابئة وأحكامهم اضطراب كثير ليس هذا موضعه^(٤)، وسبب

شرك الفلاسفة شر من شرك العرب في الجاهلية

نقطة. ولد ببغداد سنة ٥٥٧هـ من الفلاسفة غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما، وسمع الحديث والفقه. له مصنفات منها "غريب الحديث" و"الواضحة في إعراب الفاتحة" و"شرح خطب ابن نباته" و"تهذيب كلام أفلاطون" وغيرها. سافر للحج فدخل بغداد مريضاً، ثم مات في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ٦٢٩هـ. انظر السير ج٢٢/٣٢٠ ترجمة رقم ١٩٥ والأعلام ج٤/٦١.

١- (أن) سقط من (د)

٢- الفارابي: هو أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، التركي الفارابي أحد الأذكياء، أخذ المنطق من متى بن يونس، ولزم يوحنا بن جيلان النصراني. كان يتزهد زهد الفلاسفة، ويطلق عليه المعلم الثاني. له تصانيف مشهورة مثل "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"الموسيقى الكبير" قال الذهبي: ((من ابتغى الهدى منها، ضل وحر، ومنها تخرج ابن سينا نسأل الله التوفيق)). هلك سنة ٣٣٩هـ، وله ٨٠ سنة. انظر السير ج١٥/٤١٦ ترجمة رقم ٢٣١ والأعلام ج٧/٢٠.

٣- في (ف) حذف.

٤- اختلف العلماء في أخذ الجزية من الصابئة، وذلك لاختلافهم في تعريف الصابئة، فمن جعلهم من أهل الكتاب قال بأخذ الجزية منهم، ومن جعلهم من غير أهل الكتاب لم يقبل منهم الجزية، وتردد بعض العلماء وجعل الفصل فيهم لأهل

ذلك أنهم أنواع مختلفة؛ فكل طائفة تصف النوع الذي عرفته، والفلاسفة لا يجمعهم مذهب ولا يجتمعون على شيء، بل هم أجناس يختلفون كثيراً، ولكن هذه الفلسفة التي يسلكها الفارابي وابن سينا وابن رشد^(١) [والسهروردي

الكتاب فإن جعلوهم منهم أخذت منهم الجزية وإن كفروهم لم تؤخذ منهم. وقال آخرون هم أفضل حالاً من المحسوس فتقبل منهم الجزية، وفرق آخرون؛ فقالوا: الصابئة فرق فمن كان فيه شبه من أهل الكتاب أخذت منه الجزية، ومن كان من عبدة الكواكب والأوثان لم تقبل منه.

قلت: قد سبق في تعريف الصابئة أنه لم يبق منهم إلا الصابئة المندائين وهؤلاء فيهم شبه من أهل الكتاب حيث يدعون أن نبيهم يحيى -عليه السلام- وكتابهم الزبور، فتؤخذ منهم الجزية. والله اعلم.

انظر: الفهرست لابن النديم ٣٨٣-٣٩٢ وروضة الطالبين للنووي ج ١/٣٠٥-٣٠٦ والمغنى لابن قدامة ج ١/٥٦٨-٥٦٩ وبهامشة الشرح الكبير والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٤٣٤ عند تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة، والموسوعة الفقهية من إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ج ٢٦/٢٩٤-٢٩٩.

١- ابن رشد: هو أبو الوليد، محمد بن أبي القاسم أحمد بن شيخ المالكية أبي الوليد بن رشد القرطبي، يلقب بابن رشد الحفيد تميزا عن جده. ولد قبل موت جده بشهر سنة ٥٢٠هـ.

برع في الفقه ثم أقبل على علوم الأوائل وعني بكلام أرسطو كان متواضعاً، عالماً فاضلاً. ولي قضاء قرطبة. له "شرح أرجوزة ابن سينا" في الطب وكتاب "جوامع كتب أرسطو طاليس" وغيرها نغم عليه المنصور صاحب المغرب لأجل الفلسفة. مات محبوساً بداره بمراكش في أواخر سنة ٥٩٥هـ. انظر السير ج ٢١/٣٠٩ ترجمة رقم ١٦٤ والأعلام ج ٥/٣١٨.

المقتول^(١) ونحوه فلسفة [المشائين]^(٢). وهي المنقولة عن
 أرسطو الذين يسمونه المعلم الأول؛ فإن له كتباً متعددة في
 المنطق وأجزائه، وفي الطبيعيات مثل كتاب "سمع الكيان"^(٣) والذي
 يتكلم فيه على الأجسام/ كلاماً كلياً، وكتاب "السماء
 والعالم"^(٤)، وكتاب "الآثار العلوية" وغير ذلك^(٥)، وأما كلامه

استطرد عن فلسفة
 أرسطو ومؤلفاته

١٢٩

١- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) (السهروري المقبول) وفي (د) (السهروري المقتول)
 وهو شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، كان ذكياً، ولكنه قليل
 الدين، وكان رديء الهيئة، لا يغسل له ثوبا ولا جسماً، ولا يقص ظفراً ولا شعراً
 أفنتى فقهاء حلب بكفره، قال: باكتساب النبوة، قال الذهبي: كان أحمق طياشاً
 منحللاً، حكى عنه السيف الآمدى أنه قال: لا بد لي أن أملك الدنيا، له شعر جيد
 وله كتاب "التلويمات اللوحية والعرشية" و"هياكل النور" وغيرها. قتل في أوائل
 سنة ٥٨٧هـ. انظر السير ج٢١/٢٠٧ ترجمه رقم ١٠٢ والأعلام ج٨/١٤٠.

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (المتاين) وفي (ف) (المثاين). والمشاؤون هم اتباع
 أرسطو، وسموا بذلك لأن أرسطو كان يعلم تلاميذه ماشياً، وهم يمشون. انظر
 المعجم الفلسفي تأليف جميل صليبا ج٢/٣٧٣ باب الميم.

٣- في (د) الكيسان وفي (ح) الكيسان.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل والمعالم.

٥- كتب أرسطو المنطقية هي: "المقولات"، "العبارة"، "والتحليلات الأولى أو
 القياس، والتحليلات الثانية أو البرهان"، "والجدل"، "والاغاليط".
 وأما كتبه الطبيعية: هي "السماع الطبيعي" أو "سمع الكيان"، "والسماء"، "والكون
 والفساد"، "والآثار العلوية". انظر تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم طبعة
 دار القلم بيروت ص ١١٥. وقد نُسب إليه كتاب العالم وضم إلى كتاب السماء
 ولقبا بالسماء والعالم. وقد أثبت النقد أنه لا يصح نسبة كتاب العالم له. انظر

في [الإلهيات] ^(١) فقليل جداً وفيه خطأ كثير، وكانوا يسمون ذلك علم (مابعد) ^(٢) الطبيعة أو علم ما قبل الطبيعة، ويسمونه الفلسفة الأولى والحكمة العليا؛ لكونهم يتكلمون فيه على الأمور الكلية العامة؛ كالوجود وانقسامه إلى جوهر وعرض، وعلة ومعلول، وقديم وحادث، وواجب وممكن، وأما نفس معرفتهم بالله والملائكة وأنبيائه فبعيدة جداً، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن مادخل في هؤلاء من دين الخنفاء الذي بعث الله به ^(٣) رسله فهو أقل مما دخل في الإسلام من دين اليهود والنصارى، ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين من أدخل شيئاً من دين هؤلاء، بل كان يوجد من ينقل عن أهل الكتاب وعلمائهم مثل كعب ^(٤) وهب ^(٥)

حكم النقل عن
أهل الكتاب

المرجع السابق ص ١١٦.

١- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل (الهيئة).

٢- مابين القوسين سقط من (د).

٣- (به) سقطت من (د).

٤- كعب: هو كعب بن ماته الحميري اليماني. كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة في أيام عمر -رضي الله عنه- فجالس الصحابة وأخذ عنهم السنن، وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب. حسن إسلامه، وكان متين الديانة، من نبلاء العلماء توفي -رحمه الله- بمحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان. عن مائة وأربع سنين. انظر السير ج ٣/ ٤٨٩ ترجمة رقم ١١١ والأعلام ج ٥/ ٢٢٨.

٥- وهب: هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سبيح الأنباري، اليماني، ولد زمن عثمان سنة ٣٤هـ. أخذ عن ابن عباس، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر

ومالك بن دينار^(١) ومحمد بن إسحاق^(٢)، ومثل ما ينقله عبدا لله بن عمرو^(٣) عن الكتب التي أصابها يوم اليرموك، وإنما استجاز لهذا؛ لما

وغيرهم، وغزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحف أهل الكتاب وقد امتحن، وحبس وضرب، لاتهامه بالقدر، ولي قضاء صنعاء، مات سنة ١١٤هـ وقيل ١١٣هـ. انظر السير ج٤/٥٤٤ رقم ٢١٩ والأعلام ١٢٥/٨.

١- مالك بن دينار: هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري. ولد أيام ابن عباس في البصرة وسمع من بعض الصحابة، كان أبوه من سبي سجستان. وهو من ثقة التابعين، وثقة النسائي، واستشهد به البخاري، كان يكتب المصاحف بالأجرة، ورعاً لا يأكل إلا من كسبه. توفي في البصرة سنة ١٢٧هـ وقيل ١٣٠هـ. انظر السير ج٥/٣٦٢ ترجمة رقم ٣٠٦ والأعلام ج٥/٢٦٠.

٢- محمد بن إسحاق: هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي، مولاهم المدني وقيل: أبو عبدا لله. صاحب السيرة النبوية، كان جده يسار من سبي عين التمر. ولد سنة ٨٠هـ، ورأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب. وهو أول من دون العلم بالمدينة. كان بجرأ في العلم، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء، لأشياء منها تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق؛ فليس. عمدفوع عنه قال الذهبي: ولا ريب أنه حمل ألوانا عن الذمة أي أهل الكتاب. توفي سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ. انظر السير ج٧/٣٣ ترجمة رقم ١٥ والأعلام ج٦/٢٨.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل عمر والصواب ما أثبت أعلاه، فإن عبدا لله بن عمرو بن العاص الصحابي المشهور قد إطلع على كتب أهل الكتاب فكان يحدث منها، وليس على إطلاقه، بل كان يحدث في حدود ما فهمه من الإذن كما ذكر المؤلف. انظر: تاريخ ابن جرير ج٣/٣٤٠ والبداية والنهاية ج٨/٢٤٩ والتفسير والمفسرون تأليف د. محمد حسين الذهبي الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ الناشر دار الكتب الحديثة - القاهرة ج١/١٧٤.

رواه البخاري في الصحيح عنه أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، فلما رخص في الحديث عن بني إسرائيل استحاز ذلك عبداً لله بن [عمرو]^(٢) وعبد الله بن عباس وغيرهما؛ لكن لا يأخذون من ذلك ديناً؛ لما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة ثم يفسرونها بالعربية فقال النبي ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»^(٣) (وفي لفظ)^(٤) «فأما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم/ وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»^(٥).

١٣٠

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل) رقم ٣٤٦١ ج٢/ ١٠٧٦ بلفظه وزاد «... علي متعمداً» والشطر الثاني من الحديث عند البخاري في (كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي ﷺ) رقم ١٠٧ ج١/ ٦١ بدون لفظه «متعمداً».

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عمر.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب التفسير باب ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾) ج٣/ ١٣٥٥ رقم ٤٤٨٥ وطرفه رقم ٧٣٦٢، ٧٥٤٢، الإمام أحمد ج٤/ ١٣٦ واللفظ له.

٤- ما بين القوسين سقط من (ط) وجعل الروایتين حديثاً واحداً، ولم يفصل بينهما.

٥- أخرجه البخاري في (كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) ج٥/ ٢٢٩٥ رقم ٧٣٦٢ وسبق ذكر أطرافه. قال ابن كثير في التفسير ج٣/ ٤١٦: "انفرد به البخاري". وقال ابن حجر في الفتح ج٨/ ٢١٦: "زاد في

وإنما أمر النبي ﷺ بهذا لأننا قد أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم، وقد أخبر الله أنهم يكذبون ويحرفون، فما حدثوا به إذا لم نعلم صدقهم فيه ولا كذبهم؛ لم نكذبه لجواز أن يكون مما أنزل، ولم نصدق لجواز أن يكون مما كذبه، ولما كانت تلك الأحاديث الإسرائيلية قد كثرت صار بعض الناس يدخل في بعض خصائصهم، ولم يكن قد ظهر في المسلمين شيء من آثار اليونان والهند، إلى أن عربت بعض كتب هؤلاء وهؤلاء حدث في الناس من التشبه بأولئك ما كان أعظم من التشبه بأهل الكتاب.

١٣٠

حتى آل الأمر إلى دولة العبيدين؛ وهم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى؛ وإلا من لم يصل منهم إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى رافضياً داخل الإسلام، ولهذا قال فيهم العلماء: ((ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض))^(١)، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآثارهم في القاهرة

دين العبيدين
وتعظيمهم
للمشاهد
والكواكب

الاعتصام ﴿وما أنزل إليكم﴾ وزاد الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن محمد بن المثني عن عثمان بن عمر بهذا الإسناد ﴿وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلينا وإلهمكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

١- قائل هذه العبارة هو أبو حامد الغزالي في فضائح الباطنية ص ٢٥ الطبعة الأولى

تدل على ذلك (١).

ولقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم،
وأنهم من أبرأ الناس في رسول الله ﷺ دينا ونسبا، وقد صنف العلماء
فيهم وفي أصولهم كتباً نظرية وخبرية (٢).

١- مثل مسجد الحسين المبني على رأس الحسين المزعوم في القاهرة وسيأتي الكلام عليه
في ص ٥٠٥

٢- من هذه الكتب: "كشف الأسرار في الرد على الباطنية" للقاضي محمد بن الطيب
الباقلاني ت ٤٠٣ هـ "كشف أسرار الباطنية" تأليف إسماعيل بن علي بن أحمد
البستي ت ٤٢٠ هـ و"كشف أسرار الباطنية" تأليف محمد بن مالك بن أبي
الفضائل اليماني ت ٤٧٠ هـ و"فضائح الباطنية" لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥ هـ.
وانظر مع ٣٥/١٤٥-١٦١، ج ٣٥/١٢٨.

وقال عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٩٤: "والذي يصح عندي من
دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدوم العالم، وينكرون الرسل والشرائع
كلها، ليلهم إلى كل ما يميل إليه الطبع". ثم ذكر رسالة القيرواني في ص ٢٩٤-
٢٩٨ نقلاً عن كتابهم "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم". وهي رسالة
عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي. انظر:
كشف أسرار الباطنية تأليف محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني ص ٣٥-٣٧
تحقيق محمد عثمان الخشت (الناشر مكتبة ابن سينا القاهرة).

وقد أجمع على كفرهم وضلالهم وكذب نسبهم أهل الإسلام في زمنهم وإلى هذا
اليوم، ومن ذلك ما ذكره ابن

كثير في البداية والنهاية ج ١١/٣٧٠-٣٧١ في أحداث سنة ثنين وأربعمائة.
قال: ((وفي ربيع الآخر كتب جماعة من العلماء والقضاة والأشراف، والصالحين
والفقهاء والمحدثين محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك
مصر وليسوا كذلك... وأن الحاكم وسلفه لا نسب لهم في ولد علي بن أبي

ومنهم الإسماعيلية من أصحاب دور الدعوة، وأما النصيرية^(١) فهم من الغلاة الذين يعتقدون إلهية علي، والغلاة مع أنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ فأولئك الإسماعيلية في الباطن أعظم كفرةً وإلحاداً منهم، وهذا باب واسع/ليس هذا موضعه^(٢).

١٣١

ولما المقصود التنبيه على أنه [بسبب]^(٣) الخروج عن الشريعة في

طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه متزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور ... وأن هذا الحاكم بمصر وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، للإسلام جاحدون، ولذهب المجوسية الوثنية معتقدون، وقد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف. وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير منهم المرتضى والرضى العلويين ((باختصار. وللتوسع انظر السير للذهبي ج ٥/٢١٣ وتاريخ الخلفاء تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٤-٦ (الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ الناشر مطبعة المدني القاهرة - مصر)

١- النصيرية: فرقة من غلاة الباطنية، وأرجح الأراء أنهم يُنسبون إلى ابن النصير مولى الحسن العسكري أو من أصحابه وهو محمد بن نصير البصري النميري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ وقيل ٢٧٠ هـ، وعقائدهم كما ذكر المؤلف من تأليه علي واستحلال المحارم، وطائفة النصيرية توجد في شمال سوريا ولبنان وفي لواء انطاكية واسكندرونة بتركيا، ويرفضون هذه التسمية ويطلقون على أنفسهم العلويين. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١/٨٣ والملل والنحل للشهرستاني ج ١/١٨٨ وعقائد الثلاث وسبعين لليمنى ج ٢/٤٨٨ ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د. أحمد جلي ص ٣١١-٣٢٤.

٢- انظر مج ج ٥/١٤٥-١٦١.

٣- كذا في (ف) و(ح) وفي الأصل و(د) (سبب).

كثير من البدع الشركية أفضى الأمر بأقوام إلى أن خرجوا إلى دين المشركين؛ بل المشركين المعطلين، وكثير من الناس لا يعرف هذا؛ يحسب أن هذا هو دين الله لأجل ليس الحق بالباطل، وهذا مما نهى الله عنه وذم به أهل الكتاب؛ حيث قال ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٢].

الغلاة تنقصوا
الرسل ما
يستحقونه من
التوقير

الوجه الرابع: أن يقال: الغلاة المشركون هم في الحقيقة يخسوا الرسل ما يستحقونه من التعظيم؛ دون الأمة الوسط أهل التوحيد المتبعين لشريعة الرسل^(١)، وبيان^(٢) ذلك بأمور: منها أن النصارى يقولون: إنهم يعظمون المسيح، وكذلك الغالية في علي والأئمة أو الشيوخ أو غيرهم، وهم في الحقيقة متنقصون^(٣) [لهم]^(٤)، فإن المسيح -عليه السلام- أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ وأخبرهم أنه عبد الله، فهم إذا تبعوه كان له من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء^(٥)، (كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص

١- في (ف) الرسول.

٢- في (ف) (بيننا).

٣- في (د) (منقصون).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥- في (ف) شيئاً من أجورهم، و (وشيء) سقطت من (د).

[من أجورهم] (١) شيئاً» (٢) [ويكونون] (٣) سعداء أولياء لله من أهل الجنة (٤)، وإذا غلوا فيه واتخذوه رباً انقطع العمل الصالح الذي كان يحصل بتوحيدهم وطاعتهم، وحصل لهم مع ذلك عذاب أليم، وإن كان هو سليماً من العذاب؛ لكن فَوَّتَّوه الأجر الذي كان يحصل له بتوحيدهم وطاعتهم.

وأما أهل الاستقامة فهم إذا وحدوا الله وعبدوه كما شرعته لهم الرسل وأطاعوهم صاروا أولياء الله مستيقنين لثوابه، وحصل للرسول بالذي دعاهم مثل أجورهم، وكان في هذا من التعظيم للرسول ما ليس في طريق الغلاة.

الأمر الثاني: إن أهل التوحيد والسنة يدعون لهم دائماً فينتفعون بذلك الدعاء، وأهل الشرك/ والبدعة يكلفونهم حوائجهم، [وأين] (٥) من يحصل بسعيه (٦) منفعة لهم؟ إلى من يكلفهم ويؤذيهم بسؤاله؟ واعتبر هذا بحال الصديق الذي كان يعاون الرسول بحاله ونفسه ولا يسأله

مقارنة بين حال
أهل التوحيد وأهل
الشرك مع الأنبياء
١٣٢

١- ما بين المعقوفين من (ف) وفي (ح) (شئ من أجورهم) وسقط من الأصل.

٢- ما بين القوسين سقط من (د)، والحديث أخرجه مسلم في (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) ج-٤/٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤ واللفظ له.

٣- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و (ح) يكونوا.

٤- في (ف) الجبة.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل ابن.

٦- في (ف) (البسعيه).

شيئا، أين منزلته من منزلة من يسأله ويكلفه ولا يعاونه؟

الأمر الثالث: إن أهل التوحيد والسنة يصدقونهم فيما أخبروا،
ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا؛ ويفهمونه ويعملون به؛
وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين^(١)؛ وتأويل الجاهلين؛
ويجاهدون من خالفهم؛ ويفعلون ذلك تقرباً إلى الله^(٢) طلباً للجزاء منه
لامنهم. وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونهوا عنه، ولا بين
ماصح عنهم وما كُذِبَ عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم؛ ولا
يتحرون طاعتهم ومتابعتهم، بل هم جهال بما أتوا به معظمون
لأغراضهم؛ إما لينالوا^(٣) منهم منفعة، أو ليدفعوا بهم عن أنفسهم
مضرة.

مقارنة بين أهل
التوحيد وأهل
الشرك في طاعة
الأنبياء
وتصديقهم

فالسدنة الذين عند القبور ونحوهم غرضهم يأكلون أموال الناس بهم،
وأتباعهم غرضهم تعظيم أنفسهم عند الناس وأخذ أموالهم بهم،
والصادق المحض المتدين منهم غرضه (أنه إذا)^(٤) سألهم واستغاث بهم
في دفع شدة أو طلب حاجة قضوها له، فأى الفريقين أشد تعظيماً
أولئك أو هؤلاء؟.

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و (ف) المعطلين، وهذه الجملة مقتبسة من مقدمة
كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص ٨٥ تحقيق د. عبدالرحمن عميرة.

٢- في (د) تعالى.

٣- في (ف) ليسألوا.

٤- ما بين القوسين غير واضح في (د).

الأمر الرابع: أن أولئك الغلاة المشركين إذا حصل لأحدهم مطلوبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث ظن أنها تقضى؛ فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح؛ أو يكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر ومنافق ويذهب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، وإلى مواضع يقال لهم إنها^(١) تقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم.

تعظيم الغلاة لمن يقضى حوائجهم ولو كان كافراً

حتى إن بعض أصحابنا/ المباشرين لقضاء القضاة لما بلغه أنني أنهى عن ذلك صار عنده من ذلك شبهة ووسواس؛ لما يعتقد من الحق فيما أذكر؛ ولما عنده من المعارضة لذلك، قال لبعض أصحابنا سرّاً أنا حرب^(٢) إجابة الدعاء عند قبر بالقرافة، فقال له ذلك الرجل: فأنا ذاهب معك إليه ليعرف (قبر من هو)^(٣)؟ فذهبا إليه، فوجدنا مكتوباً عليه عبد علي، فعرفوا أنه إما رافضي وإما إسماعيلي.

١٣٣

وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون بالعبّيين^(٤) أنهم أولياء

عودة للكلام على العبّيين

١- (أنها) تكررت في (د).

٢- في (ف) اجرب.

٣- ما بين القوسين في (ف) (قبر منه) وفي (د) (ليعرف منه) وفي (ح) لم يظهر في

التصوير .

٤- في (ف) و(د) و(ح) في العبّيين.

الله^(١) صالحون، فلما [ذكرت]^(٢) لهم أن هؤلاء كانوا [منافقين]^(٣) زنادقة وخيار من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن نذهب بالفرس التي بها مغل إلى قبورهم فتُشفى عند قبورهم، فقلت لهم هذا من أعظم الأدلة على كفرهم، وطلبت طائفة من سياس الخيل، فقلت أتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون [بها]^(٤)؛ فقالوا في الشام يذهب بها إلى قبور اليهود والنصارى، وإذا كنا في أرض الشمال يذهب بها إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية كالعليقة والمنيقة^(٥) ونحوهما، وأما في مصر فيذهب بها إلى دير [هناك]^(٦) للنصارى، ونذهب بها إلى قبور هؤلاء الأشراف، وهم يظنون أن العبيدين شرفاء

١- في (د) تعال.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ذكت).

٣- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) منافقون والصواب مأثبت أعلاه لأنها خير كان منصوب بالياء ولم تظهر في (ح) والمؤلف ألف آخر الكتاب بالشام بعد سنة ٧١٤هـ.

٤- في جميع النسخ: بهم وهو تصحيف.

٥- العليقة والمنيقة: من حصون الباطنية الإسماعيلية في شمال بلاد الشام من أعمال طرابلس انتزعها منهم بيوس الملوكي سنة ٦٦٨هـ والعليقة سنة ٦٦٩هـ. انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية ج٤/ ١٧٩-١٨١ وغلاة الشيعة الباطنية في الشام تأليف د. يوسف درويش غوانمه ص ٣٣ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ الناشر جمعية عمال المطابع التعاونية عمان - الأردن.

٦- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (هنا)

لما أظهروا أنهم من أهل البيت، فقلت هل يذهبون بها إلى قبور صالحى المسلمين مثل قبر الليث بن سعد^(١) والشافعى وابن القاسم^(٢) وغير هؤلاء، فقالوا: لا، فقلت لأولئك اسمعوا: إنما يذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين، وبينت لهم سبب ذلك، قلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم والبهائم تسمع أصواتهم، كما ثبت في ذلك في الحديث الصحيح^(٣)، فإذا سمعت ذلك فزعت، فبسبب الرعب الذى حصل لها

١- الليث بن سعد: هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن النهدي، مولى خالد بن ثابت بن طاعن، الإمام الحافظ، عالم الديار المصرية. ولد سنة ٩٤هـ وقيل سنة ٩٣هـ كان -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، تولى القضاء فيها وقد أثنى عليه الأئمة، مالك وابن وهب وغيرهم، وكان ثقة، كثير الحديث، سخيّاً له ضيافة مات نصف شعبان سنة ١٧٥هـ. انظر: السير ج٨/١٣٦ ترجمة رقم ١٢ والرحمة الغيثية بالترجمة الليثية للحافظ ابن حجر العسقلاني ص ٢٣٥-٢٦٥ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية تصحيح إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٣هـ الناشر مكتبة طيبة الرياض والأعلام ج٥/٢٤٨.

٢- ابن القاسم: هو أبو عبد الله عبدالرحمن بن القاسم العتقى، صاحب الإمام مالك، ولد سنة ١٣٢هـ، كان ذا مال ودنيا، فأنفقها في العلم، وله قدم في الورع والتأله، أثنى عليه الأئمة، روى له مسلم، ووثقه النسائي. له "المدونة" ستة عشر جزءاً توفي في صفر سنة ١٩١هـ وعاش ٥٩ سنة. انظر: السير ج٩/١٢٠ رقم الترجمة ٣٩ والأعلام ج٣/٣٢٣.

٣- منه ما أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب ماجاء في عذاب القبر) رقم ١٣٧٤ ج١/٤٠٨ عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لأدرى، كنت أقول

تنحل بطونها فتزوث؛ فإن الفرع يقتضي الإسهال، فيعجبون من ذلك، وهذا المعنى كثيراً ما كنت أذكره للناس، ولا^(١) أعلم أن أحداً قاله، ثم وجدته قد ذكره/ بعض العلماء^(٢).

١٣٤

كثير من المشاهد
المعظمة كذب

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً ومنافقاً؛ ويكون هذا عنده والرسول^(٣) من جنس واحد؛ لاعتقاده أنه الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً، وكلاً هذين عنده من جنس من يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال له^(٤) إنه قبر نوح، [فإن أهل]^(٥) المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة^(٦).

مايقول الناس، فيقال: لادريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

١- في (ف) ولم.

٢- ذكر المؤلف هذا المعنى في مج ٣٥/١٣٩-١٤٠.

٣- في (ف) والرسول عنده.

٤- (له) سقطت من (ف).

٥- ما بين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل فأهل.

٦- قال ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٩٧: روى ابن جرير والأزرقي عن عبدالرحمن بن سابط أو غيره من التابعين رسالة أن قبر نوح -عليه السلام- بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم "بكر ك نوح" وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك فيما ذكره. هـ وجزم بكذب

وكذلك مشهد الحسين الذى بالقاهرة^(١)؛ وقبر أبي بن كعب الذى

هذا المشهد السخاوى في "المقاصد الحسنه" ص ٤٨١ (الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - الناشر دار الكتب العلمية بيروت)، وملا علي القاري في "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" تحقيق د. محمد لطفي الصباغ ص ٣٨٥ (الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان) ومحمد عبد الباقي الزرقاني في "مختصر المقاصد الحسنه للسخاوي" تحقيق د. محمد لطفي الصباغ طبعة ١٤٠١هـ - الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

١- اختلف أهل العلم في الموضع الذى دفن فيه رأس الحسين -رضى الله عنه- على ثلاثة أقوال:

الأول: إن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائبه بالمدينة فدفنه عند أمه أو أخيه الحسن بالبقيع -رضى الله عنهما-.

الثاني: إن رأس الحسين لم يزل في خزانة يزيد حتى توفي فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفرائيس من مدينة دمشق.

ومنهم من قال: كفنه وطيه سليمان بن عبد الملك ودفنه في مقبرة المسلمين، فلما جاء العباسيون نبشوه وأخذوه معهم.

الثالث: إنه دفن مع الجسد في كربلاء وهذا قول الرافضة، ويقال: إن موضع قبر جسد الحسين عُفي أثره حتى لم يطلع عليه أحد.

وقد رجح الإمام القرطبي في التذكرة ج ٢/ ٧٣٩ القول الأول فقال: ((هذا أصح ما قيل في ذلك، ولذلك قال الزبير بن بكار: إن الرأس حُمِل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء، لهذا السبب قال: حدثني بذلك محمد بن حسن المخزومي النسابة)) وابن تيمية في كتابه مكان رأس الحسين ضمن مجموع الفتاوى ج ٢٧/ ٤٦٨-٤٦٩، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام البخاري في التاريخ أن الرأس حُمِل إلى المدينة. انظر: ((ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)) ص ١٨ ولم أجده في مظانه في كتاب التاريخ الكبير والصغير للبخاري. وقد ذكر الخلاف في مشهد

بدمشق^(١)؛ اتفق العلماء على أنها كذب، ومنهم من قال هما

القاهرة السخاوي في المقاصد ص ٤٨١ وملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص ٣٨٥ والزرقاني في مختصر المقاصد ص ٢٢٢ ومالوا إلى تكذيب المشهد.

وضَعف ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨/ ١٩٢ بعض رواة القول الثاني وقال: ولم يُنقل عن أحد من أهل العلم أن الرأس حُمِل إلى عسقلان ومنه إلى القاهرة، بل أجمعوا على أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق، وأن العبيدين أرادوا أن يروجوا بالمشهد ما ادعوه من النسب الشريف أ.هـ. ونقل ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ٢٧/ ٤٥٩ عن طائفة من العلماء أن المشهد العسقلاني فيه قبر بعض الحواريين أو غيرهم من اتباع عيسى بن مريم.

وللتوسع انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ج ٢/ ٧٣٤-٧٤٠ تحقيق د. السيد الجميلي (الناشر دار ابن زيدون بيروت ومكتبة مدبولي القاهرة) ومكان رأس الحسين لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ج ٢٧/ ٤٥١، ٤٥٩، ٤٨٣-٤٨٦ والسير للذهبي ج ٣/ ٣١٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٨/ ١٩٢-١٩٣ والاعلام ج ٢/ ٢٤٣

١- في (ف) في دمشق. وقد اتفق أهل العلم على أن وفاة أبي بن كعب كانت بالمدينة في آخر خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنهما- . انظر السير ج ١/ ٣٩٨ والاعلام ج ١/ ٨٢ وزاد ابن تيمية في مكان رأس الحسين ضمن مجموع الفتاوى ج ٢٧/ ٤٦٠ أن أبا لم يقدم دمشق أ.هـ.

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢/ ٥٣٣ في التعريف بدمشق: وفي شرقي البلد قبر عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، وهذه القبور هكذا يزعمون فيها، والأصح الأعرف الذي دلت عليه الأخبار أن أكثر هؤلاء بالمدينة مشهورة قبورهم هناك . أ.هـ. وبهذا جزم السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٨١، والملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص ٣٨٥، والزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة ص ٢٢٢.

[قبران]^(١) لنصرانيين، وكثير من المشاهد متنازع فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل، ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو بغير صورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، والشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبراني بديار مصر بإخميم^(٢) وغيرها، يرصدون التماثيل^(٣) [مدة]^(٤) لا يتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرؤون حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة فيراها تتحرك فيضع فيها [شمعه]^(٥) أو غيرها، فيرى شيطانا قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه، وقد يمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضي بعض حوائجه.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قبران).

٢- في معجم البلدان البراني. وإخميم بالكسر ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وميم أخرى: بلد بالصعيد وهو بلد قديم على شاطئ النيل بمصر، وفي غريبه جبل صغير، ومن أصغى إليه ياذنه سمع خرير الماء، ولغطاً شبيها بكلام الآدميين لا يدري ماهو؟. وإخميم عجائب كثيرة قديمة منها البراني (هكذا في المعجم) والبراني أبنية عجبية فيها تماثيل وصور، واختلف في بانيها، وفي جدران البراني صور للآدميين وحيوان، ومنها ما يعرف، وما لا يعرف. انظر معجم البلدان ج١/ ١٥٠-١٥١ رقم ٣٣١.

٣- في (ف) التمثال.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (مدة) بالذال.

٥- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) سمعه.

مثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، [يسمونهم] ^(١) البوى ^(٢) وهو المختث إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور؛ أرسلوا له من ينكحه؛ [وينصبون] ^(٣) له حركات عالية في ليلة ظلماء؛ وقربوا له خبزاً وميته؛ وغنوا غناء يناسبه، بشرط أن لا يكون عندهم من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في [الهواء] ^(٤) ويرون الدف يطير في [الهواء] ^(٥) ويضرب من مد يده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون، ويغنى لهم الأغاني التي كانت تغنيها ^(٦) آبائهم الكفار، ثم قد يغيب ذلك الطعام فيرونها وقد نُقل إلى بيت البوى ^(٧)، وقد لا يغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم، ومثل هذا كثير جداً للمشركين.

وصف بعض ما
يقع للمشركين

١٣٥

ما يحصل عند
المشاهد هو من
جنس ما يحصل
عند الأصنام

فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام، وكثير

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فيسمونهم).

٢- في (د) و(ح) البودى، وفي تخلص الاستغاثة: ((والمشركين الذين لم يدخلوا في الإسلام مثل الحبشة والنحشية والطونينية والتوى)) تلخيص الاستغاثة ص ٥٠، توي: اسم بلد من أعمال همدان. انظر: معجم البلدان ج ٢/ ٧٣ رقم ٢٧٠٥ والقاموس المحيط ص ١٦٣٤

٣- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) وينصبوا بحذف النون والصواب بإثباتها.

٤- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الهوى.

٥- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) الهوى.

٦- في (د) و(ح) تغنى وفي العبارة ركاه.

٧- في (د) و(ح) البودى.

من المشاهد كذب. وكثير منها مشكوك فيه؛ وسبب ذلك أن معرفة
المشاهد ليس (١) من الدين الذي تكفل الله بحفظه للأمة لعدم حاجتهم
إلى معرفة ذلك.

والمقصود أن هؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يسووا بين الأنبياء
وغير الأنبياء، بل بين الأنبياء والكفار، ويطلبون من هذا ما (٢) يطلبون
من هذا، فأى الفريقين أشد تعظيماً للأنبياء؟ هؤلاء أو من يوجب
تعظيمهم واتباع شريعتهم، ويفرق بين الحق الذي جاؤوا به وبين
غيرهم؛ ولا ينزل أحداً منزلتهم، ولا يشبه بهم من ليس منهم.

فصل

قال (٣): (وهذا الرجل مبتدع يأتي (بألفاظ التي) (٤) هي عين
التنقيص بسوء فهمه، ويحتج لها جهلاً أو عناداً بألفاظ التنزيه تمويهاً منه
أو جهلاً، فقول أبي يزيد (٥): استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه
الفريق بالفريق - إن صح تنزيهه (٦) للباري - على أن غير هذه العبارة

تبدع البكري
لا بن تيمية

١- في (ف) ليست.

٢- في (ف) من.

٣- أي البكري.

٤- في (ف) (بألفاظ التي) وفي (د) و(ح) (بألفاظ).

٥- مصححة في الأصل، وغير منقوطة في (ف) وهو أبو يزيد البسطامي سبق التعريف

به ص ٢٩٩

٦- في (ف) تنزيه.

خير منها، وإن كنا نعلم أن المراد بها هو المراد بقول القائل لا يستغاث إلا بالله، ولا يفرج الكرب إلا الله).

رد ابن تيمية:
الوجه الأول: بيان
ابتداع البكري

الجواب من وجوه: أحدها: أن يقال المبتدع من شرع ديناً لم يأذن به الله، لا من أمر بما أمر الله به ونهى عما نهى الله عنه، ومن أعظم المبتدعين من جوز أن^(١) يستغاث بالمخلوق الحي والميت في كل ما يستغاث فيه بالله - عز وجل -، بل من جوز أن يسأل الميت ويدعى على أي وجه كان، بل من حمل ألفاظ الاستغاثة بالنبي ﷺ [على أن^(٢) المراد بها التوسل به، وجعل توسل الصحابة هو توسلهم بذاته أو الإقسام به على الله - تعالى -؛ ولم يعلم أن المراد بها التوسل بشفاعته. ومن أعظم المبتدعين من جعل التوحيد كفراً والشرك إيماناً، وكفر من هم أحق بالإيمان من طائفته، ونفى الكفر عن طائفته الذين هم أحق بالكفر ممن كفروه.

الوجه الثاني: بيان
تنقصه للنبي
ﷺ وكذبه

الثاني: أن يقال دعواه أن الألفاظ التي ذكرت [هي]^(٣) عين التنقيص، قد بُين أنه من أعظم الكذب، وأن التنقيص والشرك لما ذكره ألزم، وأن المدعي أن هذا تنقيص كذب^(٤) باتفاق المسلمين، فإنه قد

١- (أن) تكررت في الأصل.

٢- ما بين المعوفين مما يقتضيه السياق ولا يستقيم المعنى بدون، وفي هامش (ح) لعله (على أن).

٣- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٤- في (ف) كاذب.

علم بالاضطرار من دين المسلمين أن مثل هذا الكلام لا يحكم على صاحبه بالتنقيص [ولا بالكفر]^(١) ولا بما هذا الكلام أحسن منه.

الثالث: إن قول المجيب ليس^(٢) هو قوله وحده؛ بل [هو]^(٣) قول جميع أئمة الدين وعلماء المسلمين، فليس في علماء المسلمين من يقول: إنه يستغاث بالخلق في كل ما يستغاث الله فيه، ولا من يقول: إن الميت يستغاث به في كل ما يستغاث بالله فيه، بل قول القائل: إن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله لا تطلب إلا منه، متفق عليه بين علماء المسلمين، وما علمت إلى ساعتي هذه أحداً من علماء المسلمين الذين يستحقون الإفتاء نازع في هذا، بل ثبت عندي عن عامة من بلغني كلامه من [العلماء]^(٤) الموافقة على هذا، وإنما عرف نزاع بعضهم في السؤال به، وأما الشيوخ الذين يسألون الميت فهؤلاء ليس فيهم أحد ممن يرجع المسلمون إلى فتياه، وإنما فعلوا نظيره، والفقهاء قد يفعل/ شيئاً على العادة؛ [وإذا]^(٥) قيل له هذا من الدين لم يمكنه أن^(٦) يقول ذلك، ولهذا

الرجه الثالث:
موافقة العلماء
للمصنف

١٣٧

١- بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين وفي هامش الأصل و(ف) و(د) (بياض في الأصل) وما بين المعرفين مما يقتضيه السياق وقد حكم بهما البكري للمؤلف.

٢- سقطت من (ف).

٣- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٤- كذا في (ح) وهامش الأصل وفي الأصل و(د) علماء وفي هامش (ف) (المسلمين) وسبق نقل المؤلف لإجماع العلماء في مصر في عصره على موافقته. انظر ص

٣٧٧

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فإذا).

٦- في الأصل مكتوب فوقها لعل (إلا).

قال بعض السلف: «لاتنظر إلى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك».

فصل

قال^(١): (وأما قول هذا المبتدع لا يستغاث بالرسول فإنه كفر، لأنه لفظ يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله - تعالى - في طلب الإغاثة، وهذا نفى لوصف من أوصاف الكمال الثابت له ﷺ، أرايت رجلين قال أحدهما: لا ضار ولا نافع إلا الله يشير إلى التوحيد، وقال الآخر: إن الرسول لا يضر ولا ينفع، وقال الأول: إن الله السميع العليم إشارة للحقائق التي حصرها الرب - سبحانه - في نفسه بهذا الكلام، وقال الآخر: إن الرسول لا يسمع ولا يعلم، أكان يشك مسلم في أن الأول موحد والثاني كافر منقص ولا ينفعه تأويله).

والجواب من وجوه أحدها: أن^(٢) ماذكرته افتراء، فإن أحداً لم يخص الرسول بهذا النفي لا خطاباً ولا كتاباً، ولا نفى كل ما يسمى استغاثة، فلا النفي عام ولا المنفي عنه مخصوص، وأنت [ادعيت]^(٣) هذا وهذا على المحيب؛ وكلاهما^(٤) كذب، وجواب السؤال ينطق بخلاف هذين، وقد بين فيه أن^(٥) [مالا يقدر عليه إلا الله فلا]^(٦)

١- أي البكري.

٢- سقطت من (ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الدعيت.

٤- في (ف) وكلاهما.

٥- في (ف) تنطق.

٦- بياض في جميع النسخ، بمقدار ثلاث كلمات في الأصل و(ف) وأربع في (د) وما

كلام البكري في
تكفير من نفى
الاستغاثة

رد ابن تيمية الوجه
الأول: لم يخص
الرسول ﷺ بالنفي

يطلب من مخلوق لا الرسول ولا غيره، وحينئذ فهذا التفصيل أبين من النفي المطلق الذى قاله أبو يزيد وغيره من المسلمين، فإذا كان ذلك سائغا فهذا أولى.

الثاني: [أنه تقدم] ^(١) أن المخصص بالذكر إذا كان لتحقيق ^(٢) العموم كان ذلك تعظيماً للمخصوص بالذكر، فإذا قيل لا يعبد إلا الله لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا يستغاث بمخلوق لا الأنبياء ولا غيرهم ونحو ذلك، كان هذا تعظيماً للرسول وتبييناً أنه لأحد أرفع منه من الخلق، وخصائص الرب - عز وجل - منتفية ^(٣) عنه وعن غيره بطريق الأولى، وهذا كقول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً من أهل ^(٤) الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» وفي رواية «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته» ^(٥)، فبين أن خلة المخلوقين منتفية ^(٦) عن كل أحد حتى عن الصديق وهو أحق بها لو كانت ممكنة، ولو خص بالذكر

الوجه الثاني: إن
التخصيص
بالذكر تعظيم

١٣٨

بين المعقوفين من جواب شيخ الإسلام على سؤال الاستغاثة والذى سبق ذكره كاملاً انظر ص ٢٨٩ وهو ما يقتضيه السياق.

١- ما بين المعقوفين من (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (أن يقدم) وما أثبت اعلاه هو الصواب لأنه تقدم ذكر ذلك في ص ٣٥١.

٢- في (د) التحقيق.

٣- في (ف) منفية.

٤- (أهل) سقطت من (ف).

٥- أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق) ج ٤/ ١٨٥٥ رقم ٢٣٨٣ بروايات متعددة.

٦- في (ف) منفيه.

لفظاً في سياق يفهم منه العموم كان حسناً كقوله [تعالى] ^(١) ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ ^(٢) [سورة آل عمران: ٨٠].

وكذلك إذا كان سبب التخصيص حاجة المستمع إما لسؤاله عن ذلك؛ وإما لحاجته إليه، كقوله تعالى ﴿لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ [سورة النساء: ١٧٢] وكقوله ^(٣) ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول﴾ ^(٤) [سورة المائدة: ٧٥]، فإن الحاجة داعية إلى ذكر المسيح لوقوع النزاع فيه.

فلو تنازع اثنان هل يخص النبي بالحلف به دون سائر الأنبياء؟ فقال أحدهما: لا يحلف به، لم يكن هذا تنقيصاً؛ بل هذا هو قول الجمهور وهو الصواب، وكذلك إذا تنازع اثنان هل يخص بالاستغاثه به أو بالإقسام على الله به بعد موته؟ فقال أحدهما: لا يستغاث ولا يقسم به، فإن هذا ليس من خصائصه لكان من هذا الباب.

الثالث: قوله عن أبي يزيد غير هذه العبارة خير منها: قول باطل، فإن ما قال أبو يزيد -رحمة الله عليه- تلقاه الناس بالقبول، وقال ^(٥) بعده أبو عبداً لله القرشي قال: «استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه

١- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢- في (ف) تكلمة الآية ﴿يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾.

٣- في (ف) قوله بدون كاف.

٤- في (ف) تكلمة الآية ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾.

٥- في (ف) قاله.

المسجون بالمسجون»، وهذا كقول النبي ﷺ لابن عباس «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١)، وقوله لطائفة من أصحابه «لاتسألوا الناس شيئاً»^(٢)، ومنه قوله تعالى ﴿وإلى ربك فارغب﴾ [سورة الشرح: ٨]، ومنه قوله ﷺ في صفة السبعين ألفاً «هم الذين لا يكتون ولا يتطيرون ولا يسترقون»^(٣) فالاسترقاء طلب الرقية من المخلوق.

وكانه يقول: هذا فيه جعل المخلوقين كلهم مثل الغريق؛ ويدخل في ذلك الأنبياء/ وغيرهم، وفي الناس من يمكنه إغاثة غيره، فيقال: أبو يزيد أراد -والله أعلم- الاستغاثة المطلقة التي لاتصح إلا بالله، وهو أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، كإزالة المرض والانتصار على العدو وهداية القلب، وهذا القدر يمكن المستول أن يتسبب فيه؛ أن يدعو الله له ويحبب الله دعاءه، كما أنه [قد]^(٤) يمكن بعض الغرقى أن يمسك غيره ويخلصه إذا كان فيه قوة على ذلك، وإن كان أراد كل ما يسمى استغاثة بحيث لا يطلب من [المخلوق شيء]^(٥)، فهذا كقوله ﷺ «لا يسترقون»، وقوله «إذا سألت فاسأل الله».

١٣٩

١- سبق تخريجه في ص ٢٧٧

٢- سبق تخريجه في ص ٢٧٩

٣- سبق تخريجه في ص ٢٦٢

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥- كذا في (ح) وفي الأصل (المخلق شيئاً) وفي (ف) و(د) (المخلوق شيئاً) والصواب ما أثبت أعلاه لأن شيئاً نائب الفاعل.

وحينئذ فالمسئول كائن من كان لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله وقدرته، فهو أحوج إلى معونة [الله] ^(١) من الغريق إلى من يخلصه، فإن الغريق غايته أن يموت؛ وهذا إن لم يغنه الله لم يفعل شيئاً قط بل هلك، فافتقار الخلق إلى الخالق [أعظم] ^(٢) من افتقار الغريق إلى المنقذ، والمسجون إلى من يرسله، ولهذا قيل: استغاثه المخلوق بالمخلوق أبلغ من هذا، كالأستغاثه بالمعدوم.

الرابع: قوله: وإن كنا نعلم أن المراد بها المراد بقول القائل لا يستغاث إلا بالله، ولا يفرج الكرب إلا الله، فيقال: هذا يقتضي تصويب هذا النافي، وعلى قولك لا يكون هذا النفاً صواباً؛ لأنك قلت: إنه يستغاث بالمخلوق في كل ما يستغاث فيه بالله، وحينئذ فهذا الإثبات يناقض ذلك السلب العام، وقد تقدم (أن دعواه أن المثبت) ^(٣) هو عين المنفي في كلام الله ورسوله خطأ، بل مانفاه الرب عن غيره لم يثبت له والمنفي عن المخلوق ما يختص الرب به، وكذلك قول أبي يزيد وغيره.

الوجه الرابع:
المنفي عن
المخلوق هي
الاستغاثه
الكامله

وَأما على ماداعه فالاستغاثه بالمخلوق عامه/ في كل شيء؛ فلا
يكون شئ من الأشياء [لا] ^(٤) يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيه، فلا

١- كذا في (ج) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ج) وسقطت من الأصل.

٣- ما بين القوسين سقط من (ف).

٤- كذا في (ج) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

تنفى الاستغاثه عن^(١) غير الله، إذا كانت ثابتة للمخلوق في كل شئ؛ إلا أن يقال المنفى هو الاستغاثه الكامله أو التى يستقل بها المغيث^(٢)، كما يقال: «لاموجود إلا الله - تعالى-»، فيقال: وهذه العبارة «لاموجود إلا الله» ليست عبارة منقولة عن السلف والأئمة^(٣).

والنافية إذا أراد بالنفى الكمال مع القرينة جاز ذلك، كما يقال لا عالم إلا فلان ولا حاكم إلا فلان، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إلى قوله^(٤) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [سورة الأنفال: ٢-٤].

لا يجوز نفي المسمى
الشرعي بانتفاء
الكمال المستحب
أو الواجب

وقد بينا في غير هذا الموضع^(٥) أن الله ورسوله لم [ينفيا]^(٦) اسماً من مسمى شرعي إلا بانتفاء بعض ما يجب فيه؛ لا [يتنفى]^(٧) (لانتفاء)^(٨)

١- في (ف) من.

٢- في (ف) المستغث.

٣- في (د) تعالى. ويجوز الإخبار بهذه العبارة عن الله - عز وجل - ولا يسمى بها سبحانه. انظر مج ج ١٤٢/٦ وبدائع الفوائد لابن القيم ج ١/٧٦ ولم يذكر هذه العبارة السلف مثل ابن منده وغيره.

٤- تكلمة الآيات ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون﴾.

٥- انظر مج ج ٢٢/٥٣٠-٥٣٢، ج ١٩١/٢٩٢-٢٩٢.

٦- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل (لم ينفوا) وفي (ح) (يُنْفَى).

٧- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل (ينفوا) وفي (ح) (يُنْفَى).

٨- في (ف) إلا بانتفاء.

٤- أخرجه الترمذي في (كتاب الطهارة، باب ماجاء في التسمية عند الوضوء) رقم ٢٥
 ج١/٣٧ قال أبو عيسى: قال أحمد بن حنبل: لأعلم في هذا الباب حديثاً له إسناد
 جيد قال محمد بن محمد بن إسماعيل: ((أحسن شئ في هذا الباب حديث رباح بن
 عبد الرحمن -يعنى هذا الحديث-)) وابن ماجه في (أبواب الطهارة، باب ماجاء في
 التسمية في الوضوء) رقم ٤١٣ ج١/٧٨ والدارمي في (كتاب الوضوء والصلاة،
 باب التسمية في الوضوء) رقم ٦٩٧ ج١/١٤١ واللفظ له.

المسجد إلا [في] (١) المسجد» (٢) وقوله «من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له» (٣) فهذه الأحاديث قد اختلفت في صحتها، واختلفت في نفي الكمال بها في مذهب أحمد وغيره، فإن قيل إنها

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالمسجد) بالباء.

٢- أخرجه الحاكم في المستدرک ج١/٢٤٦ وسكت عنه، وعبدالرزاق في المصنف ج١/٤٩٧ رقم ١٩١٥، والبيهقي في السنن الكبرى ج١٣/١١١ (كتاب الصلاة، باب المأموم يصلّي خارج المسجد) عن علي وأبي هريرة مرفوعاً. والدارقطني في السنن ج١/٤٢٠ (باب الحث لجار المسجد على الصلاة فيه) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وقد ضعف بعض طرق الحديث أبو الطيب محمد شمس الحق في التعليق المغني على الدارقطني بهامش سنن الدارقطني تصحيح عبد الله هاشم يماني المدني (طبعة دار المحاسن للطباعة القاهرة - مصر) ج١/٤٢٢. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٢٢/٥٣١ ((وهذا اللفظ قد قيل: إنه لا يحفظ عن النبي ﷺ وذكر عبدالحق الإشبيلي: أنه رواه بإسناد كلهم ثقات (هكذا في الأصل)، وبكل حال فهو مأثور عن علي، ولكن نظيره في السنن عن النبي ﷺ أنه قال «من سمع...»)) وضعفه ابن حجر في فتح الباري ج١/٥٧٩، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١/٢١٧ رقم ١٨٣: الحديث ضعيف لائحة فيه . ا.هـ.

٣- أخرجه أبو داود في (كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة) رقم ٥٥١ ج١/٣٧٤ وابن ماجه في (أبواب المساجد، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة) رقم ٧٧٧ ج١/١٤٢ ولفظه «... فلم يأتيه...» والحاكم في المستدرک ج١/٢٤٦ كتاب الصلاة واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي، قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١/٢١٨: أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي وسند ابن ماجه صحيح وقد صححه النووي والعسقلاني والذهبي ومن قبلهم الحاكم . ا.هـ.

صحيحة وجب العمل بموجبها، وكذلك قوله «لاصيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»^(١) قد اختلف في صحته، فليس في هذا الباب حديث صحيح، اتفق العلماء على أن المراد به نفي الكمال المستحب.

وقول القائل لا يستغاث/ إلا بالله [ولا يسأل إلا الله]^(٢) ونحو ذلك فليس هو نفيًا لمسمى شرعي؛ بل لغوي وهو نفي معناه النهي، كقوله [لا يستعان]^(٣) إلا بالله ولا [يسأل]^(٤) إلا الله ونحو ذلك، وهذا

١٤١

نفي الاستغاثه بغير الله نفي لمسمى لغوي معناه النهي

١- أخرجه النسائي في (كتاب الصيام، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة) ج٤/ ١٩٦ رقم ٢٣٢٩، ٢٣٣٠ والترمذي في (كتاب الصوم، باب ماجاء لاصيام لمن لم يعزم من الليل) ج٣/ ١٠٨ رقم ٧٣٠ وأبو داود في (كتاب الصيام، باب النية في الصيام) ج٢/ ٨٢٣ رقم ٢٤٥٤ وابن ماجه في (أبواب الصيام، باب ماجاء في فرض الصوم من الليل) ج١/ ٣٣١ رقم ١٧٠٢ وأحمد في المسند ج٦/ ٢٨٧ والدارمي في (كتاب الصوم، باب من لم يجمع الصيام من الليل) ج١/ ٣٣٩ رقم ١٧٠٥ والدارقطني في السنن ج٢/ ١٧٢ ولفظه «من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له» وقال: ((تفرد به: عبدا لله بن عباد عن الفضل ورواته كلهم ثقات)). قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٧/ ٣٤: ((قد رواه أهل السنن وقيل إن رفعه لم يصح، وإنما يصح موقوفًا على ابن عمر أو حفصة))

٢- ما بين المعقوفين من (ح) وفي (د) (لايسأل إلا بالله) بزيادة باء في لفظ الجلالة، وسقط من الأصل و(ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يستغاث).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (سأل).

النهي عام في كل شيء؛ لكن النهي في أكثره نهى تحريم؛ وبعضه نهى تنزيه، [والأولى] ^(١) للإنسان أن لا يسأل أحداً إلا الله، كما وصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه بذلك، وهو نهى تحريم فيما لا يقدر عليه إلا الله وغير ذلك، وهو أيضاً نهى تحريم إذا طلب من المخلوق تمام مطلوبه، فإن مطلوبه لا يقدر عليه إلا الله، وإنما يقدر المخلوق على بعض أسباب مخلوقة، وبهذا وجب على العبد أن لا يتوكل إلا على الله، فإنه لا يقدر غير الله على حصول مطلوبه، إذ مطلوبه وإن كان له أسباب فالمخلوق المعين؛ وإنما يقدر على بعض أسبابه ثم ذلك المخلوق لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله وقدرته.

الخامس: قوله (وأما قول هذا المبتدع لا يستغاث بالرسول فإنه

كفر ... إلى آخره).

تكفير البكري لمن
نفى الاستغاثة
بالنبي ﷺ

فيقال له أولاً: ليس هذا قوله، فإنه لا ينفي عنه أن يستغاث به فيما يليق بمنصبه بل قد صرح بجواز ذلك أيضاً، فإنه لا يخص الرسول لا بالذكر ولا [بالنفي] ^(٢)، بل إنما قيل هذا على سبيل العموم؛ وهو أنه ^(٣) لا يستغاث بميت أصلاً لا الرسول ولا غيره، ولا يستغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق.

رد ابن تيمية أولاً:
جواز الاستغاثة
بالنبي ﷺ فيما يليق
بمنصبه.

١- بياض في جميع النسخ بمقدار ثلاث كلمات في الأصل و(ف) و(د) وفي (ح) بمقدار كلمتين وفي هامش (ف) و(د) بياض في الأصل. وما بين المعقوفين يقتضيه السياق.

٢- ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمته وفي هامش (ف) بياض في الأصل وقد سبق معان قريبة من هذا.

٣- في (ف) أن.

ثانياً: اللفظ
المطلق في
الاجابة يقيد
بالسؤال

ويقال ثانياً: دعواك أن هذا التخصيص كفر، أحق بأن يكون كفراً؛ بل يقال لك: لانسلم أنه باطل فضلاً عن أن يكون كفراً، وهذا عند المخصص^(١) إذا قال لا يستغاث به بعد موته ونحو ذلك، بمنزلة أن يقال: لأيسأل ولا يدعى بعد موته أو لا يصلى على الرسول عند الذبح^(٢)، أو لا تجب الصلاة على الرسول في الصلاة^(٣) ونحو ذلك من

١- في (ف) المتخصص وفي (د) و(ح) التخصيص.

٢- اختلف العلماء ، فقال الجمهور: لا تشرع الصلاة على النبي ﷺ عند الذبح، ومذهب الإمام مالك والمنصوص عن الإمام أحمد كراهته وأقوى أدلتهم أن هذا الموطن يفرد بذكر الله -تعالى-، كما ورد في سنة النبي ﷺ والصحابة من بعده في الذبح.

وقال الإمام الشافعي يستحب ذلك، واستأنسوا بقول الله -تعالى- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ٤] أي لا اذكر إلا ذكرت معي.

والراجح قول الجمهور اتباعاً لسنة النبي ﷺ وأصحابه في الذبح. والله أعلم. انظر: المغني وبهامشه الشرح الكبير ج ١١/٥ وتفسير ابن كثير ج ٣/٥١٥ وتلخيص الاستغاثة ص ١٥١.

٣- خلاف العلماء في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير على ثلاثة أقوال:

الأول: ذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة وهي ركن من أركان الصلاة، من لم يأت بها بطلت صلاته، وفرق بعض هؤلاء بين العمد والنسيان.

الثاني: أنها واجبة ومن فروض الصلاة، وهو مذهب الشافعية والصحيح في المذهب عند الحنابلة وغيرهم، واختلف هؤلاء في القدر الواجب فقال طائفة الواجب: هو: اللهم صل على محمد، والزيادة مندوبة، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب إلى قوله إنك حميد مجيد.

الثالث: أنها مندوبة وذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف، حتى نقل الطبري والطحاوي الإجماع على ذلك، ولا تصح دعوى الإجماع. والراجح -والله أعلم- أن الواجب هو: اللهم صل على محمد، والزيادة مندوبة.

١٤٢ العبارات/ النافية [لبعض الأمور]^(١) عن الرسول، وقد يكون اللفظ مطلقاً لتقييده بسؤال السائل، مثل أن يقال: هل يصلى عليه عند الذبح؟ فيقال: لا يصلى عليه، ويقال: هل يستغاث به بعد موته وفي^(٢) مغيبه؟ فيقال: لا يستغاث به.

لكن إن كان المستمع يفهم من هذه العبارة أنه لا يسأل في حياته شيئاً ولا يستشفع به، بمعنى أنه ليس أهلاً لذلك، لم يجز إطلاق هذه العبارة إذا عني بها المتكلم معنى صحيحاً وهو يعلم أن المستمع يفهم منها معنى فاسداً؛ لم يكن له أن يطلقها لما فيه من التلبيس، إذ المقصود من الكلام البيان دون التلبيس، إلا حيث يجوز التعريض خاصة، وليس هذا موضع تعريض، ولو قدر أن مطلقاً أطلقها وكنى بها معنى صحيحاً، والمستمع فهم منها الكفر؛ لم يكفر المتكلم بذلك، لاسيما إذا لم يعلم أن المستمع يفهم المعنى الفاسد.

انظر: المغني وبهامشه الشرح الكبير ج١/٥٧٧-٥٧٨ والجامع لاحكام القرآن ج٤/٢٣٥-٢٣٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣/٥٠٨، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري ج٣/١٣٨-١٤٠ طبعة مكتبة المكتبات الأزهرية القاهرة - مصر، وفتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة سابقاً جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ج٢/٢٢١-٢٢٢ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ. مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

١- بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين في الأصل و(ف) و(د) وفي (ح) بمقدار كلمة وفي هامش الأصل و(ف) و(د) بياض في الأصل، وما بين المعقوفين يقتضيه السياق.

٢- (وفي) سقطت من (ف).

وكلام الله ورسوله وكلام العلماء مملوء بما يفهم الناس منه معنى فاسداً، فكان العيب في فهم الفاهم لافي كلام المتكلم الذي يخاطب جنس الناس، كالمصنف لكتاب أو الخطيب^(١) على المنبر ونحو هؤلاء لا يكلفون أن يأتوا بعبارة لا يفهم منها مستمع ما معنى ناقصاً، فإن ذلك لا يكون إلا إذا علم مقدار فهم كل من يسمع كلامه ويقرأ كتابه، وهذا ليس في طاقة بشر، والله - تعالى - ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم، فما^(٢) يمكن بيان الرسول إلا على طريقة اللغة المعروفة، وإن وقع خطأ في فهم بعض الناس، والله - تعالى - أنزل كتابه بلسان العرب، وهو لا بد أن ينزله بلسان من الألسنة، وأكمل الألسنة لسان العرب، وأكمل البلاغة بلاغة القرآن باتفاق أهل العلم بذلك.

وقد غلط في كثير من فهم القرآن، من لا يحصيه إلا الله، حتى في زمن النبي ﷺ، فهم طائفة من قوله^(٣) ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] أن المراد به الخيوط التي هي من جنس الحبال^(٤)، وفهم بعضهم من

١٤٣

١- في جميع النسخ: الخطب. والصواب ما أثبتناه.

٢- في (ف) فيما وكذلك في الأصل ولكنها مصححة في هامش الأصل.

٣- في (د) تعالى.

٤- يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود... الآية﴾ ج ٣/ ١٣٦٤ رقم ٤٥٠٩ عن الشعبي عن عدي قال: أخذ عدي عقلاً أبيض وعقلاً أسود، حتى كان بعض الليل نظر، فلم يستبيناً، فلما أصبح، قال: يا رسول الله جعلت تحت

قوله (١) ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم: ٧١] أن المراد دخولها و التعذيب فيها (٢)، وفهم بعضهم من قوله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [سورة الانشقاق: ٨] أنه قد يناقش العبد الحساب وينجو (٣)، ومثل هذا كثير.

السادس: قوله: (لأنه (٤) لفظ يقتضى سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة، وهذا نفي لوصف من أوصاف الكمال).

الوجه السادس:
تسوية البكري بين
التوسل والاستغاثة

وسادتي، قال: «إن وسادك إذا لعريض، أن كان الحيط الأبيض والأسود تحت وسادتك» وطرفه رقم ٤٥١٠، ٤٥١١.

١- في (د) تعالى.

٢- يشير إلى ما أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان) ج٤/ ١٩٤٢ رقم ٢٤٩٦ عن أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» فقالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي ﷺ «قد قال الله -عز وجل-: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾.

وأخرجه ابن ماجه في (أبواب الزهد، باب ذكر البعث) ج٢/ ٤٤٤ رقم ٥٣٣٥ ولفظه «... من شهد بداراً أو الحديبية ... الحديث».

٣- يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ ج٣/ ١٥٨٤ رقم ٤٩٣٩ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، أليس يقول الله -عز وجل- ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال: «ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك».

٤- في (د) و(ح) أنه.

فيقال له: نفي الاستغاثه به في شيء مخصوص أو وقت مخصوص، لا يفهم أحد منها نفي التوسل به ولا نفي كونه سبباً، وإنما يفهم منها نفي الطلب منه لذلك الشيء أو في ذلك الحال، وما ذكرته فيما تقدم من أن المتوسل به مستغيث به، قول لم يقله أحد قبلك لامن العرب ولا من العجم، وليس لأحد أن يفسر اللفظ بمعنى لا يعرفه أحد.

السابع: (إن قوله: يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله)، قول باطل، فإن قول القائل لا يستغاث به نفي يكون هذا مشروعاً، ولا سيما إذا كان في سياق الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية، والصيغة صيغة خبر، فإنه لم يرد نفي إمكان شرع، فضلاً عن أن يقتضي نفي الصلاحية، فإذا قيل الرسول لا يسجد له، لم يقتض أن ذلك غير ممكن أن يشرعه الله، فقد أمر الملائكة بالسجود لآدم^(١)، وقد سجد ليوسف [أبواه]^(٢) وأخوته، ومحمد ﷺ أفضل من آدم ويوسف؛ فكيف يفهم من هذا اللفظ أنه لا يصلح لما يصلح له آدم ويوسف -عليهما السلام-.

وكذلك إذا قيل: النبي لا يورث؛ لم يكن هذا نفيًا؛ لإمكان أن يبيح الله أن يورث، أو نفيًا لاستحقاق شيئاً يمكن أن يورث عنه/.

١٤٤

١- يشير إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [سورة البقرة: ٣٤].

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل أبوه وأما ما أثبت أعلاه هو الصواب لأنه فاعل.

وكذلك إذا قيل: كان الصحابة قد نهوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن شيء؛ لم يكن في هذا نفي لما يسأل عنه؛ ولا نفي لإمكان أن يشرعه الله ورسوله، كما أن^(١) قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٠١] لا يقتضي نقضاً^(٢) [بالمستول]^(٣)، وقوله ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨]، وقوله ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء: ١٥٣]، فنهي الأمم أن تسأل الأنبياء هذه المسائل، (لا يقال إنه نفي لصلاحية الرسل أن يكونوا وسيلة في حصول المستول)^(٤)، [وذلك]^(٥) نفي لصفة الكمال؛ إذ ليس فيه إلا النهي عن السؤال، ليس فيه نفي لصلاحية^(٦) المستول أن يسأل؛ ولا نفي قدرته على حصول المستول، ولا شيء من هذا، بل قد يكون النهي عن السؤال لمصلحة المنهي^(٧)، ولما في سؤاله من المفسدة.

١- (أن) سقطت من (د).

٢- في (ف) نقضا (بالضاد).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بالسؤال).

٤- ما بين القوسين سقط من (د).

٥- في (ح) (وليس ذلك).

٦- في (د) الصلاحية.

٧- في (ف) النهي.

النهى عن الاستغاثه
بالنهي ﷺ لمصلحة
النهى

وقوله لا يستغاث به هو مثل قوله لا يسأل، هو نهى عن سؤاله وعن الاستغاثه [به] ^(١)، لما في ذلك من مصلحة المنهي ومن مصلحة الرسول ومن توحيد الرب، وأيضا فقول القائل لا يصلح أن يستغاث به، أو لا يصلح أن يكون وسيلة إلى الله في حصول الإغاثة، قد يريد: لا يصلح شرعاً بمعنى أن هذا لم يشرع، وقد يريد لا يصلح أي أن هذا غير ممكن في حقه، فلو قدر أن نفي الاستغاثه نفي للصلاحيه ^(٢) فالصلاحيه لفظ مجمل.

وبالجملة فكلام هذا الرجل كثير منه نزاع لفظي، مع كونه لفظياً فهو يعبر عن المعنى بلفظ لم يعبر به غيره، وينكر على غيره أن يعبر عن المعنى بالعبارة المستعملة فيه، ففيه جهل وظلم، جهل بدلالة اللفظ في استعماله، واستعمال اللفظ فيما لم يستعمل فيه قط، وينكر على من يستعمله في معناه، ويريد أن يلزمهم بالقبيح الذي [ارتكبه] ^(٣)، ويحمل كلامهم على المعنى الباطل؛ لظنه/ أن اللفظ يحتمله مع أنهم [قد] ^(٤) صرحوا بنقيض ذلك المعنى بعبارة صريحة، فبدع ^(٥) محكم ^(٦) كلامهم

١٤٥

١- كذا في (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

٢- في (د) الصلاحيه.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (رتكبه).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥- في (ف) و(د) و(ح) فبدع.

٦- (محكم) سقطت من (د).

وتمسك بمتشابهه الذى هو متشابه في ظنه؛ مبتغيا للفتنة بذلك، وليس مقصوده معرفة مراد المتكلم وتأويله، بل غرضه مايقوله الناس عنه من إرادة العلو في الأرض والفساد بالظلم.

يبين هذا الجواب الثامن: وهو أنه قد ذكر المجيب في أول جوابه فقال: قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة؛ أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفع، وأنه سيد ولد آدم، وأنه يشفع في الخلائق^(١) يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به فيطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم فيشفع لهم، وفيه أيضا تقرير ماكان أصحابه يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به، وفي الجواب: والاستغاثه بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم^(٢)، فإذا كانت هذه الألفاظ الصريحة فيه؛ فلو قدر أن فيه إطلاق نفى الاستغاثه، هل كان يقال إن فيه ما يقتضي نفى صلاحية أن يكون وسيلة إلى الله في حصول الاستغاثه؟ وقد بين فيه^(٣) تقرير ماكان الصحابة [يفعلونه]^(٤) من التوسل به والاستشفاع به، وقرر فيه أن الناس يستشفعون به ويتوسلون بشفاعته في الدنيا والآخرة، وأنه يستغاث به بمعنى أنه يطلب منه كل ماهو اللائق بمنصبه، فإذا كان قد بين ثبوت هذه الأمور؛ هل يمكن أن

الوجه الثامن: بيان المؤلف لاستشفاع الصحابة بالنبي ﷺ وترسلهم به في حياته

١- في (د) للخلائق.

٢- سبق إيراد المؤلف لجزء كبير من الجواب، انظر ص ٢٨٩ .

٣- في (ف) و(د) و(ح) من.

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (يفعلون) وما أثبت أعلاه هو الصواب.

ينفي معها صلاحيته لبعضها؟! ومعلوم أن حصول [الاستشفاع والتوسل به] ^(١) أبلغ من الصلاحية له، فإذا كانت هذه الأمور قد أثبتت فكيف يُنفي معها الصلاحية لذلك؟ والألفاظ بإثباتها صريحة، واللفظ الذي توهم فيه نفي الصلاحية؛ غايته أن يكون محتملاً لذلك، ومعلوم أن مُفسِّر كلام المتكَلِّم يقضي على [مُحْمَلِهِ] ^(٢)، وصريحه يقدم/ على ^{١٤٦} [كنايته] ^(٣)، ومتى صدر لفظ صريح في معنى ولفظ يحمل نقيض ذلك المعنى وغير نقيضه؛ لم يحمل على نقيضه جزماً حتى يترتب عليه الكفر؛ إلا من فرط الجهل والظلم.

التاسع: أنه لو فرض أن معنى اللفظ ما ذكرته، فإذا كان [مطلقاً] ^(٤) اللفظ لا يعرف معناه، إلا ما أراده ^(٥) بنفسه لم يكن كافراً بإجماع المسلمين، وإن اعتقد أن ما نفاه هو مدلول اللفظ، وما نفاه منتفٍ عنه إجماعاً أو في قول سائغ؛ لم يكن هذا كافراً عند أحد من المسلمين.

١- ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين، وفي هامش (ف) و(د) بياض في الأصل، وما أثبتته هو مما سبق ذكره قبل أربعة أسطر

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (محمله) بالخاء.

٣- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) كتابته، وفي الجملة ركافة والأولى (يقضي أن يقدم محمله وصريحه).

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) المطلق.

٥- في (د) ما أن أراده.

العاشر: قوله: (يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة) كلام مجمل، فيقال لك ماتعني به؟ أتريد أن النبي ﷺ والرجل الصالح وغيرهما لا يكون بعد موته وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة منه؟ (أو أنه لا يكون حياً ولا ميتاً وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة منه؟) (١) وقوله لا يكون وسيلة تريد به أن لا يتوسل به أي بذاته أو بدعائه وشفاعته أو غير ذلك؟ فإن أردت أن الميت نبياً كان أو غير نبي لا يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة، بمعنى أن يطلب منه [أن يكون] (٢) وسيلة في طلب الغوث منه، قيل لك: هذا صحيح، ولم قلت إن الأمر بالعكس، ومن أين لك في الشرع أن يطلب من الميت وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة منه؟! بل وكذلك إن أردت أن الاستغاثة بالحي والميت [تكون] (٣) وسيلة إلى الله في طلب الغوث منه، ومن أين لك أن الطالب من المخلوق يكون طالباً من الله - عز وجل (٤) -؟! ومن الذي قال إن السائل بمخلوق [و] (٥) الداعي له والمستغيث به نبياً كان

الوجه العاشر: الرد
على دعوى سلب
صلاحية الرسول
ﷺ

١- ما بين القوسين سقط من (ف).

٢- ما بين المعقوفين من (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (لا يكون).

٣- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) (يكون).

٤- ما بين الشرطتين في (د) تعالى.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

المدعو أو غير نبي؛ يكون المخلوق المستغاث وسيلة إلى الله في /
[الطلب] ^(١) منه !!؟.

١٤٧

وهذا أمر مخالف للعقل واللغة والشرع، فمن الذي جعل الطلب من هذا وسيلة في الطلب من هذا في كل شيء وعلى كل حال؟! بل من طلب من الرسول أو غيره فإنما يطلب مقدوره، فيطلب منه الدعاء والشفاعة؛ ويكون دعاؤه وشفاعته وسيلة في حصول المطلوب، [لا أن] ^(٢) ذلك يكون طلباً من الله، وأنت قد جعلت كل ما يطلب من [غير] ^(٣) الله وسيلة من وسائل الله، فما هذه الوسائل التي يكون المتوسل بها طالباً من الله، فإن الطلب من الله معروف معلوم، فيقال: دعا الله وسأله واستعانه واستغاث به وطلب منه ورغب إليه واستجاره واستعاذه ونحو ذلك، وليس هنا ^(٤) مخلوق يكون الاستغاثة به وسيلة في هذا الطلب، وكان [هذا] ^(٥) يجعل نفس الطلب من الصالح طلباً من الله.

١- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) (طلب) ولم تظهر في (ح).

٢- ما بين المعقوفين يقتضيه السياق ، وفي جميع النسخ (لأن).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤- في (د) هذا.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (هذ) سقطت الألف.

ويقول: إن الصالح لمنزلته عند الله، من طلب منه شيئاً فإن الله تعالى يعطيه ذلك، كما إذا طلب من الله، وهذا حال كثير من^(١) الجاهلين الضالين يستغيث أحدهم بشيخه في كل ما يهيمه، فإذا خاف أحدًا أو طلب حاجة استغاث بالشيخ [أو]^(٢) الغائب والميت، فيقول: يا شيخ فلان أنا في حسبك ياسيدى فلان ونحو ذلك من العبارات، ومنهم من يقول: هذا وقتك يا شيخ فلان، أو يقول: إن لم تحضر يا شيخ فلان وإلا فُعلَ بنا وصُنِعَ، وقد يقول: إن كنت رجلاً صالحاً صاحب حال فأرني حالك، ويقول: إن كان لك جِءَ عند الله فهذا وقت جاهك، وقد يستغيث أحدهم بعدة مشايخ، فيقول: ياسيدى فلان وفلان وفلان، ثم من هؤلاء من يتصور له صورة إنسان يظنها الشيخ أو ملكاً يتصور على صورته وسارّه وكالمه [وقضى بعض حاجاته]^(٣) ونحو ذلك، ومنهم من [يتصور]^(٤) له ذلك في صورة طائر، ومنهم من يتصور له في صورة حيوان آخر، وتكون تلك الشياطين تتصور بتلك الصور لأولئك المشركين الذين دعوا من دون الله آلهة أخرى وطلبوا منهم مالا / يجوز أن يطلب إلا من الله، كما كان المشركون يطلبون من الأوثان ما يطلب من الله، وكما يطلب عبادة الكواكب منها ما لا

استغاث أهل الجهل
والضلال بالشيخ

١٤٨

١- في (د) (أي) وهي زيادة.

٢- كذا في (د) وسقط من الأصل (ف) و(ح).

٣- مابين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين، وفي هامش (د) بياض في الأصل، وما أثبت أعلاه كرره المؤلف في مواضع من هذا الكتاب.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (تتصور).

يطلب إلا من الله، وكذلك عباد الأنبياء والملائكة، قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٦-٥٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٠]، وهؤلاء لا^(١) يتصور أن يقضى لهم جميع مطالبهم ولا أكثرها، كما أن ماتخبر به الشياطين من الأمور الغائبة لا يصدقون فيه كله ولا في أكثره، بل يصدقون في واحدة ويكذبون في أضعافها، ويقضون لهم حاجة واحدة ويمنعونهم أضعافها، ويكون فيما أخبروا به وأعانوا عليه إفساد حال الرجال في الدين والدنيا، وهذه الأمور لبسطها موضع [آخر]^(٢).

المستغيثون
بالأموات لا تحصل
لهم كل مطالبهم

والمقصود أن كثيراً من [الضالين]^(٣) الجاهلين يستغيثون بمن يحسنون به الظن من الأموات والغائبين في كل ما يستغاث الله فيه، ولا يتصور أن هؤلاء يسألونهم مطالبهم كلها ولا أكثرها، بل غاية ما يطلبونه منهم من جنس تحصيل المنافع ودفع المضار و^(٤) لا يحصل، بل قد يُحصل بعض المطالب، كما يحصل لعباد الأصنام والكواكب

١- (لا) سقطت من (د).

٢- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل الصالحين.

٤- الواو سقطت من (ف).

وغيرهم من المشركين، ويكون ما يخبرون به ويفعلونه شبهة للمشركين، كما أن ما يخبر به الكاهن ونحوه من الأخبار، فإنه يصدق في واحدة ويكذب في شيء كثير، كما قال النبي ﷺ: «لو آتوا بالأمر على وجهه لكان، ولكن يخلطون بالكلمة الواحدة مائة كذبة»^(١).

فهذا القول الذي يقوله هذا هو مطابق لأحوال هؤلاء المشركين الضالين، لكن هذا ليس يقوله مسلم ولا عاقل يتصور ما يقول، بل هو من جنس قول النصارى: (دعاء المسيح)^(٢) دعاء الله، لكن أولئك يقولون باعتبار الحلول والاتحاد، وأما بدون هذا (فهو كلام)^(٣) غير معقول، فإن الله - تعالى - أمر أن يدعى / هو ويسأل هو، ولم يجعل دعاء أحد من المخلوقين دعاء له بل قد نهى الله عن دعائه، ولو كان هذا حقاً لكان من دعا الملائكة والأنبياء دعا الله^(٤) ولا يكون مشركاً؛

لم يقل مسلم إن
دعاء مخلوق هو
دعاء الله

١٤٩

١- أخرجه البخاري في (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده) ج ٢/ ١٠١٢ رقم ٣٢١٠ وأطرافه: ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١ ومسلم في (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان) ج ٤/ ١٧٥٠ رقم ٢٢٢٨ وابن ماجه في (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية) ج ١/ ٣٨ رقم ١٨٢ والإمام أحمد في المسند ج ٦/ ٨٧ والبغوي في شرح السنة، باب الكهانة رقم ٣٢٥٨ ج ١٢/ ١٨٠ والبخاري في (الأدب المفرد، باب الرجل يقول ليس بشيء وهو يريد أنه ليس بحق) رقم ٨٨٥ ص ٢٩٥ والطحاوي في مشكل الآثار ج ٣/ ١١٥ الطبعة الأولى مصورة عن طبعة ١٣٣٣ هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان وغيرهم بألفاظ متقاربة.

٢- ما بين القوسين سقط من (د).

٣- في (ف) فكلام.

٤- في (ف) لله.

والله قد جعلهم مشركين، وقد قال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴿[سورة الإسراء: ٥٦-٥٧]، فإن هؤلاء الضالين جعلوا الصالحين مع الله - سبحانه وتعالى (١) - كالوكيل مع موكله، فإذا طُلب من الوكيل الدعاء كانت المطالبة للموكل في المعنى؛ لكن هذا ليس من أقوال الموحدين، بل هو من أعظم شرك الملحدين .

الرسول ﷺ لم
يضمن للخلق
الرزق أو غيره

والرسول لم يضمن للخلق أن يرزقهم و يحاسبهم ولا يجيب دعاءهم، بل هذا كله أخبر أنه الله وحده، قال تعالى ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ [سورة الرعد: ٤٠]، وقال ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ [سورة الأنعام: ٥٠]، وقال ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨] وقال (٢) ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ [سورة التوبة: ٥٩]، فبين تعالى أن التحسب بالله وحده والرغبة إلى الله وحده، وأما الإيتاء فلله والرسول لأن الحلال ماحلله الرسول والحرام ماحرمه الرسول؛ كما قال تعالى

١- مابين الشرطتين في (د) تعالى.

٢- في (ف) تعالى.

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [سورة الحشر: ٧]
 فالله - تعالى - (١) قد جعل الرسول مبلغاً لكلامه؛ الذي هو أمره ونهيه
 ووعده ووعيده.

وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق
 وقضاء الحاجات وكشف الكربات (٢)، وهذا ليس من دين المسلمين،
 بل النصارى تقول هذا في المسيح وحده بشبهة الاتحاد والحلول،/ ولهذا
 لم يقولوا ذلك في إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل، مع أنهم في
 غاية الجهل في ذلك، فإن الآيات التي بعث بها موسى أعظم، ولو كان
 الحلول ممكناً لم يكن للمسيح خاصية توجب اختصاصه بذلك؛ بل
 موسى أحق بذلك، ولهذا خاطبت من خاطبته من علماء النصارى
 وكنت أتنزل معهم إلى أن أطالبهم بالفرق بين المسيح وغيره من جهة
 الإلهية، فلم [يجدوا] (٣) فرقاً، بل أبين لهم أن ماجاء به موسى من
 الآيات أعظم؛ فإن كان هذا حجة في دعوى الإلهية فهو أحق، وأما
 ولادته من غير أب فهو يدل على قدرة الخالق لا على (٤) أن المخلوق
 أفضل من غيره (٥).

شرك عباد القبور
 في توحيد الربوبية
 أيضاً

١٥٠

١- سقطت من (د).

٢- وذكر ذلك كثيراً الشعراني في طبقاته في تراجم الصوفية .

٣- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل و(ف) (يجدون) بثبوت النون وهو خطأ.

٤- (على) سقطت من (د).

٥- إحدى هذه المناظرات كانت في قاعة الترسيم بالقاهرة، فلما أقام عليهم الحجة،

عودة للرد على
البكري في دعوى
سلب صلاحية
الرسول

الرد الأول: نفي
الاستغاثة لا يفهم
منه نفي السؤال به

الرد الثاني: لا يجوز
التوسل بالذات
بعد الممات

وإن أراد بقوله: (يقتضي سلب صلاحية الرسول لأن يكون وسيلة إلى الله في طلب الإغاثة) أنه لا يتوسل بذاته فلا يقسم به على الله ولا يقال أسألك برسولك أو أسألك بجاه رسولك.

فيقال: أولاً: نفي الاستغاثة بهم لا يفهم أحد منها نفي السؤال به.

ويقال: ثانياً: وهب^(١) أنه أراد هذا؛ فما الدليل على جواز السؤال لله بذوات^(٢) المخلوقين أو مطلقاً وبعد موتهم؟! ومن قال هذا من الصحابة والتابعين لهم باحسان؟ والصحابة إنما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته، ولهذا توسلوا بعده بالعباس ولو كان التوسل بذاته ممكناً بعد الموت لم يعدلوا إلى العباس، والأعمى إنما توجه بدعائه وشفاعته^(٣)، وكذلك الصحابة^(٤) في الاستغاثة، وكذلك الناس يوم القيامة يستغيثون به ليشفع لهم إلى الله، فهم يتوسلون بشفاعته، [أما]^(٥) بمجرد^(٦) الذات بعد الممات فلا دليل عليه ولا قاله أحد من

احتجوا بما يفعله جهال الصوفية عند رأس الحسين، وقر نفيسة وغيرهما، فلما أبان الشيخ ضلال هؤلاء وجهلهم؛ قالوا: الدين الذي ذكرته خير من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه. انظر: ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه إبراهيم الغياني ص ٢٤-٢٥.

١- في (د) وهبوا.

٢- في (د) و(ف) بذات.

٣- سبق ذكر الحديث بتمامه والتعليق عليه في ص ٢٩١

٤- في (د) (رضى الله تعالى عنهم).

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لا).

٦- في (د) مجرد.

السلف، بل المنقول عنهم يناقض ذلك، قد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز؛ وإن نقل عن بعضهم جوازه، فقد قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

ويقال: ثالثاً: وهب أن قائل ذلك أخطأ في هذا النفي؛ لكن ليس كل مخطئ يكفر؛ لاسيما إذا قاله متأولاً باجتهاد أو تقليد، وإن أراد بقوله لا يكون وسيلة أي لا يكون الإيمان به ومحبه وطاعته وموالاته، واتباع سنته والمجاهدة على دينه ونحو ذلك وسيلة إلى الله؛ فهذا لم ينفع أحد، ونفي الاستغاثة به لا ينفي هذه الوسائل، وهذه وسائل في حصول الثواب والقرب من الله وسعادة الدنيا والآخرة، لا في مجرد الاستغاثة، ومحمد ﷺ هو وسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة بهذا الاعتبار، ومن نفى كونه وسيلة إلى الله بهذا الاعتبار فهو كافر حقاً، فإنه نفى رسالته التي هي أصل الإيمان.

١٥١
الرد الثالث: لا يجوز تكفير المتأول

الحادي عشر: قوله (وهذا نفي لوصف من أوصاف الكمال الثابتة له ﷺ).

دعوى البكري أن الاستغاثة بالنبي من أوصاف الكمال

فيقال له: لانسلم أن هذا نفي لشئ من صفات الكمال؛ بل ولا نفي لشئ موجود، بل هو نفي لشئ منتف في نفس الأمر.

رد ابن تيمية

ويقال له ثانياً: هذا الوصف عندك ثابت لآحاد الناس؛ بل^(١) قولك يقتضي أنه ثابت لكل مخلوق، وما ثبت لآحاد الناس لم يكن من خصائص الرسل التي تعد من كمالاتهم، فلا يقول عاقل: إن

١- في الأصل (قرد) وفي (ف) (قرد) ويظهر أنها زيادة، وليست في (د) و(ح).

ماشاركه^(١) فيه عامة الناس يكون من كمالات الرسل^(٢) التي يكون
نفيها قدحاً في رسالته.

ويقال: ثالثاً: ولو قدر أنه وصف كمال؛ فليس كل من نفى
وصفاً من أوصاف الكمال يكون كافراً؛ إذا كان متاولاً في ذلك، دع
من نفى وصفاً من صفات كمال الرسول على سبيل التأويل.

وقد قال طوائف من السلف [والخلف]^(٣) إنه يقعه معه على
العرش وأنكر ذلك آخرون^(٤)، (وقال قوم إنه كتب بيده عام الحديبية

اختلاف
المسلمين في
بعض أوصاف
النبي ﷺ

١- في (د) شارك بدون (هاء).

٢- في (ف) و(د) (الرسالة) وزاد في الأصل بعد الرسل (له).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤- قال المؤلف في درء تعارض العقل والنقل ج٥/٢٣٧: وحديث قعود النبي ﷺ على
العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما
الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا
ينكرونه، ويتلقونه بالقبول ا.هـ ونقل ابن القيم في بدائع الفوائد ج٢/٣٢٨ عن
القاضي (أبي يعلى) أن المروزي (وهو أحمد بن علي بن سعيد المروزي ت ٢٩٢هـ)
جمع فيه كتاباً وذكر طريقه وأنه قول أبوداود وأحمد وأصرم ... وذكر خلقاً من
السلف ا.هـ والراجع: أن تفسير المقام المحمود بالقعود على العرش لا يصح لاسيما
وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن
المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ لأمته. وقد ذهب إلى هذا ابن عبد البر
في التمهيد ج١٩/٦٤، ج٧/١٥٧-١٥٨ والواحدي كما نقل عنه شهاب الدين
محمود الألويسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١٣١/١
(الطبعة دار التراث القاهرة - مصر) وللتوسع انظر: العلو للذهبي ١٢٤-١٢٦

خرقاً للعادة ونفى ذلك آخرون^(١)، وقال قوم إنه كان يجوع ويربط

وعقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان تأليف سليمان بن صالح الغصن إشراف د. ناصر العقل ص ٦٢ رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين قسم العقيدة ١٤٠٩هـ وقد طبعت فيما بعد .

١- مابين القوسين تأخر في (د) إلى مابعد الجملة التي بعده. وكتابة النبي ﷺ عام الحديبية وردت فيها أحاديث، فقد أخرج البخاري في (كتاب المغازي، باب عمرة القضاء) ج ٣/ ١٢٨٨ رقم ٤٢٥١ من حديث البراء ولفظه

«... ثم قال -أي النبي ﷺ- لعلي بن أبي طالب -رضى الله عنه- : «امح رسول الله» قال علي: لا والله لا أعوك أبداً. فأخذ رسول الله الكتاب -وليس يحسن أن يكتب- فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة... الحديث. ومسلم في (كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية) ج ٣/ ١٤٠٩-١٤١١ رقم ١٧٨٣ ولفظه «... فقال علي: لا والله لأحماها. فقال رسول الله ﷺ : «أرني مكانها» فأراه

مكانها. وكتب ابن عبد الله ...» الحديث، وقد اختلف الناس في هذه المسألة فأنكر كثير من فقهاء الأندلس وغيرهم الكتابة وشنعوا على من قال به حتى نسبوه إلى الكفر والزندقة. وقال بجواز ذلك أبو ذر المروزي وأبو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وحكاها عن السمناني، واختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه ﷺ لم يمت حتى عرف الكتابة، وقال آخرون إنه ﷺ كتب في الحديبية على سبيل الإعجاز، والراجح أنه لا يلزم من كتابة اسمه الشريف ﷺ في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة ويخرج عن كونه أمياً، فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها خصوصاً الأسماء. وللتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٣/ ٣٥٢، وشرح مسلم للنووي ج ١٢/ ٣٧٩-٣٨٠ وغاية السؤل في خصائص الرسول لابن الملقن ص ١٣٢-١٣٤، وفتح الباري لابن حجر ج ٧/ ٦٤١-٦٤٢.

الحجر على بطنه مع قدرته على حصول ما يأكل ، ونفى ذلك آخرون^(١)، وقال ابن مسعود والجمهور: إنه خاطب الجن ورآهم ونفى ذلك ابن عباس وآخرون^(٢)، وقال ابن عباس وطائفة: إنه رأى ربه ونفى ذلك/ آخرون من الصحابة وغيرهم^(٣)، بل نفس المعراج

١٥٢

١-وردت أخبار كثيرة في ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه من الجوع، مع أن الله - تعالى- عرض عليه ﷺ أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً، أو الجبال ذهباً. وقال بموجب هذه الأخبار جمهور العلماء، وردها وضعفها بعضهم كابن حبان وتمسكوا بأحاديث الوصال في الصوم، وأنه ﷺ يطعمه ربه ويسقيه.

وقد أكثر الناس الرد عليه بما ورد في صحيحه من ربط النبي ﷺ الحجر على بطنه. والراجح مذهب الجمهور، ويمكن الجمع بأن الإطعام والسقيا في حال الوصال في الصوم والجوع وربط الحجر على غير الموصلة. والله اعلم.

انظر: صحيح البخاري (كتاب الصوم، باب الوصال) ج٢/٥٨٣ الأحاديث رقم ١٩٦١، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤ وغيرها، البداية والنهاية ج٦/٥٤ وفتح الباري ج٤/٢٦٠-٢٦١، ورفع الحفا شرح ذات الشفا تأليف محمد بن الحاج الكردي تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي وصابر الزبياري ج٢/٧٨-٨١ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت - لبنان

٢-والصواب في هذه المسألة ماذهب إليه الجمهور وابن مسعود، فإن ابن مسعود أعلم بقصة الجن من عبد الله بن عباس لأنه حضرها وحفظها وابن عباس كان إذ ذاك طفلاً، لأن قصة الجن كانت قبل الهجرة والله اعلم.

انظر دلائل النبوة لأبي نعيم الاصبهاني ج٢/٣٦٥-٣٧٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩/١-٤ وآكام المرجان في أحكام الجن لبدري الدين الشبلي الحنفي ص ٥٥.

٣-الخلاف في حصول الرؤية للنبي ﷺ بين الصحابة مشهور، والمأثور عن عائشة - رضی الله عنها- الإنكار الشديد على من قال بأن النبي ﷺ رأى ربه -جل وعلا-

قال الجمهور: إنه كان يدينه؛ وآخرون من السلف والخلف قالوا إنه كان بروحه فقط^(١)، وقال طائفة من العلماء: إنه [كان]^(٢) يملك الفيء ونفى ذلك آخرون^(٣)، وقال أكبر المنتسبين

بعينه، وتابعها بعض الصحابة كابن مسعود، وجاء عن ابن عباس في بعض الروايات التصريح بالرؤية مطلقا وفي الأخرى التقيد بالرؤية القلبية.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٦/٥٠٩: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك أ.هـ. وقال ابن حجر في الفتح ج٦/٧٨٢: يجب حمل مطلقها على مقيدها... فيمكن الجمع بأن يحمل نفي عائشة على رؤية البصر وإثبات ابن عباس على رؤية القلب أ.هـ.

بتصرف يسير. وهذا هو الراجح والله اعلم وللتوسع انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ج٢/٤٧٧ وشرح مسلم للنووي ج٣/٧-٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٧/٥٦-٥٧ ومج ج٦/٥٠٩-٥١٠ والسير للذهبي ج٢/١٦٧ وفتح الباري لابن حجر ج٦/٧٨٢-٧٨٣ والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة لعبدالإله الأحمد ج٢/١٤٥-١٥١.

١- والصواب أنه أسري بالنبي ﷺ يدينه يقظة لامناما، وبه قال أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، والآثار تدل عليه ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه. انظر: كتاب التوحيد لابن منده ج١/١٢٤ وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠/٢٠٥-٢١٠ وشرح مسلم للنووي ج٢/٥٦٧-٥٦٨.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كا) بدون نون.

٣- قال الشافعي وبعض أصحاب أحمد إن الفيء ملك للنبي ﷺ في حياته، ورد عليهم جمهور العلماء بعدة أدلة منها ما أخرجه البخاري في (كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى ﴿فَأَن لَّهِ حُكْمُهُ وَاللَّسُّوْلُ﴾ ج٢/٩٥٩ رقم ٣١١٧ ولفظه

إلى السنة: إنه والأنبياء أفضل من الملائكة، وآخرون قالوا الملائكة أو بعضهم أفضل من الأنبياء^(١)، وقال جمهور المسلمين: إنه أفضل الأنبياء وتوقف في ذلك بعض الحنفية وغيرهم^(٢)، وادعى بعض

«مأعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت».

والراجح أن الفيء يصرف في مصالح المسلمين وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في أحد قوليه. والله أعلم. للتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨/١٣-١٥ والمغني لابن قدامة ج ٧/٢٩٨ ومع ج ٢٨/٥٦٥ وفتح الباري ج ٦/٢٦٨ وكتاب الفيء والغنيمة ومصارفهما تأليف محمد الربيع ص ١٧١ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١- يقول بتفضيل الأنبياء وصالحى البشر على الملائكة أهل السنة، ويقول المعتزلة بتفضيل الملائكة، وللأشاعرة قولان منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ومنهم من يقف ولا يقطع. وقالت الرافضة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، وهذه المسألة لا يتوقف عليها أصل من أصول الاعتقاد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد، وهي من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول. انظر: شرح مسلم للنووي ج ١٥/٤٣، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٠١-٣١١ ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢.

٢- توقف بعض العلماء في تفضيل النبي ﷺ على جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لورود أحاديث النهي عن التفضيل مثل ما أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَإِنْ يونس لمن المرسلين﴾ ج ٢/١٠٦٠ رقم ٣٤١٣ ولفظه «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى» ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٣/٣٦٢ عن شيخه قال: فلا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي ١هـ. ونقل القرطبي أيضا في الجامع ج ٣/٣٦٣ التوقف عن التفضيل عن ابن عطية ١هـ.

والصواب تفضيل نبينا محمد ﷺ جمعا بين أدلة القرآن والسنة، والنهي عن التفضيل

الناس أنه كان يحفظ القرآن قبل أن ينزل به جبرائيل^(١) - عليه السلام^(٢) - [عليه]^(٣) ورد ذلك جمهور المسلمين وعلمائهم^(٤)، وقال قوم من هذا النمط إن جميع الأنبياء تلقوا العلم بالله منه وأنه كان موجوداً قبلهم ورد ذلك جمهور المسلمين وعلمائهم^(٥)، وقال

إنما يكون لمن يقوله برأيه، أو من يقوله على وجه الفخر، أو على وجه الانتقاص بالمفضول، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى الخصومة والتنازع أو ماشابه ذلك.

وللتوسع انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٣٢ تحقيق محمد محي الدين الأصغر، وشرح مسلم للنووي ج ١٥/٤٢-٤٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣/٣٦٢-٣٦٤ وتفسير ابن كثير ج ١/٣٠٤ ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة تأليف د. عبد الله نومسوك ص ٦٥٣-٦٥٨ الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ مكتبة دار القلم - الرياض.

١- في (د) (جبريل) .

٢- مابين الشرطتين سقط من (ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ج) وسقطت من الأصل وزاد في (د) ❦.

٤- سبق التعليق على هذه المسألة في ص ٣٠٦ وانظر: الكبريت الأحمر بهامش اليواقيت والجواهر ص ٦.

٥- لغلاة الصوفية في النبي ﷺ مذاهب شتى فمنهم من يرى أنه حقيقة الذات الإلهية، ومنهم من يرى أنه نور من نور الله وغير ذلك ومراد شيخ الإسلام من يرى أنه ❦ حقيقة الذات الإلهية يقول الدرر داش في معرفة الحقائق ص ٧ نقلاً عن شبهات التصوف ص ٧٧: حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي المسماة بحضرة الجمع، وبأحادية الجمع، وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات وهي الحقيقة المحمدية ١ هـ ويقول الكمشخايلي في جامع الأصول ص ١٠٧ نقلاً عن شبهات التصوف ص ٧٧: صور الحق هو محمد

بعضهم إنه كان لايسهو في الصلاة وإنما كان يتعمد^(١) ذلك ورد ذلك جمهور المسلمين وعلمائهم، وقال بعض الغلاة إنه كان يعلم علم الله ويقدر قدرته وكفر المسلمون من قال ذلك، فضلا عن تكفير النافي^(٢)، وتنازع المسلمون في جواز الصغائر على الأنبياء وجمهورهم يجوزون ذلك^(٣)، وهذا باب واسع.

لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية ١هـ وانظر ضلالهم في هذه المسألة والرد عليهم في شبهات التصوف لأبي حفص عمر قريشي ص ٧٦ وما بعدها.

١- قال بعصمة الأنبياء من السهو وغيره الرافضة وتابعهم الصوفية وأنه ﷺ تعمد السهو. والصواب جواز النسيان عليه الصلاة والسلام في أحكام الشرع وهذا مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث، واتفقوا على أنه ﷺ لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالى به. وأجمع العلماء على استحالته عليه ﷺ في الأقوال البلاغية واستدلوا بمحدث ذي اليمين وسيأتي تخريجه. انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى تأليف القاضي عياض بن موسى اليحصبي تحقيق علي بن محمد البجاوي ٧٩٨/٢ طبعة دار الكتاب العربي، وشرح مسلم للنووي ج ٥/٦٤-٩٥ وفتح الباري لابن حجر ج ٣/١٣٠.

٢- في (د) الثاني، وقول المؤلف إشارة لما ذهب إليه البكري من تكفير من نفى ذلك عن النبي ﷺ، ومن قال إنه ﷺ هو حقيقة الذات الإلهية فهو يقول إنه يقدر قدرة الله ويعلم علمه. وقال بذلك بعض الصوفية .

٣- قال بعصمة الأنبياء من الصغائر الرافضة، وأجازها الجمهور وهو الراجح. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/٣٠٨ ومج ج ٤/٣١٩، والمواقف في علم الكلام تأليف عضدالدين عبدالرحمن الإيجي ٣٥٩ طبعة عالم الكتب بيروت - لبنان، والرسائل والرسالات تأليف د. عمر سليمان الأشقر ص ١٠٧ وما بعدها الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الفلاح، ودار النفائس - الكويت.

فما زال المسلمون يتنازعون في شيء من إثبات صفات الكمال، ولا يقول المثبت للنافي إنك كفرت، فإن الكمال الثابت ليس محدوداً يعلمه الناس كلهم، وما من كمال إلا وفوقه كمال آخر، والكمال المطلق الذي لا غاية فوقه الله -تبارك وتعالى^(١)- وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كَمَل من الرجال كثير...» إلى آخر الحديث^(٢)»^(٣) وهؤلاء الكاملون بعضهم أكمل من بعض، فإذا نُفي عن بعضهم [نوع]^(٤) من الكمال لم يلزم أن ينفي عنه الكمال، ولو كان كذلك لكان من قال إن محمداً ﷺ أفضل من يونس بن متى متنعصاً^(٥) يونس فيكون كافراً؛ لأنه سلبه هذا الكمال.

وأما قوله: ((أرأيت رجلين قال أحدهما لا ضار ولا نافع إلا الله يشير/ إلى التوحيد، وقال الآخر: إن الرسول لا يضر ولا ينفع، وقال الأول: إن الله هو السميع العليم إشارة إلى الحقائق التي [حصرها]^(٦)

١٥٣ تكفير
البكري لمن
تنقص الرسول
ﷺ

١- ما بين الشرطين في (د) (تعالى).

٢- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية رقم ٣٤١١ ج-٢/١٠٥٨ وطرفه: ٣٤٣٣ واللفظ له.

٤- كذا في (د) و(ح) بالرفع وفي الأصل و(ف) نوعاً بالنصب.

٥- في (ف) بياض وفي (د) (تنقيصاً) وفي (ح) لم تظهر في الصورة.

٦- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل حصر.

الرب - سبحانه^(١) - في نفسه بهذا الكمال، وقال الآخر: إن الرسول لا يسمع ولا يعلم^(٢)، أكان يشك مسلم في أن الأول موحد والثاني كافر متنقص [و]^(٣) لا ينفعه تأويله؟ فإن سوء العبارة في حق الرسول ﷺ كفر وإن صح المقصود، كما دل عليه كلام الإمام وغيره، ألا ترى إلزام الله - عز وجل - للصحابه بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب إلى آخره (...).

فيقال: أما المثال الأول فهو وإن كان أقرب إلى المطابقة فجوابه رد ابن تيمية من وجوه:-

أحدها: أنه إذا كان الكلام في سياق العموم بيان^(٤) أنه أفضل الخلق؛ مثل أن يقول لا يضر ولا ينفع إلا الله لا الرسول ولا من دونه؛ أو يقال: إذا كان الرسول الذي هو أفضل الخلق لا يضر ولا ينفع فكيف من دونه ونحو ذلك، فهذا مثل قوله لا يضر ولا ينفع إلا الله، وأما إذا كان المراد أن الرسول لا يضر ولا ينفع وغيره يضر وينفع فهذا هو التنقيص، وهو نظير أن يقال الرسول لا يستغاث (به بل يستغاث)^(٥) بغيره فهذا

الوجه الأول:
بيان التنقص

١- في (د) (وتعالى).

٢- في (ف) لا يعلم ولا يسمع.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤- هكذا في جميع النسخ وفي الجملة ركافة والأولى أن تكون هكذا (بيان).

٥- ما بين القوسين سقط من (د) و(ح).

تنقيص بلا ريب، فإنه يتضمن تنقيصه عن الرسول أفضل منه، وهذا تنقيص عن درجته بلا ريب.

ويقال ثانياً: لو قال لا يضر ولا ينفع من الذى قال إنه يكفر بذلك؛ إذا عنى بذلك معنى قوله ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨] فإذا كان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وقد أمره الله أن يقول ذلك، فهو أخرى أن لا^(١) يملك لغيره، وقد قال ﴿إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ [سورة الجن: ٢١] فأخبر أنه لا يملك من الله لا ضرهم ولا رشدهم و[قد]^(٢) قال الله - تعالى - ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨] وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله / لا أغني عنك من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله ﷺ^(٣) لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٤).

الوجه الثاني:
نفي الرسول
الضر والنفع عن
نفسه

١٥٤

فهذا تخصيص له بنفي ذلك وهو من أصدق الرسل؛ ومن صدق الرسول فيما قاله فهو مؤمن ليس بكافر، فإذا قال القائل: الرسول لا يغني عن بنته ولا عمه ولا عمته من الله شيئاً فكيف من دونهم؛ كان هذا من أحسن الكلام وأصدق.

١- (لا) سقطت من (ف).

٢- كذا في (د) وسقطت من الأصل و(ف) و(ح).

٣- (صلى الله عليه وسلم) سقط من (د).

٤- سبق تخريجه في ص ٣٥٩

الوجه الثالث:
المراد بنفي الضر
والنفع عن المخلوق

ويقال ثالثاً: قول القائل [عن] (١) مخلوق إنه لا يضر ولا ينفع؛ تارة مُريد به نفي الاستقلال بذلك على سبيل توحيد الربوبية، بمعنى أن ما يجري على يديه من الضر والنفع فالله هو خالقه؛ وهو الذي يجعله فاعلاً بمشيئته، أو يريد أنه لا ينفع ولا يضر إلا بمشيئة الله وقدرته وإرادته (٢)، كما قال تعالى ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [سورة البقرة: ١٠٢] فهذا صحيح، فليس في المخلوقات بهذا الاعتبار شيء ينفع [ويضر] (٣)، إذ ليس في المخلوقات ما يستقل (٤) بإحداث ضرر غيره ونفعه؛ ولا يفعل شيء إلا بإذن الله، كما ليس فيها من يعطي ويمنع بهذا الاعتبار (٥).

كما [أن] (٦) من أسمائه - تعالى - المعطي المانع الضار النافع، وكان النبي ﷺ يقول في دبر الصلاة، وفي غير هذا الموطن «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند» (٧)، وكان يقول في

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) غير.

٢- يياض في (ف) .

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ولا يضر).

٤- في (ف) ما ينتقل.

٥- كذا في (ف) و(ح) وفي الأصل و(د) ولا ينبغي بهذا الاعتبار وهي زيادة.

٦- كذا في (ح) وسقطت من الأصل و(ف) و(د).

٧- أخرجه البخاري في (كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة) جـ ٢٥٦/١ رقم

٨٤٤ من حديث المغيرة بن شعبة وأوله «أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة

مكتوبة «لا إله إلا الله ...» الحديث وطره ٦٣٣٠.

رقيقته «أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاك» وفي رواية «لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما» (١).

وتارة يريد به أن الضر والنفع المعتاد؛ مثل الصحة والمرض والغنى والفقر والأمن والخوف واليسر والعسر؛ لا يفعله رسول ولا غيره؛ لا في حياته ولا بعد موته، فهذا صحيح، بخلاف ما يظنه المشركون الغلاة من [النصارى] (٢) وأشباههم، الذين يظنون أن الأنبياء والصالحين بعد موتهم أو في حياتهم ينزلون المطر ويدفعون العدو وينبتون النبات ويشفون المرضى / ونحو ذلك من الحوادث.

١٥٥

وتارة يرى أنه ليس له دعاء مستجاب ولا شفاعة مقبولة وأن طاعته لا تنفع ومعصيته لا تضر ونحو ذلك، فهذا كفر صريح من أراد حكم برده وكفره؛ لكن اللفظ المجمل إذا صدر ممن علم إيمانه لم يحمل على الكفر بلا قرينة ولا دلالة، فكيف إذا كانت القرينة تصرفه إلى المعنى الصحيح.

وأما المثل الثاني فلا يشبه ما نحن فيه، فإن قوله تعالى: ﴿هو السميع العليم﴾ [سورة البقرة: ١٣٧] إثبات لهذه (٣) الصفة، ومن

الكلام على مثال
البكري في نفى
السمع والعلم عن
النبي ﷺ

١- أخرجه مسلم في (كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض) ج٤/ ١٧٢٢ رقم ٢١٩١ واللفظ له، والرواية الثانية عند البخاري في (كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ) ج٤/ ١٨٣٤ رقم ٥٧٤٢.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل (النصار).

٣- في (د) هذه.

الناس من يقول ليس في الآية حصر، (ومن قال فيها حصر)^(١)؛ قال المحصور كمال الصفة وليس ذلك إلا لله، فإذا قال إن الرسول لا يسمع ولا يعلم لم يفهم من هذا اللفظ نفي ما يختص به الرب؛ ولا عموم النفي عن الرسول وغيره، ومعلوم أن الملائكة والإنس والجن والبهائم تسمع وتعلم، فإن الله قال ﴿وما علمتم من الجوارح مكلّين﴾^(٢) [سورة المائدة: ٤]، وذكر النبي ﷺ الكلب المعلم^(٣)، ومن أطلق على النبي ﷺ أنه لا يسمع ولا يعلم فظاهر هذا اللفظ نفي ذلك عنه وهو كذب ظاهر، ثم قد يكون في سياق نفي علمه بالدين وسمعه لما أوحى إليه وهو كفر صريح، وقد يكون في سياق أنه لا يسمع ولا يعلم إلا ما سمعه الله إياه، فإنه^(٤) من تلقاء نفسه ليس له شيء بل الله هو الذي أسمع وأعلمه، كما قال تعالى ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ [سورة النساء: ١١٣] وكما قال^(٥) ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من

١- ما بين القوسين سقط من (د).

٢- زاد في (د) ﴿تعلمونهن ما علمكم الله﴾ الآية .

٣- يشير إلى ما أخرجه البخاري عن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ فقال: «إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل، وإذا أكل فلا تأكل. فإنما أمسكه على نفسه» قلت: أرسل كلبك فاجد معه كلباً آخر؟ قال: «فلا تأكل، فإنما سميت على كلبك ولم تسم على كلب آخر» (كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان جـ ١/ ٨١) رقم ١٧٥.

٤- في (ف) وإنه.

٥- في (د) تعالى.

نشاء من عبادنا ﴿[سورة الشورى: ٥٢] وكما قال (١)﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴿[سورة يوسف: ٣] ، وكما قال تعالى ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ [سورة الضحى: ٧] فهذا المعنى ليس بكفر بل هو صحيح.

وقد يكون في سياق أن الله هو المختص بكمال السمع/ والعلم، وأن غيره لا يبلغ مبلغه في ذلك، فهذا أيضاً صحيح، وأما (٢) إطلاق أنه لا يسمع ولا يعلم فهو كذب وكفر، بخلاف إطلاق أنه لا ينفع ولا يضر، ولهذا يقول المسلم لا ينفعني ولا يضرني إلا الله ، ولا يقول لا يسمع ولا يعلم إلا الله؛ بل يقول لا يعلم ما في نفسي إلا الله، أو لا يسمع كلام العباد كلهم إلا الله، أو لا يسمع سر القول إلا الله -تعالى- ونحو ذلك.

فصل

قال: ﴿إن سوء العبارة في حق الرسول ﷺ كفر وإن صح المقصود، كما دل كلام الإمام وغيره، ألا ترى إلزام الله للصحابة -رضوان الله عليهم- بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب، حيث قال لهم ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [سورة الحجرات: ٢] وقال عز وجل ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ [سورة النور: ٦٣] وقال ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [سورة

دعوى البكري
أن سوء العبارة
في حق النبي ﷺ
كفر

١- في (د) تعالى.

٢- في (د) و(ف) فأما.

الحجرات: ٤]، وقد نبه في الأول على حبط العمل بسوء الأدب، ولا يحبط العمل كله إلا بالكفر بإجماع أهل السنة، وجعل الاستخفاف به كفراً؛ كما قال عز وجل ﴿قُلْ أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦] ولا أعلم خلافاً بين النقلة أن الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب كلامهم، لم يكونوا تعرضوا لله بعبارتهم^(١) وإنما تنقصوا رسوله فجعل استخفافهم برسوله استهزاء به سبحانه [و] ^(٢) بآياته وكفى بذلك تكفيراً).

والجواب من وجوه: أحدها: أن يقال لانسلم أن مافيه النزاع سوء عبارة، بل هو من أحسن العبارات كما تقدم بيانه.

الثاني: أنه إن كان سوء العبارة في حق الرسول كفر؛ ففي حق الله أعظم كفرًا، ومن قال إنه يستغاث بالخلق/ في كل ما يستغاث فيه بالخالق؛ كانت هذه العبارة [أنه يطلب] ^(٣) من المخلوق كل ما ^(٤) يُطلب من الخالق، وهذا يُشعر أنه جعل المخلوق ندًا للخالق؛ وما أفهم الشرك، كان من أسوأ العبارات ^(٥)؛ فيجب أن يكون كفرًا، يلزم هذا

١- في (د) بعبادتهم.

٢- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤- في (د) و(ح) كما.

٥- في (ف) و(د) و(ح) العبارة.

جواب ابن تيمية
الوجه الأول: ليس
فيه سوء عبارة

الوجه الثاني: سوء
العبارة في حق الله
أعظم كفرًا
١٥٧

القائل، وقد قال رجلٌ للنبي ﷺ «ما شاء الله وشئت» قال^(١): «أجعلني لله ندا!! بل ما شاء الله وحده»^(٢) وقال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد»^(٣) وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(٤).

الثالث: أن سوء العبارة ما حصل به سوء (المعبر عنه)^(٥)، ومن جعل الرسول يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله ، فقد آذى الرسول وأساء في حقه، وسلط عليه العامة على اختلاف أغراضهم، هذا يطلب

الوجه الثالث:
الإساءة للرسول
ﷺ هي تسليط
العامة عليه

١- في (ف) فقال.

٢- سبق تخريجه ١٣٨-١٣٩

٣- أخرجه أبو داود في (كتاب الادب، باب لا يقال خبثت نفسي) ج٥/٢٥٩ رقم ٤٩٨٠ وابن ماجه في (أبواب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت) ج٢/٣٩٢ رقم ٢١٣١ والإمام أحمد في المسند ج٥/٧٢، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٨، والدارمي في (كتاب الاستئذان، باب في النهي عن أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) ج٢/٦٠٣ رقم ٢٧٠٢ واللفظ له، وأخرجه غيرهم. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧/٢٠٨-٢٠٩: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات ا.هـ.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ج١/٣٦٣: رجاله ثقات على شرط البخارى لكنه منقطع بين سفيان وبين عبد الملك ا.هـ وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١/٢١٤ رقم ١٣٧- في حديث أبي داود وأحمد:- وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي وهو ثقة، وثقه النسائي وابن حبان ا.هـ.

٤- سبق تخريجه ص ٣٥٥

٥- مابين القوسين في (د) المعتبر.

منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد، وهذا يطلب منه المعيشة، وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية، (وهذا يطلب منه داراً)^(١)، وهذا يطلب منه جارية حسناء، وهذا يطلب منه^(٢) قضاء دينه، وهذا يطلب منه [سكباجا]^(٣)، وهذا يشتكي إليه ظهور البدع، وهذا يشتكي إليه ما يظن أنه من البدع.

فتزلوا المخلوق منزلة الإله، وطلبوا منه جلب المنافع ودفع المضار مالا يقدر عليه إلا الله - تبارك وتعالى^(٤) -، وقد كان النبي ﷺ يقول: «من لا يسألنا أحب إلينا ممن سألنا»^(٥)، وكانوا يسألونه ما يقدر عليه؛ فكيف إذا طلبوا منه مالا يقدر عليه مخلوق؟! وفي الجملة فمطالب الناس لا تنضب في خيرها وشرها وقتلها وكثرتها، فمن سلط الناس على الرسول يطلبون هذا كله منه فهو من أعظم الناس إساءة إليه، وإن كان لا يقصد/ ذلك لكن عبارته أفهمته، فهي من [أسوأ]^(٦) العبارات.

١٥٨

الجواب الرابع:
بيان التوحيد من
أجل الأمور

الرابع: إن الكلام إذا كان في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه

١- ما بين القوسين سقط من (د).

٢- (منه) سقطت من (ف).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كسباجا وسبق تعريفه.

٤- ما بين الشرطتين في (د) تعالى.

٥- سبق تخريجه ص ١٤٣

٦- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) سوء.

عما سواه؛ لم يجوز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة، فإن المقام أجل من ذلك، وكل ماسوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده، والنبي^(١) ﷺ كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال [على هذا]^(٢) الوجه، وإن كان نفسه المسلوب، وهذا كما في الصحيحين من حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء وأخبرها النبي ﷺ بذلك فقالت لها امها: قومي إلى رسول الله ﷺ. فقالت: «والله لأقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما لقد سمعتم فلا أنكرتم ولا غيرتم، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي»^(٣) وفي رواية قالت: «نحمد الله لانحمد أحدا» وفي رواية «نحمد الله لانحمدك»^(٤) فأقرها النبي ﷺ

١- في (د) (ونبي الله).

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (هذا على).

٣- أخرج البخاري أول الحديث في (كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ﴾ تشيع الفاحشة) الآية ج-٣/١٤٩٢ رقم ٤٧٥٧ والإمام أحمد في المسند ج-٦/٦٠ بلفظ قريب من لفظ المؤلف جداً وقوله «ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي» أخرجه مسلم في (كتاب التوبة، باب حديث الإفك، وقبول توبة القاذف) ج-٤/٢١٣٦ رقم ٢٧٠٧٠.

٤- لم أقف على هاتين الروایتين بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري في (كتاب المغازي، باب حديث الإفك) ج-٣/١٢٦٥ رقم ٤١٤٣ ولفظه «يحمد الله لا يحمد أحد ولا أحمدك...» والإمام أحمد في المسند ج-٦/٣٦٧، ٣٦٨ وانظر ذكر الروايات في تفسير الطبري ج-٥/٢٧٩ وتفسير ابن كثير ج-٣/٢٧١ وفتح الباري ج-٣٨/٦١١ وحاشية كتاب "كشف ما لقاها إبليس من البهرج والتلبس" للدكتور عبدالعزيز عبد الله الزايد ص ٣٢٨. وأكثر الروايات «يحمد الله لا يحمدك» بالباء.

وأبوها على مثل هذا الكلام، الذي نفت فيه أن يحمد رسول الله ﷺ وأن يحمد أحد إلا الله، لأن الله -تعالى- هو الذي أنزل براءتها بغير فعل أحد، ولم يقل أحد هذا سوء أدب عليه، وسوء الأدب عليه كفر.

قال البيهقي ثنا^(١) أبو عبد الله الحافظ قال سمعت علي بن [حمشاذ العدل]^(٢) سمعت أحمد بن مسلمة^(٣) يقول سمعت محمد بن مسلم [بن واره]^(٤) يقول سمعت حبان^(٥) صاحب ابن المبارك يقول قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ حين نزلت براءتها من السماء (بحمد الله لا بحمدك)^(٦) إني لأستعظم هذا

١- في (ف) و (د) حدثنا.

٢- مابين المعقوفين في (د) الحمسا وفي (ح) الحمساد العدل وفي الأصل و(ف) حمساد العدل لم تنقط ورسمت الذال في حمشاذ قرية من الواو، والصواب ما أثبت أعلاه فهو على بن حمشاذ العدل أحد شيوخ الحاكم صاحب المستدرک ثقة حافظ. انظر السير جـ ١٥٨/٣٩٨-٣٩٩.

٣- لم أجد من ذكره، ولعله أحمد بن سلمه بن عبد الله النيسابوري، حافظ حجة عدل رفيق مسلم في الرحلة : انظر السير جـ ١٣/٣٧٣ رقم الترجمة ١٧٤ وهو من تلاميذ ابن واره كما في تهذيب الكمال للمزي

٤- في الأصل و(ف) وارث بالثاء وفي (د) ورات، قلت: ولعلها تصحيف، وسقطت من (ح) ، وهو محمد بن مسلم ابن واره، حافظ ثقة، يضرب به المثل في الحفظ. انظر السير جـ ١٣/٢٨.

٥- هو أبو محمد حبان بن موسى بن سوار السلمي المروزي ثقة ، انظر تقريب التهذيب جـ ١/١٨٢ رقم ١٠٨٠.

٦- في (د) (نحمد الله لا نحمدك).

القول؟ فقال عبد الله: «ولت الحمد أهله»^(١).

وكذلك الحديث الذي رواه/ الإمام أحمد في مسنده حدثنا محمد بن مصعب ثنا^(٢) سلام بن مسكين والمبارك عن الحسن عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير، فقال

اللهم إني^(٣) أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ «عرف الحق لأهله»^(٤) [ورواه]^(٥) أبو عبيد في كتاب الأموال عن عبد الرحمن ابن مهدي عن سلام.

١- لم أجد هذا الأثر وجميع رجال الإسناد ثقات. وقال الحافظ ابن العربي المالكي في عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي (طبعة دار العلم - سوريا) ج ١١/٥٤: قالت العلماء: ولت الحمد أهله أ.هـ.

٢- في (د) حدثنا.

٣- (إني) سقطت من (ف).

٤- أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣/٤٣٥ والطبراني في المعجم الكبير ج ١/٢٨٦ رقم ٨٣٩، ٨٤٠ والحاكم في المستدرک في کتاب التوبة والانابة ج ٤/٢٥٥ وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: ابن مصعب ضعيف واسمه محمد بن مصعب القرقيساني، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب ج ٢/١٣٤ رقم ٦٣٢١ في محمد بن مصعب: صدوق كثير الغلط أ.هـ، وفي الحديث علة أخرى وهي تدليس الحسن البصري. انظر كتاب تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ص ١٠٢ رقم ٤٠، وقد أخرج الحديث أيضاً - كما ذكر المؤلف - أبو عبيد بن سلام في كتاب الأموال ص ١٤٩ رقم ٣٦٦ تحقيق محمد خليل هراس (الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ) مرسلاً عن الحسن عن النبي ﷺ ولم يذكر الأسود بن سريع.

٥- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) (رواه) بدون واو.

تعليم النبي
ﷺ لأصحابه تجريد
التوحيد

وكان النبي ﷺ يُعلم أصحابه تجريد التوحيد^(١)، فقال «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد»^(٢) وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال «اجعلني لله ندا، بل^(٣) ما شاء الله وحده»^(٤) وما أحدثه الله -عز وجل- بغير فعل منه إضافة إلى الله وحده، كما في الصحيحين لما تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وأذن النبي ﷺ للناس بتوبتهم، فجاء كعب إليه فقال: «يا كعب أبشر يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، فقال: يا رسول الله أمن عند الله أم من عندك؟ قال: بل من عند الله»^(٥) ومعلوم أنه لو كان من عند النبي ﷺ لكان من عند الله، بمعنى أن الله خلقه وأحدثه بتوسط فعل النبي ﷺ، فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار، ولكن المقصود أن النبي ﷺ لم

١- انظر: كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن النجدي الحنبلي ص ١١٨ باب ماجاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، وكتاب فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن أيضا ص ٤٣١ نفس الباب (ولا يوجد معلومات عن الطبعة) ، والقول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين عناية د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح ج ٢٧٦/٣ نفس الباب (الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية).

٢- سبق تخريجه ص ٢٥٥

٣- (بل) سقطت من (ف).

٤- سبق تخريجه ص ١٣٨-١٣٩

٥- أخرجه البخاري في (كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك) ج ٣/١٣٣٢ رقم ٤٤١٨ وأطرافه: ٤٦٧٦، ٤٦٧٧ واللفظ له، ومسلم في (كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) ج ٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩.

يصدر منه فعل في هذه التوبة، إلا أنه بلغ^(١) رسالة الله -تعالى- بالتوبة، كما قال^(٢) في مثل ذلك ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بَقْرَانٌ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة يونس: ١٥].

وما يتكلم به الإنسان من تلقاء نفسه وإن كان الله خالقه ، هو من عند الله باعتبار خلقه وتقديره، فليس هذا المعنى هو ذاك، فإنه هناك مبلغ لكلام مرسله والله يجعله مبلغاً له لا يجعله قائلاً له من تلقاء نفسه، ولهذا توعد الله من جعل القرآن قول البشر بقوله ﴿سَاصِلِهِ/ سَقَر﴾ [سورة المدثر: ٢٦] وقد قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ [سورة الحاقة: ٤٠-٤٢] فجعله قول رسول من البشر، كما جعله قول رسول من الملائكة؛ في قوله ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [سورة التكويد: ١٩-٢١] [لأن^(٣) لفظ الرسول يستلزم المرسل ويدل على أنه مبلغ له عن مرسله لا يتكلم به من تلقاء نفسه، بخلاف من جعله قولاً لمخلوق بشر^(٤) أو ملك أو

استطراد حول
نسبة الكلام
للإنسان

١٦٠

١- (بلغ) سقطت من (د).

٢- في (د) تعالى.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لا أن).

٤- كذا في (ف) و(د) ، وفي الأصل بشراً بالنصب وهو خطأ لأن "بشر" صفة لمخلوق مجرور مثله.

جني، أو جعل شيئاً منه قوله، فإن هذا هو الذي توعدده الله -عز وجل- .
 وأبما أبلغ قول عائشة -رضي الله عنها-: «(لأحمد الرسول ولا أحمد إلا الله)»، وقول الأسير: «(أتوب إلى الله لا إلى محمد)»، وقول القائل لا يستغاث بالرسول بل بالله أو لا يدعى الرسول وإنما يدعى الله ونحو ذلك؟! وهو ﷺ قد بلغ براءتها وكان يجب براءتها، وقد خطب الناس قبل ذلك وقال: «من يعذرني من رجل قد بلغني أذآه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً»^(١) لكن لما لم يجزم ببراءتها ولم يلطف بها اللطف الذي كان يلطف بها قبل ذلك، لما حصل عنده من الريب، بل كان إذا دخل يقول: «كيف تيكم»؟، ولما خطب قال: «يا عائشة إن كنت بريئة فسيرئك الله»^(٢) وإن كنت ألممت بذنب فاستغفر [ي]^(٣) الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه»^(٤) قالت: «أنتم

استطرد في الكلام
على براءة عائشة
رضي الله عنها

١- أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب قوله ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ الآية) جـ ٣/ ١٤٨٤ رقم ٤٧٥٠ ومسلم في (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ ٤/ ٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ للبخاري.

٢- في (د) تعالى.

٣- كذا في (ف) و(ح) وسقط من الأصل و(د).

٤- أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً...﴾ الآية رقم ٤٧٥٠ جـ ٣/ ١٤٨٤ ومسلم في (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ ٤/ ٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ للبخاري.

ما برءتموني وإنما برأني الله فهو الذي يستحق أن أحمد»^(١).

وقد تنازع الناس^(٢) في النبي ﷺ هل كان يعلم براءة عائشة - رضی الله عنها^(٣) - قبل نزول الوحي؟^(٤) مع اتفاقهم على أنه لم يجزم

استطراد حول
حديث الإفك

١- لم أجد هذه اللفظة وقد سبق ذكر الروايات وهي قريية منها.

٢- في (د) ناس.

٣- ما بين الشرطتين سقط من (د).

٤- لعل مراد المؤلف - رحمه الله - من هذا الاستطراد الرد على من يغلو في النبي ﷺ ويصفه بصفات الرب - تعالى -؛ فهذه المسألة توضح وتبين أنه ﷺ لا يعلم الغيب وأن الأمر كله لله - تعالى - وهذه المسألة مسألة دقيقة، ذهب الناس فيها مذاهب:

الأول: منهم من قال: إنه ﷺ يعلم براءتها لأن فجور الزوجة يقدح في النبوة، ولكن توقف عن إظهار ذلك، واختلفوا فقال بعضهم: أ- إنه ليس للحاكم أن يحكم لنفسه، لأن النبي ﷺ لما أن كان له في هذا الأمر حق لم يحكم فيه، وإنما طلب من يحكم له في ذلك فقال: «من يعذرني من رجل» ومعناه من يأخذ لي منه الحق ويحكم لي عليه. وقد ذهب إلى هذا عبد الله بن أبي حمزة الأندلسي في بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها "شرح مختصر البخاري" ج ٣/ ٥٩ (الطبعة الثالثة الناشر دار الجليل بيروت - لبنان) قلت: وهذا يعارض بحكم النبي ﷺ لنفسه في مواضع.

ب- إن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم، وقد عرف أن كلام العدو المفترى ضرب من الهذيان، وأن الإفك معلوم كذبه قبل نزول الوحي، وذهب لهذا فخر الدين الرازي في تفسيره المشتهر "بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب" ج ٢٣/ ١٧٤ (طبعة ١٤١٠ هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان) ويعارض ذلك بأن ممن قال بالإفك حسان ومسطح والآخر بدري.

الثاني: أنه ﷺ لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي، لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشئ قبل نزول الوحي، وأن التنقيب لإقامة الحجة وقطع شبه المخالفين، وذهب لذلك ابن حجر في الفتوح ج٨/٦١٠، ٦١٦ وغيره.

وقال بعضهم: إن سؤال النبي ﷺ لعائشة إن كنت قارفت أو ظلمت لم يرد به النبي ﷺ قط أنه الفاحشة، ومن قال ذلك فقد كفر كفراً مبيناً، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليسلط على فراش رسوله من يلطخه وقد صانه من أن تنكح أزواجه من بعده، وقد ذهب إلى هذا ابن العربي في عارضة الأحوذى ج١١/٥٢. فأجاب آخرون أنه يجوز أن يقال: لم يكن معلوماً قبل الوحي شرط عدم فحور الزوجة، وإنما علم بعد نزول آيات براءة عائشة -رضى الله عنها-، وعدم العلم بمثل ذلك لا يقدح في منصب النبوة، واستدلوا بسؤال النبي ﷺ لعائشة، وقول أبي بكر أي سماء تظلي وأي أرض تقلني إن قلت مالا أعلم؟ .. انظر روح المعاني للألوسي ج١٨/١٣١.

الثالث: منهم من قال: حصل له نوع شك وترجحت البراءة، وأجابوا على الفريق الأول أنه يجوز أن يقال: إنه لا يعد فحور الزوجة منقراً إلا إذا أمسكت بعد العلم به فلا يجوز أن يقع فيجب طلاقها، وإذا طلقت لا يتحقق المنقر المحل بالحكمة، ويقول الألوسي في روح المعاني ج١٨/١٢٢: ولعل الحق أنه عليه الصلاة والسلام قد أخفى عليه أمر الشرطية إلى أن اتضح أمر البراءة ونزلت الآيات فيها لحكمة الابتلاء وغيره ما الله تعالى أعلم به، وقول أولئك الأصحاب: سبحانه هذا بهتان عظيم لم يكن ناشئاً إلا عن حسن ظن، ولم يتمسك به ﷺ لأنه لا يحسم القال والقال ولا يرد به شيء من الباطل أ.هـ.

الرابع: قال آخرون: إنه ﷺ توقف في أمرها، وسأل عنها، وبحث واستشار، وهو أعرف بالله، بمنزلة عنده وما يليق به، لأن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وابتلاء وامتحان لرسوله، ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حُبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها،

بالريّة، فمن الناس قال يعلم براءتها وكذلك علي؛ ولكن لخوض

لأيوحي إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته، والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصّدّيقة وأبويها، ولتشتد الفاقة والرغبة والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين. ومن حكمة حبس الوحي شهراً، أن القضية مجصت وتمحصت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فورد الوحي عليهم فوق وقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور.

فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور، لفاتت هذه الحكم وأضعافها، وأيضاً فإن الله أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه، ويتولى سبحانه الدفاع والمنافحة عنه. ولما كان هو المقصود ﷺ بالأذى فلم يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها. وعنده ﷺ من القرائن التي تشهد ببراءة الصّدّيقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته وحسن ظنه بربه، وثقه به، وفّى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بربه حقه، حتى جاءه الوحي ﷺ وحكم هذه المسألة عظيمة وكثيرة وهذا القول أولى الأقوال وقد ذهب إليه ابن القيم وعبد الغني المقدسي والشايع وغيرهم.

للتوسع انظر: حديث الإفك تأليف عبد الغني المقدسي تحقيق هشام السقا ص ٤٣ وما بعدها طبعة ١٤٠٥ هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض وبهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها (شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبد الله بن حمزة الأندلسي ج ٢/٣ وما بعدها، وعارضة الأحوذى لابن العربي المالكي ج ١١/٤٧ وما بعدها، وتفسير الفخر الرازي ج ٢٣/١٧٣ وما بعدها، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ج ٣/٢٥٩ تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت، وفتح الباري لابن حجر ج ٨/٦٠٨ وما بعدها، وروح المعاني للعلامة الألوسي

١٦١

الناس فيها ورميها بالإفك توقف ، قالوا/ وذلك أن نساء الأنبياء ليس فيهن بغي، كما قال طائفة من السلف: «ما بغت امرأة نبي قط»^(١)، لأن في ذلك من العار بالأنبياء ما يجب نفيه، وقال آخرون بل كان النبي ﷺ حصل له نوع شك وترجحت عنده براءتها؛ ولما نزل الوحي حصل اليقين، قالوا والدليل على ذلك أنه استشار في طلاقها [علياً]^(٢) وأسامه، فأسامه قال: «أهلك يارسول الله ولا نعلم إلا خيراً»، وقال علي: «لا يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك»، فسأل النبي ﷺ بريرة فقال^(٣): «ما علمت على عائشة أو مارأيت؟ فقالت: ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها حتى تأتي الداجن»^(٤)

جـ ١٨/١٢٢ وما بعدها، وطهارة بيت النبوة تأليف خالد الشايع الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الجلالين ودار بلنسية الرياض - السعودية ص ١٥ وما بعدها.

١- روي هذا عن ابن عباس والضحاك وغيرهما . انظر: تفسير الطبري جـ ١٢/١٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٨/٢٠٢.

٢- كذا في (ط) وهو الصواب لأنه مفعول به منصوب وفي الأصل و(ف) و(د) و(ح) لعلي.

٣- في (ف) فقالت.

٤- الداجن: هي الحمام والشاة وغيرهما التي ألفت البيوت القاموس المحيط ص ١٥٤٢ فصل الدال.

فتأكله» (١).

فسأله - ﷺ - (٢) لبريرة واستشارته لعلّي وأسامة دليل على حصول الشك فيها، وهو لما خطب ماجزم بالبراءة فقال فيما قال: «والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» (٣)، ولو كان جازماً بالبراءة لقال: إنهم كذبوا على أهلي وافترؤا، وإن أهلي لبريرة مما قيل ونحو ذلك، ونفي العلم ليس علماً بالعدم، لكن هذه العبارة تصلح لدفع المتكلم ونهيه وذمه على قبول القول، كما قال تعالى ﴿إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْأَنفُسِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٥].

والعدل الذي عُرفت عدالته إذا (٤) لم يعلم فيه من له به خيرة ماظنه (٥) إلا الخير كان عدلاً عنده، فإذا جرحه جرح لم يعلم صدقه بل ترجح عنده كذبه لم يقدح في عدالته ولم يوجب الجزم ببراءته، قال صاحب هذا القول ولولا نزول براءتها من السماء لدام الشك في أمرها، وإن كان لم يثبت شيء، ففرق بين عدم الثبوت مع حد القاذف وبين

١- أخرجه البعاري في (كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الآية جـ ٣/ ١٤٩٠ رقم ٤٧٥٧ ومسلم في (كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف) جـ ٤/ ٢١٢٩ رقم ٢٧٧٠ واللفظ لمسلم.

٢- ما بين الشرطين سقط من (د).

٣- سبق تخريجه ص ٥٦٢

٤- في (د) إذ.

٥- في (د) ماظن به.

١٦٢

كفر من قذف
عائشة رضي
الله عنها

البراءة المنزلة من السماء من الله / -عز وجل-، ولهذا ذكر غير واحد من العلماء : اتفاق الناس على أن من قذفها بما برأها الله منه فقد كفر^(١)؛ لأنه مكذب للقرآن، وأصحاب هذا القول يقولون: النبي ﷺ تردد هل يطلقها أم لا ؟ لما حصل الشك؛ لكون امرأة النبي لا تكون بغيا، وكان عزمه أن يطلقها -والعياذ بالله- لو كان ما ذكر صحيحا؛ لكن تأتئ وانتظر أمر الله ؛ حتى بين الله له الحق، ومن قال هذا يقول المحفوظات هن اللواتي ييقن عند النبي^(٢) ولا يطلقهن، وقد يقال (بل كل)^(٣) من تزوجها النبي ﷺ [محفوظة]^(٤) وإن طلقها.

استطرد حول
تحديد أمهات
المؤمنين

وقد تنازع الناس فيمن تزوجها النبي ﷺ وطلقها أو مات عنها قبل الدخول هل تكون من أمهات المؤمنين؟ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره^(٥)، قيل إنها تكون أما؛ فإن حرمة الأمومة ثبتت بالعقد

١-نقل ذلك عن الإمام مالك وغيره ، ونقل النووي إجماع العلماء على ذلك، وحكاه أبو يعلى وغيرهم. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٣٠٥/١٢ وشرح مسلم للنووي جـ ١٢٢/١٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٢٧٦/٣ والموسوعة الفقهية -الكويت جـ ٢٦٩/٦.

٢- في (د) (صلى الله) كذا.

٣- في (ف) (بكل).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (محفوظة).

٥- اختلف العلماء فيمن طلقها النبي ﷺ هل تكون من أمهات المؤمنين؟ على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها ليست من أمهات المؤمنين.

كما ثبتت في أمهات الناس، وقيل : لاتكون من أمهات المؤمنين،
والصحيح الفرق بين من طلقها ومن مات عنها، فمن مات عنها فهي

الثاني: أنها من أمهات المؤمنين.

الثالث: التفريق بين المدخول بها وغير المدخول بها.

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ج٥/٢٨٦، : إن من تزوجها ﷺ وطلقها قبل أن يدخل بها فهذه تحل لغيره أن يتزوجها، ولا أعلم في هذا القسم نزاعاً. هـ قلت: بل فيه نزاع وقد قال الإمام الشافعي وغيره إنها من أمهات المؤمنين لا يحل نكاحها كما نقل عنه ابن الملقن في غاية السؤل ص ٢٢٥ والراجح أنها ليست من أمهات المؤمنين لما ذكره المؤلف أعلاه من زواج عكرمه. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ج٦/٢٦٧.

أما من دخل بها ﷺ ثم طلقها في حياته ﷺ فاختلف العلماء على قولين:

أحدهما: أنها ليست من أمهات المؤمنين ويجوز لها أن تتزوج واستدلوا بآية التخيير.

والثاني: أنها من أمهات المؤمنين ولا يحل الزواج بها لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَانًا﴾ الآية [سورة الأحزاب: ٥٣]، وقبل الترجيح هنا مسألة مهمة هل طلق النبي ﷺ امرأة بعد أن دخل بها؟ الذي في حديث البخاري ج٣/١٥٠٦ رقم ٤٧٨٦ في (كتاب التفسير، باب ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ تَرَدُّنَّ﴾ الله ورسوله...﴾ أن نساءه ﷺ جميعهن اخترن الآخرة، وضعف روايات الطلاق ابن حجر في الفتح ج٨/٦٧٠ وانظر حاشية غاية السؤل ص ٢٤٨.

وقد رجح الأول المؤلف في مجموع الفتاوى ج١١٩/٣٢٢ وقواه ابن كثير في تاريخه ج٥/٢٨٦ ورجح الثاني الإمام الشافعي وابن الصلاح وجمع من علماء الشافعية انظر: غاية السؤل في خصائص الرسول ص ٢٢٥، وإذا لم يثبت أنه ﷺ طلق امرأة دخل بها فلا حاجة للبحث في المسألة والله أعلم. وللتوسع انظر غاية السؤل لابن الملقن ص ٢٢٣ وما بعدها تحقيق عبد الله بحر الدين، وأزواج النبي ﷺ للإمام محمد يوسف الصالحى الدمشقي ص ٢٣٥ تحقيق محمد نظام الدين الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن كثير دمشق، بيروت.

من أمهات المؤمنين ومن أزواجه في الآخرة، بخلاف من طلقها فإنها تباح لغيره أن يتزوجها، ولولا هذا لم يحصل لهن بالتخيير (فائدة)، وقد قال تعالى في آية التخيير^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَرُدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨]، وقد تزوج عكرمة بن أبي جهل امرأة كان طلقها رسول الله ﷺ وأقره الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- على ذلك^(٢).

الوجه الخامس:
اللازم الباطلة
لكلام البكري في
سوء العبارة

الخامس: أن يقال ما حد سوء العبارة التي تكون كفراً؟ فإن هذا كلام مجمل لم يحصل قائله مراده به، فإن أراد أن كل صفة هي ثابتة في

١- ما بين القوسين سقط من (د).

٢- المرأة التي تزوج عكرمة هي قتيلة بنت الأشعث، وقد أخرج الحاكم في المستدرک ج٤/ ٣٨ كتاب معرفة الصحابة قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى ثم تزوج رسول الله ﷺ حين قدم عليه وفد كنده قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس في سنة عشرة ثم اشتكى في النصف من صفر ثم قبض يوم الاثنين ليومين مضياً من شهر ربيع الأول ولم تكن قدمت عليه ولا دخل بها، ووقت بعضهم وقت تزويجه إياها فزعم أنه تزوجها قبل وفاته بشهر وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه وزعم آخرون أنه أوصى أن تحرق قتيلة إن مات فيضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وإن شاءت فلتنكح من شاءت، فاختلفت النكاح فتزوجها عكرمة ابن أبي جهل بحضرموت فبلغ أبا بكر، فقال: لقد هممت أن أحرق عليهما، فقال عمر بن الخطاب: ما هي من أمهات المؤمنين ولا دخل بها النبي ﷺ ولا ضرب عليها، وزعم بعضهم أنها ارتدت أ.هـ.

وللتوسع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٤/ ١٦٨ وكتاب أزواج النبي ﷺ تأليف محمد بن يوسف الصالحى الدمشقي ص ٢٥٧، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج١٨/ ٨٨-٨٩ طبعة دار نهضة مصر -القاهرة..

نفس الرسول له^(١) إذا نفاها [عنه]^(٢) إنسان باجتهاده يكون مسيئاً في العبارة؛ لزم أن كل من أثبت له صفة يكفر من نفاها، فالقاتلون بالعصمة يكفرون نفاتها وإن كانوا جمهور الأمة، كذلك من/ أوجب له حقاً كالصلاة عليه في الصلاة يكفر من نفى هذا الحق وإن كانوا جمهور الأمة.

١٦٣

السادس: أن يقال لانسلم أن المقصود [إذا]^(٣) صح يكفر المعبر بعبارة يقال إنها سيئة، وهذا قول لم يقله أحد من أئمة المسلمين^(٤)، بل هم مجمعون على نقيضه، وأن المسلم إذا عني معنى صحيحاً في حق الله أو الرسول^(٥) ولم يكن خبيراً بدلالة الألفاظ؛ (فأطلق لفظاً)^(٦) يظنه دالاً على ذلك المعنى وكان دالاً على غيره، أنه لا يكفر، ومن كفر مثل هذا كان أحق بالكفر؛ فإنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وقد قال تعالى ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٤] وهذه العبارة كانت مما يقصد به اليهود إيذاء النبي ﷺ؛ والمسلمون لم يقصدوا ذلك فنهاهم الله عنها ولم يكفرهم بها، والمطلق لمثل هذا على الله لا يكفر،

الوجه السادس:
إجماع الأمة على
عدم تكفير المسلم
إن أخطأ في العبارة

١- (له) سقطت من (د).

٢- كذا في (ف) وفي الأصل و(د) و(ح) عن.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (إذ).

٤- في (ف) المسلمون.

٥- في (د) ڤ.

٦- ما بين القوسين سقط من (ف).

فكيف على الرسول (١)!!

وقوله (إن كلام الإمام (٢) أو غيره دل على [أن] (٣) ذلك ممنوع) فإن إمام الحرمين أجل من أن يقصد مثل هذا، وإن سلم أنه قال ذلك ؛ ولا ينفع هذا المحتج تسليم ذلك له، فالكلام مع من قال هذا لو كان مجتهداً؛ دع إذا كان القائل ممن ليس له وجه في مذهبه، ولا يجوز لأحد أن يقلده ولا يفتي بقوله فيما هو دون هذه المسألة، فكيف بمثل (٤) هذه المسألة المتعلقة بالتكفير والدماء (٥)، وجهل مثل هذا المفتي بالشرع وأدلتة [يوقعه] (٦) فيما لم يقله أحد من علماء المسلمين، ولهذا يقع في فتاويه من العجائب مالا يقوله أحد، فإنه يجب أن يفتي بمجرد رأيه ونظره مع قلة علمه لمسالك الأحكام ومدارك الحلال والحرام وأقوال أئمة الإسلام.

جهل البكري في فتواه

وأما قوله : (أترى (٧) إلزام الله للصحابه بتحسين الخطاب معه وإيراده بكيفية الأدب حيث قال لهم ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت

استدلال البكري في وجوب الأدب مع النبي ﷺ

١- في (ف) ❦.

٢- هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني وقد سبق ترجمته ص ٢٠٨

٣- ما بين العقوفتين يقتضيه السياق ولم يرد في جميع النسخ .

٤- في (ف) في مثل.

٥- في (د) الدعاء.

٦- كذا في (ط) وفي جميع النسخ (توقعه) ولا يصح .

٧- في ص ٥٥٤ أورد المؤلف النص (أأترى)

النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴿[سورة الحجرات: ٢] وقال تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ [سورة النور: ٦٣] وقال ﴿إن الذين/ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [سورة الحجرات: ٤].

١٦٤

فيقال له: هذه الآيات كلها حجة عليك فإن الذين رفعوا أصواتهم فوق صوته نهوا عن ذلك وحرم ذلك عليهم، فكان ذلك سوء أدب ولم يكفروا بإجماع المسلمين، بل كانوا معذورين فيما فعلوا قبل النهي، فمن أطلق عبارة لها معنى صحيح ولم يعلم^(١) أنها مكروهة كيف يكفر!! وهذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر كما ثبت ذلك في الصحيح^(٢)، ومن كفرهما فهو أحق بالكفر.

رد ابن تيمية

وقد ثبت في الصحيح أن ثابت بن قيس بن شماس - وكان يرفع صوته - خاف لما نزلت هذه الآية أن يكون من أهل النار، فبشره النبي

١- سقطت من (د).

٢- يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... الآية﴾ ج ٣/ ١٥٣٧ رقم ٤٨٤٥ قال ابن أبي مليكة: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، رفعوا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فاشأر أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بنى مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لأحفظ اسمه، فقال: أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر.

ﷺ بالجنة^(١)، وهو أحد المشهود لهم بالجنة كما شهد بها للعشرة وغيرهم، وكذلك دعاؤه باسمه لم يقل أحد من المسلمين : إنه كان كفراً ممن دعاه، وكذلك الذين نادوه من وراء الحجرات كانوا من حفاة الأعراب وقالوا: يا محمد أخرج إلينا فسموه باسمه، وإنما وصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون لم يقل إنهم مرتدون.

تأويل البكري
للآية الثانية في
سورة الحجرات

وأما قوله (فقد نبه في الأول على حبط العمل بسوء الأدب، ولا يحبط العمل كله إلا بالكفر بإجماع أهل السنة).

رد ابن تيمية

فيقال: بل الآية دلت على نقيض هذا فإنه قال ﴿أَنْ تَحْبُطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢] أي خشية أن تحبط أعمالكم، فدلّت على أن العمل لم يحبط بما تقدم من سوء الأدب؛ ولكن يخاف إذا رفعوا أصواتهم أن يجرحهم ذلك إلى كفر يحبط العمل وهم لا يشعرون، فالحبط ما يخاف حصوله لاما وقع منهم، وهذا كما يقال المعاصي يريد الكفر، فإن رفع الصوت عليه والجهر له كجهر بعضهم لبعض قد يفضي بصاحبه إلى الاستعلاء عليه ونحو ذلك مما هو كفر.

ثم يقال مانحن فيه ليس من هذا الباب، فإن الرافع قد فعل ما يعلم أنه مذموم في/ حق الرسول^(٢)، فإن رفع الإنسان صوته على غيره يعلم

١٦٥

١- أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحجرات) جـ ٣/ ١٥٣٨

رقم ٤٨٤٦ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - وأوله « أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ... الحديث ».

٢- في (د) ﷺ.

كل أحد أنه قلة احترام له، وليس أنه كمن تكلم بعبارة لا يعلم بها بأساً؛ قصد بها معنىً صحيحاً، ألا ترى أن الصحابة لما كانوا يقولون راعنا؛ وهذه الكلمة قد يقصد بها معنىً فاسداً^(١)، وهم لا [يقصدون]^(٢) ذلك لكن كان ذريعة لغيرهم نهوا^(٣) عنها، ولم يقل إنكم كفرتم ولا قيل فيها أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون؛ بل فرق الله -تعالى- بين قولهم راعنا وبين رفع الصوت عليه، وسوء العبارة مع صحة القصد من باب قولهم راعنا، وهذه الآية حجة على بطلان مافهمه من كلام الإمام وغيره.

ومن الحكايات [المعروفة]^(٤) عن الشافعي^(٥) أن الربيع^(٦) قال له في مرضه: يا أبا عبدا لله قوى الله ضعفك، فقال: يا أبا محمد لو قوى ضعفى لهلكت، فقال له الربيع: لم أقصد إلا خيراً، فقال: لو شتمتني صريحاً

١- في (د) و(ج) بالضم.

٢- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل و(ف) يقصدوا.

٣- كذا في جميع النسخ والأولى فنهوا عنه.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل (المعرفة).

٥- في (د) رحمه الله تعالى، والشافعي هو محمد بن إدريس الشافعي الإمام المعروف.

٦- الربيع: هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى بالولاء، المؤذن صاحب الإمام الشافعي، وراوي كتبه. ولد سنة ١٧٤هـ كان مؤذناً بالمسجد الجامع بفسطاط مصر المعروف اليوم بجامع عمرو بن العاص. كان الشافعي يحبه، وقال: مأخذ مني أحد قط مأخذ مني الربيع، توفي في شوال سنة ٢٧٠هـ وهذه الحكاية أوردها السبكي في طبقات الشافعية ج١/٢٦١ انظر طبقات الشافعية الكبرى ج١/٢٥٩ والأعلام ج٣/١٤.

لعلمت أنك لن تقصد إلا الخير، فقال الربيع: كيف أقول؟ قال: قل براً
الله ضعفاً، فإن الشافعي نظر إلى حقيقة اللفظ وهو نفس الضعف،
والربيع قصد أن يسمى [الضعيف]^(١) ضعفاً كما يسمى العادل عدلاً،
ثم [لما]^(٢) علم الشافعي بحسن قصده أوجب أن يقول: لو سببتني
صريحاً - أي صريحاً في اللغة - لعلمت أنك لم تقصد إلا خيراً^(٣)، فقدم
عليه علمه بحسن قصده ولم يجعل سوء العبارة منقصاً، وقد يسبق
اللسان بغير ما قصد القلب كما يقول الداعي من الفرح «اللهم أنت
عبيدي وأنا ربك»^(٤) ولم يؤاخذ الله.

فصل

وأما قوله: (وجعل الاستخفاف به كفراً كما قال الله -
عز وجل - ﴿قُلْ أَبَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا * قَدْ
كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦] ولا أعلم خلافاً بين النقلة
أن الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب كلامهم^(٥) لم يكونوا تعرضوا
لله بعبارتهم وإنما تنقصوا رسوله فجعل استخفافهم برسوله استهزاء به

احتجاج
البكري بآية
التوبة على كفر
من استهزأ
بالنبي ﷺ

١- كذا في (ح) و(ط) وفي الأصل و(ف) و(د) (ضعف) ولا يستقيم المعنى.

٢- كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٣- في (ف) الخير.

٤- يشير إلى أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها)
جـ ٢١٠٥/٤ رقم ٢٧٤٧ وأوله قال رسول الله ﷺ «لله أشد فرحاً بتوبة عبده
حين يتوب إليه ... الحديث».

٥- سقطت الواو من (ف).

سبحانه وبآياته/ وكفى بذلك [كفراً]^(١)، ثم ذكر مانقله من الكتاب الذي صنّفه المسمى "بالصارم المسلول على شاتم الرسول".

١٦٦

فيقال: لا ريب أن الاستخفاف بالنبي ﷺ كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدل على أن الاستهزاء بالله كفر؛ وبآيات الله كفر، وبرسوله كفر، من جهة أن الاستهزاء كفر وحده بالضرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته وبرسوله [شرطاً]^(٢) [في ذلك]^(٣)، فعلم أن الاستهزاء بالرسول أيضاً كفر وإلا لم يكن في ذكره فائدة، وكذلك الاستهزاء بالآيات، وأيضاً فإن الاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله التي جاء بها الرسول فهو مستهزئ بالرسول ضرورة، ومن استهزأ بالرسول فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسوله فهو مستهزئ به^(٤)، ومن استهزأ بالله فإنه مستهزئ بآياته ورسوله بطريق الأولى، وأما الذين نزلت فيهم هذه الآية فقد [نزلت في المنافقين في غزوة تبوك]^(٥).

رد ابن تيمية
وشرح الآية وبيان
سبب نزولها

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كفر) بدون الف، وفي ص ٥٥٤ ذكر المؤلف الجملة ورسم هذه الكلمة : (تكفيرا)

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) شرط بدون الف.

٣- ما بين المعقوفين من (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٤- في (ف) زاد الناسخ حقيقة ثم شطبها.

٥- بياض في جميع النسخ في الأصل و(ف) بمقدار سبع كلمات وفي (د) و(ح) بمقدار كلمتين، وما بين المعقوفين هو ما يتطلبه السياق وانظر سبب نزول الآية في تفسير

بيان استهزاء
القبوريين

لكن هؤلاء الضالون أولى بالدخول في الاستهزاء بالله وبآياته
ورسوله من منازعهم، فإن كانت الآية تتناول المتأولين من أهل القبلة
كانوا أحق بالدخول، وإن لم تتناول المتأولين كان منازعهم أحق
بالخروج منها لو كانوا مخطئين، وأما [مع] ^(١) كونهم مصيبين فلا وجه
لتناول الآية لهم، وذلك أن هؤلاء الضالين مستحقون بتوحيد الله،
يعظمون دعاء غيره من الأموات ^(٢)، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن
الشرك استخفوا به.

مقارنة بين
القبوريين
والمشركين في
موقفهم من الأنبياء

١٦٧

كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله ^(٣) ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا
هَزْواً هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً * إِنَّكَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ
صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [سورة
الفرقان: ٤١-٤٢] / فاستهزءوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك، وقال
تعالى عن المشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ *
وَيَقُولُونَ أَأَنْتَا لَتَأْتِكُنَّ آيَاتُنَا لَشَاعِرٌ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الصافات: ٣٥-٣٦]
قال تعالى ^(٤) ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ٣٧]
وقال تعالى عن المشركين ﴿وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ الْآلِهَةَ آلِهَةً وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجَابٌ * وَانْطَلِقِ الْمُلَا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢- في (د) الأمور.

٣- في (ف) تعالى.

٤- في (ف) الله.

لشيء يراد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴿[سورة ص: ٤-٧] وقالت عاد لهود -عليه السلام- ﴿ياهود ماجتتنا بينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[سورة هود: ٥٣-٥٦].

وما زال المشركون يسوؤن الأنبياء^(١) ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد؛ لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾^(٢) [سورة الأعراف: ٥٩-٦٢] (وقال كذلك)^(٣) ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين * قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين * أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

١- في (د) بالأنبياء.

٢- الآية الأخيرة سقطت من الأصل و(ف) وهي في (د) و(ح).

٣- ما بين القوسين في (د) (ثم قال تعالى).

لينذرکم واذکروا إذا جعلکم خلفاء من بعد قوم نوح وزادکم في الخلق بسطة/ فاذکروا ءالاء الله لعلکم تفلحون * قالوا أجتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد ءاباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال قد وقع علیکم من ربکم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سمیتوها أنتم وآباؤکم ما نزل الله بها من سلطان فانظروا إنني معکم من المنتظرين ﴿١﴾ [سورة الأعراف: ٦٥-٧١].

فأعظم ماسفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد، وهكذا تجدد من فيه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له؛ وأن لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه؛ استهزأ بذلك لما عنده من الشرك قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين ءآمنوا أشد حباً لله﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الخالق فهو مشرك.

استطرد في
الحب في الله
والحب مع الله

ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله، فالأول من تمام محبة الله وتوحيده، والثاني شرك، فالأول يكون الله هو المحبوب له لذاته ويجب ما يحبه الرب - تعالى - تبعاً لمحبهته، فيحب رسوله وكتابه وعباده المؤمنين كما في الصحيحين عن أنس (٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه

١- في (د) ذكر الآيات إلى قوله تعالى ﴿على رجل منكم لينذرکم﴾ إلى قوله ﴿ما نزل الله بها من سلطان فانظروا إنني معکم من المنتظرين﴾.

٢- في (د) رضى الله تعالى عنه وفي (ف) رضى الله عنه.

مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في (١) الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» (٢) وأما الحب مع الله فهو الذي يحب محبوباً في قلبه لذاته لا لأجل الله، كحب المشركين أندادهم.

وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء حتى إن طوائف منهم يستخفون بحج البيت وبمن [يحج] (٣) البيت، ويرون أن زيارة أئمتهم وشيوخهم أفضل من حج البيت، وهذا موجود في الشيعة وفي المنتسبين إلى السنة، وآخرون يستخفون بالمساجد وبالصلوات الخمس فيها، ويرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا، وهذا موجود في الشيعة المنتسبين إلى يونس القينى (٤)

تعظيم القبرية
للقبور واستهزاؤهم
بالله وأمثلة ذلك

١٦٩

١- في (د) (إلى).

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب الحب في الله) رقم ٦٠٤١ ج ٤/ ١٩٠٨ ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان) رقم ٤٣ ج ١/ ٦٦ واللفظ لمسلم، إلا أن المصنف جمع بين روايتي مسلم.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يحجج.

٤- هكذا في جميع النسخ وفي (ط) القيسي، وفي السير للذهبي ج ٢٢/ ١٧٨ والشذرات ج ٥/ ٨٧ القيني، الياء قبل النون ويونس القيني: هو يونس بن يوسف بن مساعد المخاري في الجزري القيني الزاهد، شيخ الينونية -إحدى الطوائف الصوفية- أهل شطح وخفة عقل، وصفه الذهبي بقوله: كان ذا كشف وحال، ولم يكن عنده كبير علم، وله شطح، وشعر ملحون ينظمه على لسان الربوبية، وبعضه كأنه كذب، والله اعلم بسرره. هـ توفي بالقنية من نواحي ماردين سنة ٦١٩ هـ.

حتى ينشدون^(١):

تعالوا نخرب الجامع ونجعل فيه خماره
ونكسر المنبر ونجعل منه طنباره
ونحرق المصحف ونجعل منه زماره
ونتف حية القاضي ونجعل منه أوتاره^(٢)
ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا؛ ولا يجترئ أن يحلف
بشيخه اليمين الغموس كاذبا، ومنهم من يقول كل رزق لا يرزقه إياه
شيخه لا يريده، ومنهم من يذبح الشاة ويقول باسم سيدي، ومنهم من
يقول إن شيخه أفضل من الأنبياء والمرسلين، ومنهم من يعتقد فيه الإلهية
كما يعتقد^(٣) النصراني في المسيح، وإذا ذكروا شيخهم^(٤) عظموه
وادعوا فيه الإلهية، وانشدوا على لسانه:

موسى على الطور لما خر لي ناجا وصاحب التوب ما جئته حتى جا^(٥)

انظر: وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٨٥٥/٧ تحقيق د. حسان عباس والسير
جـ ١٧٨/٢٢٢ رقم الترجمة ١١٩ وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٨٧/٥
ط ١٣٩٩ هـ دار المسيرة.

١- كذا في جميع النسخ والأولى (ينشدوا)

٢- القائل لهذه الأبيات هو يونس القيني انظر: الإلحادية عقيدة ابن عربي الاتحادية
تأليف أبي إسلام مصطفى سلامه ص ٣٧ الطبعة الأولى صفر ١٤١٣ هـ الناشر دار
التقوى ومكتبة خالد بن الوليد عمان - الأردن.

٣- كذا في جميع النسخ والأولى (يعتقد).

٤- في (د) سيخهم (بالسين).

٥- لم أجد من نسب هذا البيت ومن قال الأبيات السابقة واللاحقة فلا يبعد أن يكون
هذا.

ولهم أيضاً:

وأنا صرخت في العرش حتى ضج وأنا حملت على علي حتى هج

وأنا البحار السبعة من هيتي ترتج^(١)

ويقولون نحن غلمان الملك، ويسمون المسجد اصطبل البطالين،
ويقروون القرآن «وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين»، وألوان من هذا
الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته ورسوله، مع تعظيم شيخهم
وغلوهم فيه^(٢)، وكذلك النصيرية والإسماعيلية ونحوهم وكثير من
طوائف متعددة، [يرى]^(٣) أحدهم أن استغاثته بالشيخ الميت إما عند
قبره وإما عند قبر غيره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند
السحر، ويستنهضون بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، ومن هؤلاء
من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة، وأن دعاء
النبي والاستغاث به أفضل من الاستغاث بالله ودعائه.

١٧٠

وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد، فتجد
المسجد الذي بُني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من

تغريب القبور
للمساجد
وعمارتهم
للمشاهد

١- تنسب هذه الأبيات ليونس القيني انظر الإلحادية عقيدة ابن عربي لأبي إسلام
ص ٣٨.

٢- انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف محمود عبدالرؤوف
القاسم ص ٦٠٣ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ، الناشر المكتبة الإسلامية عمان
- الأردن، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم ص ٢٣٢ وما
بعدها الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

٣- كذا في (ح) وفي الأصل (ف) و(د) ترى.

الناس ؛ وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذى بني على الميت فعليه الستور؛ وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدوا وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله [وتعظيمهم]^(١) للشرك !!.

مشابهة أهل القبور
لمشركي العرب

فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذى بني له المشهد والاستغاثه به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثه به في البيت الذى بني لله -عز وجل- ، ففضلوا البيت الذى بُني لدعاء الخالق، وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله تعالى ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦] كما يجعلون لله زرعاً وماشياً ولآلهتهم زرعاً وماشياً؛ فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه؛ وقالوا^(٢) : الله غني وآلهتنا فقيرة^(٤)، فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله، وهكذا^(٥) الوقوف والنذور

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل تعظيم.

٢- (بني) سقطت من (ف).

٣- في (ف) إن.

٤- في (د) فقراء.

٥- في الأصل و(ف) (هؤلاء) وهي زيادة ولا حاجة لها في المعنى.

التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم (مما تبذل) ^(١) عندهم للمساجد
ولعمارة المساجد وللجهاد في سبيل الله.

مقارنة بين حال
القبرورية عند المشاهد
وفي المساجد

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يكي عنده ويخضع
ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور
القلب،/ مالا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل
وقراءة القرآن، فهل هذا (إلا من) ^(٢) حال المشركين المبتدعين
لالموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله ورسوله!! ومثل هذا إذا سمع
أحدهم سماع ^(٣) الآيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء مالا
يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيخشع عند سماع المبتدعين
المشركين ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله
استثقلوا ^(٤) بها وكرهوها واستهزؤوا بها وبمن يقرعوها، مما يحصل لهم
به أعظم نصيب من قوله ﴿قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤون﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية كأنهم صم وعمي،
وإذا سمعوا الآيات حضرت قلوبهم وسكنت ألسنتهم وسكنت

١- ماين القوسين في (د) مبذول.

٢- ماين القوسين في (د) الأمر إلا.

٣- سقطت من (د) و(ح).

٤- في (د) اشتغلوا.

حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم الماء^(١).

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا: نحن في شئ أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول: هذا في شغله وهذا في شغله، ومنهم من يقول: كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا على الباب.

وقد سألتني بعضهم عن ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال؟ فقلت: صدق كان في حضرة الشيطان فصار على باب الله، فإن البدع والضلالة فيها من حضور الشيطان ما قد حصل في غير هذا الموضع، والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعائهم الله أنواع متعددة: منهم من يقدم [دعائهم]^(٢)، ومنهم من يحكى أنواعاً من الحكايات، حكاية أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجهم، فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده إذا كانت/ لك ١٧٢ حاجة فتعال إلى قبري، وآخر قال فتوسل بي، وآخر قال قبر فلان الترياق المحرب، فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية الشريكية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين، وهؤلاء تتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوهم فيظنه إياه أو ملكاً على صورته، وإنما هو

١- وانظر وصف ابن القيم لحالهم في كتابه إغاثة اللفهان في مصادب الشيطان ج-١/

شيطان أغواه كما قد بسط في موضعه^(١). ومنهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ، ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فيتعسر أحدهم فيقول يا فلان، وقد قال الله - تعالى - للموحدين ﴿فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذاكركم عاباءكم أو أشد ذكرا﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠].

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب؛ ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله ، وقد قال شعيب^(٢) ﴿يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾ [سورة هود: ٩٢] وقد قال تعالى ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ [سورة الحشر: ١٣] وقال تعالى ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨] وقال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ الآية [سورة البقرة: ١٦٥].

فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين عندهم يتضمن مثل هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأبي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله!! من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع ما يترتب

عودة للكلام على
استهزاء القبرية
بالله - تعالى -

١- انظر " مصباح الظلال المستغيثين بالنبي ﷺ في البيضة والنام " لابن النعمان المالكي فهو مليء بمثل هذه القصص، وكتاب "شواهد الحق" للنبهاني ص ٢٤٢، وكتاب تحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء لعبد الله بن محمد الحسيني ص ٤٠ وما بعدها الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ وغيرها.

على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لاشريك له كما أمرت رسله، ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ماجاء به، وأيضا فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجاباً لرعاية جانب الرسول^(١)، تصديقاً له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة/ مابعث به والتمييز بين ماروي عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب، واتباع ذلك دون ماخالفه عملاً بقوله تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا نَزَّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

١٧٣

أمثلة على
الاستدلال
الباطل

وأما أولئك الضلال أشباه المشركين النصاري فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عن لا يحتج بقوله ، إما أن يكون كذباً عليه وإما أن يكون غلطاً منه، إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير^(٢) معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه، كما يفعل^(٣) النصاري.

أقسام الاستغاثة
وحكم كل قسم

وكما فعل هذا الضال أخذ لفظ الاستغاثة؛ وهي تنقسم إلى الاستغاثة بالحي والميت؛ والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه؛ فجعل حكم ذلك كله واحداً، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص

١- في (د) ٢٢٢.

٢- (غير) سقطت من (ف).

٣- في (د) يضل.

من مسمى الاستغاثه أيضاً، ولم يكفه ذلك [حتى]^(١) جعل الطالب منه إنما طلب من الله لامنه، فالمستغيث به مستغيث بالله، ثم جعل الاستغاثه بكل ميت من نبي وصالح جائزة، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية - التي أدخل فيها من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال - بقضية خاصة جزئية؛ كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو الله لهم؛ وتوجههم إلى الله بدعائه وشفاعته، ومعلوم أن هذا الذي جاءت به السنة حق لا ريب فيه، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعوى العامة وإبطال نقيضها، إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثال جزئي لا سيما مع الاختلاف والتباين.

وهذا كمن يريد أن يثبت [حل جميع]^(٢) الملاهي لكل أحد والتقرب بها إلى الله بكون جاريتين غتا عند عائشة - رضي الله عنها - في بيت النبي ﷺ^(٣) يوم عيد، مع كون وجهه كان مصروفاً إلى الحائط لا إليها^(٤).

١- كذا في (د) و(ح) وسقط من الأصل و(ف).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (جميع حل).

٣- في (ف) زاد (في).

٤- يشير إلى حديث عائشة عند البخاري قالت: دخل أبو بكر، وعندى جاريتان من حواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمعنيتين، فقال أبو بكر: أمزماير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا» (كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام) ج ١/ ٢٨٦ رقم ٩٥٢.

١٧٤ أو يحتاج على استماع كل قول/ بقوله ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [سورة الزمر: ١٧-١٨] ولا يدري أن القول هنا هو القرآن، كما في قوله ^(١) ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين﴾ [سورة المؤمنون: ٦٨] (وإلا فمسلم [أنه] ^(٢) لا يسوغ) ^(٣) استماع كل قول، وقد نهى الله -عز وجل- عن الجلوس مع الخائضين في آياته، وخوضهم نوع من القول فقال تعالى ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ ^(٤) [سورة الأنعام: ٦٨] وقال ^(٥) ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم﴾ [سورة النساء: ١٤٠] وقال ^(٦) ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ [سورة الفرقان: ٧٢] وقال تعالى ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ [سورة القصص: ٥٥].

١- في (د) تعالى. وانظر تفسير هذه الآية في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١/ ٢٤٤ وما ذكره المؤلف هو قول طائفة من المفسرين. وذكر المؤلف في مجموع الفتاوى ج ١٦/ ٥ : أنه قول سلف الأمة وأئمتها وأطال في تفسيرها.

٢- كذا في (ح) وفي (د) أن وسقط من الأصل و(ف).

٣- ما بين القوسين في (د) (ولا نسلم أن يسوغ).

٤- في (د) ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره ... الآية﴾.

٥- في (د) تعالى.

٦- في (د) تعالى.

فصل

قال: (وقد أجمع العلماء كما حكاه من يرجع إليه، على أن كل مسلم صدر عنه سب للرسول - ﷺ -^(١) أو تنقيصه وجب قتله، ويحكم بكفره وردته عن دين الإسلام، على ذلك دلت نصوص السنة والكتاب، وحكم جماعة من المتقدمين بأنه^(٢) يقتل بغير^(٣) استتابة، كما نص العلماء أيضاً أن التعريض بسبه أو تنقيصه كالصریح).

نقل البكري من كتاب ابن تيمية في الرد عليه

فيقال: هذا نقله من الكتاب الذي صنفته^(٤) في شاتم الرسول^(٥)، استعاره من بعض من كان عنده^(٦)، ولهذا صار الناس يعدون هذا من قلة الحياء، فإن ذلك الكتاب ذكرت فيه في مسألة السب من دلائل الكتاب والسنة وأقوال العلماء و^(٧)من تعظيم الرسول وتعزيره وتوقيره، واستنباط مايتعلق بذلك من الكتاب والسنة مايعرفه من تأمله.

تعلق ابن تيمية

١- ماين الشرطتين سقط من (د).

٢- في (د) (من أنه).

٣- في (د) (من غير).

٤- سقطت من (ف).

٥- يشير ابن تيمية إلى كتابه " الصارم المسلول على شاتم الرسول " ، وما نقله البكري عنه اختصاراً من مواضع مختلفة انظر ص ٣، ٢٥٤، ٣١٢-٣١٣ وسيأتي نقل البكري من كتاب ابن تيمية بالنص.

٦- في تلخيص الاستغاثة ص ٤: وأعاره بعض الأمراء - كما أخبرني - كتابي.

٧- (الواو) سقطت من (د).

فصل (١)

قال: (ومن نفي عنه أن يستغاث به فقد تنقصه عن رتبته ولا ينفعه تأوله، لأن تأويله لا يخرج من كونه أساء الأدب على النبي ﷺ في التعبير، على أن هذا الرجل لا يثبت على التأويل وغنما يذهب إليه عند الخوف، زندقه منه على ما علمته).

يقال له: قد تقدم الجواب (٢)، وتبين أن الذي/ تنقصه هو الذي يؤذيه ويتعدى عليه، ويسلط السفهاء على أذاه ويكذب عليه ويبدل دينه الذي بعث به، لامن يأمر بما أمر الله به من تعزيره وتوقيره وتصديقه وطاعته ومحبه ورضاه وموالاته، وبما يزيده الله درجة ورفعة في الدنيا والآخرة من الصلاة والسلام عليه، وفعل التوحيد والطاعات التي يحصل (٣) له مثل أجرها، وبين أيضا أنه لم ينف عنه كل ما يسمى استغاثه، بل قد صرح بأنه يطلب منه كل ما يليق بمنصبه، وأنه يستشفع به ويتوسل به كما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يفعلون، وكما يستشفع به يوم القيامة وأن المنفي هو دعاء الميت، أو أن يطلب من المخلوق مالا يقدر عليه إلا الخالق، وبين أيضا أن ما ذكره هذا الرجل في مسمى لفظ الاستغاثه وإن نفي ذلك؛ يتضمن نفي كونه سبياً في حصول غوث الله؛ كلام باطل.

١- انظر ص ٣٢٥

٢- انظر ص ٥٥٦

٣- في (ف) تحصل.

وأما قوله (و^(١) لا ينفعه تأويله ... إلى آخره)، فإنما يصح لو فسر لفظ بما يخالف ظاهره، والمحيب^(٢) قد بين مراده بألفاظ ناصّة^(٣) لا تحتمل معنيين، فأبي تأويل هنا يُحتاج إليه!! فهذا من جملة افتراءه، فإن التأويل إنما يحتاج إليه إذا أطلق المطلق لفظاً له ظاهر وأراد به غير ظاهره من غير بيان، وهذا لم يقع، فإن كان بعض الناس يظهر له من اللفظ ما لم يدل عليه فالتفريط منه.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم^(٤)

وقد [بيناً]^(٥) في غير هذا الموضع^(٦) أن عامة ما يورد على ألفاظ الكتاب والسنة ويُدعى أن ظاهرها ممتنع، إنما أتى من سوء فهمه، لامن قصور في بيان الله ورسوله، بل [يمن]^(٧) تأول. مثل^(٨) طائفة في قوله «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن استلمه أو صافحه فكأنما

استطرد حول
تأويل بعض
الأحاديث

١- في (د) (فلا).

٢- المحيب هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- في (د) خاصه.

٤- هذا البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم.

انظر ديوان المتنبي ص ٢٣٢.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل وبين.

٦- سقطت من (د).

٧- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل بما.

٨- كذا في جميع النسخ ولم تظهر في (ح) والأولى مثل قول طائفة.

صافح الله وقبل يمينه»^(١) وهذا معروف عن ابن عباس، وقد روي مرفوعاً ولم يثبت بهذا^(٢) اللفظ، قالت طائفة إنه يحتاج إلى تأويل وليس/ كما قالوا فإنه قال فيه «يعين الله في الأرض» ف قيل: الخطاب في

١٧٦

١- لم أحده بهذا السياق، وقد أخرجه ابن عدي في الكامل ج١/٣٤٢ تحقيق د. سهيل ركاز وتدقيق يحيى غزاوي الطبعة الثالثة وأحمد بن علي الخطيب في تاريخ بغداد ج٦/٣٢٨ (الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، والمكتبة العربية - بغداد) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجر الأسود يعين الله في الأرض يصفاح به عباده» قال ابن عدي في الكاهلي عقب الحديث: هو في عداد من يضع الحديث ١ هـ وقد روى تكذيب ابن أبي شيبة للكاهلي.

وقد أخرج ابن قتيبة في غريب الحديث ج٢/٢٢٣ تحقيق د. عبد الله الجبوري (الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ الناشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية) عن ابن عباس موقوفاً عليه «الحجر الأسود يعين الله في الأرض يصفاح بها عباده أو قال خلقه كما يصفاح الناس بعضهم بعضاً» قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١/٢٥٧ رقم ٢٢٣ في حديث ابن قتيبة: سنده ضعيف جداً. ١ هـ وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٦/٣٩٧: - في هذا الحديث - روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور إنما هو عن ابن عباس ١ هـ وقال العلجوني في كشف الخفاء ص ٤١٧ رقم ١١٠٩ في هذا الحديث ومثله مما لا مجال للرأي فيه وله شواهد، فالحديث حسن وإن كان ضعيفاً بحسب أصله كما قال بعضهم ١ هـ ولكن كثيراً من المتقدمين أوردوا هذا الحديث وفسروه والتفسير فرع عن التصحيح.

ومما سبق يتضح أن الحديث موقوف على ابن عباس -رضي الله عنه- وقد سبق المؤلف في تفسير الحديث ابن قتيبة في غريب الحديث ج٢/٣٣٧، والذهبي في السير ج١٩/٥٢٢ والعلجوني في كشف الخفاء ص ٤١٧ رقم ١١٠٩ والله أعلم.

الأرض لم يطلق فيه، وقال في إثباته فمن استلمه فكأنما صافح الله وقبل يمينه والمشبّه غير المشبّه به، ففي الحديث بيان أنه ليس بصفة الله وإنما هو بمنزلة اليمين في الاستلام والتقبيل، والحديث لا يدل ولا يفهم منه غير هذا.

وكذلك قوله سبحانه «عبدى مرضت فلم تعدنى، فيقول: رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلو عدته وجدتنى عنده»^(١) فهذا صريح في أن الله لا يمرض؛ وإنما مرض عبده، ولا يحتاج إلى تأويل، وأمثال ذلك.

وأما قوله: (إن الحبيب لا يثبت على التأويل وإنما يذهب إليه عند رمى البكري لابن تيمية بالزندقة وجوابه الخوف زندقه منه^(٢) على ما علمته).

فيقال له: لا ريب أن الحبيب لم يذهب في كلامه إلى تأويل أحد، بل لفظه ظاهر في معناه، بل قد يكون نصاً، وقول القائل: إنه يذهب إلى التأويل زندقه^(٣) فهو جهل منه بمسمى^(٤) الزندقه وكذب ظاهر باتفاق الناس، وهو بالقائل أعلق؛ إما كونه جهلاً، فإن الزنديق هو الذى يظن الكفر ويظهر الإسلام، فمن كان مظهرًا لقوله قد كتب بأجوبة من النسخ ما لا يخصه إلا الله، وقد وافقه عليها علماء الإسلام

١- سبق تخريجه ص ٢١٥

٢- (منه) سقطت من (ف) و(د) وفي الأصل فوقها ح.

٣- في (ف) وزندقه.

٤- في (ف) و(د) يسمى.

ولم يذهب أحد إلى خلافها، وقد بين قوله في أعظم الأوقات خوفاً وتعصباً عليه وناظر عليه، وتبين للحاضرين حتى الأعداء سلامته من [هذه] ^(١) القوادح، وظهور الجهل والكذب والظلم من منازعيه ^(٢)، فكيف ينسب إليه إبطان خلاف ما يظهر!!.

ولو قدر أن شخصاً أبطن خلاف ما يظهر من الأقوال لم يكن زنديقاً إلا إذا أبطن الكفر، وإلا ^(٣) فمن أبطن قولاً [يعتقد أنه] ^(٤) دين الإسلام/ ويناظر عليه لم يكن هذا زنديقاً عند الفقهاء، بل إن [كان] ^(٥) ١٧٧ مخطئاً فقد يكون مبتدعاً، وإن كان مصيباً [وسكت] ^(٦) خوف العدوان عليه لم يكن مبتدعاً، ولو دخل [مسلم] ^(٧) دار الرافضة والخوارج فكتم حبه للصحابه -رضوان الله عليهم- لم يكن زنديقاً، ولو عرّض لم يَأْثَم بذلك.

وقد ثبت في الصحيح أن الخليل -صلوات الله وسلامه عليه- حكم التعريض في سلام

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) هذا.

٢- لعله يشير إلى مادعى به عليه ابن عطاء الإسكندري وغيره في عام ٧٠٧ هـ.

٣- (وإلا) سقطت من (د).

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) يعتقد.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كا (بدون نون).

٦- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كلمة غير واضحة.

٧- كذا في (د) و(ف) وفي الأصل و(ح) مسلماً بالنصب.

قال عن سارة «إنها أختي»^(١) عند الحاجة إلى التعريض، وكان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يقول عن النبي ﷺ حين سُئل عنه في الهجرة من هذا الرجل معك يا أبا بكر فيقول: «هذا رجل يهديني السبيل»^(٢) فيحسب الحاسب أنه يريد الطريق، وإنما يريد سبيل^(٣) الخير، وكذلك عين المشركين يوم بدر لما جيء به إلى النبي ﷺ وسأله فقال: لا أخيركم حتى تخبروني من أين أنتم، فقال النبي ﷺ: إن أخبرتنا أخبرناك، فأخبرهم فقال: النبي ﷺ «نحن من ماء»^(٤).

[مع]^(٥) أن ما نحن فيه ليس من هذا الباب، فإنه لم يحصل كتمان ولا تعريض، بل صرح بالأمر على ما هو عليه، وإنما المقصود بيان جهل هؤلاء الضالين المعتدين.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ رقم ٣٣٥٨ جـ ٢/١٠٣٤ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- إلا ثلاث كذبات ... الحديث».

٢- أخرجه البخاري في (كتاب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) جـ ٣/١١٩٦ برقم ٣٩١١ من حديث أنس بن مالك وأوله «أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف ... الحديث».

٣- في (د) سبيل.

٤- أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية جـ ٢/٦١٦ من طريق محمد بن يحيى بن حبان ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه جـ ٢/١٤١ وابن كثير في تاريخه أيضا جـ ٣/٣٠٠.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل كلمة غم واضحة.

تعليق المؤلف
على ما وقع
للبركي مع
السلطان

وأيضاً فيخاف من الناس من يجزع إذا أُوذي ويطلب الإقالة ويستغيث بالحاضرين حتى يدفعوا عنه ماطلبه ولي الأمر من قطع لسانه، ومن نفي عن البلد فلا يدخله إلا سرا^(١)، ودخل في قوله^(٢) ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [سورة البقرة: ١١٤].

فإن هذا المفترى سعى في منع من يذكر ماأمر الله به في المسجد، فمنع من سكنى البلد الذى فيه المسجد وأخرج منه، فلم يكن يدخل المسجد إلا خائفاً، وحصل له من الخزي ما لا يعرف لأحد مثله في زمانه، وكأن له شبه في أبي عامر الراهب^(٣) الذى بني له مسجد الضرار، وكان قد قدح في الرسول الداعي إلى / الخنيفية ومال إلى

١٧٨

١- يشير إلى قصة حصلت للبركى مع السلطان انظر ترجمة البركي في المقدمة .

٢- في (د) تعالى.

٣- هو أبو عامر عبد عمرو بن صيفي النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فُسمي الراهب، وقد فارق قومه الخزرج لما اجتمعوا على الإسلام وذهب إلى مكة وقاتل مع كفار قريش في أحد، وخرج إلى هرقل الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه؛ فكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه وقد مات وحيداً شريداً طريداً كما دعا عليه النبي ﷺ . انظر: سيرة ابن هشام جـ ٢/ ٥٨٦ وتاريخ ابن جرير جـ ٢/ ٦٤ وتفسير الطبري أيضاً جـ ٦/ ٤٧٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٨/ ٢٥٥ وتفسير ابن كثير جـ ٢/ ٣٨٨.

النصرانية، وقال للنبي ﷺ إلى ماتدعو يا محمد، قال: إلى ملة إبراهيم، فقال إنك شبيه^(١) بغيرها، فقال: ماشيها بغيرها، فقال: بل شبيهها بغيرها، فقال: الكاذب أماته الله طريداً شريداً وحيداً، فقال أبو عامر: آمين؛ فمات طريداً شريداً وحيداً^(٢).

[فأي الفريقين أولى بذلك الشبه]^(٣) من يقابل ولادة الأمر وغيرهم من الأكابر في أخذهم بالحق وإن كرهوه؟ ومن يطلبون منه^(٤) أن يسكت عن حق متعلق بالدين فلا يسكت؟ فيطلبون خروجه من الضيق فيأبى الخروج حتى يظهر الحق^(٥)، ومن يهين الحزب الجاهل الظالم، ويدين جهله، ومن كتب جوابه في هذه المسألة في أكثر الأمصار من لا يحصي عدده^(٦) إلا الله من ولادة الأمور وغيرهم.

١- في (ف) و(د) شبيهها.

٢- انظر سيرة ابن هشام ج٢/٥٨٦ وتفسير الطبري ج٦/٤٧٠ وتفسير ابن كثير ج٢/٣٨٨.

٣- بياض في جميع النسخ. بمقدار سبع كلمات في الأصل وست في (ف) وثلاث في (د) وكلمتين في (ح) وفي هوامش جميع النسخ بياض في الأصل، وما بين المعقوفتين يقتضيه السياق.

٤- في (د) منهم.

٥- لعله يشير إلى سجنه - رحمه الله - في الحب، حيث طلب منه الخروج من السجن بشروط، وطلبوا حضوره وتكرر الرسول عليه ست مرات، ليتكلموا معه، فامتنع من الحضور وصمم. انظر تاريخ ابن كثير ج١٤/٤٦.

٦- في (د) عددهم.

وأهل السنة إذا تقابلوا هم وأهل البدعة فلهم نصيب من تقابل المؤمنين والكفار، وقال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ * قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل^(١) [سورة المائدة: ٥٩-٦٠] وهؤلاء الذين يدعون الموتى من أهل البدع، فمنهم من مسخ خنزيرا من الرافضة، وقد تواترت بذلك الحكايات^(٢)، وفيهم من يعبد الطاغوت فيصور تماثيل يتوجهون إليها، ويدخلون في مداخل السحرة^(٣) كما هو معروف [عن]^(٤) غير واحد منهم، وأما غضب الله ولعنته بسبب كثرة كذبهم وظلمهم وفسقهم فأعظم من أن يذكر.

فصل^(٥)

نقل البكري من
كتاب الصارم
المسلول لابن
تيمية

قال: (ولقد بالغ السلف في الاحتياط بجانبه ﷺ، حتى أفتى

١- في (د) لم يكتب الآية الثانية وقال: إلى قوله تعالى ﴿وأولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾.

٢- ذكر بعض هذه القصص ابن النعمان المالكي في مصباح الظلام في المستغيثين بالنبي ﷺ خ ص ٧١ (بترقيمي).

٣- في (د) السحر.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عند.

٥- يياض في (ف).

بعضهم بأن من سب (فاطمة أو عائشة)^(١) أنه يقتل، وقال على هذا مضت سيرة أهل العلم، وأفتى بعض الشافعية أن من سب أبا بكر أو عمر أو عثمان/ أو علياً -رضي الله عنهم- فهو كافر، وأفتى طائفة بكفر الرافضة، ونقل عن أحمد أنه استفتي فيمن شتم عثمان فقال: هذا زندقة^(٢)، وروي عن أحمد رواية أخرى أنه قال: من سب واحداً من الصحابة فقد كفر^(٣)، وذكرت ذلك لتعلم عظم الوقوع في الجنب النبوي عند العلماء، وقد صح وثبت أن النبي ﷺ أباح دم من نقصه وسبه ولم يختلف في ذلك الصحابة، ولقد^(٤) روا أن ابن أبي سرح بعد وقيته جاء به عثمان -رضي الله عنه- وكان أخاه من الرضاة، وقال: بايعه يارسول الله، فأعرض عنه، ثم^(٥) جاءه من الناحية الأخرى أيضاً فقال: بايعه يارسول الله فأعرض عنه؛ ثم بايعه النبي ﷺ في المرة الثالثة، وقال فيما روي: ماصمتُ إلا ليقوم إليه

١٧٩

١- في (د) (عائشة أو فاطمة).

٢- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال تحقيق د. عطية الزهراني الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ الناشر دار الراية الرياض ج-٣/٤٩٣ رقم ٧٨١ وقال المحقق: إسناده صحيح.

٣- السنة للخلال ج-٣/٤٩٣ رقم ٧٧٩ وقال المحقق: إسناده صحيح، وكفر من سب أحداً من الصحابة أبو عبيد القاسم بن سلام. انظر: السنة للخلال ج-٣ رقم ٧٩٢ والفريابي. انظر: السنة للخلال ج-٤/٤٩٩ رقم ٧٩٤.

٤- في (ف) بياض.

٥- (ثم) سقطت من (ف).

أحدكم فيقتله، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله ألا أومات إلي فأقتله فقال: «إن النبي لا يقتل بالإشارة»^(١) وكان ذلك لتحريم خائنة الأعين عليه ﷺ^(٢).

وأباح قتل ابن خطل لأنه كان ينتقصه ﷺ، وجاءه^(٣) رجل عام فتح مكة، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه» فقتل^(٤)، مع أن الروايات إذا [استقرئت]^(٥) علم (أنها تقتضي)^(٦) أنهما جاءا مستسلمين منقادين؛ ولم يكن ذلك موجبا للعفو عنهما، ففيه دليل على أن الساب اليوم ولو أسلم يقتل حتما، كما هو مذهب

١- أخرجه أبو داود في (كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام) ج٣/١٣٣ رقم ٢٦٨٣ وطرفه رقم ٤٣٥٩ والنسائي في (كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد) ج٧/١٠٦ رقم ٤٠٦٤ والحاكم في كتاب المغازي ج٣/٤٥ وقال: صحيح على شرط مسلم. قال ابن تيمية في الصارم المسلول ص ١٠٩: رواه أبو داود بإسناد صحيح. هـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٦/١٦٩ رواه أبو داود وغيره مختصرا وأبو يعلى والبرار ورجالهما ثقات. هـ وألفاظهم قريبة من لفظ المؤلف.

٢- انظر غاية السؤل في خصائص الرسول ص ١٤١-١٤٣.

٣- في (ف) وجاء.

٤- أخرجه البخاري في (كتاب جزاء الصيد، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام) ج١/٤٥٨ رقم ١٨٤٦ وأطرافه: ٣٠٤٤، ٤٢٨٦، ٥٨٠٨ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٥- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) استقرت.

٦- ما بين القوسين سقط من (د) وفي (ف) أنهما تقتضي.

مالك وجماعة، ولا يلزم من أن النبي ﷺ عفى عن بعضهم أن يجوز أن [نعفوا]^(١)، لأن القتل كان لحقه فله ﷺ أن يترك حق نفسه).

تعقيب ابن تيمية

فيقال: هذا كله منقول من كلام المجيب من كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول"^(٢)، لكنه أزال بهجته، وحذف من محاسنه ما يبين حقيقته، فالجيب هو المنافع عن الله ورسوله، وهذا كالتشيع^(٣) بما لم يعط، ومن تشيع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور^(٤)، وأما تقريره واستدلالة الذي لم ينقله عن غيره فمن جنس كلامه في مسألة/ ١٨٠ الاستغاثة، وجوابه في قسم مال^(٥) بيت المال ونحو ذلك^(٦)، مما يخرج به عن إجماع المسلمين، ويضحك عليه العلماء الفاضلون، ويوجب لذي

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) العفو.

٢- انظر ص ٥٦٦-٥٧١، ١٣٥، ١٠٩ وانظر أقوال الأئمة في الشفا للقاضي عياض ج ٢/٤٧٤ وما بعدها وشرح الشفا للملاعلي القاري ج ٢/٤٧١ وما بعدها. طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٣- في (د) كلام التشيع.

٤- يشير إلى حديث عائشة -رضي الله عنها- أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «التشيع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور».

أخرجه مسلم في (كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشيع بما لم يعط) رقم ٢١٢٩ ج ٣/١٦٨١.

٥- سقطت من (ف) ومضافة فوق سطر في الأصل و(د).

٦- لم أجد من ذكر هذه الفتوى.

القضاء أن يحجروا عليه في الفتيا، كما وقع لهذا^(١) المسكين لما فيه من الجهل بمسالك الأحكام، مع فرط الجراءة والإقدام على الكلام بالهوى والجهل في دين الإسلام، بخلاف من منع خوفاً منه ، إما لسياسة مملكته أو غير ذلك.

فصل

قال: (ومن هذا يُعلم أن النبي ﷺ لو نفى عن نفسه أنه ينفع أو يستغاث به أو نحو ذلك؛ يشير إلى التوحيد وإفراد الباري بالقدرة، لم يكن لنا نحن أن ننفي ذلك لوجهين.

دعوى البكري
أن نفي النبي ﷺ
للاستغاثه به هو
إشارة للتوحيد

أحدهما: أن المقصد إذا صح كان وجوب بيان المقصود بعبارة موضوعة له حق الرسول ﷺ فله تركه إذا عبر عن نفسه، وغيره إذا خالف موجب الأدب معه في العبارة كفرناه على ماسلف.

والأمر الثاني: أنه إذا علم بالقواعد ثبوت رتبة للرسول ﷺ فالعبارة^(٢) التي توهم نفيها إذا صدرت منه ﷺ علم المراد [بها]^(٣)؛ للدليل على عصمته وصحة تبليغه وعدم تناقض أفعاله وأقواله، وغيره ليس كذلك).

فيقال له: هذا من الجهل في الاستدلال، فإن ماينفيه الرسول عن جواب ابن تيمية

١- في (د) هذا.

٢- في (د) في العبارة.

٣- كذا في (ف) بها ، وسيذكر المؤلف المقطع نفسه هكذا في جميع النسخ كما

ص ٦١١ ، وفي الأصل و(ف) و (ح) (ومنها)

نفسه هو صادق فيه وفي جميع مايقوله^(١)، فإنه ﷺ هو الصادق المصدوق، وهذا خير أخير به والخير يكون إثباتاً ويكون نفيًا، وهو صادق فيما يثبتته لنفسه وفيما ينفيه عن نفسه، وعلينا أن نصدقه في ذلك.

وليس [هذا]^(٢) من جنس عفوه عمن آذاه؛ فإن ذلك ليس بخير منه، وإنما هو ترك استيفاء حق له، وبعد موته لا يمكن عفوه فيجب استيفاء حقه؛ لأن سبه فيه حق لله، وبعد موته لا مسقط له فيتعين استيفاؤه، وإذا انفرد بجواز العفو عن الساب دوننا/ لم يلزم أن ينفرد في إخباره؛ بأن يخبر بالأمر على خلاف ما هو عليه، وما قال أحد من المسلمين إن ما أخير به الرسول عن نفسه بنفي [أو]^(٣) إثبات ليس لنا أن نخبر بمثل خبره.

لا يجوز العفو عمن
سب النبي ﷺ بعد
موته

١٨١

بل إذا قال ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا﴾ [سورة الإسراء: ٩٣] نقول: ما كان إلا بشراً رسولا، وإذا قال ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهاكم إله واحد﴾ [سورة الكهف: ١١٠] وإذا قال «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا:

وجوب وصف
الرسول ﷺ بما
وصف به نفسه أو
وصفه الله به

١- في (د) مايقول.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل هذ.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (واو).

عبد الله ورسوله»^(١) قلنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وإذا قال «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون»^(٢) قلنا: إنما هو بشر ينسى كما ينسى البشر، وإذا قال ﴿لأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾ [سورة الأنعام: ٥٠] قلنا لم يقل^(٣) [إن]^(٤) عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب ولا نقول إنه ملك، وإذا قال ﴿لأملك نفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨] قلنا: لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، وإذا قال: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قيل: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(٥) قلنا: لن يدخل الجنة أحد بعمله، فإذا قيل: لنا ولا رسول، قلنا: ولا رسول الله إلا أن يتغمد الله برحمته منه وفضل، فنخير بمثل ما أخير به تصديقاً له؛ فإنه الصادق المصدوق، ومثل هذا كثير.

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب قول الله- تعالى- ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت﴾) ج-٢/١٠٧٢ رقم ٣٤٤٥ وطرفه ٦٨٣٠.

٢- أخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له) رقم ٥٧٢ ج-١/٤٠٠.

٣- في (د) نقل.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٥- سبق تخريجه ص ٣٥١.

مشابهة قول
البكري أقوال
النصارى
والرافضة

وقول هذا الجاهل [شبيه ومثيل]^(١) [دين النصارى]^(٢) فإن
المسيح - عليه السلام - لما أخبر [عن]^(٣) نفسه أنه عبد الله؛ تقول
النصارى: ليس لنا أن نقول في الأنبياء ما يقولونه في أنفسهم، وقد قال
الله - تعالى - ﴿ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله * قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ إلى
قوله^(٤) ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ [سورة
المائدة: ١١٦-١١٧] وقال المسيح^(٥) ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا﴾ [سورة مريم: ٣٠] فيقول النصارى / من جنس قول
شبيهه^(٦)،: هو يقول: ربي الله وهم يقولون: هو الرب ليس له رب،
ويقولون: وليس لنا أن نقول فيه ما يقول في نفسه.

١٨٢

وهكذا الرافضي إذا احتججنا عليه بقول علي - رضي الله عنه - عن
نفسه: يقول ليس لنا أن نقول فيه قوله في نفسه، وفي الجملة فبعض

١- ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ بمقدار كلمتين، وفي هامش الأصل و(ف)
و(د) بياض في الأصل، وما ذكر أعلاه من تكرار المؤلف لنفس المعنى وفي (ف)
كلمة رسمت هكذا (نات و) وفي (د) و(ح) (مات و).

٢- هكذا في (ف) و(د) و(ح) وسقط من الأصل.

٣- هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل عنهم.

٤- تمام الآية: ﴿إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك
إنك أنت علام الغيوب﴾.

٥- في (د) عليه السلام.

٦- في (د) شبهته.

الناس قد [يقول] ^(١) على سبيل التواضع كلاماً فيه مبالغة، فيقال : ليس لغيره أن يقول فيه هذا.

وأما الرسول ﷺ فلا ينطق إلا بحق، وكلامه معه إذا كان تواضعاً لله فهو أحق الخلق بالتواضع لربه -عز وجل-، وليس هذا كتواضع الرجل للرجل، ثم ما ذكره في عفوهِ عن الساب ^(٢) لا يقتضي العلم بهذا؛ ولا هو دليل عليه.

وأما قوله في الوجه الأول (إن القصد ^(٣) إذا صح كان وجوب بيان المقصود بعبارة موضوعة له حق الرسول ﷺ) فله تركه إذا عبر عن نفسه، وغيره إذا خالف موجب الأدب معه في العبارة كفرناه على ما سلف).

فيقال له: هذا من جهلك فإن التعبير عن المعاني [بالألفاظ] ^(٤) يتعلق باللغة، ليس هذا من الحقوق ولا له مدخل في هذا، بل الواجب أن يعبر عن المعنى باللفظ الذي يدل عليه ، فإن كان اللفظ نصاً أو ظاهراً حصل المقصود، وإن كان اللفظ يحتمل معنيين أحدهما صحيح

١- هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل يكون.

٢- في (د) السيئات ، وكذلك في (ط) وقد أدت لمعنى يصادم غرض الكتاب فكيف يكون الرسول ﷺ يعفو عن السيئات .

٣- كذا في جميع النسخ ، وفي ص ٦٠٥ ذكر المؤلف هذه الجملة بلفظها ورسم هذه الكلمة (المقصد)

٤- هكذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بألفاظ).

والآخر فاسد تبين أن المراد [هو الصحيح]^(١)، وإن كان اللفظ يوهم بعض المستمعين معنى [فاسداً]^(٢) لم يطلق إلا مع بيان مايزيل المحذور، وإن كان اللفظ يوهم معنى فاسداً لم يخاطب بذلك اللفظ؛ إذا علم أنه يوهم معنى فاسداً، لأن المقصود بالكلام البيان والإفهام، وأما إذا كان اللفظ دالاً على المراد وجهل بعض الناس معناه من غير تفريط من المتكلم، فالدرك على المستمع لاعلى المتكلم.

وقوله / (إذا [خالف]^(٣) موجب الأدب كفرناه) فيقال له: كلا^(٤) المقدمتين باطلة، دعواك مخالفة موجب الأدب؛ ودعواك كفر، وأما إخبارك عن نفسك أنك تكفره بما تعتقده أنه مخالف للأدب؛ فأنت صادق في خبرك عن اعتقادك الباطل وجهلك المعروف، [كما]^(٥) يصدق الروافض إذا أخبروا عن أنفسهم بتكفيرهم لأبي بكر وعمر وعثمان، كما يصدق الخوارج إذا أخبروا عن أنفسهم بتكفيرهم لعثمان وعلي، وكما

١٨٣

الرد على تكفير
البكري وإبطال
دليله

١- ما بين المعقوفين بياض في (ح) بمقدار كلمة، وقد وضعته حسب ما يقتضيه السياق، وليس في الأصل و (ف) و (د) إشارة للسقط.

٢- كذا في (ح) وفي الأصل و (ف) و (د) فاسد بالرفع، والصواب بالنصب.

٣- كذا في (ف) و (د) و (ح) وفي الأصل خاف.

٤- كذا في جميع النسخ والأولى (كلتا).

٥- في جميع النسخ (مما) ولا يصح، وما أثبت أعلاه موافق للسياق كما في الجملة التي بعدها.

يصدق الكفار إذا أخبروا عن أنفسهم بأنهم يقولون عن النبي ﷺ أنه كاهن ومجنون ومعلم ومفتري، فهذا صدق يضر قائله لا يضر المقول له، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١].

لكن اعتقادك كفر من هم أعظم الناس إيماناً بالله ورسوله لا يضرهم، قال النبي ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما»^(١) [لذلك]^(٢) كنت أحق بالكفر إلا أن تعتذر بالتأويل، وفي الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يرمي رجل رجلاً رجلاً بالكفر والفسق إلا ردت عليه إذا لم يكن لذلك أهلاً»^(٣).

وقوله في الوجه الثاني: (أنه إذا علم بالقواعد ثبوت رتبة للرسول؛ فالبعبارة التي توهم نفيها إذا صدرت منه علم المراد بها للدليل

١- أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال) رقم ٦١٠٣ ج٤/١٩٢٥. ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم ياكافر) رقم ٦٠ ج١/٧٩. والإمام مالك في الموطأ في (كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام) ج٢/٩٨٤ واللفظ للإمام مالك.

٢- مابين المعقوفين بياض في (ف) و(د) و(ح) بمقدار كلمتين، وفي هامش (د) بياض في الأصل، وهو ما يقتضيه السياق.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن) ج٤/١٩٠٩ رقم ٦٠٤٥. والإمام أحمد في المسند ج٥/١٨١ وغيرهم بالفاظ متقاربة وقرينة من لفظ المؤلف.

الرد على دعوى
البكري في صدور
عبارة موهمة من
النبي ﷺ

على عصمته وصحة تبليغه وعدم تناقض أقواله وأفعاله، وغيره ليس كذلك).

فيقال له^(١): هذا مبني على صدور عبارة موهمة وتقدم أن الجواب عبارة ظاهرة في معناها، بل نص لا يحتمل معنيين؛ فضلاً عن كونها توهم غير مأريد بها، وأيضاً فغير الرسول إذا عبر بعبارة موهمة [مقرونة]^(٢) بما [يزيل]^(٣) الإيهام كان/ هذا سائغاً باتفاق أهل الإسلام، وأيضاً فالوهم إذا كان لسوء فهم المستمع لا لتفريط المتكلم لم يكن على المتكلم بذلك بأس.

١٨٤

ولا يشترط في العلماء إذا تكلموا في العلم أن لا يتوهم من ألفاظهم خلاف مرادهم، (بل مازال الناس [يتوهمون]^(٤) من أقوال الناس خلاف مرادهم)^(٥)؛ ولا يقدح ذلك في المتكلمين بالحق، ثم غاية هذا أن يكون بحثاً لفظياً، والبحوث اللفظية لا توجب خلافاً معنوياً فضلاً عن التكفير، اللهم إلا على قول هذا الجاهل: إن المتكلم إذا عني معنىً صحيحاً بعبارة وتوهم منها بعض الناس نقصاً كان ذلك كفراً، وهذا لا يقوله إلا من انسلخ من العقل والدين، لاسيما إذا كان التقصير

استطراد حول
الألفاظ الموهمة

١- سقطت من (ف) .

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (مقرنة).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (يزل).

٤- كذا في (د) وفي الأصل (توهمون) ولم تظهر في (ح).

٥- ما بين القوسين سقط من (ف).

إنما هو من المستمع؛ لاتقصير من^(١) عبارة المتكلم.

ثم يقال هذا كله ليس مما نحن فيه، فإن ما ذكره المجيب لا يحتاج لهذا، ولا يتوقف على نقل عبارته بعينها؛ بل تلك المعاني بآئنة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ سواء كان اللفظ بعينه منقولاً أو لم يكن؛ والتعبير عن تلك المعاني شائع بما يدل عليها دلالة بينة كالدلالة على سائر المعاني، ومما يوجب معرفته أن الأسماء والألفاظ التي تعلق بها الأحكام الشرعية من الأمر والنهي والتحليل والتحريم والاستحباب والكراهية والمدح والذم والثواب والعقاب والموالة والمعاداة [هي]^(٢) الألفاظ الموجودة في كتاب الله وسنة رسوله ومعاني تلك الألفاظ، وذلك مثل لفظ الإيمان والإخلاص والعبادة^(٣) والكفر والشرك والهدى والضلال والرشاد والغى^(٤) والتوكل والشكر والصبر والنبوة والرسالة والتوكيل ونحو ذلك.

فأما الألفاظ التي لم توجد في كتاب الله وسنة رسوله ولا تعلق لها بشئ من ذلك إلا إذا [تبين]^(٥) أن معانيها موافقة لمعاني ألفاظ الكتاب/ والسنة، والله - تعالى - في كتابه وسنة رسوله قد أوجب لنفسه حقاً

١- في (ف) في.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (وهي).

٣- (والعبادة) سقطت من (ف).

٤- في (ف) و(د) والعبادة.

٥- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) ين.

لا يشركه فيه غيره، وأوجب حقاً له ولرسوله وللمؤمنين ، فله وحده أن نعبد له ولا نشرك به شيئاً وأن نخشاه ونتقيه^(١).

فصل

قال: (وبالجملة فللأنبياء مع أنفسهم وفيما بينهم عبارات ومخاطبات ومعاملات لا يقاس بها (معهم من)^(٢) دونهم، ألا ترى ما في الحديث الصحيح في محاجة موسى لآدم، وذكر شيئاً في روايات ساقها مسلم؛ منها [قوله]^(٣) «أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة»^(٤)، ومنها قوله «أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة... الحديث»^(٥)، وليس لواحد منا أن يقول في آدم ﷺ ولا أحد من النبيين

كلام البكري في
مخاطبات الأنبياء
فيما بينهم

١- في (ف) (أن تعبد له ولا تشرك به شيئاً وأن نخشاه ونتقيه).

٢- ما بين القوسين في (د) مع.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل كلمة غير واضحة.

٤- أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى -عليهما السلام-) رقم ٢٦٥٢ تابع ١٤ ج٤/٢٠٤٣ وأوله «تحتاج آدم وموسى. فحج آدم موسى فقال له موسى: أنت آدم... الحديث». وانظر الروايات الأخرى في نفس الباب.

٥- أخرجه البخاري في (كتاب القدر، باب تحتاج آدم وموسى عند الله) رقم ٦٦١٤ ج٥/٢٠٦٨ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وأوله «احتج آدم وموسى ... الحديث» وأطرافه: ٧٥١٥، ٤٧٣٨، ٤٧٣٦، ٣٤٠٩.

مثل ذلك القول ولا قريباً منه، وكيف لطم موسى عين ملك الموت^(١)

[عليه السلام]^(٢)، وأثبت بعض العلماء أنه لطم حقيقة.

وروى مسلم أن النبي ﷺ قال «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ إلا ثلاث كذبات ... الحديث»^(٣) مع أن الثلاث وجه المجاز فيها ظاهر صحيح: قوله: إنه سقيم، باعتبار الاستقبال؛ ولا بد لكل بشر أن يسقم غالباً ولو بمقدمات الموت؛ مع جواز إطلاعه على ذلك أو بتأويل

١- يشير إلى حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ «جاء ملك الموت إلى موسى -عليه السلام- فقال له: أجب ربك. قال فلطم موسى -عليه السلام- عين ملك الموت فقأها. قال: فرجع الملك إلى الله -تعالى- فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني ... الحديث» أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ) رقم ٢٣٧٢ ج٤/١٨٤٣ وقد أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد) ج٢/١٠٥٧ رقم ٣٤٠٧ ولفظ مسلم أقرب لمراد البكري .

والصواب أنه لطم عين الملك حقيقة . انظر: شرح مسلم للنووي ج٥/١٣٨ وفتح الباري ج٦/٥٤٦-٥٤٧ وكشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرائه تأليف د. ربيع المدخلي ص ١٨٦ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر مكتبة النمر المدينة المنورة - السعودية.

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) ﷺ.

٣- أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء، باب من فضائل إبراهيم ﷺ) رقم ٢٣٧١ ج٤/١٨٤٠ واللفظ له من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وقد سبق تخريج بعض ألفاظه انظر ص ٥٩٧

القابلية^(١)، وقوله بل فعله كبيرهم هذا وجه المجاز أنه سبب للتكسير الذى وقع لما فيه من التصوير المنكر، أو تهكم يؤيده قوله ﴿فاسألوهم﴾، وأما الكلمة في سارة فقد صرح بالمعنى إذ قال لها: أخبريه أنك أختى فإنك أختى في [الإسلام]^(٢).

وحديث الحاجة وإن احتمل أن لا يكون في دار التكليف، فنحن نعلم أنهم لا يقابلون بعضهم بعضاً بما يرونه خلاف الأدب منهم، وكل هذه الأمور لا ينقاس بها معهم من دونهم، فربما كان الشئ من المثل أو المساوي أدباً أو أمراً محتملاً؛ ولا يكون ممن دونه/ كذلك، فليحفظ الناظر موقع الحكمة في أحكام المراتب في الأشخاص والأفعال والأقوال وسائر الأحوال).

١٨٦

والجواب من وجوه أحدها: أن يقال هذا الكلام لا يدل على مورد النزاع، فإن أحداً لم يقل إن حكم النبي مع النبي أو مع الملك حكم من هو دونه؛ ولا حكم بعض الأنبياء حكم بعض بل ولا الملائكة قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ [سورة الإسراء: ٥٥] وقال تعالى عن الملائكة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [سورة الصافات: ١٦٤] وقال^(٣) ﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات

جواب ابن تيمية
الوجه الأول: لا
يوجد نزاع في هذا
الباب

١- في (د) القائلة.

٢- كذا في (ف) و(د) وفي الأصل اسلام ولم تظهر في (ح).

٣- في (د) تعالى.

وأكبر تفضيلاً ﴿[سورة الإسراء: ٢٠-٢١]﴾.

ولكن ليس في ثبوت أفضليتهم على من دونهم وعدم مساواتهم لهم في كل شئ أنهم لا يشاركون في شيء من الأحكام؛ بل الأصل عند جماهير السلف والخلف أن ما ثبت في حق النبي من الأحكام ثبت في حق الأمة ما لم يقم دليل على التخصيص، فما وجب عليه وجب عليهم وما حرم عليه حرم عليهم؛ وما أبيح له أبيح لهم؛ إلا أن يقوم دليل على التخصيص، ولهذا قال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾^(١) [سورة الأحزاب: ٣٧] فبين أن في تزويجه بامرأة دعيه من الحكمة دفع الحرج عن المؤمنين في تزويجهم بنساء أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، ولولا أن الإحلال له يستلزم الإحلال للأمة لم يرتفع الحرج عنهم لمجرد ذلك.

ولهذا لما خصه بإحلال شيء قال ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠] فجعل إباحة الواهبة/ نفسها له خالصة له من دون المؤمنين، ومن هذا ما ثبت عنه في الصحيح أنه لما^(٢) بلغه أن قوماً تنزهوا عن أشياء فعلها،

١- في (د) ﴿... لكيلا يكون على المؤمنين حرج ...﴾ الآية .

٢- (لما) سقطت من (د).

فقال: «والله إنني لأخشاكم لله وأعلمكم بمحدوده»^(١) وفي حديث آخر أن رجلاً قال: ليتنا مثل رسول الله^(٢) يحل الله له ما يشاء، فغضب من ذلك وقال: «إنني لأتقاكم لله وأعلمكم بمحدوده»^(٣) لأن هذا ونظائره متعددة، وهذا الأصل متفق عليه بين أئمة المسلمين^(٤)، ولكن قد يقال نفس الخطاب له أو للواحد من الأمة خطاب عام للعادة الشرعية في ذلك، أو يثبت الاشتراك بالاعتبار بأدلة أخرى، أو ذلك معلوم بالاضطرار من الدين، هذا مما تنازع فيه أهل النظر، وإذا كان كذلك فما يثبت جوازه له من الأقوال يثبت جوازه لغيره ما لم يقم دليل المنع،

١- لم أجد بهذا السياق ، ولكن أخرج البخاري في (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح) ج٤/١٦٣١ رقم ٥٠٦٣ ولفظه «أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له» وأبو داود في (كتاب الصوم، باب فيمن أصبح جنباً في شهر رمضان) ج٢/٧٨٢ رقم ٢٣٨٩ ولفظه «والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتبع» والإمام أحمد في المسند ج٦/٦٧ ولفظه «والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله -عز وجل- وأعلمكم بما أتقي» وأخرج غيره ألفاظاً قريبة.

٢- في (د) ❦.

٣- أخرجه الإمام مالك في (كتاب الصيام، باب ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم) ج١/٢٩١ رقم ١٣ والإمام الشافعي في الرسالة ص ٤٠٤ رقم ١١٠٩ والإمام أحمد في المسند ج٥/٤٣٤ واللفظ لهما ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣/١٦٦-١٦٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١/٥٨٣ رقم ٣٢٩ في سند الإمام أحمد: وهذا سند صحيح متصل. هـ.

٤- في (ف) و(د) الإسلام.

وما ذكره من مطلق [التفضيل]^(١) ليس دليلاً على المنع [باتفاق]^(٢) المسلمين.

والوجه الثاني: أن يقال خبره عن نفسه وغيره سواء كان نفيًا أو إثباتًا، وما أخبر به فهو صدق يجب تصديقه، ومن أخبر به كان صادقاً داخلاً فيمن جاء بالصدق وصدق به، ومن قسم إخباره إلى مالنا أن نخبر به وما ليس لنا أن نخبر به فقد قال قولاً مبتدعاً لدليل له [عليه؛ بل]^(٣) هو معلوم البطلان، ثم إنه لا يمكنه [أن]^(٤) يذكر حداً فاصلاً بين ما يجوز موافقته فيه من الأخبار وما لا يجوز؛ بل لا يشاء كل جاهل وضال أن يقول - فيما أخبر به الرسول^(٥) - هذا من الأخبار التي ليس لنا أن نخبر بها بحال يديه إلا ادعى ذلك؛ حتى سد على الناس أن يخبروا بالأخبار الصادقة التي أخبر^(٦) بها، وقد يتعدى ذلك إلى الأمر فيقول ليس كل ما أمر به يؤمر به من غير تفصيل معلوم بدليل الشرع، وحينئذ فإذا لم يَقم بخبر بخبره ويأمر بأمره كان ذلك ذريعة إلى إبطال كثير من رسالته ونبوته؛ وهذا فيه من الكفر به/ وإبطال دينه؛ ما هو من أعظم

١٨٨

١- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) التفصيل.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (باتفاق) بزيادة لام.

٣- ما بين المعقوفين من (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) هل.

٤- ما بين المعقوفتين يتطلبه سياق الكلام ولم (في) جميع النسخ وهو في (ط) بين معقوفين.

٥- في (د) 紫.

٦- في (د) أخبروا.

الردة عن دين الإسلام.

وليس هذا بمنزلة سوء الأدب في الخطاب؛ بل هذا كفر صريح وردة عن الإسلام، وهذا لازم لهؤلاء الجاهل، فإن قولهم يستلزم الردة عن الدين والكفر برب العالمين، ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الإشراك بالله؛ الذي هو الكفر الذي لا يغفره الله، فإن الله - تعالى - قال في كتابه: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً﴾^(١) [سورة نوح: ٢٣-٢٤] وقال غير واحد من السلف هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، وقد ذكروا ذلك بعبارات متقاربة في كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء، كما ذكره البخاري في صحيحه وجماعة من أهل الحديث، (وكما ذكره المفسرون كالطبري وغيره)^(٢)، وكما ذكره مصنفو القصص مثل وثيمة^(٣) وغيره.

وقد أمر الله - تعالى - أن يقول ﴿إنا أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما آلهكم إله واحد﴾ [سورة الكهف: ١١٠] فيقول هذا الضال هذا يقوله

مشابهة البكري
للنصاري
والرافضة

١- في (د) الآية.

٢- مابين القوسين سقط من (د) وقد سبق ذكر هذا الخبر ص ٣٤٦

٣- وهو: أبو يزيد وثيمة بن موسى الفرات المعروف بالوشاء، الفارسي الفسوي نشأ في فارس ثم خرج منها إلى البصرة، ورحل إلى مصر فالأندلس ثم عاد إلى مصر فمات فيها. كان تاجراً يتجر في الوشي وهي نوع من الثياب صنف كتاباً في "أخبار الردة" توفي سنة ٢٣٧هـ. انظر وفيات الأعيان ج٦/١٢ والأعلام ج٨/١١٠.

هو عن نفسه وأما نحن فليس لنا أن نقول هو بشر؛ بل نقول كما قال فلان وفلان: من زعم أن محمداً بشر كله فقد كفر، وهذا يقوله قوم منهم؛ وهو تشبه بقول النصارى في المسيح؛ يقولون: ليس هو بشر كله بل المسيح عندهم يتناول اللاهوت والناسوت الإلهية والبشرية جميعاً، وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة؛ يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت في الأنبياء والصالحين كما تقول النصارى في المسيح^(١).

والوجه الثالث: أن يقال مسألتنا ليست محتاجة إلى هذا، فإن مانفي عنه وعن غيره/ من الأنبياء والمؤمنين؛ [وهو]^(٢) أنهم لا يطلب منهم بعد الموت شيء؛ ولا يطلب منهم في الغيبة شيء؛ لا بلفظ الاستغاثة ولا الاستعاذة ولا غير ذلك، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله حكم ثابت بالنص وإجماع علماء الأمة مع دلالة العقل على ذلك؛ فلا

١- تأثر الصوفية بالنصارى في الألفاظ والأنفعال واضح ، وأول من استخدم لفظي اللاهوت والناسوت هو الحلاج: الحسين بن منصور والذي قتل وصلب في بغداد سنة ٣٠٩ هـ، وقيل ٣١١ هـ . وللتوسع : انظر : المصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم صادق الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ص ٦٣ وما بعدها، ونظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة عبدالمحسن الجلوي الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ص ٣٢٥ وما بعدها، ومن قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د. محمد السيد الجليلند الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ ص ٨٣ وما بعدها، والتصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ص ٦٠ وما بعدها ، ولا يخلو كتاب مؤلف عن الصوفية من ذكر الأثر النصراني في التصوف.

٢- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) و(نهر).

يحتاج إلى ذكر حديث فيه نفي ذلك عن نفسه كقوله: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»^(١)، فإن هذا اللفظ هو بمنزلة أن يقال: لا يستعاذ به ولا غيره من المخلوقين وإنما يستعاذ بالله -عز وجل-، وهذا كله معلوم، وكذلك لفظ الاستجارة، وأما طلب ما يقدر عليه في حياته فهذا جائز سواء سُمي استغاثة أو استعادة أو غير ذلك.

الوجه الرابع: إنه ليس فيما ذكره حجة على أن ميسوغ للأنبياء لا يسوغ لغيرهم، فإنه إنما ذكر [خطاب]^(٢) موسى لآدم ولطيم عين الملك، فيقال له.

الوجه الرابع: ما يسوغ للأنبياء قد يسوغ لغيرهم بالأنبياء بعد موتهم

أولاً: هذا سائغ لغير موسى من الأنبياء كمحمد والمسيح وغيرهما أم ليس سائغاً؟ وإن سائغ لهؤلاء فهل يسوغ هذا لداود وسليمان ويونس وغيرهم؟ فإن قال: نعم هذا سائغ لهؤلاء كلهم، طوّل دليل ذلك؛ ولا يمكنه على هذا التقدير منع جوازه لغيرهم؛ إلا أن يذكر دليلاً خاصاً على أن هذا من خصائص الأنبياء وليس له على ذلك دليل، وإن قال: لا يسوغ هذا لنبي آخر ولا يسوغ لنبي معين من الأنبياء، قيل: فحينئذ فلا حجة لك فيه على أنه^(٣) لا يقتدى بالأنبياء فيما يسوغ لهم، فإن هذا حينئذ ليس مما يسوغ لكل الأنبياء، وما خُصّ

١- هذا الحديث سبق تخريجه انظر ص ٢٩٤.

٢- كذا في (د) و(ج) وفي الأصل و(ف) (الخطاب).

٣- في (د) أن.

به بعض الأنبياء (لم [يعتد] ^(١) به) ^(٢) غير الأنبياء بطريق الأولى، وحينئذ فلا يكون هذا من موارد الفرق بين الأنبياء وغير الأنبياء، بل من موارد الفرق بين نبي ونبي.

ومن الناس من يقول إن موسى -ﷺ- ^(٣) كان يحتمل منه [مالاً] ^(٤) يحتمل من مثل يونس؛ كجر رأس هارون ولحيته ^(٥)؛ وإلقاء الألواح ^(٦)؛ ولطم عين ملك الموت؛ ومعاقبة ربه ليلة المعراج في رفع محمد -ﷺ- ^(٧) ونحو ذلك، لما كان له من عظيم المجاهدة مع فرعون وقومه، ولما كان له من عظيم المنزلة عند ربه، وحينئذ فإذا كان هذا سائغا لبعض الأنبياء لا يسوغ لهم كلهم، لم يكن مما نحن فيه.

١- ما بين المعقوفين في الأصل و(ف) (يعتد) ولا يستقيم المعنى .

٢- ما بين القوسين سقط من (د) و(ح) والأولى (لم يتعد به).

٣- ما بين الشرطين في (د) عليه السلام.

٤- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) ما لم.

٥- يشير إلى قوله تعالى ﴿قال ينؤمن لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ [سورة طه: ٩٤].

٦- يشير إلى قوله تعالى ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بنسما خلقتُموني من بعدي أعجلتُم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ الآية [سورة الأعراف: ١٥٠].

٧- يشير إلى ما أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ج ٥/ ١٣٤٤ رقم ٧٥١٧ عنه ﷺ لما علا فوق السماء السابعة قال موسى «ربِّ لم أظن أن ترفع عليّ أحداً ... الحديث».

الوجه الخامس:
اختلاف الناس
في جواز وقوع
الذنب من
الأنبياء

الوجه الخامس: أن يقال^(١) الناس لهم في جواز وقوع الذنب من الأنبياء قولان، فالسلف والأكثر يقولون بجواز ذلك، وإن كانوا معصومين عن الإقرار عليه، وكثير من الناس منع ذلك بالكلية، وكل من الفريقين يقول: إنه قد يخص بعض الأنبياء بأمر لا يشرکه فيه جميع الأنبياء والمؤمنين، وحينئذ فقول موسى لآدم -عليهما السلام- ماقال؛ إما أن يكون مما أقر عليه أو لا يكون مما أقر عليه، فإن قيل بالأول وقيل إنه مختص به أو بأمثاله من الرسل فلا كلام، وإن قيل: إنه سائغ لجميع الأنبياء فلا بد من دليل على أنه من خصائصهم، وإن قيل: إنه لم يقر عليه، وهو [الأظهر]^(٢) فإن آدم أجابه عن ذلك؛ وبين له أن هذا الذي جرى عليكم كان مقدوراً عليكم مكتوباً عليكم فحج آدم موسى، وإذا كان موسى محجوجاً، كان موسى قد عرف أنه لاحق له على آدم وأنه^(٣) لم يكن له أن يعاتبه على ذلك، فيكون موسى رجع عن هذا، وما رجع عنه النبي ولم يقر عليه لم يُقْتَدَ به باتفاق المسلمين، كالمنسوخ وأولى.

وكذلك لطمه لملك الموت إن كان مأذوناً له فيه أو مغفواً عنه؛ وهو من خصائصه أو من خصائص الرسل فلا كلام فيه، وإن قيل: إن هذا سائغ للأنبياء كلهم فلا بد من دليل الاختصاص بالأنبياء، وأما إن

١- في (د) هم (زيادة).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل اظهر.

٣- في (د) أن.

قيل: إن موسى رجع عن تلك اللطمة لما اختار الموت وأجاب إلى ماطلب منه الملك من إجابة ربه؛ كان هذا مما رجع عنه موسى، ومثل ذلك ليس/ مما يقتدى فيه بالأنبياء، وذلك أن موسى لطمه بغضاً للموت؛ فلما رجع إليه وخيره بين أن يضع يده على متن ثور فما وارته يده من شعره فإنه يعيش بها سنه وبين الموت؛ اختار الموت.

١٩١

الوجه السادس:
شرح كلام موسى
لآدم عليهما
السلام

الوجه السادس: إن قول موسى: إن آدم أغوى الناس وأخرجهم من الجنة؛ وإنه خبيهم وأخرجهم من الجنة، إما أن يقول إنه صدق، وإما أن يقول لم يكن كذلك، وإنما قاله^(١) باجتهاد وتأويل فإن [قال]^(٢) إنه صدق لا خطأ فيه، قيل: فمن الذى منع غير موسى أن يقول الصدق الذى [لا خطأ]^(٣) فيه، وقول القائل ليس لواحد منا أن يقول الصدق الذى لا خطأ فيه الذى قاله الأنبياء؛ دعوى مجردة لا يثبت بها حكم، لكن صاحب هذا الكلام يتكلم بحاله وما يخطر^(٤) له من غير اعتصام بالأدلة الشرعية.

وإن قيل: إن موسى -عليه السلام- [قاله]^(٥) مجتهداً متأولاً ولم يكن

١- في (د) قال.

٢- ما بين المعقوفين زيادة اقتضاها السياق.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل خطأ.

٤- في الأصل (بنا) فوق السطر وهي زيادة.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (قال).

الأمر كذلك، أو قال بحسب اعتقاده ولم يكن الأمر كذلك كان كقول النبي ﷺ: «لم أنس ولم تقصر الصلاة»؛ فإنه قال معتقداً أنه أتم الصلاة فقال له ذو اليدين: بل قد نسيت، فقال: «أكما يقول ذو اليدين»، قالوا: نعم^(١)، وكذلك لما قال في النخل: «مأظنه يعني -التلقيح- يغنى شيئاً» ثم قال لهم: «إنما أخبرتكم عن ظني فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله فإني لن أكذب على الله^(٢)» وفي لفظ «أنتم أعلم بأمر دنياكم وأما ما كان من أمر دينكم فإلي»^(٣).

وأما لطم موسى عين ملك الموت فليس هو إخباراً عن نبي وإنما هو فعل من الأفعال؛ فليس مما نحن فيه، وأما قول النبي ﷺ «لم يكذب إبراهيم -عليه السلام- إلا ثلاث كذبات» فيقال له: أتقول إنه لا يجوز لنا أن

١- أخرجه مسلم في (كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له) رقم ٥٧٣ ج١/٤٠٣ والترمذي في (كتاب الصلاة، باب ماجاء في الرجل يسلم في الركعتين من الظهر والعصر) رقم ٣٩٩ ج٢/٢٤٨ وأبو داود في (كتاب الصلاة، باب السهو في السجدين) رقم ١٠٠٨ ج١/٦١٢ والنسائي في (كتاب السهو، باب مايفعل من سلم من ركعتين ناسيا وتكلم) رقم ١٢٢٢ ج٣/٢٠ وغيرهم واللفظ للنسائي وقد سبق تخريج قطعة من الحديث ص ٦٠٦ .

٢- في (د) تعالى.

٣- أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل، باب وجوب امثال ماقاله شرعا) ج٤/١٨٣٥-١٨٣٦ رقم ٢٣٦١، ٢٣٦٣ وابن ماجه في (أبواب الأحكام، باب تلقيح النخل) ج٢/٦٨ رقم ٢٤٩٥، ٢٤٩٦ والإمام أحمد في المسند ج٦/١٢٣ وغيرهم بالفاظ متقاربة وقرية من لفظ المؤلف.

نصدق النبي ﷺ فيما قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات»^(١) بالمعنى الذى عنه النبي ﷺ أي شيء كان/ أم ليس لنا ذلك؟ فإن قلت: لنا ذلك، بطلت حجتك، وإن قلت: ليس لنا أن نقول ما قاله النبي ﷺ لفظاً ومعنى كان هذا ممنوعاً، وهو من جملة ما يرد عليك، وإن لم يذكر عن^(٢) ذلك حجة؛ بل ولا نقله هذا^(٣) عن إمام من أئمة المسلمين، ونحن قد ذكرنا دلالة الكتاب والسنة والإجماع على أن الأخبار الصادقة التى أخبرت بها الأنبياء نفياً وإثباتاً لنا أن نخبر بها كما أخبروا بها لفظاً ومعنى.

الوجه السابع:
الكلام على
المعارض وبيان
حكمها

الوجه السابع: أن يقال هذه الكلمات هي من باب المعارض، والمعرض يقصد معنى ويفهم المستمع غيره، والكلام مبدؤه عناية^(٤) المتكلم^(٥) ومنتهاه إفهام المستمع، فالمعرض إذا عنى حقاً والمستمع فهم باطلاً كان الكلام صدقاً باعتبار العناية^(٦) وكذباً باعتبار الإفهام، ولهذا لم يرخص في المعارض فيما يجب بيانه؛ للخلل^(٧) في^(٨) البيع والشهادة

١- سبق تخريجه انظر ص ٦١٥.

٢- الأولى (على).

٣- في (ف) هذه.

٤- في (ف) غاية.

٥- في (د) للمتكلم.

٦- في (ف) العان (بدون نقط) وبياض في أصل (د) وفي الهامش (العينائه) وكذلك في (ح).

٧- في (ف) الخلل وفي (د) و(ح) للخل.

٨- (في) سقطت من (ف) و(د) و(ح).

والإفتاء ونحو ذلك باتفاق، ويجوز للمظلوم [التعريض]^(١) في الإيمان وغيرها، وأما ما ليس بظالم ولا مظلوم ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره، قيل يجوز له التعريض، وقيل لا يجوز مع اليمين ويجوز بدونها^(٢). فقول إبراهيم -عليه السلام- ﴿إني سقيم﴾ قيل أراد سقيم القلب من كفركم، وقوله أختي أراد أخته في الدين؛ كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث الصحيح حيث قال: «فإنه ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك»^(٣) وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣] قيل إنه قصد [تعليقه]^(٤) بالشرط وهو قوله ﴿إن كانوا ينطقون﴾^(٥) [سورة الأنبياء: ٦٣].

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (التعرض).

٢- التعريض لغة: ضد التصريح. القاموس المحيط ص ٨٣٤ واصطلاحاً قيل: ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح. التعريفات ص ٦٢ وفي هذا نظر، وقد يصح في نوع من التعريض، وقيل: هو أن تذكر كلاماً يحتمل مقصودك وغير مقصودك، إلا أن قرائن أحوالك تؤكد حمله على مقصودك. الكليات لأبي البقاء ص ٧٦٢. وقد اختلف الفقهاء في حكمه على ثلاثة أقوال كما ذكر المؤلف، والراجح -والله أعلم- فيمن ليس بظالم ولا مظلوم أنه لا فرق بين التعريض بيمين أو دونها، فقد حلف بعض الصحابة معرضاً وأقره النبي ﷺ، وكثير من الفقهاء لا يفرقون في حكم التعريض بيمين أو دونها. انظر: المغني لابن قدامة ج ١١/ ٢٤٤ وروضة الطالين للنووي ج ١١/ ٨٢-٨١ والمحلى لابن حزم ج ٨/ ٤٣-٤٤ وفتح الباري ج ١٠/ ٧٢٥-٧٢٦ ونيل الأوطار ج ١٠/ ١٤٩-١٥٠.

٣- سبق تخريجه وهذا اللفظ للبخاري ص ٦١٥

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل تعليقه.

٥- انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١٥/ ٩٢ وفتح الباري ج ٦/ ٤٨٢.

ومن هذا قول نائب يوسف ﴿إنكم لسارقون﴾ [سورة يوسف: ٧٠] فإن يوسف أمره بالنداء؛ لكن نداء يوسف سارقون ليوسف من أبيه وهو صادق فيما عناه، وما ذكره هذا الذي يلبس الحق بالباطل كحاطب ليل من التأويلات ليس مما يبنى عليه مسألتنا، فإنه ليس في شيء من ذلك أنه لا يجوز أن يخبر بما أخبر به الرسول لفظاً ومعنى، والناس قد ذكروا هذه التأويلات وغيرها، فتأويل المتأول إنني سقيم أي سأسقم، إما لأن الظاهر مرضه أو لاطلاعه على ذلك هو تأويل؛ و^(١) قول غيره أريد سقيم القلب تأويل ثان وهو أقرب من كون الصفة حاضرة؛ والأول أقرب من كون السقم أراد به سقم البدن، لكن يقال استعمال السقم والمرض في سقم القلب ومرضه هو حقيقة، بخلاف قوله إنني سقيم بمعنى سأسقم فإن هذا لا يفهم إلا بقرينة، فيكون ذلك التأويل أولى، وأما التأويل الآخر بمعنى القابلية^(٢) فبعيد؛ فإن الموجود لا يوصف بكل ما يقبله من المعدومات، إذ لو كان كذلك لجاز أن يقال عن كل مخلوق إنه معدوم، وعن كل مؤمن إنه كافر، وعن كل كافر إنه مؤمن، وعن كل غني إنه فقير، وعن كل عفيف إنه فاجر، وعن كل سليم إنه أشل وأقطع.

والتأويل [ن] ^(٣) المذكوران في قوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ أن الإله ^(٤)

١- سقطت الواو من (د).

٢- في (د) المقابلة.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٤- (الإله) سقطت من (د).

الأكبر سبب للتكسير تأويل فاسد، فإن السبب في كل صنم^(١) ما قام به من التصوير، لاسيما قوله بل فعله كبيرهم يقتضي أنه لم يفعله إلا كبيرهم، فلا يكون السبب أنه التصوير الذي قام به؛ وهذا باطل قطعاً فإن التصوير القائم بكل صنم موجب لكسره؛ لا يحتاج إلى تصوير صنم أكبر منه، وأما التهكم فهو أحسن، وكذلك قوله: من قال إنه نوى التعليق بقوله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

وقوله وحديث الحاجة وإن احتمل أن لا يكون في دار التكليف، فنحن نعلم أنهم لا يقابلون بعضهم بعضاً بما يرونه [خلاقاً]^(٢) للأدب منهم، فهذا كلام متناقض، وهو كلام من نظر في كلام شارحي الحديث، ولم يميز بين حق ذلك وباطله؛ وأخذ من ذلك ما ظنه موافقاً لدعواه، فلا له تمييز في أقوال الناس بين حقها وباطلها، ولا له معرفة بطرق الاستدلال، فلا [ذاكر]^(٣) لكلام منقول ولا مبين لمعنى مقبول، ولا نقل ولا توجيه لا ذكر ولا أثر.

والعلم شيان إما نقل مصدق، وإما بحث محقق؛ وما سوى ذلك فهذيان [مسروق]^(٤)، وكثير من كلام هؤلاء هو من هذا القسم؛ من الهذيان، وما يوجد فيه من نقل فمنه مالا يميز صحيحه عن فاسده؛ وفيه

أقسام العلم

١- (صنم) سقطت من (د).

٢- في جميع النسخ (خلاف) والصواب ما أثبت أعلاه، لأنه منصوب.

٣- كذا في (ف) وفي الأصل ذكرأ وفي (د) و(ج) ذكر وما أثبت أعلاه يوافق ما بعده.

٤- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل (مسروق).

١٩٤ مالا ينقله على / وجهه؛ ومنه ما يضعه^(١) في غير موضعه، وأما بحثه واستدلالة على مطلوبه فمن العجائب، (فلا يتحقق)^(٢) جنس الأدلة^(٣) حتى يميز بين ما يدل وما لا يدل، ولا مراتب الأدلة حتى يقدم الراجح على المرجوح إذا تعارض دليان، ولهذا كان أصول الفقه مقصوده معرفة الأدلة الشرعية؛ جنس الدليل وهذا فيه كناية (الخلاص من كناية تراد الحق ادنى إلى الخلاص كناية)^(٤) [تراد]^(٥).

وقد قيل إنما يفسد الناس نصف متكلم ونصف فقيه ونصف نحوى ونصف طبيب، هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد اللسان وهذا يفسد الأبدان، لاسيما إذا خاض هذا في مسألة لم يسبق إليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد، ولا هي من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين، بل هجم فيها على ما يخالف دين الإسلام المعلوم بالضرورة عن الرسول، فإن بعد معرفة ماجاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذى

١- في (د) مالا يضعه.

٢- ما بين القوسين في (ف) (لا يتحقق) وفي (د) و(ح) (تحقق).

٣- كذا في جميع النسخ وفي هامش الأصل تصحيح لها ب(الاستدلال).

٤- ما بين القوسين سقط من (ف).

٥- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) و(ترا)، والجملة غير واضحة المعنى ..

حرمة الله ورسوله.

سب الأئمة
الشركية

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن^(١) تكفيرهم بذلك حتى يتبين^(٢) لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ماينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الدين إلا تفتن؛ وقال

١- في (د) يكن.

٢- في (ح) (يُبين) ، وهذه الكلمة اختلف في رسمها أهل السنة من أئمة الدعوة السلفية في نجد وبعض مناوئهم ، فقد زعم صاحب " جلاء الغمة في تكفير هذه الأمة " أنها رسمت : " يتبين " بتقديم الياء المثناة من تحت على المثناة الفوقية ثم باء موحده بعدهما من نسخة صحيحة على هوامشها خطه بيده (أي ابن تيمية) رحمه الله اهـورد عليه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في " مصباح الظلام " أنها رسمت : " يبين " . انظر " مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام " ص ٣٢٣-٣٢٥ ط. الشيخ إسماعيل ابن عتيق .

وفي سياق غير هذا السياق زعم علوي الحداد في " مصباح الآنام وجلاء الظلام " أنها رسمت : " يتبين " . ورد عليه الشيخ سليمان بن سحمان في " الأسنة الحداد " بالتشكيك في نسبة الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم ذكر هذا الموضع . ورسم هذه الكلمة " يُبين " ثم قال : فزاد هؤلاء المحرفون هذه الزيادة وكتبوها بالياء التحتية المثناة الفوقية وحرفوا وتصرفوا . انظر الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد ص ١٥٤ ، ١٥٧ ط. الثانية ١٣٧٦هـ بأمر الملك سعود .

ونسخة (ح) دقيقة ، واحتج بهذه اللفظة مجادل بالباطل ، وعلى زعمه قد يدعى تارك الصلاة والزكاة أنه لم يتبين له ، بل قد ادعى ذلك كفار قريش عن نبوة المصطفى ﷺ فلم تنفعهم هذه الدعوى .

وانظر أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في قضية التكفير المواضع التالية من منهاج

هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض الأكابر [من] ^(١) الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم ما يبتته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين.

حال البكري
وأمثاله وبيان شيخ
الإسلام للشرك

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيبون بهم. ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم، لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ^(٢)، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه [فإنهم] ^(٣) يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام [لما] ^(٤) قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالمتوفى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

١٩٥

موقف القبرورية
من التثار

يا خائفين من التثر
لو ذوا بقبر أبي عمر
أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر
ينجيكم من الضر ^(٥)

١- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٢- في هامش الأصل: الأول شرك والثاني وسيلة إليه ا.هـ. قلت: أي دعاء الميت شرك، والدعاء عند القبر وسيلة إلى الشرك.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فإنه).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لم).

٥- لم أجد قائل هذا البيت. وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٤/٣٣ ذكر تربة الشيخ أبي عمر بالسفح، ولعله: أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٠٧ هـ. وقد نسج الناس حوله خرافات حتى جعلوه قطبا، وهو أخو الموفق صاحب المغني.

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله - عزوجل - في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي ؛ الذي أمر الله به ورسوله، [ولما] ^(١) يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة ؛ لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من [المقاتلين] ^(٢) الذين اعتقدوا هذا قتلاً شرعياً أجزوا على نياتهم.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٩]، ورؤي أن رسول الله ﷺ كان يوم بدر يقول: « يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » ^(٣) وفي لفظ

انظر جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ج ١ / ٤٥٨

١- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل ولم.

٢- كذا في (ح) وفي الأصل و(ف) و(د) القائلين.

٣- أخرجه الترمذی في (كتاب الدعوات، باب ٩١) ج ٥ / ٥٣٩ رقم ٣٥٢٤ والحاكم في المستدرک في کتاب الدعاء ج ١ / ٥٠٩ وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن ومن بعده ليسوا بحجة أ.هـ. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٣٩٧ رقم ٦١١ وقال محققه د. فاروق حمادة: إسناده منقطع أ.هـ. وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٣٢ رقم ٣٣٩ وأبو يعلى

«أصلح لي شائي كله ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين ولا إلى أحد من خلقك»^(١).

انتصار المسلمين
على التار لما
أصلحوا حالهم
وأخلصوا قده
واستغاثوا به

فلما أصلح الناس [أمرهم]^(٢) وصدقوا في الاستغاثه بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً؛ لم يتقدم نظيره، ولم تهزم التار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً، لما صح من تحقيق توحيد^(٣) وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله^(٤) والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ونحن نتكلم على مذكروه^(٥)؛ وإن لم يختص بمسألتنا، لما فيه من

في مسنده جـ ١/٤٠٤ رقم ٥٣٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠/١٨٠- ١٨١: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طريق سلمة بن حرب بن زياد الكلبي عن أبي مدرك عن أنس، وقد ذكر الذهبي سلمة في الميزان فقال: مجهول كشيخه أبي مدرك، وقد وثق ابن حبان سلمة وبقيه رجاله ثقات أ.هـ. وجمعهم بالفاظ متقاربة وقرية من لفظ المؤلف.

١- ذكره الديلمي في الفردوس جـ ١/٤٤٥ رقم ١٨١٥ عن أبي بكر بلفظه، وقد أخرج أبو داود في (كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح) جـ ٥/٥٣٤ رقم ٥٠٩٠ بلفظ قريب وكذلك ابن حبان في صحيحه في (كتاب الرقائق، باب الأدعية جـ ٣/٢٥٠ رقم ٩٧٠ وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين أ.هـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠/١٣٧ رواه الطبراني وإسناده حسن أ.هـ.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ج) وفي الأصل (أمرهم).

٣- في (د) تعالى.

٤- كذا في الأصل و(ج) وفي (ف) و(د) رسوله.

٥- في (د) مذكر.

تمام الكلام على ما ذكره كله.

أما حديث احتجاج آدم وموسى -عليهما السلام- فإن هذا الحديث فهم منه كثير من الناس المتقدمين والمتأخرين أن آدم/ احتج بالقدر على فعل الذنب، فصاروا أحزاباً: حزب من أهل الكلام كذبوا الحديث كأبي علي الجبائي وغيره؛ وقالوا: (نحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن سابق علم الله وكتابه لا يكون حجة لأحد في ترك مأمور أو فعل محظور ؛ وهذا يناقض ذلك، فيكون كذباً على النبي ﷺ) ، وحزب من الصوفية والعامة شر من هؤلاء جعلوا هذا الحديث حجة على دفع الذم والعقاب عن الكفار والفساق والعصاة وسموا هذا حقيقة ، وهو حقيقة القدر، وقال منهم طائفة: من شهد القدر ارتفع عنه الملام؛ وقالوا: آدم كان شاهد القدر^(١).

أقوال الناس في
حديث الحاجة
١٩٦

ودخل في ذلك طائفة من أعيان الشيوخ والعلماء فظنوا أن الخواص يرتفع عنهم الذم والعقاب بشهود القدر دون العامة منهم، ومنهم من قال: هذا عين الجمع ، وهو أن لا يرى الفاعل إلا واحد، ومنهم من جعل هذا من أفضل مقامات العارفين؛ ومن لوازم سلوك السالكين، ومنهم من جعل هذا منتهى سير العارفين؛ وسموا ملاحظة هذا فناء في توحيد الربوبية أو اصطلاماً ونحو ذلك، فالذين جعلوا هذا منتهى للوصول رفعوا استحسان الحسنات واستقباح القبائح، وقالوا: استحسان الحسنات واستقباح السيئات يكون لأصحاب البقاء والفرق للأهل الجمع والاصطلام والفناء في التوحيد، وأما الذين جعلوه مقاما

أو لازماً للسالك فقالوا بعد هذا مقام أعلى منه وهو مشهد الفرق الثاني.

وكان قد وقع بين الجنيد^(١) وأبي الحسين [النوري]^(٢) وأصحابهما كلام في الفرق الثاني واضطربوا كما ذكر ذلك أبو سعيد بن الأعرابي^(٣) في "كتاب طبقات النساك"، وذكر أن كلامهم في

كلام الصوفية في
الفناء والجمع والفرق
الثاني

١- الجنيد هو: الجنيد بن محمد النهاوندي ثم البغدادي، والده الخزاز أصله من نهاوند توفي ٢٩٨ هـ ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، سمع من السري السقطي وصحبه، والهارث المحاسبي، وأتقن العلم، وتآله وتعبده، وقل ماروى الحديث. ترك الدنيا وبالع في الجوع. له رسائل منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في الألوهية والفناء ومسائل أخرى، و"دواء الأرواح". انظر السير ج ١٤/٦٦ ترجمة رقم ٣٤ والأعلام ج ١٤١/٢.

٢- في جميع النسخ النووي وبعض المؤلفين يذكره هكذا، والصواب النوري بالراء كما في كتب التراجم وكما ذكره المؤلف في كتاب الاستقامة ج ١/١٥٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٥١، ٤١٠، ج ٢/١٥-١٦ وهو أبو الحسين أحمد بن محمد الخرساني الزاهد، شيخ الصوفية بالعراق صاحب السري السقطي، وكان الجنيد يعظمه، لكنه في الآخر رق له وعذره لما فسد عقله، جرت عليه محنة في بغداد، لما أمر الخليفة المعتمد في سنة ٢٦٤ هـ بالقبض على الصوفية، لما نسبوا للزندقة.

له عبارات دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصوفية، وكان يلهج بفناء صفات العارف. انقبض عن الصوفية وحفاهم، وغلبت عليه العلة، وعمي ولزم الصحاري، والمقابر توفي قبل الجنيد سنة ٢٩٥ هـ. انظر السير ج ١٤/٧٠ ترجمه رقم ٣٥ والبداية والنهاية ج ١١٣/١١ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١/٨٧ رقم ١٦٦.

٣- أبو سعيد بن الأعرابي: هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي البصري الصوفي ولد سنة نيف وأربعين ومئتين. صاحب الجنيد، وأبا أحمد القلانسي.

الفناء والجمع لم يشتركا فيه إلا في العبارة، وأن هذا يشير إلى معنى غير المعنى الذى يشير إليه هذا، وأنه لم يحصل ما يعبر عنه بالفرق الثاني، وذكر أن أبا الحسين [النوري]^(١) لما قدم بغداد بعد أن كان خرج عنها، وكان قد خرج هو وغيره في / محنة الصوفية التى جرت لما قام عليهم غلام خليل^(٢) سنة بضع وستين ومائتين وكتب منهم نحو سبعين نفساً، واتهمهم بالزندقة، فوضعوا منهم جماعة [في]^(٣) الحبس، وسافر بعضهم

١٩٧

رحل إلى الأقاليم، وجمع وصنف، وتعبد وتأله، وحمل "السنن" عن أبي داود، كان من علماء الصوفية ومع ذلك فزاه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة، ألف في مناقب الصوفية، وله كتاب "طبقات النساك" اطلع عليه الذهبي واقتبس منه. قال: إذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع والفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ. ١هـ. توفي في شهر ذى القعدة سنة ٣٤٠ هـ. وله أربع وتسعون سنة وأشهر.

انظر السير جـ ١٥/٤٠٧ ترجمه رقم ٢٢٩ والأعلام جـ ١/٢٠٨ ولم أقف على كتاب "طبقات النساك".

- ١- النوري في جميع النسخ والصواب النورى وانظر التعريف به في الصفحة السابقة.
- ٢- غلام خليل: هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن غالب الباهلي البصري، غلام خليل، سكن بغداد، له جلاله عجيبة، وأمر بالمعروف، واتباع كثير، وصحة معتقد، إلا أنه يروي الكذب الفاحش، اعترف بوضع الحديث، قدم من واسط، فلم يزل يقص ويحذر من الصوفية، ويغري بهم السلطان والعامه، وأمر المحتسب بطاعة خليل فطلب القوم، وبث الأعوان في طلبهم، وكتبوا، فكانوا نيفا وسبعين نفساً، واختفى عامتهم، وحبس منهم جماعة، وهرب النوري إلى الرقة.
- مات في رجب سنة ٢٧٥ هـ وحمل إلى البصرة انظر السير جـ ١٣/٢٨٢ ترجمة رقم ١٣٦ والبداية والنهاية جـ ١١/٥٨.

واختبأ بعضهم، وكان فيهم من هو مظلوم؛ ومنهم من هو متعبد، وكان غلام خليل فيه عبادة وزهد وفيه نوع قلة معرفة^(١) أيضاً، ولهذا يقال إنه كان يضع الاحاديث في الفضائل، وهذا قد بسطه أبو سعيد بن الأعرابي، وغيره ذكر ذلك مختصراً.

وذكر أبو سعيد أن [النوري]^(٢) لما رجع سأله أصحاب الجنيد عن الفرق الذي بعد الجمع ماعلامته، وما الفرق بينه وبين الفرق الأول، قال فسأله عن هذا المعنى - لا أدري بهذا اللفظ أم بغيره إلا أنني قد حفظت المعنى وأثبتته -، قال: وكنت إذا مررت به بالرقعة سنة سبعين^(٣) قال لي: من بقي من أصحابنا فأخبرته، فسألني عن جماعة، ثم سألتني عن الجنيد وما يتكلم فيه ومن يجتمع إليه فأخبرته، وقلت إنهم يشيرون إلى شيء يسمونه الفرق الثاني والصحو، فقال لي اذكر لي شيئاً منه؛ فذكرت له بعض ما كنت أظنه فضحك، ثم قال أي شيء يقول^(٤) في هذا ابن الجلاح^(٥)، فقلت: [ما يجالسهم]^(٦)، قال فأبو أحمد

١- في الأصل و(ف) و(د) زاد (واو) (ومعرفة) وسقطت الواو من (ح) وهو الصواب.

٢- النووي في جميع النسخ والصواب النوري بالراء.

٣- أي سبعين بعد المائتين كما في السير جـ ١٤/٧٥.

٤- في (ف) تقول.

٥- لم أجد له ترجمة وفي السير للذهبي جـ ١٤/٧٥: الجنحي .

٦- كذا في السير للذهبي جـ ١٤/٧٥. وفي جميع النسخ ما أجالسهم، ولا يستقيم المعنى.

القلانسي^(١) فقلت مرة يوافقهم وربما خالفهم إلى معاني الجمع، فقال: أي شيء تقول أنت، فقلت ماعسى أن أقول أنا، ولكن ماتقول في هذا ياأبا الحسين فإنني أحب أن أسمع منك في هذا خاصة شيئاً، فقال: لا، أو تقول أنت، فحملني حرصي على أن أسمع منه أن قلت ماكان عندي في ذلك الوقت، قلت أيسمونه فرقاً ثانياً هو عين من عيون الجمع يتوهمون به أنهم قد خرجوا عن الجمع، وإنما هو أحد عيون الجمع، فقال: هو كذلك وأنت [إنما]^(٢) سمعت هذا من أبي أحمد القلانسي، فأخبرته أنني ماسمعت من أبي^(٣) أحمد، فلما قدمت بغداد حدث^(٤) أبو أحمد بذلك، وكان أبو أحمد يعارض ذلك ولا يقطع به، وربما وافقهم فأعجبه قول أبي الحسين، وكذلك كان عند أبي الحسين، فأما أبو أحمد فقد كان^(٥) ربما قال: «هو صحو وخروج عن الجمع»؛ وربما قال: «هو شيء من الجمع»، ثم قال أبو الحسين ببغداد لما [شاهدهم]^(٦)/: «ليس هو عيناً من عيون الجمع ولا صحواً من الجمع وفرقاً ثانياً»، ولكنهم رجعوا إلى ما يعرفون وحملوا الشيء على عقولهم، فهم يسددون بجهلهم وليس معهم مما يذكرون إلا هذا العلم وهذا الوصف، وكأنهم

١٩٨

١- أبو أحمد القلانسي: هو أبو أحمد، مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي، شيخ الصوفية كان مقدماً على جميع مريدي بغداد، لما كان فيه من السخاء والأخلاق مات سنة ٢٧٠ بمكة. انظر السير ج١٣/١٧٠ الترجمة رقم ١٠١.

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ما).

٣- في (د) أني.

٤- كذا في السير ج١٤/٧٥، وفي جميع النسخ (حدث) ولا يستقيم المعنى.

٥- (كان) سقطت من (د).

٦- كذا في (ف) و(د) و(ح) والسير ج١٤/٧٥ وفي الأصل (شهدهم).

قد اصطالحوا عليه وكان يوميء إلى أنهم يتكلمون عن غير حقيقة، وإنما هو شيء يأخذه بعضهم عن بعض فيزيد بعضهم من بعض بقدر فصاحتهم في العبارة دون الحقيقة.

ولهذا كان قوله أول ما قدم بغداد^(١)، قال أبو سعيد ثم باتوا معه ليلة لم أكن معهم كان ابن عطاء^(٢) ورويم^(٣)، فأقبل ابن عطاء يسأله فإذا أصابه شيء عكسه عليه ابن عطاء، ثم يسأله عما ينشيه فإذا أجابه قال هذا ضد الجواب الأول يا أبا الحسين قياساً وتشبيهاً، فكان منه إليه كلام فيه جفاء، وكذلك فعل أيضاً فقالوا: إنه يقول الشيء وضده ولا يعرف هذا [إلا قول]^(٤) سوفسطا^(٥) ومن قال بقوله، وكان بينهم

١- يقصد أبا الحسين النوري.

٢- ابن عطاء: هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي البغدادي. كان زاهداً، عابداً، متأهلاً. ولكن راج عليه حال الحلاج وصحبه. وامتنح بسببه حتى مات، فقد عقله ثمانية عشر عاماً، ثم تاب إليه عقله مات سنة ٣٠٩ هـ. انظر السير ج ١٤/٢٥٥ ترجمة رقم ١٦٠ والبدية والنهاية ج ١١/١٥٤ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١/٩٥ رقم ١٨٤.

٣- في (د) (دريم) وهو: أبو الحسن وقيل أبو محمد، رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد بن رويم البغدادي شيخ الصوفية، وهو رويم الصغير، وحده رويم الكبير أيام المأمون. امتحن في بغداد أيام غلام خليل، وفر إلى الشام. كان عابداً زاهداً، مات ببغداد سنة ٣٠٣ هـ. انظر السير ج ١٤/٢٣٤ ترجمة رقم ١٣٨ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١/٨٨ رقم ١٦٨ والأعلام ج ٣/٣٧.

٤- مابين المعوفتين من السير ج ١٢/٧٥، وفي جميع النسخ (القول).

٥- في السير ج ١٤/٧٥ ولا نعرف هذا إلا قول سوفسطا. وهم السوفسطائيون: فرقة من فلاسفة اليونان كانوا مجادلين مغالطين متحجرين بالعلم. أنكروا المحسوسات والبدهيّات. انظر: الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم ص ٤٥.

وحشة بذلك، وكان يكثر منهم التعجب، وقالوا للجنيد ذلك فأنكر عليهم حنيئذ، وقال: لاتقولوا مثل هذا لأبي الحسين ولكنه رجل به علة قد تغير دماغه، ثم إنه انقبض عن جميعهم بعد تلك الليلة، وأظهر لمن اتهمه منهم الجفاء وترك مجالستهم، ثم غلبت العلة وذهب بصره ولزم الصحاري والجبانات والمقابر، وكانت له في ذلك أحوال طويلة كثيرة يطول شرحها وذكرها^(١).

قال: ولم أحضره عند موته، قال جماعة من أصحابنا يقولون من رأى أبا الحسين بعد قدومه الرقة ولم يكن رآه قبل ذلك فكأنه لم يره لتغيره بعد قدومه، إلا أنه مات وهم عنده يتكلمون في شيء سكوتهم عنه أولى بهم، لأنه ليس شيئاً عندهم يعرفونه وإنما يتوهمونه^(٢) فيتكهنون فيه ويتعسفون بظنونهم^(٣)، وقد كانوا عند غيره^(٤) ممن لا أسميه كذلك.

قال أبو سعيد: فإذا كان أولئك كذلك فكيف بمن حدث بعدهم ممن أخذ عنهم، قال: ومنعني من الطبقة التي كانت بعد هؤلاء أشياء كثيرة، إلا [أن]^(٥) جملة ذلك وإن كانوا قوماً صالحين فاضلين فما يدرون ما كان يقول أولئك في هذه المعاني التي أشرنا إليها، ولا ما كانوا

١- انظر هذه الحكاية في السير للذهبي ج ٤/ ٧٤-٧٥ بشيء من التفصيل.

٢- في (د) (يتوهمون) .

٣- في (ف) و(د) بطولهم ولم تنقط في الأصل.

٤- في (ف) و(ح) (غير غيره).

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (ن) سقطت الهمزة.

يشيرون إليه/ إلا بالتوهم والبلاغات وذكر كلاماً طويلاً^(١).

ترجيح ابن تيمية
لقول الجنيد
وأصحابه

قلت: الصوفية بعد هؤلاء هم على هذا الاضطراب، منهم من قال بالفرق الثاني كالجنيد وأصحابه وهؤلاء هم المصيبون المسددون، ومنهم من نفاه، ومنهم من تردد فيه، ومنهم من قال إنه أكبر من [المتكلم]^(٢) فيه، وسبب ذلك أن الإنسان يشهد أولاً الفرق حسه وعقله وهواه من غير نظر إلى أن الله خالق كل شيء وهذا هو الفرق الأول، فإذا توجه إلى الله رأى أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه كل ما في الوجود بمشيئته وقدرته وهذا شهود صحيح، بحيث يغيب عن نفسه وعن غيره ويفنى بمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته،

١- قال الذهبي في السير ج ٤٠٩/١ - ٤١٠ عن الصوفية: والله دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة مأمعهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والنحو والصحو والسكر؛ إلا بمجرد خطرات ووساوس، ماتفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين. فإن طالبتهم بدعائهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط مأمعك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة؛ ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بأداب الشريعة من التلاوة والتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أ.هـ.

فلا يبقى ناظراً إلا إلى توحيد الربوبية وهو أن الله خالق كل شيء، وهذا المشهد ليس تفريق بين المأمور والمحذور ، ولا بين المعروف والمنكر ولا بين أوليائه وأعدائه ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين ما يلائم الإنسان وما يخالفه، وهذا لا يتصور أن يدوم بقاء العبد فيه، فإن نفسه لابد أن تفرق بين ما يلائمها وبين ما يضرها، كما تفرق بين الخير والشر^(١) وبين الماء والبول.

أقوال الصوفية في
الفناء

ولكن من قال بأن الفناء هو [الغاية]^(٢)، منهم من جعل ذلك نزولاً من العبد من عين الجمع إلى الفرق، ومنهم من يقول [بل]^(٣) القيام بالفرق هو [لصلاح]^(٤) العامة لنفسه، ومنهم من يسمى هذا تلبساً ويقول هذا للأنبياء، وربما قال الفرق لأجل المارستان يصلح به العامة الذين هم كالجنانين، [و]^(٥) قد يقول هؤلاء: (الكمال أن يكون الجمع في قلبك مشهودا والفرق في لسانك موجودا، وأن يكون^(٦) باطنك حقيقة وظاهره شريعة)، ومنهم من يقول : الفرق بين هذه الأشياء الضرورية التي لابد منها للإنسان بخلاف غيرها، ومنهم من

١- في (ف) التراب.

٢- في جميع النسخ الغلبة ، ولا يصح ، وهم قالوا : الفناء هو الغاية ، وسيأتي تكرار ذلك بعد خمسة أسطر .

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (باء) (بالقيام).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الصلاح).

٥- كذا (ح) وسقط من الأصل و(ف) و(د).

٦- في (د) يكون (بدون نقط الياء).

يقول : هذا الفناء والاصطلام/ ليس هو الغاية، بل هو مقام عال^(١) لا بد للسالك من سلوكه إياه، و[من]^(٢) لم يقم فيه لم يصل إلى حقيقة [معرفة الحقائق]^(٣).

(وهذا غلط، فإن هذا من عوارض الطريق لا من لوازمه، فإن حاصله عدم شهود الحقائق)^(٤) على ماهي عليه، وهذا نوع من نقص الشهود والعلم ورؤية الأمر على ماهو عليه، ولكن هذا^(٥) يعرض لبعض المتوجهين إذا رأى أن الله خالق كل شيء يجمع في رؤيته هذا ولم يشهد الفرق، فإنه سبحانه وإن خلق الأشياء كلها بمشيئته وقدرته؛ فقد أمر بطاعته ونهى عن معصيته؛ وهو يحب مأمراً به ويغض مانهياً عنه، وهذا هو الفرق الشرعي ليس هو الفرق [الطبيعي]^(٦).

وهذا الفرق فرض على كل مسلم لا يكون مؤمناً إلا به، وصاحب هذا يشهد أن لا إله إلا الله فيعلم أن الله هو المعبود دون ماسواه، وأنه أرسل الرسل يأمر الناس بطاعته وينهونهم عن معصيته، ومن لم يشهد هاتين الشهادتين لم يكن مسلماً، وأما مجرد رؤية الله

الفرق بين توحيد
الربوبية وتوحيد
العبادة

١- في (ف) و(د) عالي.

٢- كذا في (د) و(ح) وسقطت من الأصل و(ف).

٣- ما بين القوسين من (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (المعرفة).

٤- ما بين القوسين سقط من (د).

٥- (هذا) سقطت من (د).

٦- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (الطبيعي).

خالق كل شيء فهذا كان^(١) يقر به المشركون عباد الأصنام، فمن وقف في الجمع لا يفرق بين مأمور ومحظور لم يكن مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً لله -تبارك وتعالى-، لكن هؤلاء يقولون نحن ثبت الفرق العائد إلى حظ الإنسان، بأن فعل المأمور سبب للثواب وفعل المحظور^(٢) سبب للعقاب، والثواب والعقاب حظ للعبد، والكامل الخالي [عن]^(٣) حظوظه الذي لا يريد إلا ما يريد ربه هو صاحب الفناء، وهو الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، فالفرق لا يعود إلى الله ولا إلى صاحب الفناء.

وأصل غلط هؤلاء [أنهم]^(٤) لم يشتبوا الله إلا الإرادة العامة المتناولة لكل مقدور^(٥)، ومعلوم أنه لو كان الأمر كذلك لكان الفرق سبباً بالنسبة إلى الله، لكن هذا غلط من المثبت لملة إبراهيم ودين الرسل كما قد بسط في غير هذا الموضع.

سبب غلط الصوفية

أو كثير من هؤلاء قد التبس عليهم هذا الموضع وهم متناقضون فيه، فإن الجمع العام لا يتصور أن يقوم فيه أحد دائماً، بل لابد إن كان مسلماً أن يوجب ما أوجبه الله ورسوله ويحرم ما حرمه الله ورسوله وإلا

٢٠١

لزوم وجود فرق
طبعي وشرعي

١- في (ف) (لما كان) وفي (د) ما كان.

٢- كذا في الأصل و(ح) وفي (ف) و(د) المحذور.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٤- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (لأنهم).

٥- والإرادة نوعان: إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية وقد سبق بيان هذه المسألة.

لم يكن مسلماً، فلا بد من فرق بحسب دينه وإن لم يكن له دين فرق بحسب هواه وطبعه، فمن لم يفرق فرقاً رحمانياً فرق فرقاً نفسانياً وشيطانياً، ومن لم يفرق فرقاً شرعياً فرق فرقاً طبيعياً، وقول أبي سعيد ابن الأعرابي ومن وافقه: إن هذا الفرق عين من عيون الجمع يتوهمون به أنهم قد خرجوا عن الجمع وإنما هو [أحد]^(١) عيون الجمع، يعنى به -والله أعلم- أن شاهد الفرق مأمراً لله به ونهى عنه مع مشاهدته بذلك، وتوحيد الإلهية بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومحبة لما أمر الله به وبغضه لما نهى الله عنه، فهو يشهد أن الله رب ذلك كله وأنه الذي جعل المسلم مسلماً، وجعل آل إبراهيم أئمة يدعون إلى الخير وآل فرعون أئمة يدعون إلى النار، فهو في هذا الفرق؛ يشهد الجمع، ويشهد -مع مقام بقلبه من الفرق بين المأمور والمحظور- أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه هو الذي جعله يعبدّه ويطيعه وهو المانّ عليه بذلك، لا يكون كمن يشهد الفرق بين الطاعة والمعصية، ولم يشهد أن الله هو الذي منّ عليه بالطاعة ويسرها عليه.

فشهود الجمع [بلا]^(٢) فرق يورث تعطيل الأمر والنهي، حتى لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، وشهود الفرق بلا جمع يورث تعطيل التوكل والشكر ويورث العجب وتعظيم النفس، [و كلا]^(٣) هما نقص عما تحت الجمع من عبودية الله -تعالى- ومن تحقق قوله ﴿إياك

١- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل و(ف) (حد).

٢- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (بل).

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (كل).

نعبد وإياك نستعين» [سورة الفاتحة: ٥] فلا بد من الفرق في عين الجمع في شهود الفرق، وأيضا فإن الله - تعالى - مع خلقه لكل شيء بمشيئته وقدرته فهو يجب ما أمر به ويرضاه ويغض/ مانه عنده ويستخطه، فلا بد مع شهود المشيئة العامة من شهود المحبة والرضا الخاص.

٢٠٢

وكثير من الناس القدرية الجهمية الجبرية ومن دخل معهم في التصوف جعلوا الإرادة نوعاً واحداً، وجعلوها هي المحبة والرضا، قالت القدرية والله لا يجب الكفر والفسوق والعصيان فيكون في ملكه ما لا يشاء ولم يخلقه، وقالت الجهمية بل كل ما وقع فهو بمشيئة الله، والمشيئة هي الإرادة وهي المحبة والرضا؛ فكل ما وقع فإنه يجب ويرضاه، ولكن يريد ويجب ويرضى المأمور به مأموراً به ديناً يثيب^(١) عليه، ويريد ويجب ويرضى المنهى عنه منهيّاً عنه معاقباً عليه، فالفرق بينهما يعود إلى أنه يريد ويجب ويرضى أن يُنعم^(٢) هؤلاء ويعذب هؤلاء من غير فرق يعود إليه، ولا يجب بعض المخلوقات ويغض بعضاً؛ كما لا يشاء بعضها دون بعض، فعنده لا يجب بعض المخلوقات دون بعض.

أقوال الفرق في
الإرادة

والجهمية الجبرية والقدرية المعتزلة ومن وافقهم مشتركون في أنه ليس بين المأمور والمحذور فرق يعود إلى الرب - تبارك وتعالى^(٣) -، والقائلون بالجمع من غير فرق يشاركون هؤلاء، ورأوا أنه لا فرق

أقوال الفرق في
الفرق بالنسبة
للرب تعالى

١- في (ف) بدون نقط.

٢- في (د) (ينغم).

٣- مابين الشرطتين في (د) تعالى.

بالنسبة إلى الرب؛ لكن الفرق يعود إلى العبد من حيث إن أحد العاملين يقتضي حصول لذة له والآخر يقتضي حصول ألم له، وهذا من حظوظ العباد.

ثم قال غلاة هؤلاء: وهذا الفرق من العبد نقص لأنه فرق يعود إلى نفسه؛ فالعمل^(١) له سعي في حظ النفس، وأما الكمال فهو أن يفنى العبد بمراداته^(٢) جملة ولا يبقى له حظ، وأن لا يشهد إلا ربه، وإرادة الرب - عز وجل - عندهم هي المشيئة المتناولة لكل شيء وهي المحبة والرضا عندهم، ولهذا قالوا: إنه حينئذ لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة.

/ ومعلوم بالاضطرار من دين الرسل أن هذا ليس بمجرد ولا
٢٠٣
حال الأنبياء والأولياء؛ بل هم متفقون على استحسان ما أحبه الله واستقبح [ما]^(٣) نهى الله عنه؛ والحب في الله والبغض في الله؛ وذلك أوثق عرى الإيمان^(٤)، فصار العالم منهم بخلق الله وأمره وشرعه وقدره

حال الأنبياء
والأولياء مع
المأمور والمحظور

١- في (د) فالعبد.

٢- في (د) لمراداته.

٣- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (من).

٤- يشير إلى قوله ﷺ «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» وقد أخرجه الطيالسي في مسنده جـ ٣/ ١٠١ رقم ٧٤٧ (طبعة دار المعرفة بيروت، ومكتبة المعارف) الرياض عن البراء بن عازب واللفظ له.

وعن ابن مسعود أيضا جـ ٢/ ٥٠ رقم ٣٧٨، والإمام أحمد في المسند جـ ٤/ ٢٨٦
عن البراء، والطبراني في المعجم الكبير جـ ١/ ٢١١-٢١٢ رقم ١٠٣٥٧،

المشيئة العامة
وعلاقتها بالجمع
والفرق

الذين يفرقون بين مشيئة الله ومحبه ورضاه كالجنيد ونحوه؛ يقولون بالفرق الثاني، والذين لا يثبتون إلا المشيئة العامة لا يقولون بالفرق الثاني، وآخرون يترددون فتارة يشهدون المشيئة العامة فقط ولا يقولون بالفرق، وتارة يثبتون محبة الله ورضاه فيقولون بالفرق الثاني، والقول بهذا الفرق لا ينافي الجمع العام، فإن مشيئة الله متناولة لكل شيء؛ وما وجد شيء محبوب مكروه فالمشيئة متناولة له، فلهذا صار منهم من يقول إن هذا الفرق عين من عيون الجمع، وأن أحداً لا يخرج من الجمع الذي هو المشيئة العامة؛ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإنما يرى الخروج من هذا المعتزلة ونحوهم من المكذبين بالقدر، القائلين أنه يكون في ملكه ما لا يشاء وأنه لا يقدر على هدى ضال ولا ضلال مهتدٍ ونحو ذلك، وهؤلاء ضلوا في مسألة القدر كما ضلت بها المعتزلة، [فالمعتزلة]^(١) كذبوا بالقدر رعاية للأمر والنهي، وهؤلاء أبطلوا الأمر والنهي رعاية^(٢) للقدر.

وجد ١٠٥٣١ رقم ٢٧٢-٢٧١/١٠ عن ابن مسعود، وجد ٢١٥/١١ رقم ١١٥٣٧ عن ابن عباس.

وقد أعل الهيثمي طرق الحديث في مجمع الزوائد ج ١/ ٨٩-٩٠، وكذلك الدوسري في النهج السديد ص ١٨٠ رقم ٣٦٨ وقال بعد ذكر طريقه: فالحديث بمجموع هذه الطرق إلا الأخيرة أي (طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس لأن فيها متروكاً) حسن لغیره بلاريب ا.هـ.

١- كذا في (ف) و(د) و(ح) وسقطت من الأصل.

٢- في (د) غايه.

عودة للكلام
على حديث
الحاجة

وهؤلاء يحتجون بقصة آدم وموسى -عليهما السلام^(١) - واحتجاجهم عليه بالقدر هو^(٢) حجة داحضة، فإن الله -تعالى- عاتب إبليس وأهبط آدم من الجنة وأهلك قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم، ولو كان القدر عذراً لم يعاقب كافراً، وآدم -عليه السلام- تاب من الذنب فلو كان محتجاً بالقدر لم يتب.

٢٠٤

وصار آخرون يتكلمون على حديث موسى / -عليه السلام^(٣) - بتأويلات فاسده، كقول بعضهم إن هذا الاحتجاج كان في غير دار التكليف كما ذكره هذا الضال، فيقال لهؤلاء: الاحتجاج بالقدر لا يسوغ في دار التكليف ولا غيرها^(٤)، فإنه قول باطل وقول الباطل لا يسوغ بحال، وأيضاً فموسى قد لام آدم فكيف يقع الملام في غير دار تكليف، [وتناظراً]^(٥) وتحتاجا ودار السلام منزهة عن الحجاج والخصام، وقال بعضهم: إنه كان أباه فما كان ينبغي له لوم أبيه، وقال: بعضهم كان تائباً والتائب لا يلام، وقال: بعضهم كان الذنب في شريعة واللوم في أخرى، وهذا كله باطل، فإن الحديث فيه أن آدم احتج بالقدر وقال لم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى.

١- مابين الشرطتين سقط من (د).

٢- في (د) زاد (واو) وهو.

٣- مابين الشرطتين سقط من (د).

٤- في (د) وغيره.

٥- كذا في (ف) و(د) و(ح) وفي الأصل (فتناظراً).

سبب الغلط في
فهم حديث الحاجة

وسبب هذا الغلط أنهم فهموا من الحديث أن آدم جعل القدر حجة للمذنب وهو غلط قبيح على من هو دون آدم وموسى فكيف عليهما، وهذا آدم يقول ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾^(١) [سورة الأعراف: ٢٣] وموسى يقول ﴿ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [سورة القصص: ١٦] ويقول ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾^(٢) [سورة الأعراف: ١٥٥]، وكيف يجوز أن يظن بمثل هذين النبيين الكريمين أنهما يجوزان هذا؛ وعوام الناس يعرفون أن هذا باطل، إلا من كان مصطلاً قد سلب حقيقة العقل، والذي يظن أن الله يسوي بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض؛ وبين المتقين والفجار؛ وبين المسلمين والمجرمين، فإن الجمع و^(٣)توحيد الربوبية يتناول هؤلاء كلهم، فإن لم يحصل مع ذلك فرق فالجمع بين أهل البر والتقوى ويشهد^(٤) القلب [إلهية]^(٥) الرب التي يستحق لأجلها أن يعبد دون ماسواه وأن تطاع رسله كان مسوياً^(٦) بين هؤلاء.

لوم موسى لآدم
- عليهما السلام
- لأجل المصيبة
لا مجرد الذنب

ولكن نكتة الحديث أن موسى لام آدم لأجل المصيبة التي لحقت

١- في (د) ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا ...﴾ الآية.

٢- في (د) ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ...﴾ الآية.

٣- في (د) (في).

٤- في الجملة ركاه. وفي (ح) بياض بمقدار كلمتين.

٥- كذا في (د) و(ح) وفي الأصل (الإلهية) وفي (ف) الأهمية.

٦- في (د) (مستوياً).

الذرية من أجله، فإنه بسبب ذلك خرجوا من الجنة وصاروا في دار الشقاء، ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، وكان لومه له لأجل المصيبة التي أصابتهم لا مجرد الذنب من جهة حق الله، كما يقول الولد لوالده الذي أذهب ماله حتى افتقر هو وأولاده؛ أنت الذي أذهبت هذا المال حتى صرنا فقراء واحتجنا إلى الناس، وأنت نقلتنا إلى بلاد الغربة ونحو ذلك، فقال له آدم هذه المصيبة كانت مكتوبة عليك مقدرة قبل أن أخلق هي وسببها وهو الذنب، فإنه كان مكتوباً علي قبل أن أخلق بأربعين سنة^(١).

والعبد مأمور عند المصائب بالتسليم لله - تعالى^(٢) - كما قال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١١] قال طائفة من السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم^(٣)، لهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك

وجوب التسليم
لله عند
المصائب

١- وللتوسع في شرح الحديث انظر شرح مسلم للنووي ج١٦/٤٤٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١١/٢٥٦ وفتح الباري لابن حجر ج١١/٦٢٣-٦٢٦ ومج ج٨/١٠٧-١٠٩ وشفاء العليل لابن القيم ج٢/٤٥ وما بعدها والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للمحمود ص ٢٧٦-٢٧٨.

٢- في (د) تعالى.

٣- انظر تفسير ابن جرير الطبري ج١٢/١١٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨/١٣٩.

شيء فلا تقل لو أني فعلت [كذا] ^(١) لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن اللو ^(٢) تفتح عمل الشيطان ^(٣) وفي السنن عنه عليه السلام أنه قال «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل» ^(٤)، وقد قال تعالى لنبيه ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ [سورة غافر: ٥٥] فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من الخطيئات.

وكان الجنيد ^(٥) أفقه القوم وأعلمهم بالدين فلهذا/ بين الفرق الثاني وأمر باتباع الأمر ولزوم الشرع ورعاية العلم، بخلاف ^(٦) من لم

٢٠٦ عودة إلى
ترجيح قول
الجنيد في الفرق
الثاني

١- كذا في (د) ، وفي (ح) (كذا وكذا) ، وسقطت من الأصل و(ف).

٢- في (د) (لو).

٣- أخرجه مسلم في (كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله عز وجل) جـ ٤/ ٢٠٥٣ برقم ٢٦٦٤ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- واللفظ له.

٤- أخرجه أبو داود في (كتاب الأقضية، باب الرجل يحلف على حقه) جـ ٤/ ٤٤ رقم ٣٦٢٧ واللفظ له وأحمد في المسند جـ ٦/ ٢٥ والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤٠٣ رقم ٦٢٦ قال المنذري: أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة وفي إسناده بقيه بن الوليد وفيه مقال. انظر عون المعبود جـ ١٠/ ٥٥، وقال النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٤٠٣ سيف لأعرفه، قال محققه د. فاروق حمادة: سيف هو سيف الشامي وثقه العجلي وباقي رواة الحديث رجال مسلم أ.هـ. وضعفه جاسم الدوسري في النهج السديد ص ١٩٢ رقم ٣٨٩ ونقل تحسين الحافظ ابن حجر للحديث في تخريج الأذكار.

٥- في (د) رحمه الله.

٦- في الأصل كرر الناسخ هذه الكلمة.

يحقق هذا الفرقان واختطفه قدر فإنه قد يتعدى فيه إما حالاً وإما مآلاً، مثل^(١) كثير من الشيوخ الغالطين في هذا الباب، ثم انضم إلى ذلك أنه لم يفرق بين إرادة الله ومحبته ورضاه؛ بل يرى أن جميع الحوادث خيرها وشرها بالنسبة إليه سواء صادرة عن تلك الإرادة^(٢)، وأنه لا يجب الحسنات ولا يرضاهما إلا بمعنى ينعم أهلها؛ ولا يبغض السيئات ويستخطها إلا بمعنى تعذيب أهلها، ورأى أن هذا فرق يعود إلى المخلوق لا إلى الخالق، فهذا رأى أن في كمال العبودية فناء عن إرادته وأنه لا يريد إلا ما يريد الحق؛ وعنده ليس له إرادة إلا هذه، لزم من هذا أنه لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة مادام هذا الفناء، لكن دوامه فيه ممتنع لأن العبد مجبول على حب ما يلائمه وبغض ما ينافيه، فإن لم يشهد ما [يتصف] ^(٣) به الرب من الحب والبغض والرضى والسخط فيحب^(٤) ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله^(٥) ويرضى ما يرضاه ويستخط ما يستخطه الله، وإلا فرق باعتبار نفسه، فيحب ويبغض لمجرد ذوقه ووجده ووجهه وبغضه لا يحب الله وبغضه وأمره ونهيه، فإن هذه الحقيقة تخالف^(٦) الشريعة، ويجعلون القيام بها لأجل الخاصة^(٧) والعامة، لامن حقيقة

١- في (ف) سئل.

٢- انظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٤/ ٢٧٤-٢٧٨ حيث وضع مذهب الأشاعرة والمعتزلة.

٣- كذا في (د) وفي الأصل و(ف) و(ح) (ينسب).

٤- في (د) (فيحب) بالجيم.

٥- سقط لفظ الجلاله من (ف) و(د).

٦- في (د) يخالف.

٧- في (د) الظاهرة.

شهودها الخاصة ويسمون هذا تلييساً؛ وهو مقام الأنبياء، وهذا من أغاليط كثير من الشيوخ وهو في الحقيقة خروج عن ملة إبراهيم وغيره من الرسل، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١).

١- انتهى الكتاب في جميع النسخ، وما بعده كلام الناسخ وفي الأصل: وهذا آخر ما وجدت من "كتاب الاستغاثة" لابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه - وكان الفراغ من نسخه عصر الخميس لأربعة عشر خلعت من ربيع الثاني من شهر عام سنة ١٢٨٤، بقلم الفقير إلى ربه القدير محمد بن عثمان بن يحيى - غفر الله له ولوالديه وإخوانه المؤمنين - والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وفي (ف): وهذا آخر ما وجدت من "كتاب الاستغاثة" للشيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه وأدخله الجنة بغير حساب -، وكان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء خامس يوم من جماد أول سنة ١٣١٩ على يد الفقير إلى ربه المقر بالذنب والتقصر عبده بن عبده صالح بن موسى بن صالح بن موسى بن مرشد - غفر الله له ولوالديه وإخوانه وذريته وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين - وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي (د): وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة ١٣٢٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والرسل وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد :

فلقد أمضيت فترة من الزمن في تحقيق هذا الكتاب « كتاب الاستغاثة في الرد على البكري » للإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الذي رد به على أحد القبورية المعاصرين له.

وفي نهاية هذا التحقيق لابد من وقفة نعرض فيها لمعالم الكتاب في النقاط التالية :

١- هذا الكتاب في بيان التوحيد الذي جاءت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ونفي الشرك عن الصمد المجيد.

٢- كما أنه جزء من جهود شيخ الإسلام ابن تيمية العلمية والعملية في الرد على أهل البدع، والذب عن العقيدة الصحيحة، وهو أيضاً جزء من ردود علماء أهل السنة والجماعة.

٣- يرسم لنا هذا الكتاب منهجاً علمياً لردود أهل السنة على المبتدعة، والتي تتميز بالعدل والإنصاف، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإخلاص في النصح للخصم مهما كانت خصومته. بل ومحبة الخير والتوفيق والهداية له.

٤- ويقابل هذا المنهج منهج أهل البدعة، والذي يتميز بالكذب على المخالف، وطلب العلو في الأرض بغير الحق، وتكفير المخالف وإن كان محقاً.

٥- التوحيد الذي جاءت به الرسل هو توحيد الإلهية، وفيه كان النزاع بين الرسل وأممهم، وقد أخطأ من ظن أن توحيد الربوبية يكفي للنجاة من النار ودخول الجنة.

٦- التوحيد الذي يعرفه أهل الكلام ومن شايعهم من الصوفية وغيرهم فهو توحيد الربوبية، أقر به مشركو العرب في الجاهلية، وقد أدى هذا الفهم الخاطئ للتوحيد إلى وقوع كثير منهم في الشرك ووسائله.

٧- التكفير حق لله - تعالى - فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، فلا يحق لأحد أن يكفر من كفره، أما بالنسبة للمبتدعة فلغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير منهم لا يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ.

٨- بدع القبور والمشاهد لم تعرف في القرون الفاضلة، وقد ظهرت عند الرافضة في آخر القرن الثالث الهجري، ثم انتشرت عن طريق الطرق الصوفية، الذين نقلوا هذه البدع ودعاؤها الباطلة من الرافضة وغيرهم، كما أثبت المؤلف في هذا الكتاب.

٩- هذا الكتاب ليس رداً على شخص البكري، بل هو رد على طوائف من الغلاة، كثير عددهم واسع انتشارهم وهم عند

كثير من الناس مشايخ الإسلام وسادة الأنام، وأهل التحقيق والتوحيد.

١٠- القبورية أو عباد القبور أو المقابرية، نسبة للقبور، وهم كل طائفة جاوزت الحد في تعظيم القبور، وهم في كثير من الأمم فمقل ومستكثر، وسلفهم قوم نوح - عليه السلام -.

١١- القبورية من أخطر الطوائف على الإسلام وأهله، وقد جمعوا شرك الطوائف؛ فأشركوا في توحيد الأسماء والصفات وفي توحيد الربوبية والإلهية.

وهم أشد وثنية من مشركي العرب، وأكثر خضوعاً للأموات من خالق البريات.

١٢- خيانة القبورية للأمة الإسلامية في الشدائد والحن، مثل موقفهم مع التتار فقد لاذوا بالقبور بل إن منهم من عد التتار من أولياء الله، وكذلك فعل معاصروهم مع المحتلين للبلاد الإسلامية في العصر الحديث .

١٣- تخويف القبورية لكل ناه لهم عن الشرك وأمر لهم بالتوحيد، كما فعل أسلافهم من الأمم المكذبة للرسل - عليهم السلام -، وكذلك فعلوا مع المؤلف وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم؛ ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وجعل الدائرة عليهم.

١٤- إن القبورية يسمون عقائدهم الفاسدة بأسماء براقه، فسموا
الشرك بالله - تعالى - تعظيماً للأولياء والصالحين؛
والاستغاثة بغير الله توسلاً؛ وادعاء علم الغيب مكاشفة إلى
غير ذلك من الدعاوى الباطلة.

١٥- القبورية أعظم الناس إيذاء للنبي ﷺ بتسليط العامه عليه
لطلب الحاجات منه، وحاجاتهم لا تنضبط ولا حد لها.

١٦- بدع القبورية أخذت من : فلاسفة اليونان ومن أخذ عنهم
ممن سمو بفلاسفة الإسلام وأهل الكلام فهم (أي فلاسفة
اليونان) قبورية.

وكذلك من الرافضة الذين أصل دينهم تقديس الأئمة
وعبادتهم، ومن أهل الأديان السابقة، كتابيهم ووثنيهم.

١٧- الاستغاثة بالأموات من أهم عقائد القبورية عندهم، وقد
يسمونها - تلييساً على من لم يعرف حقيقة أمرهم -
استمداداً أو توسلاً أو غير ذلك، وهذه التسميات لا تعرف
في لغة العرب ولم يسبقهم أحد بهذه التسميات.

١٨- جواز الاستغاثة بالإنسان الحي الحاضر فيما يقدر عليه، لا
ينازع فيه أحد. أما الاستغاثة بالأموات أو بالقبور أو
بالأحياء فيما هو من خصائص الرب تبارك وتعالى فهو
شرك بالله عز وجل.

١٩- تلاعب الشياطين بالقبورية، لهم، وإجابة بعض مطالبهم، لإضلالهم وفتنتهم.

وما يحدث عند القبور هو من جنس ما يحدث عند الأصنام سواء بسواء .

٢٠- اهتمام النبي ﷺ ببيان التوحيد، وحماية جنابه وسد ذرائع الشرك ووسائله كما صحت بذلك الأخبار.

٢١- معرفة أماكن القبور ليست من الدين الذي تكفل الله بحفظه، ولذا ثبت كذب كثير من المشاهد التي يعظمها الجهله، مثل مشهد رأس الحسين، وقبر نوح، وقبر أبي بن كعب وغيرها.

٢٢- إجماع العلماء في عصر المؤلف على موافقته في منع الاستغاثة بغير الله وهو الثقة فيما ينقل، وللعلماء من المذاهب الأربعة جهود طيبة في الرد على هذا الشرك.

٢٣- النهي عن الاستغاثة بالنبي ﷺ لتحقيق العموم، وأن من دونه أولى بالنهي، وليس فيها تنقص له ﷺ، بل هو من أحسن الكلام.

٢٤- رواج الأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة عند القبورية والروافض وغيرهم من أهل البدع، وقد ذكر المؤلف طائفة منها.

٢٥- لا يجوز الحلف بالنبي ﷺ، والذي عليه الجمهور عدم انعقاد اليمين بالنبي ﷺ، ولا يجوز الإقسام به على الله تعالى.

٢٦- البناء على القبور وتزيينها وتطيبها حدث في دول الرافضة كدولة العبيدين والدولة البويهية، بعد القرون الثلاثة الفاضلة، وانتشرت بعد ذلك تلك البدع نتيجة الجهل بآثار الرسالة.

٢٧- أعظم وسيلة لمعالجة ضلال القبورية هو بيان السنة للمسلمين في كل مكان وبمختلف الوسائل، وبيان كذب الأحاديث التي يعتمدون عليها، والقصص المكذوبة التي يذكرونها، وبيان حقيقة دين القبورية ومخالفتهم لأصول الإسلام.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،
والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

١. فهرس الآيات.
٢. فهرس الأحاديث والآثار.
٣. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤. فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
٥. فهرس الفرق والأديان
٦. فهرس الأماكن
٧. فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب
٨. فهرس الشعر
٩. فهرس المصادر والمراجع
١٠. فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنيه

رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحه	
٥	٣٢٢، ٣٠٠، ٢٨٦
٧-٦	٣١٩، ١٤١
سورة البقرة	
٣٨-٣٧	١٣٥
٤٠	١٨٤
٤٢	٤٥٧
٤٥	٢٨٧
١٠٢	٥٤٩
١٠٤	٥٧٠
١٠٨	٥٢٥، ٢٨٥
١١٤	٥٩٧
١٢٥	٤٨٠
١٢٨	٢٠٢
١٣٧	٥٥٠
١٦٥	٥٨٦
١٨٧	٥٢٣
٢٠٠	٥٨٦
٢١٤	٤٤٤

الصفحة	رقم الآية
٢٧١	٢٦٣
٣٢٠	٢٧٣
١٤١	٢٨٦

سورة آل عمران

٥٣٣، ٣٥٠	٨٠-٧٩
٣١١، ٣١٠، ٢٩٣	١٢٦-١٢٤
٥٤٨	١٢٨
٢٩٢	١٣٥
٢٧٤	١٥٩
٢٧٢	٢٠٠

سورة النساء

٥٣٨	٥٩
٤٠٩، ١٤٧، ١٤٠	٦٩
٤٠٩، ١٨٠	٨٠
٣٠٣	٨٢
٥٥١	١١٣
٥٨٩	١٤٠
٥٢٦، ٢٨٥	١٥٣
٥١٣، ٣٤٨	١٧٢-١٧١

سورة المائدة

٢٨٧، ٢٤٦	٢
٣٢٤، ٣٢٢، ٣٠١	

الصفحة	رقم الآية
٥٥١	٤
١٨٤	٧
٢٨٢	٨
٣٤٩	١٧
٤٠٩	٣٥
٤٤٤	٤٤
٥٩٩	٦٠-٥٩
٥١٣، ٣٤٨	٧٥
٣٨٢	٩٣
٥٢٦	١٠١
٦٠٦، ٣٤٩	١١٧-١١٦

سورة الأنعام

٦٠٥	٥٠
٥٨٩	٦٨
١٦١	٨٣-٧٨
٣٥١	٨٠-٧٩
٤٧٠، ٤٤٤	٨١-٨٠
٥٨٦	١٠٨
٥٨٣	١٣٦
٢٢٥، ١٨٣	١٤٨
٤٣١	١٦٢-١٦١

الصفحة	رقم الآية
--------	-----------

الصفحة	سورة الأعراف	رقم الآية
٥٨٧	٣
٦٦٠	٢٣
	٢٣-٢٩
	٥٩
٥٧٨	٦٠-٥٩
٥٧٩	٦٦-٦٥
١٩٨	٨٤-٨٠
٤٤٦	١٣٥
٦٢١	١٥٠
٦٥٠	١٥٥
٢٣٣	١٧٢
٦٠٥ ، ٥٤٨ ، ٥٣٥	١٨٨

سورة الأنفال

٥١٦	٤-٢
٢٩٨، ٥٨	١٠-٩
٦٣٢، ٣١١		
٣١٣	١٢
١٩٨، ١٩٧	١٧
٣٢٣، ٢٨٦		

الصفحة	رقم الآية
٢٤٦، ٣٠١	٧٢
٣٠٢، ٣١١	
٣٢٣، ٣٢٩	

سورة التوبة

٤٧١	١٧-١٨
٤٦٩	١٨
٤٧١	٣٤
٢٩٣	٤٠
٥٣٥	٥٩
٥٨٤، ٥٧٥، ٥٥٣	٦٥-٦٦
٢٦٩	٩٢
٣١٣	١٢٠-١٢١

سورة يونس

١٤١	١٣
١٩٣	١٤
٥٦٠	١٥
٣٤٧	١٨
	٦٩
	١٧٢

سورة هود

٤٢٢	٧
-----	---

الصفحة	رقم الآية
٥٧٨	٥٤-٥٣

سورة يوسف

٥٥٢	٣
٦٢٦	٧٠
٢٧٥	٨٦

سورة الرعد

٣١٩	٧
٧١	١٧
٥٣٥	٤٠

سورة إبراهيم

٢٣٣	١٠
-----	----

سورة النحل

١٧٢	١٧
٢٣٤، ٢١٦، ٩	٣٦
٣١٩	٣٧
٤٤٦	٥٤

سورة الإسراء

٢١٥	٥
٦١٤	٢١-٢٠
٢٧١	٢٧-٢٦
٦١٤	٥٥

الصفحة	رقم الآية
٥٣٥، ٥٣٣	٥٧-٥٦
٦٠٤	٩٣
سورة الكهف	
٤٤٥	١٨
٤٧٣	٢١
٦١٨، ٦٠٤	١١٠
سورة مريم	
٦٠٦	٣٠
٤٤٤، ١٤٠	٥٨
٥٢٣	٧١
٢١٥	٨٣
١٧١	٩٥-٩٤
سورة طه	
٦٢١	٩٤
٢٣١	١٢٦-١٢٣
سورة الأنبياء	
٣٥١	٢٩-٢٦
١٢٩	٤٢
٦٢٦	٦٣
	٧٣
٤٤٥	٩٠

الصفحة	رقم الآية
--------	-----------

سورة الحج

٤٧١ ٤٠
-----	----------

سورة المؤمنون

٥٨٩ ٦٨
-----	----------

٤٤٦ ٧٥
-----	----------

٢٢٤ ٨٩-٨٤
-----	-------------

سورة النور

٦٠٩ ١١
-----	----------

٥٦٦ ١٥
-----	----------

١٩٣ ٥٥
-----	----------

٥٧٢، ٥٥٢ ٦٣
----------	----------

سورة الفرقان

٥٧٧ ٤٢-٤١
-----	-------------

٥٨٩ ٧٢
-----	----------

سورة الشعراء

٤٦١ ٢٢٧-٢٢٤
-----	---------------

سورة القصص

٢٤٦، ٥٨ ١٥
---------	----------

٦٥٠ ١٦
-----	----------

٢٠٢ ٤١
-----	----------

٥٨٩ ٥٥
-----	----------

الصفحة	رقم الآية
٣٠١، ٢٨٦	٥٦
٣١٩، ٣١٨، ٢٩٢	
سورة الروم	
١٤١	٤٧
سورة لقمان	
	٢٥
سورة الأحزاب	
٥٦٩	٢٨
٦١٥	٣٧
٦١٥	٥٠
٢٨٥	٥٧
سورة فاطر	
٢٩٢	٣
سورة يس	
٤٦٠	٦٩
سورة الصافات	
٥٧٧	٣٥
٥٧٧	٣٧
	١٦٤
سورة ص	
٥٧٨	٤

الصفحة	رقم الآية
سورة الزمر	
٣١٤	٦
٥٨٩	١٨-١٧
٣٥١	٦٥
سورة غافر	
٦٥٢	٥٥
٥٨	٦٠
سورة فصلت	
٣١٩	١٧
سورة الشورى	
٣٥٢	٢٤
٣٠١، ٢٨٦	٥٢
٥٥٢، ٣٢٩، ٣١٨	
سورة الزخرف	
٢٣١	٣٨-٣٦
١٩٤	٦٠
سورة الفتح	
٣٠٨	٩-٨
١٨٠، ٢٤٢	١٠
١٩٧	
٢٤٢، ١٨٤	١٨

الصفحة	رقم الآية
--------	-----------

سورة الحجرات

٥٥٢، ١٤٢	٢
----------	---

٥٧٢	
-----	--

٥٧٢، ٥٥٢	٤
----------	---

٥١٧	١٥
-----	----

سورة الذاريات

٢٣٤	٥٦
-----	----

سورة النجم

٣٤٧	٢٦-١٩
-----	-------

١٤١	٣٩-٣٦
-----	-------

سورة الحشر

٥٣٦	٧
-----	---

٥٨٦	١٣
-----	----

سورة الجمعة

٢١٥	٢
-----	---

سورة التغابن

٣١٩	٦
-----	---

٥٦١	١١
-----	----

سورة الطلاق

٢٨٢	٣-٢
-----	-----

رقم الآية	الصفحة
سورة القلم	
٤٢	٤٤٦
سورة الحاقة	
٤٢-٤٠	٥٦٠
٤٧-٤٤	٣٥٢
سورة المعارج	
٢١-١٩	٢٠٢
٢٥-٢٤	٢٨١
سورة نوح	
١	٢١٥
٢٤-٢٣	٦١٨، ٣٤٥
سورة الجن	
٦	٤٤٨
٢٣	١٤٧
٢١	٥٤٨
سورة المدثر	
٢٦	٥٦٠
٢١-١٩	٥٦٠
سورة الضحى	
٧	٥٥٢
١٠-٩	٢٧١

الصفحة	رقم الآية
	سورة الشرح
٤١ ٤
٢٧٦، ٢٦١ ٨-٧
٥١٤ ٨
	سورة البينة
١٢٣ ١
	سورة الفيل
١٣٢ ٥-١

فهرس الأحاديث والآثار*

الحديث أو الأثر رقم الصفحة

— أ —

- « ابن خطل متعلق بأستار ٦٠١
- « أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم ٤٣٣ أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- « أجعلني لله عدلا ٢٥٤
- « أجعلني لله ندا قل ماشاء الله وحده ٢٥٣
- « أحب الحديث إليّ أصدقه ٢٧١
- « احتج آدم وموسى ٦١٢
- « احرص على ماينفعك واستعن بالله ٢٧٤
- « ادعهم إلى الإسلام ثم المحرة ٢٧٤
- « إذا أرسلت كلبك المعلم فقتل فكل ٥٥١
- « إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم ٣٨٣
- « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور ٤٨٣
- « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ٤٥١
- « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ٤٨٣
- « إذا حلف أحدكم فلا يقل ٢٥٣
- « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت ٥١٤، ٢٧٦
- « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر ٦٠٥، ٣٨٤
- « أذهب البأس رب الناس ٥٤٩

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه »	٣٥٥
« استاذنت ربي أن »	١٤٤
« أشترط لربي أن تعبدوه »	١٨٥
« أصلح لي شأني كله ولا تكلني »	٦٣٣
« أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله »	٣٥٣
أثر عن أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	
« اعقلها وتوكل »	٢٧٤
« أعني على نفسك بكثرة السجود »	٢٨٧
« أعوذ بالله من عذاب جهنم »	٤٤٩
« أعوذ بعزة الله وقدرته من شر »	٤٤٩
« أعوذ بكلمات الله »	٢٠٣
« أعوذ بكلمات الله التامات كلها »	٤٤٩
« أفضل الجهاد كلمة حق »	٥٠
« أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر »	٥٩٦
« أقم حتى تأتينا الصدقة »	٢٦٠
« أكثروا علي الصلاة »	١٥١
« ألا أعلمك الكلمات التي »	٢٩٩
« ألا تباعون رسول الله »	٢٧٨
« اللهم أغثنا اللهم »	٢٩٧
« اللهم اغفر لحينا وميتنا »	٤٣٨
« اللهم أنت الصاحب في »	١٩٠
« اللهم أنت عبدي وأنا ربك »	٥٧٥
« اللهم أني أتوجه إليك »	٣٨٩، ١٤٧

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« اللهم أيده بروح القدس »	٤٦١
« اللهم إنا كنا إذا أجدبنا »	٣٣٦، ٢٩٠، ٢٦٧
« اللهم إني أسالك »	١٥٨
« اللهم إني أعوذ برضاك »	٢٠٣
« اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد »	٣٤٣
« اللهم لا مانع لما أعطيت »	٥٤٩
« اللهم لك الحمد وإليك »	٢٩٩
« اللهم هل بلغت »	٣١٨
« أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح ... »	
« أمرت أن أقاتل الناس حتى »	٢٣٤
« أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه »	٤٣٦
« أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس »	٥٧٢
« أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في »	٤٠٣
« أن تعبد الله كأنك تراه »	٢٣١
« أن رجلاً " ضرير البصر أتى النبي ﷺ »	٣٨٩
« أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة »	٢٩٧
« أن رسول الله ﷺ لما قدم أبي أن يدخل البيت .. »	٤٧٤
« أن رسول الله ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف »	٤٧٥
« أن رسول الله ﷺ قال حين جاءه »	٢٧٠
« أن رسول الله ﷺ كان إذا رمى الجمرة »	٤٢٩
« أن عمر قال: يا رسول الله رأيت فلانا »	٢٦٢
« أن فاطمة -عليها السلام- أتت النبي »	٢٧٠

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون؟ »	٢٦٦
« أنا مع عبدي ما ذكرني »	٢١٩ حديث قدسي
« أنت آدم الذي أغويت الناس »	٦١٢
« أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا »	٦١٢
« أنتم أعلم بأمر دنياكم »	٦٢٤
« أنتم ما برئتموني إنما برأني الله »	٥٦١
« أنه ﷺ كان يدعو بين الجمرتين »	٤٢٩
« أنه شكاً إلى رسول الله ﷺ وجعا »	٤٥٢
« إن أحدهم يسألني المسألة »	٣٣٨
« إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه »	٢٦٣
« إن أحدهم يسألني فينطلق »	٢٦٣
« إن أحاكم لا يقول الرفث »	٤٥٦
« إن أخبرتني أخبرتنيك، فأخبرهم »	٥٩٦
« إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم »	٤٥٣
« إن الدنيا حلوة خضرة »	١٩٢
« إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه »	٥٠٢
« إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة »	٢١٣
« إن الله لو عذب أهل سمواته وأرضه »	٣٥٢
« إن الله يلوم على العجز ولكن عليك »	٦٥٢
« إن المسألة كد يكذبها الرجل »	٢٨٢
« إن المسألة لا تحمل إلا لثلاثة الغارم »	٢٦٠
« إن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل »	٥٤٩

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« إن النبي لا يقتل بالإشارة »	٦٠١
« إن ربك يحب الحمد »	٤٥٤
« إن روح القدس معك مانافحت »	٤٦١
« إن في الله عزاءً من كل هالك »	١٩١
« إن لله تسعة وتسعين اسماً »	٢٩٥
« إن لله ملائكة »	١٥١
« إن من الشعر لحكمة »	٤٦١
« إن من كان قبلكم كانوا يتخذون »	٣٣٦
« إن هذا يوم جعله الله للمسلمين »	٤٣٣
« إن وسادك إذا لعريض، أن كان »	٥٢٤
« إنا لاندخل كنائسكم من أجل »	٤٧٤ أثر عن عمر <small>رضي الله عنه</small>
« إنما أنا بشر أنسى كما تنسون »	٦٠٥
« إنما جعل السعي بين الصفا والمروة »	٤٢٨
« إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث »	٦٢٠، ٢٩٣
« إنها אחتي »	٥٩٦
« إنها أوساخ الناس وإن »	٣٨٧
« إنها لاتحل لي »	٣٨٧
« إني أبرأ إلى الله أن يكون لي »	٥١٢، ٩
« إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين »	١٣٧
« إني لأتقاكم الله »	٦١٦
« أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا »	٤٧٣
« أو كلما نفرنا في الغزو خلف »	١٩٣

الحديث أو الأثر رقم الصفحة

- « أوثق عرى الإيمان الحب في الله ٦٤٧
- « أول ما خلق الله العقل ٤٨٠ موضوع
- « أول ما خلق الله العقل قال: له ٤٨١ موضوع
- « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٣٢٣، ٢٨٦

—ب—

- « بلغوا عني ولو آية ١٣٨
- « بين خلق آدم ونفخ ١٣٨

—ت—

- « تحتاج آدم وموسى ٦١٢

—ث—

- « ثلاث من كن فيه ٥٦٩
- « ثلاثة أشياء رأيتهن من ٤٠٤

—ج—

- « جاء ملك الموت إلى ٦١٣

—ح—

- « الحجر الأسود يمين ٥٩٢
- حديث آدم في التوسل ٣٩٧، ١٣٣
- حديث الأعمى ٣٨٩
- حديث الإفك ٥٦١
- حديث الكوة ٤٠٢، ١٤٤
- حكاية المنصور ٤٠٠، ١٤٢

الحديث أو الأثر رقم الصفحة

—خ—

« خرج رسول الله ٤٦٠

« خمس لا يعلمها إلا ٣٠٥

—د—

« دخل الحارث بن ٣٨٦

—ذ—

« ذلك خير لكم ٢٧٠

« ذاكر الله في الغافلين ٤٧٦

—ر—

« رب لم أظن أن ٦٢١

« ربما ذكرت قول ٢٩٥

« ربنا آتينا في الدنيا ٤٢٨

« ردفت رسول ٤٥٥

« ردوا علي ردائي ٢٥١

—س—

« السلام عليكم ٤٣٨

« سلوا الله لي ٢٤٣

« سمعت جابراً ٢٧١

« سمعت رسول ﷺ في حجة الوداع ٣١٨

« سيد الاستغفار ١٨٦

« السلام علينا ٤٣٩

الحديث أو الأثر رقم الصفحة

—ص—

« صارت الأوثان ٣٤٥

—ع—

« عبدي جعت ٢١٣

« عبدي مرضت ٥٩٤

« عرف الحق لأهله ٥٥٨

« عرفة كلها موقف ٤٣٠

« عليكم بالصدق ٣٢٣

« عودوا المريض ٢٨٠

« على أي شيء بايعتم ١٨٤

—ف—

« فإذا أحببته ٢١٨

« فإنه ليس على الأرض ٦٢٦

« فاغفر للمهاجرين ٤٦٠

« فبي يسمع وببي ٢١٦

« فيكشف عن ٤٤٧

—ق—

« قال رجل للنبي ﷺ ٢٥٣

« قال الله - تعالى - أنا مع عبدي ٢١٩

—ك—

« كان بين هذا الحبي ٢٤٩

« كاد الخمران ٥٧٢

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« كان رسول الله يعطيني	٢٨٣
« كان رسول الله بارزاً للناس	٣٠٥
« كل يمين يحلف	٣٥٤
« كلايس ثوبي	٦٠٢
« كمل من الرجال	٥٤٦
« كنت أبيت مع	٢٨٧
« كنت خلف رسول الله	٢٧٦
« كنت نبيا وآدم	١٣٨
« كلمة حق	٤٠٦ أثر عن علي بن أبي طالب

ل

« لا ألفين أحدكم	٣٨٦، ٣٥٧
« لا بأس في الصلاة	٤٧٤
« لاتزال المسألة	٢٥٨
« لاتخذوا قري عيدا	٤٣٢
« لاتخذوا قري	٤٣٢
« لاتجلسوا على القبور	٤٢٦
« لاتحل المسألة إلا	٢٥٩
« لاتسألوا الناس	٥١٤
« لاتطروني كما	٦٠٤
« لاتفعلوا، فإني لو	٢٥٢
« لاتقولوا ماشاء	٥٥٩، ٥٥٤
« لاتلحفوا في المسألة	٢٦٤

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« لاشافي إلا أنت »	٥٥٠
« لاصلاة إلا بأم »	٥١٧
« لاصلاة لجار »	٥١٧
« لاصيام لمن لم »	٥١٨
« لاعقر في الإسلام »	٤٣٢
« لاوضوء لمن لم »	٥١٧
« لايدخل النار »	٥٢٤
« لايرمى رجل »	٦٠٩
« لايستغاث بي »	١٦٢، ١٢٩، ١٢٣
« لتبعن سنن »	٤٨٣
« لتسلكن أمتي »	٤٨٣
« لست أنا أحلكم »	٢٤٧
« لعن الله اليهود »	٤٧٣، ٤٢٦، ٣٣٥، ٩
« للسائل حق وإن »	٢٨٠
« لله أشد فرحاً »	٥٧٥
« لم أنس ولم تقصر »	٦٢٤
« لم ترموني »	١٩٨ أثر عن عثمان
« لم يكذب إبراهيم »	٦٢٥، ٦١٣، ٥٩٦
« لما اقترف آدم »	٣٩٧
« لن يدخل أحد »	٦٠٥، ٣٥٠
« لو أتوا بالأمر »	٥٣٤
« لو أطعمته »	٢١٤

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« لو أن المساكين	٢٨٠
« لو صدق السائل	٢٨٠
« لو كنت متخذاً	٥١٢
« لوعده	٢١٤
« ليس أحد يحاسب	٥٢٤



« المتشيع بما لم يعطه	٦٠٢
« المؤمن القوي	٦٥١، ٢٧٤
« ماأنا حملتكم	٢٤٨، ٢٤٧
« ماأظنه يعنى التلقيح	٦٢٤
« ماتقرب إلي	٢١٧
« ماعلمت على أهلي	٥٦٥
« مامن رجل يسلم على	٣٣٩
« مامنكم من أحد	٣٥٠
« مرضت فلم تعدني	٢١٣
« من أطاعني	١٨٠
« من أن النبي	٤٣١
« من أهان لي	٢١٧
« من جهز غازياً	١٩٢
« من حلف بغير الله	٥٥٤، ٣٥٤
« من دعا إلى هدى	٤٩٧
« من سأل الناس	٢٥٧

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« من سألنا »	٢٦٢
« من عادى لي »	٢١٧
« من لا يسألنا أحب »	٥٥٥
« من نزل منزلاً »	٢٠٤
« من سمع النداء »	٥١٨
« ما بغت امرأة نبي قط »	٥٦٥ أثر عن ابن عباس والضحاك
« من نزلت به »	١٧٩
« من يستعف يعفه »	٢٦٢
« من يعذرني من رجل »	٥٦١
« مهما ينزل »	٢٧٢
— ن —	
« نهى النبي ﷺ عن العقر »	٤٣١
« نهينا أن نسأل »	٢٨٤
— ه —	
« هات وابدأ »	٤٥٤
« هذا رجل »	٥٩٦
« هم الذين لا يسترقون »	٥١٤، ٢٨٢، ٢٦٠
« هن حولي كما ترى »	٢٥١
« هيه هيه ٢٨٧ »	٤٥٥
— و —	
« من نفس عن مؤمن »	٢٨٧
« وآدم بين »	١٣٧

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« وإني والله	٢٤٩
« والذي نفسي بيده لا يسمع	٣٨٤
« والله إني	٦١٦
« والله لأرجو	٦١٦
« والله في عون	٣٢٤، ٢٨٧
« والله لأحلكم	٢٤٩
« والله لأقوم إليه	٥٥٦
« والله ما علمت على أهلي	٥٦٦
« وذاكر الله في	٤٧٦
« ولت الحمد أهله	٥٥٨ أثر عن عبدالله بن المبارك
« ولكن الله حملكم	٢٤٩
« وما من رجل يمر	٣٣٩
« ويأتيك بالأعبار	٤٦٠
« ويحك إن الله	٢٩٠
— ي —	
« يا أبا بكر، إن لكل قوم	٥٨٨
« يا جبريل أنا كنت ذلك	١٣٨
« يا حكيم ما أنكر مسألتك	٢٦٤
« يا حي يا قيوم	٦٣٢
« يا رسول الله أقول إن زوجي	٦٠٢
« يا عائشة إن	٥٦١
« يا علي عم	٤٣٨

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
« ياعمار إن الله ملكا أعطاه »	١٥٢
« ياعمرو أما علمت أن الإسلام »	١٣٦
« يافاطمة بنت محمد »	٥٤٨، ٣٨٦
« ياكعب أبشر »	٥٥٩
« يخرج قوم من »	٢٦٧
« يرحمنا الله »	٤٣٩
« يعوذ عائذ »	٤٥٣

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	الاسم
٤٥٣	١. أبو شريح الخزاعي
٥٥٧	٢. أحمد بن سلمة النيسابوري
٤٢	٣. أحمد بن بن محمد بن علي الأنصاري - ابن الرفعة
٦٣٥	٤. أحمد بن محمد الخرساني - أبو الحسين النوري
٢٨١	٥. أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي - أبو بكر
٦٣٥	٦. أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي - أبو سعيد
٦٣٩	٧. أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء البغدادي - ابن عطاء
٢٨	٨. أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري
٦٣٦	٩. أحمد بن محمد بن غالب الباهلي البصري - غلام خليل
٤٨٥	١٠. أرسطو طاليس
٤٨٦	١١. الإسكندر بن فليس المقدوني
١٢١	١٢. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - عماد الدين بن كثير
٣٠	١٣. بيارس الجاشنكير المنصوري - الملك المظفر
٤٨٥	١٤. بطليموس القلوذي
٤٨٧	١٥. ثابت بن قرة
٦٣٥	١٦. الجنيد محمد النهاوندي
١٧٤	١٧. جهم بن صفوان الراسبي
	١٨. الحسين بن الحسين بن محمد البخاري الشافعي - أبو
٢٩٤	عبد الله الحليمي

رقم الصفحة	الاسم
٤١٢	١٩. الحسين بن عبد الله بن سينا - الفيلسوف
٢٠٥	٢٠. الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي
٢٥٩	٢١. حكيم بن جبير
٢٢٦	٢٢. الخضر
	٢٣. الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي - صاحب الإمام الشافعي
٥٧٤	
٦٣٩	٢٤. رويم بن أحمد (أو محمد) يزيد بن رويم البغدادي
٢٧٩	٢٥. سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري
٢٩٨	٢٦. طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي - أبو يزيد
٤٦٦	٢٧. عبد الحق إبراهيم بن سبعين الإشبيلي - ابن سبعين
٥٠٢	٢٨. عبد الرحمن بن القاسم العتقي
٤٦	٢٩. عبد الرحمن بن محمد البكري الصقلي - عماد الدين
١٧٩	٣٠. عبد الرحمن بن محمد القرشي الحنبلي - أبو الفرج ابن الجوزي
٣٦٣	٣١. عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي - العز بن عبد السلام
٣٦٩	٣٢. عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني
٤٨٧	٣٣. عبد اللطيف بن يوسف الشافعي - ابن اللباد - ابن نقطة
٤٥	٣٤. عبد الله بن أبي زيد القيرواني
٣٨٠	٣٥. عبد الله بن سبأ
٢٠٧	٣٦. عبد الملك بن عبد الله الجويني - أبو المعالي
٥٩٧	٣٧. عبد عمرو بن صفى النعمان - أبو عامر الراهب
١٧٢	٣٨. علي بن إسماعيل الأشعري - أبو الحسن

رقم الصفحة	الاسم
٥٥٧	٣٩. علي بن حمّاذ العدل
٣٠٦	٤٠. علي بن عبد الله الشاذلي المغربي - أبو الحسن الشاذلي
٢٠٧	٤١. علي بن عقيل بن محمد البغدادي - أبو الوفاء ابن عقيل
٤٥٢	٤٢. عمرو بن سعيد بن العاص الأموي - الأشدق
٢٧٦	٤٣. الفضيل بن عياض بن مسعود الخرساني
٣٨٢	٤٤. قدامة بن مظعون الجمحي - الصحابي
٤٨٤	٤٥. كثير بن عبد الله المزني
٤٩١	٤٦. كعب بن مافع الحميري اليماني - كعب الأبحار
٥٠٢	٤٧. الميث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي
٤٩٢	٤٨. مالك بن دينار البصري
٤٨٩	٤٩. محمد بن أبي القاسم بن رشد القرطبي - ابن رشد الحفيد
٢٩	٥٠. محمد بن إبراهيم بن جماعة - بدر الدين
٢٠٥	٥١. محمد بن إسحاق الكلاباذي البخاري
٤٩٢، ٢٩١	٥٢. محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المظلي
٢٠٥	٥٣. محمد بن إسماعيل البخاري
١١	٥٤. محمد بن إسماعيل الصنعاني - الأمير الصنعاني
٢٠٧	٥٥. محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي - القاضي
	أبو يعلى
٤٦٤	٥٦. محمد بن النعمان العكبري - الشيخ المفيد
٥٥٧	٥٧. محمد بن حبان بن موسى السلمي
٢٩٩	٥٨. محمد بن سعيد القرشي - أبو عبد الله القرشي
١٧٣	٥٩. محمد بن عبد الوهاب البصري - أبو علي الجبائي

رقم الصفحة	الاسم
١٨٩	٦٠. محمد بن علي الطائي الحاتمي - ابن عربي
٤٩	٦١. محمد بن عمر بن مكّي - ابن المرحّل - ابن الوكيل
٤٨٨	٦٢. محمد بن محمد بن طرخان التركي الفارابي - أبو نصر
٤١٢	٦٣. محمد بن محمد بن محمد الغزالي - أبو حامد
٥٥٧	٦٤. محمد بن مسلم بن واره
٥٥٨	٦٥. محمد بن مصعب القرقيساني
٤٢	٦٦. محمد بن يوسف الجزري
٦٣٨	٦٧. مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي - أبو أحمد
٣٣٣	٦٨. معروف بن فيروز الكرخي
٢٩	٦٩. نصر بن سليمان المنبجي
٦١٨	٧٠. وثيمة بن موسى الفرات - أبو يزيد الوشاء
٤٩١	٧١. وهب بن منبه بن كامل الأنباري اليماني
٣٦٨	٧٢. يحيى بن يوسف الأنصاري - جمال الدين الصرصري
٤٩٠	٧٣. يحيى حبش بن أميرك السهروردي - السهروردي المقتول
٣٦٣	٧٤. يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري - أبو يوسف
٥٨٠	٧٥. يونس بن يوسف المخارقي الجزري القيني
٤٢٠	٧٦. هبة بن علي بن ملكا البدي - أبو البركات
٤٣٦	٧٧. دانيال

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

رقم الصفحة	الكلمة
٤٨	أطواق
٣٢٤	الأعراض
٣٢٧	أمارات
٢٢١	الإحسان
٢٢٣	الاصطلام
٢٥٢	الاستغاثة الكلية
٢٠٢	البراق
٥٠٧	البوى
٤٧٢	بيوت الأوثان
٤٧٢	بيوت الكواكب
٤٧٢	بيوت المقابر
٤٧٢	بيوت النيران
٣٣١	ترة
٦٢٦	التعريض
٤٦٧	التعريف
٢٤٢	التوسل
٤٥٦	ثور
٤٠٤	الجران
٤٠٤	جر جر

رقم الصفحة	الكلمة
٢٢٣	الجمع
٤١٧	الحركة الشوقية
٢٣٠	حظوظ
٣٢٩	الحوادث
١٩٩	حذف
٣٤٩	دليل الخطاب
٢٤٨	ذود غر الذرى
٤٥٦	زحل
٣٠٤	السبب
٣٣٨	سكياج
٢٥١	سمرة
٢٨٨	السنة المتواترة
٢٨٨	السنة المستفيضة (المشهورة)
٤٥٥	الشرح
٢٦٦	الشفاعة
٤١٤	الصور النوعية
١٩٤	الظهيان
٢٢٠	العارف
٤١٤	العالم السفلي
٤١٤	العالم العلوي
٤١٤	العقل الفعال
٤١٣	العلة التامة

رقم الصفحة	الكلمة
٤٣٣	العيد
٦٣٨	عيون الجمع
٢٢٤	الفرق
٦٣٨	الفرق الأول
٦٣٨	الفرق الثاني
٢٢٢	القضاء
٤٢١	القدرة المصححة
٤٢١	القدرة الموجبة
٤٨٣	القذة
٣٠٧	القطب الغوث الفرد الجامع
١٨٢	القيومية
١٩٣	الكتبة
٣٧١	الكرامة
٢١١	الكسب الأشعري
٤٠٢	الكرة
٦١٩	اللاهوت والناصوت
٣٣٦	المارن
٢١٩	المثال العلمي
٤٢٢	مستبحر
٢٢١	مشهد الإلهية
٢٣٦	مشهد الوحدة
١٩٣	النيب

رقم الصفحة	الكلمة
٤٥٦	نسر
١١٤	النفوس المفارقة
٢٤٨	النهب
٤٧٢	هياكل الصابنة
٤٧٢	هياكل الزهرة
٤٧٢	هياكل العقل
٤٧٢	هياكل العلة الأولى
٤٧٢	هياكل القمر
٤٧٢	هياكل المريخ
٤٧٢	هياكل المشتري
٤٧٢	هياكل الشمس
٤٧٢	هياكل النفس
٤٧٢	هياكل زحل
٤٧٢	هياكل عطارد

فهرس الفرق والأديان

الفرقة	رقم الصفحة
الأشاعرة	١١٩
الأشعريون	٢٧٠
أصحاب أبي حنيفة	٢٠٦
أهل الحلول والاتحاد	١٧٠
أهل السنة	١٧٥
أهل الكلام	١١٢
إخوان الصفا	٤٧٨
الإسماعيلية الاتحادية	٢٥٤
البكرية	٤٥
التتار	٢٤٦
جمهور أصحاب مالك وأحمد	٢٠٦
الجهمية	٢٠٩
حذاق الملحدين	٢٣٥
الحلولية من النصارى	١٧٨
الحنفاء	٤٧٦
الخوارج	٢٨٩
الروم الصابئة	٤٨٤
الروم المنتصرة	٤٨٤
السالية	٣٧٩
السبئية	٣٨٠

الفرقة	رقم الصفحة
السوفسطائيون	٦٣٩
المصابنة	٤١٠
الصوفية	١٧٨
الطريقة البكرية الصوفية	٤٦
العبيديون	٤٩٤
غالية الشيعة	١٧٨
الغالية في الأئمة	٢١٣
الفلاسفة	٤١٢
المقبورية	١٠
القدرية	٢٠٠
الكرامية	٢٠٦
مذهب الجبرية	٢٤٧
المرجئة	١١٢
المشائين	٤٩٠
المعتزلة	١٧٣
المعتزلة البصريون	٢٠٩
التصاري	٢٤١
التصيرية	٤٩٦
اليهود	٢٢٨
اليونانية	٥٨٠

فهرس الأماكن والبلدان

رقم الصفحة	اسم المكان
٥٠٦	البراني يا حليم (البراني)
٤٨٦	البطائح
٦٣٨	بغداد
٤٦٦	البنور
٤٦٦	بيت المقدس
٢٦٩	تبوك
٤٣٥	تسر
٤٨٦	الجزيرة
٤٧٨	الحجاز
٤٨٨	حران
٤٣٧	خرسان
١٩٤	زمزم
٤٣٧	الشام
٢٤٦	الصين
٤٣٧	العراق
٥٠١	العليقة
٤٩٢	القاهرة
٥٠٥	قبر أبي بن كعب بدمشق
٥٠٣	قبر نوح بسفح جبل لبنان
٥٢	القرافة

رقم الصفحة	اسم المكان
٤٦٦	المدينة
٢٨١	مرو الروذ
٤٣٤	مسجد سليمان
٥٠٤	مشهد رأس الحسين بالقاهرة
٤٣٧	مصر
٤٨٤	مقدونية
٤٦٦	مكة
٥٠١	النيقة
٤٦٦	الهند
٤٣٧	اليمن

فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب

الكتاب	رقم الصفحة
الآثار العلوية لأرسطو	٤٩٠
تفسير الطبري	٦١٨، ٤٤٣
تفسير العرفي	٤٤٢
التوراة	٤٢٢
خلق أفعال العباد	٢٠٥
رسائل إخوان الصفا	٤٧٨
السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم للرازي	٤٨١
السماء والعالم لأرسطو	٤٩٠
سمع الكيان لأرسطو	٤٩٠
شرح السنة للبغوي	٢٠٥
الصارم المسلول على شاتم الرسول	٥٧٦، ٤٠٧
	٦٠٢، ٥٩٠
صحيح البخاري	٤٤٢، ٢٦١
صحيح مسلم	٢٦١، ١٩٤
الصحيحان	٤٧٣
طبقات النساك لابن الاعرابي	٦٣٥
الفصوص لابن العربي	١٨٩
كتاب الأموال لأبي عبيد	٥٥٨
كتاب المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والنام	٤٦٥، ٣٦٨

الكتاب	رقم الصفحة
(مصباح الظلام في المستفيين بخير الأنام في اليقظة والنام)	
انجسطي لبيطلموس	٤٨٥
مسند الإمام أحمد	٥٥٨، ٤٥٤
الملل والنحل للشهرستاني	٤٧٧
مناسك حج المشاهد للمفيد	٤٦٤
منسك الحج للإمام أحمد	٣٦٤

فهرس الشعر

رقم الصفحة	القائل	عدد الآيات	القافية	أول البيت
٥٢	محمد العميدي	١	القرالة	إذا ماضاق
٤٥٩	أمية بن أبي الصلت	١	لالم	إن تغفر اللهم
٤٦٢	عمرو الخزاعي	٢	المؤكد	إن قريشا
٤٦٣	كعب بن زهير	١	مكيول	بانت سعاد
٥٨١	يونس القيني	٤	خارة	تعالموا لخرب
٢١٩		٢	فأذكره	حاضر في القلب
٣٠٨	البوصيري	٤	واحتكم	دع مادعته
١٥٥	ابن عربي	١	المكلف	الرب حق
٤٥٦	أمية بن أبي الصلت	٢	مرصد	زحل وثور
٢١٩	الجنيد	١	فأذكره	ساكن في
٤٥٣		٢	الباري	ستور بيك
٤٥٧	ابن رواحة	٣	الكافرينا	شهدت
٦٣١		١	الضرر	عوذوا بغير
١٩٤	الأحول الكندي	١	طهيان	فليت لنا
٥٢	البكري	٢	وسلم	كن يا علي
٤٥٨	عبد المطلب	١	حلالك	لاهم إن
٤٦٠	ابن رواحة	٢	والمهاجرة	اللهم إن
٤٥٨	ابن رواحة	١	ولا صلينا	اللهم لولا

أول البيت	القافية	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
مجدا الله	كبيرا	٣	أمية بن أبي الصلت	٤٥٥
موسى على الطور	حتى جا	١		٥٨١
وأبيض يستسقى	للأرامل	١	أبو طالب	٢٩٥
وانا صرخت في	هج	٢	يونس القيبي	٥٨٢
وفينا رسول	ساطع	٢	ابن رواحة	٤٥٧
وكل كلام	ونظامه	١	ابن عربي	٢١٣
وكم من	السقيم	١	المتنبي	٥٩٢
ومن عجي	معي	٢	الجنيد	٢٢٠
يا خائفين	أبي عمر	١		٦٣١
يا رسول الله	قيلا	٢	الصرصري	٣٦٨
يامن ألود	أحاذره	٢	المتنبي	٥٩٢

فهرس المصادر والمراجع

— أ —

- ١- الآيات البينات في عدم سماع الأموات تأليف نعمان الألوسي تحقيق الألباني الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان .
- ٢- أحكام الجنائز وبدعها للألباني الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض - السعودية.
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام للأمدي تعليق عبدالرزاق عفيفي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ٤- الإختيار لتعليل المختار تأليف عبدالله الموصلي الحنفي تعليق محمود أبو دققة الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ الناشر دار المعرفة.
- ٥- أزواج النبي ﷺ تأليف محمد بن يوسف الصالحى الدمشقي تحقيق محمد نظام الدين الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن كثير دمشق، بيروت.
- ٦- أصول الفقه تأليف د.محمود أبوالنور زهير طبعة ١٤١٢ هـ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة.
- ٧- أصول مذهب الشيعة الإمامية تأليف د.ناصر القفاري الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.
- ٨- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية تأليف عمر بن علي البزار تحقيق زهير شاويش الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ٩- الأعلام تأليف خير الدين الزركلي الطبعة العاشرة ١٩٩٢ م الناشر دار العلم للملايين بيروت لبنان.
- ١٠- أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ج٨.

- ١١- آكام المرجان في عجائب وغرائب الجان تأليف بدر الدين الشبلي الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان.
- ١٢- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي تحقيق مصطفى عاشور الناشر مكتبة القرآن - القاهرة .
- ١٣- الأموال لأبي عبيد بن سلام تحقيق محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- ١٤- أهوال القبور في أحوال أهلها إلى التشور لابن رجب طبعة ١٣٥٧ هـ مطبعة أم القرى مكة المكرمة .
- ١٥- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف محمد الشيباني الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- ١٦- أول واجب على المكلف تأليف الشيخ عبد الله الغيمان الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور - مصر.
- ١٧- أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي تأليف عبد الرحمن دمشقية الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض - السعودية.
- ١٨- الأولياء لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، الناشر مكتبة القرآن القاهرة ومكتبة الساعى الرياض - السعودية.
- ١٩- إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء تأليف عبد الله بن محمد الحسيني الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.
- ٢٠- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (صحيح ابن حبان) لعلاء الدين علي بن بلبان تحقيق شعيب الأرنؤوط الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- ٢١- إرشاد السالك إلى أفعال الناسك لابن فرحون المالكي تحقيق محمد المهادي الطبعة الثلاثية الرابعة لسنة ١٩٨٨ م الناشر وزارة الثقافة والأعلام بتونس.

- ٢٢- إقامة الحجّة والدليل وإيضاح الحجّة والسبيل تأليف سليمان بن سحمان الحنبلي تحقيق عبدالسلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر ودار العاصمة الرياض.
- ٢٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية تحقيق د. ناصر العقل الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة الرشد - الرياض .
- ٢٤- الإلحادية لأبي إسلام مصطفى سلامة الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر دار التقوى ومكتبة خالد بن الوليد عمان - الأردن.
- ٢٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجلد أحمد بن حنبل تأليف علاء الدين علي بن سليمان المرادوي تحقيق دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- ٢٦- إيقار الحق على الخلق لابن المرتضى اليماني طبعة مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم جدة.
- ٢٧- الانتهاج بأذكار المسافر والحاج للسخاوي تحقيق رضوان محمد رضوان الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ الناشر دار الكتاب - مصر.
- ٢٨- ابن تيمية السلفي تأليف محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٢٩- ابن سبعين وفلسفته الصوفية تأليف د. أبو الوفا الغنيمي الفتازاني، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م، الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان.
- ٣٠- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي طبعة ١٣٥٦ هـ لجنة نشر الثقافة الإسلامية وبذيله تخريج الإحياء.
- ٣١- إخوان الصفا تأليف عمر الدسوقي الطبعة الثالثة الناشر دار النهضة القاهرة - مصر.
- ٣٢- الأدب المفرد تأليف محمد بن إسماعيل البخاري، ترتيب كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان.

- ٣٣-الأذكار، تأليف محي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر دار الهدى الرياض.
- ٣٤-الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني تحقيق أسعد تميم الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان.
- ٣٥-الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ط. الثانية ١٣٧٦هـ بأمر الملك سعود رحمه الله .
- ٣٦-الاستذكار لابن عبد البر تحقيق علي ناصف النجدي طبعة إحياء التراث الإسلامي الجمهورية العربية المتحدة.
- ٣٧-الاستقامة لابن تيميه تحقيق د.محمد رشاد سالم الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة السنة القاهرة - مصر.
- ٣٨-الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعه تأليف نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور ملا علي القاري تحقيق د.محمد لطفي الصباغ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، الناشر المكتب الإسلامي بيروت.
- ٣٩-أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة تأليف د.عمر بن سليمان الأشقر الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الناشر دار النفائس عمان الاردن.
- ٤٠-الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي، تحقيق عمادالدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- ٤١-أسماء ومؤلفات ابن تيمية تأليف ابن القيم تحقيق د.صلاح المنجد الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.
- ٤٢-الإصابة في تمييز الصحابة تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر الفجالة القاهرة.
- ٤٣-اصطلاحات الصوفية تأليف كمال الدين عبدالرزاق الكاشي السمرقندي طبعة سلسلة إشاعة العلوم - القاهرة.

٤٤- إصلاح المساجد من البدع والعوائد تأليف محمد بن جمال الدين القاسمي
تخريج وتعليق الألباني الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت

٤٥- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان تأليف الإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن
قيم الجوزية تحقيق محمد عفيفي الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ الناشر المكتب
الإسلامي بيروت لبنان، ومكتبة الخاني الرياض - السعودية.

٤٦- الإغاثة بأدلة الاستغاثة بالنبي ﷺ تأليف حسن علي السقاف الطبعة الأولى
١٤١٠هـ الناشر مكتبة الإمام النووي عمان - الاردن.

٤٧- الإيضاح في المناسك للنووي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

-ب-

٤٨- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة تحقيق عادل عبد المنعم الناشر
مكتبة الساعى - الرياض .

٤٩- بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق بشير عيون الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر
مكتبة المؤيد الرياض - السعودية.

٥٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف محمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد
(الحفيد) طبعة مكتبة الرياض الحديثة الرياض - السعودية.

٥١- البداية والنهاية تأليف إسماعيل بن كثير تحقيق أحمد فتيح الطبعة الأولى
١٤١٣هـ الناشر دار الحديث القاهرة - مصر.

٥٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف محمد بن علي الشوكاني
الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، الناشر مطبعة السعادة - مصر.

٥٣- البدع والنهي عنها لابن وضاح الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ الناشر دار الرائد
العربي بيروت - لبنان.

٥٤- بهجة النفوس وتحليلها بجمرفة ماها وما عليها، لأبي محمد عبدالله بن أبي حمزة الأندلسي/شرح مختصر صحيح البخاري المسمى "جمع النهاية في بدء الخير والغاية" الطبعة الثالثة، الناشر دار الجيل - بيروت.

٥٥- بيت الصديق تأليف محمد بن توفيق البكري ط . ١٣٣٣هـ الناشر مكتبة المؤيد - القاهرة .

- ت -

٥٦- تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبدالله مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين الأصفر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت ودار الإشراف بيروت - لبنان.

٥٧- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) تأليف محمد بن جرير الطبري الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٥٨- تاريخ الجهمية والمعتزلة تأليف جمال الدين القاسمي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٥٩- تاريخ الخلفاء، تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ الناشر مطبعة المدني القاهرة

٦٠- تاريخ الفلسفة اليونانية تأليف يوسف كرم طبعة دار القلم بيروت - لبنان.

٦١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الخفاجي القاهرة والمكتبة العربية بغداد .

٦٢- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب تأليف محمد لطفي جمعة الناشر المكتبة العلمية.

٦٣- تاريخ مدينة دمشق ، تأليف الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق د. شكري فيصل، سكية الشهابي، ومطاع الطرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٦٤- التعريفات تأليف علي الجرجاني الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٦٥- تحفة الأحوذى للمباركفوري تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ مطبعة الجفالة الجديدة - مصر.

٦٦- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف تأليف جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، صححه وعلق عليه عبدالصمد شرف الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الدار القيمة بمبای - الهند مع النكت الظراف على الأطراف لابن حجر.

٦٧- تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس تأليف عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ تحقيق عبدالسلام بن برجس الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

٦٨- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح آل مهدي تصحيح د. عبدالرحمن المحمود الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار الوطن الرياض - السعودية.

٦٩- تنقيح أحاديث متقدمة في كتاب التوحيد تأليف فريح البهلال للطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار الأثر الرياض - السعودية.

٧٠- تذكرة الموضوعات تأليف محمد طاهر بن علي الهندي ١٣٩٩هـ طبعة الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان وفي ذيلها قانون الموضوعات والضعفاء.

٧١- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي تحقيق د. السيد الجميلي الناشر دار ابن زيدون بيروت - لبنان ومكتبة مدبولي القاهرة - مصر.

٧٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاظمي عياض تحقيق أحمد بكير طبعة دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان .

* طبعة أخرى : تحقيق سعيد اعراب ط. الأولى مطبعة فضالة الحمدي بالمغرب.

- ٧٣-الزغب والرهيب للمندري ضبط وتعليق مصطفى عمارة طبعة ١٤٠١هـ
الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.
- ٧٤-التصوف المنشأ والمصادر تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور - باكستان.
- ٧٥-التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف محمد بن إسحاق الكلاباذي ضبط
وتخريج أحمد شمس الدين الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان.
- ٧٦-تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر العسقلاني تحقيق
د.أحمد المبارك الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ٧٧-تغليق التعليق على صحيح البخاري، تأليف أحمد بن علي بن حجر
العسقلاني، تحقيق سعيد عبدالرحمن موسى القزفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
الناشر المكتب الإسلامي بيروت - دمشق، ودار عمار عمان - الاردن.
- ٧٨-تفسير الفخر الرزاي المشتهر ب"التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، تأليف
فخرالدين محمد بن عمر الرازي طبعة ١٤١٠هـ، الناشر دار الفكر - بيروت.
- ٧٩-تفسير القرآن العظيم تأليف ابن كثير طبعة ١٤٠٣هـ الناشر دار المعرفة
بيروت - لبنان.
- ٨٠-تقريب التهذيب تأليف ابن حجر العسقلاني تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا
الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٨١-تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم محمد الغرناطي تحقيق د.محمد
المختار الشنقيطي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة،
ومكتبة العلم جدة.
- ٨٢-التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين العراقي تحقيق
عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة
المنورة - السعودية.

- ٨٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر تحقيق عبد الله صديق.
- ٨٤- تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدارس والخلي تأليف أحمد بن عيسى الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور - مصر.
- ٨٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تأليف محمد بن أحمد الملطي الشافعي تحقيق يمان بن سعد الدين الميادين الطبعة الأولى ١٤٤٤ هـ الناشر رمادي الدمام - السعودية.
- ٨٦- تهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق د. سليمان دنيا الطبعة السادسة الناشر دار المعارف القاهرة - مصر.
- ٨٧- التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل - لابن خزيمة تحقيق د. عبد العزيز الشهوان الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية .
- ٨٨- التوحيد ومعرفة أسماء الله - عز وجل - وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده تحقيق د. علي الفقيهي الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة - السعودية.
- ٨٩- التوسل أنواعه وأحكامه للألباني تنسيق محمد عيد العباسي الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ٩٠- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والمنوع تأليف محمد نسيب الرفاعي الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ.
- ٩١- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولى الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.

- ج -

- ٩٢- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) تأليف محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- ٩٣- جامع الترمذي تأليف محمد بن عيسى الترمذي عنبة د. بدر الدين جنتي آر
الطبعة الثانية: ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون - تونس .
- ٩٤- جامع العلوم والحكم تأليف ابن رجب تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم
باجس الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .
- ٩٥- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ (لم
يذكر الناشر) تصحيح أحمد السردوني شاركة في التصحيح بعد المجلد الرابع
إبراهيم طقيش وبشندي خلف الله ومحمد محمد حسين .
- ٩٦- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ الناشر مطبعة
دائرة المعارف العثمانية بميدان آباد الدكن - الهند .
- ٩٧- جزء في عقيدة ابن عربي وحياته من كتاب العقد الثمين لتقي الدين الفاسي
عناية علي حسن عبد الحميد الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن الجوزي
الدمام - السعودية .
- ٩٨- جزء منتقى من حديث ولي الدين العراقي تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي -
مجلة الحكمة العدد الخامس في شهر شوال ١٤١٥ هـ .
- ٩٩- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرورية تأليف شمس الدين الأفغاني ط.
الأولى ١٤١٦ هـ الناشر دار الصميعي الرياض .

ح

- ١٠٠- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم تحقيق علي الشربجي وقاسم
نوري الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .
- ١٠١- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدي
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .
- ١٠٢- الحاوي للفتاوى، تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي،
طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان .

١٠٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة إملأ قوام السنة الأصهباني تحقيق محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الراجعية الرياض - السعودية.

١٠٤- حديث الإفك تأليف عبدالغني المقدسي تحقيق هشام المسقا طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية.

١٠٥- حسن المحاضرة تأليف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي تحقيق محمد إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ طبعة عيسى البابي الحلبي.

١٠٦- حقيقة الجن والشياطين تأليف محمد علي السيداني الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار الحارث الخرطوم - السودان.

١٠٧- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى تأليف د. محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة لينة دمنهور.

١٠٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

١٠٩- الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي تحقيق علي حسن عبد الحميد الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام.

١١٠- حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي تحقيق د. أحمد الغامدي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر مكتبة العلوم والحكمة المدينة المنورة - السعودية.

-خ-

١١١- ختم الولاية تأليف الحكيم الترمذي تحقيق عثمان إسماعيل يحيى طبعة المطبعة الكاثوليكية بيروت - لبنان.

١١٢- الخضر وأثره بين الحقيقة والخرافة تأليف أحمد الحصين الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار البخاري بريدة - السعودية.

١١٣- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل تأليف محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان.

١١٤- خوارق العادات، تأليف مجدى محمد الشهاوي، الناشر مكتبة الفرات القاهرة - مصر.

-د-

١١٥- دائرة المعارف الإسلامية، تأليف مجموعة من المستشرقين، ترجمها للعربية أحمد الشنتاوي، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس راجعها د. محمد مهدي علام، الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

١١٦- دائرة معارف القرن العشرين، تأليف محمد فريد وجدي، الطبعة الثانية ٣٤١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين

١١٧- دحض شبهات على التوحيد من الفهم لثلاثة أحاديث تأليف عبد الله أبابطين الحبلي تحقيق عبدالسلام بن برجس الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١١٨- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني تحقيق أبي عبد الله الحلبي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض.

١١٩- الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد تأليف صالح العصيمي الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر دار ابن خزيمة الرياض - السعودية.

١٢٠- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم طبعة دار الكنوز الأدبية.

١٢١- دراسات في التصوف تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر ادارة ترجمان السنة لاهور - باكستان.

١٢٢-دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين تأليف د.أحمد جلي الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض - السعودية.

١٢٣-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني طبعة دار الجليل بيروت - لبنان.

١٢٤-دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد تأليف عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار العاصمة -الرياض.

١٢٥-الدعوات الكبرى لأبي بكر البيهقي تحقيق بدر البدر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مركز المخطوطات والاثاث والوثائق - الكويت.

١٢٦-دعوة التوحيد تأليف د.محمد خليل هراس الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

١٢٧-دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق د.محمد رواس وعبدالبر عباس الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ الناشر دار النفائس بيروت لبنان.

١٢٨-دلائل النبوة للبيهقي تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٢٩-ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت الطبعة الأولى ١٩٣٤م الناشر المكتبة الاهلية بيروت - لبنان.

١٣٠-ديوان الأمير الصنعاني للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني قدم له وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ مطبعة المدني القاهرة على نفقة الشيخ علي عبد الله آل ثاني.

١٣١-ديوان البوصيري لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٣٢- ديوان المتنبي طبعة ١٤٠٣ هـ الناشر دار صادر بيروت.

١٣٣- ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، جمع د. وليد قصاب الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ دار العلوم.

ذ-

١٣٤- ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين للعبادي تحقيق د. أحمد عمر هاشم ود. محمد زينهم طبعة المكتبة الثقافية الدينية بور سعيد - مصر.

١٣٥- الدليل على طبقات الحنابلة تأليف ابن رجب تصحيح محمد حامد الفقي طبعة ١٣٧٢ هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

١٣٦- ذيل العبر في خبر من غير تأليف شمس الدين محمد الذهبي تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

ر-

١٣٧- رأس الحسين لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ج ٢٧.

١٣٨- الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر العسقلاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية تصحيح إدارة الطباعة المنيرية طبعة ١٣٤٣ هـ الناشر مكتبة طيبة الرياض.

١٣٩- الرد على الأختاني لابن تيمية بهامش الرد على البكري طبعة ١٣٤٦ هـ.

١٤٠- الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي تخريج وتعليق بدر البندر الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ الناشر الدار السلفية حولي - الكويت.

١٤١- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد تحقيق د. عبد الرحمن عميرة الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية.

١٤٢- الرد على شبهات المستغنين بغير الله تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ضمن الجامع الفريد الطبعة الثانية على نفقة عبدالعزيز ومحمد الجميح.

- ١٤٣- رسائل إخوان الصفا المقدمة لبطرس البستاني طبعه ١٣٧٦هـ الناشر دار صادر بيروت - لبنان.
- ١٤٤- الرسالة للإمام محمد بن أدریس الشافعي تحقيق أحمد شاکر طبعه دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ١٤٥- رسالة الشرك ومظاهره تأليف مبارك محمد الملي طبعه الأولى ١٤٠٩هـ الناشر مكتبة الإيمان الإسكندرية-مصر .
- ١٤٦- الرسالة القشيرية تأليف عبدالکريم القشيري تحقيق د.عبدالحميد محمود ومحمود الشريف.
- ١٤٧- رسالة في وجوب التوحيد تأليف محمد علي الشوکاني تحقيق د.محمد ربيع مدخلي طبعه الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار المنار القاهرة - مصر.
- ١٤٨- الرسل والرسالات تأليف د.عمر بن سليمان الأشقر طبعه الرابعة ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الفلاح ودار النفائس الكويت.
- ١٤٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف الألوسي البغدادي، الناشر مكتبة دار التراث - القاهرة.
- ١٥٠- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية تأليف الحسن بن عبدالحسن المشهور بابي عذبة تحقيق د.عبدالرحمن عميرة طبعه الأولى ١٤٠٩هـ الناشر عالم الكتب بيروت - لبنان.
- ١٥١- روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي أشرف على طبعه زهير الشاويش طبعه الثانية ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ١٥٢- روضة الناظر ووجه المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي تحقيق عبدالکريم النملة طبعه الأولى ١٤١٣هـ.

١٥٣- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت ومكتبة المنار الكويت.

١٥٤- الزهد الكبير للبيهقي تحقيق د. تقي الدين الندوي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر دار القلم الكويت.

١٥٥- الزهر النضر في نبأ الخضر تأليف ابن حجر العسقلاني ضمن مجموعة الرسائل المنبرية طبعة مكتبة طيبة الرياض - السعودية.

١٥٦- الزواجر عن اقوال الكبائر ويليهِ كف الرعاع والإعلام بقواطع الإسلام تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيثمي، الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ.

- س -

١٥٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها تأليف محمد ناصر الدين الألباني، ج١ وج٢ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت ج٥ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض .

١٥٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني، ج١ الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت ج٢ الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة المعارف الرياض

١٥٩- سنن أبي داود تأليف سليمان بن الأشعث السجستاني عناية د. بدر الدين جنتن آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس .

* طبعة أخرى : تحقيق محمد عبد الحميد محي الدين .

١٦٠- سنن ابن ماجه تأليف محمد بن يزيد بن ماجه تحقيق د. محمد الأعظمي الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ الناشر شركة الطباعة العربية السعودية - الرياض.

١٦١- سنن الدارقطني تأليف علي بن عمر الدارقطني تصحيح عبد الله هاشم يماني المدني طبعة دار المحاسن للطباعة القاهرة وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق آبادي.

١٦٢- سنن الدارمي تأليف عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عناية وتعليق د. بدر الدين جنتي آر الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون - تونس.

١٦٣- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد البيهقي وبذيله الجوهر النقي لابن الزكمانى طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٦٤- سنن النسائي تأليف أحمد بن شعيب النسائي عناية د. بدر الدين جنتي آر الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون تونس.

١٦٥- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط الطبعة السادسة ١٤٠٩ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

١٦٦- سير الأولياء في القرن السابع تأليف صفى الدين الحسين الأنصاري تحقيق مأمون ياسين وعفت وصال الطبعة الأولى الناشر دار العالم بيروت - لبنان.

١٦٧- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين الناشر المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

— ش —

١٦٨- شبهات التصوف تأليف عمر قريشي الناشر دار الهدى القاهرة - مصر.

١٦٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب تأليف عبد الحى بن عماد الحنبلي الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ الناشر دار المسيرة بيروت - لبنان.

١٧٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله اللالكاني تحقيق د. أحمد سعد حمدان الطبعة الثانية ١٤١١ هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.

- ١٧١- شرح الأصول الخمسة تأليف القاضي عبد الجبار المعتزلي تعليق أحمد بن الحسين تحقيق د. عبدالكريم زيدان الطبعة الثالثة رمضان ١٤٠٨ هـ الناشر مكتبة وهبة القاهرة.
- ١٧٢- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٥ هـ.
- ١٧٣- شرح التحفة الوردية لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردى، تحقيق د. عبدالله الشلال، طبعة ١٤٠٩ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.
- ١٧٤- شرح السنة تأليف الحسين بن مسعود الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت لبنان.
- ١٧٥- شرح العقائد النسفية تأليف سعد الدين التفتازاني تحقيق د. أحمد حجازي السقا الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - مصر.
- ١٧٦- شرح العقيدة الطحاوية شرح ابن أبي العز الحنفي خرج أحاديثها العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني الطبعة الثامنة ١٤٠٤ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ١٧٧- شرح المقاصد تأليف سعد الدين التفتازاني تحقيق د. عبدالرحمن عميرة الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت - لبنان.
- ١٧٨- شرح حديث حصين بن عمران لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ج ١٨٨.
- ١٧٩- شرح ذات الشفا تأليف محمد بن الحاج الكردي تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي وصابر الزبياري الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار عالم الكتب بيروت - لبنان.
- ١٨٠- شرح صحيح مسلم تأليف محي الدين النووي مراجعة خليل الميس الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.
- ١٨١- شرح مستند الإمام أحمد شرح أحمد شاكر الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ الناشر دار المعارف - مصر.

- ١٨٢- شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني تعليق محمد الصباغ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ الناشر مكتبة الغزالي دمشق.
- ١٨٣- الشريعة للأجري تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ الناشر مطبعة السنة المحمدية.
- ١٨٤- شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي الطبعة الثانية ١٩٧٨م الناشر دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان.
- ١٨٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف ابن قيم الجوزية تحرير وتعليق مصطفى الشلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي جدة - السعودية.
- ١٨٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض تحقيق محمد أمين وآخرين طبعة مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن دمشق.
- طبعة أخرى: بتحقيق محمد البجاوي طبعة دار الكتاب العربي.
- ١٨٧- الشفاعة تأليف عبد الرحمن بن مقبل بن هادي الوادعي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ الناشر مكتبة دار الأرقم - الكويت.
- ١٨٨- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي تحقيق نجم عبدالرحمن الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الفرقان عمان - الاردن، ومؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- ١٨٩- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق تأليف يوسف النبهاني الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ الناشر مكتبة مصطفى البابي وأولاده - مصر.
- ١٩٠- شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين جمع صلاح الدين المنجد الطبعة الأولى ١٩٦٧م الناشر دار الكتاب الجديد بيروت - لبنان.

- ص -

- ١٩١- الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عيد الهادي تحقيق أبي عبدالرحمن السلفي الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر مؤسسة الرياض - بيروت .
- ١٩٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، مصوره عن الطبعة الأميرية، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
- ١٩٣- صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. مصطفى الأعظمي الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ش الطباعة العربية السعودية المحدودة.
- ١٩٤- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري للعلامة الألباني الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ الناشر دار الصديق الجليل - السعودية.
- ١٩٥- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق محمد علي قطب طبعة ١٤١١ هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت - لبنان.
- ١٩٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته تأليف العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ١٩٧- صحيح سنن أبي داود للألباني الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ١٩٨- صحيح مسلم للإمام محمد بن الحجاج القشيري عناية وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبعة ١٤١٣ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ١٩٩- صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي عبدالقادر السقاف الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الهجرة الرياض - السعودية.
- ٢٠٠- الصفات للدارقطني تدقيق وتعليق عبد الله الغنيمة الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ الناشر مكتبة الدار المدينة المنورة - السعودية.

٢٠١- صفة الساق لله - تعالى - بين إثبات السلف وتعطيل الخلف لمحمد بن موسى
نصر الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - الناشر مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة -
السعودية.

٢٠٢- الصفدية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ -
الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٢٠٣- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكانى تحقيق
محمد ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - الناشر دار الخريز القاهرة - مصر.

٢٠٤- الصواعق المرسله الشهابية تأليف سليمان بن سحمان الحنبلى تحقيق
عبد السلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩ هـ - الناشر دار العاصمة - الرياض.

٢٠٥- الصوفية في نظر الإسلام تأليف سميح عاطف زين الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ -
الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ودار الكتاب المصري القاهرة -
مصر.

٢٠٦- صيانة الإنسان عن وموسة دحلان تأليف محمد السهسواني الهندي الطبعة
الرابعة ١٤١٠ هـ - الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بمكة.

- ض -

٢٠٧- ضعيف الأدب المفرد للخوارى للعلامة الألباني الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ -
الناشر دار الصديق الجليل - السعودية.

٢٠٨- ضعيف الجامع الصغير وزياداته الفتح الكبير تأليف محمد ناصر الدين
الألباني الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ.

٢٠٩- ضعيف سنن أبي داود تأليف محمد ناصر الدين الألباني وأشرف على
استخراجه زهير الشاويش الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - المكتب الاسلامي بيروت
لبنان.

٢١٠- ضعيف سنن ابن ماجه للألباني أشرف على طبعه زهير الشاويش الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

- ط -

٢١١- طبقات الأطباء والحكماء تأليف سليمان بن حسان الأندلسي - ابن جليل - طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

٢١٢- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف تاج الدين عبد الوهاب السبكي تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي الطبعة الأولى طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢١٣- طبقات الشافعية تأليف جمال الدين عبد الحليم الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري طبعة ١٤٠١ هـ، دار العلوم.

٢١٤- طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير تحقيق د. أحمد عمر هاشم ود. محمد زينهم طبعة مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد - مصر.

٢١٥- الطبقات الكبرى (لوامع الأنوار في طبقات الأخيار) للشعراني الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر دار الجليل بيروت.

أخرى: الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ بالمطبعة الأزهرية الناشر ورثة محمد عبد الخالق المهدي وبهامشه الأنوار القدسية.

٢١٦- الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة ١٣٦٧ الناشر دار بيروت ودار صادر بيروت - لبنان .

٢١٧- طريق المهجرتين وباب السعادت لابن القيم طبعة ١٤١٣ هـ على نفقة محمد بن صالح بن سلطان.

٢١٨- طهارة بيت النبوة تأليف خالد الشايع الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار الجلالين ودار بلنسية الرياض - السعودية.

- ع -

٢١٩- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي تأليف ابن العربي المالكي، الناشر دار العلم - سوريا.

٢٢٠- عالم الجن والشياطين تأليف عمر سليمان الأشقر الطبعة الثانية الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٢١- عقائد الثلاث وسبعين فرقة تأليف أبي محمد اليميني تحقيق محمد عبدالله الغامدي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدين المنورة - السعودية.

٢٢٢- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي تحقيق محمد حامد الفقي الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

أخرى: مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ.

٢٢٣- عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان تأليف سليمان بن صالح الفصن إشراف د. ناصر العقل رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين ١٤٠٩ هـ.

٢٢٤- العقيدة السلفية القسم الخامس مواقف السلف مالك بن أنس تأليف محمد عبد الرحمن المغراوي الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الناشر دار المنار الخرج - السعودية.

٢٢٥- العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات تأليف محمد بن عبد الرحمن المغراوي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار المنار الرياض - السعودية.

٢٢٦- العقيدة السلفية في كلام رب البرية تأليف عبدالله الجديع الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ الناشر دار الإمام مالك ودار الصمعي الرياض - السعودية.

٢٢٧- العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله تحقيق وصي الله عباس الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٢٨- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ للعلامة صالح المقبل وبهامشه كتاب الأرواح النوافح له أيضا الناشر مكتبة دار البيان دمشق - سوريا.

٢٢٩- العلو للعلو الففار للذهبي تصحيح محمد رشيد رضا طبعة ١٣٣٢ هـ الناشر محمد أفندي نصيف .

٢٣٠- عمل اليوم والليلة لأبي بكر أحمد بن محمد إسحاق الدينوري المعروف بابن السني الطبعة الثانية ١٣٥٨ هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن - الهند.

٢٣١- عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح ابن القيم الجوزية للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبدالحسن - المكتبة السلفية - المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ.

- غ -

٢٣٢- غاية الأمان في الرد على النبهاني تأليف محمود شكري الألوسي الطبعة الثانية الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٢٣٣- غاية السؤل في خصائص الرسول لأبي حفص عمر الأنصاري المشهور بابن الملتن تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان.

٢٣٤- غريب الحديث، تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق د. عبد الله الجبوري الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ، الناشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية.

٢٣٥- غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام تأليف د. يوسف درويش غوانمه، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، الناشر جمعية عمال المطابع التعاونية عمان - الأردن.

- ف -

٢٣٦- الفتاوى الكبرى لابن تيمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٢٣٧- الفتاوى الهندية (الفتاوى المالكية) تأليف فخر الدين حسن بن منصور الهندي الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، وبهامشها فتاوى قاضيخان البزازية.

٢٣٨- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن قاسم الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

٢٣٩- الفتاوى، تأليف عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعي، خرجها عبدالرحمن عبدالفتاح، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار المعرفة - بيروت لبنان.

٢٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري تأليف ابن حجر العسقلاني رقم الأحاديث محمد فزاد عبدالباقي حقق المجلد الأول والثاني العلامة عبدالعزيز بن باز الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٢٤١- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ الناشر دار الشهاب القاهرة - مصر.

٢٤٢- فتح القدير تأليف كمال الدين محمد بن عبدالواحد طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت وبهامشه شرح العناية على الهداية .

٢٤٣- فتوح البلدان، تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري، الطبعة الأولى مطبعة الموسوعات القاهرة.

٢٤٤- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية تأليف محمد بن علان الصديقي طبعة ١٣٩٨هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

- ٢٤٥- الفتوحات المكية، تأليف محي الدين بن عربي، تحقيق د. عثمان يحيى ومراجعة إبراهيم مذكور طبعة ١٣٩٢هـ، الناشر وزارة الثقافة والأعلام بمصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٤٦- الفرج بعد الشدة للقاضي أبي علي المحسن التنوخي ط. مكتبة الخانجي - مصر ، مكتبة المثنى ببغداد .
- ٢٤٧- الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٢٤٨- الفرق بين الفرق تأليف عبدالقاهر البغدادي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.
- ٢٤٩- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية تحقيق د. عبدالرحمن اليحيى الطبعة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار طويق الرياض - السعودية.
- ٢٥٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ود. عبدالرحمن عميرة طبعة ١٤٠٥هـ الناشر دار الجليل بيروت - لبنان.
- ٢٥١- فصوص الحكم تأليف محي الدين ابن عربي تحقيق أبي العلا عفيفي طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- ٢٥٢- فضائل الصلاة على النبي تأليف إسماعيل القاضي المالكي تحقيق الألباني الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ٢٥٣- فضائل المدينة لأبي سعيد المفضل المكي تحقيق محمد الحافظ وغزوة بدير الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ الناشر دار الفكر دمشق - سوريا.
- ٢٥٤- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لأبي عبد الله البخاري تأليف فضل الله الجيلاني الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة.

٢٥٥- فضيلة الشكر لله على نعمته، لأبي بكر محمد بن جعفر السامري المعروف بالخرائطي، تحقيق محمد مطيع، د. عبدالكريم اليافي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ. الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٥٦- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي تأليف د. زكريا بشير إمام الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ. الناشر مكتبة الفلاح الكويت.

٢٥٧- فهرس الفهارس والأثبت لعبدالحسي عبدالكبير الكتاني، تحقيق د. إحسان عباس الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، دار الغرب الإسلامي - بيروت.

٢٥٨- الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدد الناشر مكتبة الأسد ومكتبة الجعفري - طهران.

٢٥٩- فوائد حديثة تأليف ابن القيم تحقيق مشهور بن حسن وإياد القيسي الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. الناشر دار ابن الجوزي الدمام السعودية.

٢٦٠- الفيء والغنيمة ومصارفهما تأليف محمد الربيع الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبدالرزوف المناوي الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ. الناشر المكتبة التجارية مصر.

ق -

٢٦٢- قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق ربيع المدخلي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. الناشر مكتبة لينة دمنهور.

٢٦٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ. الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٦٤- قرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن الحنبلي تحقيق بشير عيون الطبعة الأولى ١٤١١هـ. الناشر مكتبة المؤيد الطائف السعودية ومكتبة دار البيان دمشق - سوريا.

٢٦٥- قصص الأنبياء لابن كثير الطبعة الثامنة ١٤٠٨ هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.

٢٦٦- قصيدة البردة لكعب بن زهير شرح أبي البركات ابن الانباري، تحقيق د. محمود حسن زيني دحلان الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ تهامة للنشر والتوزيع - الرياض.

٢٦٧- القضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار النشر الدولي الرياض السعودية.

٢٦٨- القضاء والقدر في الإسلام تأليف د. فاروق الدسوقي الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٦٩- الفناعة والتعفف لابن أبي الدنيا تحقيق مجدي السيد إبراهيم طبعة مكتبة القرآن القاهرة - مصر.

٢٧٠- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيح تأليف شمس الدين عبدالرحمن السخاوي الطبعة الثالثة ١٣٩٧ الناشر المكتبة العلمية المدينة المنورة - السعودية.

٢٧١- القول الرشيد في حقيقة التوحيد تأليف سليمان العلوان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الناشر دار المنار - الرياض السعودية.

٢٧٢- القول المفيد على كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد العثيمين عناية د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيخ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.

ـكـ

٢٧٣- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل تأليف موفق الدين بن قدامة المقدسي الطبعة الثانية الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٢٧٤- الكامل في ضعفاء الرجال تأليف أحمد بن عدي تحقيق د. سهيل ركاز تدقيق يحيى غزاوي الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.

- ٢٧٥-الكبريت الأحمر للشعراني طبعة ١٣٧٨هـ الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بهامش اليواقيت والجواهر للشعراني ايضا.
- ٢٧٦-الكتاب المقدس -التوراة- طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- ٢٧٧-الكرامة تأليف عبد الله العنقري رسالة ماجستير في قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الملك سعود.
- ٢٧٨-كشاف القناع عن متن الإقناع تأليف منصور البهوتي راجعه هلال مصيلحي هلال طبعة ١٤٠٢هـ الناشر دار الفكر بيروت - لبنان.
- ٢٧٩-كشف أسرار الباطنية تأليف محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني تحقيق محمد عثمان الخشت طبعة مكتبة ابن سينا القاهرة - مصر.
- ٢٨٠-كشف الأسرار تأليف روح الله الخميني ترجمة للعرييه د.محمد البنداري وعلق عليه سليم الهلالي وقدم له د.محمد الخطيب الطبعة الثانية الناشر دار عمار عمان - الاردن
- ٢٨١-كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث، تأليف إسماعيل بن محمد العلجوني، الطبعة الثانية ١٣٥١هـ الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٨٢-كشف المتواري من تلبيسات الغماري تأليف علي حسن عبد الحميد الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار ابن الجوزي الدمام - السعودية.
- ٢٨٣-الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف محمود عبدالرؤوف قاسم الطبعة الثانية ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.
- ٢٨٤-كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس تأليف عبدالرحمن بن حسن تحقيق عبدالعزيز الزير آل حمد النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.
- ٢٨٥-الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي مقابلة وطبع د.عدنان درويش ومحمد المصري الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان.

٢٨٦-الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية تأليف مرعي الكرمي الحنبلي
تحقيق نجم عبدالرحمن الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان.

- ل -

٢٨٧-اللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة تأليف جلال الدين السيوطي الطبعة
الثالثة ١٤٠١هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

٢٨٨-اللباب شرح الكتاب تأليف عبدالغني الحنفي تحقيق محمود أمين النواوي
طبعة دار الحديث.

٢٨٩-اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين أبي الحسن ابن الأثير طبعة
١٣٥٧هـ الناشر مكتبة القدسي القاهرة - مصر.

٢٩٠-لسان العرب لابن منظور الطبعة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الفكر بيروت
- لبنان.

٢٩١-لسان الميزان لابن حجر العسقلاني طبعة دار الفكر بيروت - لبنان.

٢٩٢-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة
الفرقة المرضية تأليف محمد السفاريني الطبعة الثالثة ١٤١١هـ الناشر المكتب
الإسلامي بيروت - لبنان.

- م -

٢٩٣-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمروكين لأبي حاتم البستي تحقيق محمود
إبراهيم زايد طبعة ١٣٩٥هـ الناشر دار الوعي حلب - سوريا.

٢٩٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف نور الدين علي الهيثمي طبعة دار الكتب
العلمية بيروت - لبنان.

٢٩٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم وابنه محمد طبعة ١٤١٢هـ الناشر دار عالم الكتب الرياض - السعودية ويشار لها بـ (مج).

٢٩٦- المجموع للنووي مطبعة الإمام بمصر.

٢٩٧- مجموع يشتمل على رسائل وفوائد كثيرة أصولية ومنظومة ومديح ومراثي تأليف العلامة عبد الله أبابطين وآخرون جمع عبد الله الربيعة (مخطوط) محفوظ بقسم المخطوطات جامعة الملك سعود برقم ٩/٣٤٢٢.

٢٩٨- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين تأليف فخر الدين محمد بن عمر الرازي راجعه وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ومعه تلخيص المحصل للطوسي.

٢٩٩- اغلى لابن حزم الظاهري طبعة المكتب التجاري بيروت لبنان.

٣٠٠- محيط المحيط تأليف بطرس البستاني طبعة ١٩٨٣م الناشر مكتبة لبنان بيروت.

٣٠١- مختصر العلو للذهبي اختصار العلامة الألباني الطبعة الأولى ١٤٠١هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

٣٠٢- مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي اختصار محمد عبد الباقي الزرقاني تحقيق د. محمد لطفي الصباغ طبعة ١٤٠١هـ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٠٣- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان.

٣٠٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- ٣٠٥- المدخل إلى الصحيح للحاكم تحقيق د. ربيع مدخلي الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ
الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٣٠٦- المدخل لابن الحاج طبعة ١٤٠١هـ الناشر دار الحديث.
- ٣٠٧- المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، تأليف د. عبدالحليم محمود، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة - مصر.
- ٣٠٨- المراسيل لأبي داود السجستاني دراسة وتحقيق عبدالعزيز السيروان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار القلم بيروت - لبنان.
- ٣٠٩- مسألة في الكنائس تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق علي الشبل الطبعة الأولى ١٤١٦هـ الناشر مكتبة العبيكان الرياض - السعودية.
- ٣١٠- مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى تحقيق مسعود الخلف النشرة الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار العاصمة - الرياض - السعودية.
- ٣١١- المسائل والرسائل المروية عن أحمد بن حنبل في العقيدة جمع وتحقيق عبدالإله الأحدي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار طيبة الرياض - السعودية.
- ٣١٢- المساجد بين الإتياع والابتداع تأليف محمد القيسى الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار عمار عمان-الأردن .
- ٣١٣- المستخرج تخريج أحاديث إحياء علوم الدين تأليف محمود محمد الحداد الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.
- ٣١٤- المستدرک علی الصحيحین لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للذهبي، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ٣١٥- المستفيثين بالله -تعالى- عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرجبات والدعوات وما يسر الله -الكريم- لهم من الإجابات والكرامات تأليف خلف عبدالمالك بن مسعود بن بشكوال ضبط غنيم عباس غنيم الطبعة الأولى الناشر دار المشكاة - القاهرة - مصر.

- ٣١٦- مسند الإمام أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي تحقيق حسين سليم أسد الطبعة الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الثقافة العربية دمشق - سوريا.
- ٣١٧- مسند الطيالسي تأليف سليمان بن داود الجارود الفارسي الشهير بابن الطيالسي طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان ومكتبة المعارف الرياض - السعودية.
- ٣١٨- مسند الفاروق لابن كثير تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي الطبعة الأولى ١٤١١هـ الناشر دار الوفاء المنصورة - مصر.
- ٣١٩- المسند لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ت ٢١٩هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٣٢٠- المسند للإمام أحمد بن حنبل عناية د. بدر الدين جنث آر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار سحنون - تونس .
- ٣٢١- المسيحية تأليف د. أحمد شلبي الطبعة الثامنة ١٩٨٤م الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة - مصر.
- ٣٢٢- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي تحقيق ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.
- ٣٢٣- مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي الطبعة الأولى دار صادر بيروت مصوره من ١٣٣٣هـ.
- ٣٢٤- مصادر ابن تيمية ومنهجه في تحليلها تأليف د. رزق الشامي بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية القاهرة المجلد ٣٨ الجزآن ٢، ١ رجب ١٤١٤هـ.
- ٣٢٥- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية تأليف صادق سليم صادق الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.
- ٣٢٦- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه تأليف شهاب الدين البوصيري دراسة وتقديم كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الجنان.

- ٣٢٧- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام تأليف عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ مراجعة إسماعيل بن عتيق النشر على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.
- ٣٢٨- مصباح الظلام في المستغنين بخير الأنام في اليقظة والنام تأليف محمد بن موسى بن النعمان المزالي مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مصور من مكتبة شسربتي رقم ٣٦٧٧.
- ٣٢٩- المصباح المنير تأليف أحمد الفيومي المقرئ طبعة مكتبة لبنان بيروت - لبنان.
- ٣٣٠- المصنف تأليف عبدالرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر المجلس العلمي حيدر أباد.
- ٣٣١- المضنون به على غير أهله لأبي حامد الغزالي، تحقيق رياض مصطفى العبدالله، طبعة ١٤٠٧هـ دار الحكمة دمشق - سوريا.
- ٣٣٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد تأليف الشيخ حافظ الحكمي ضبط وتعليق عمر بن محمود الطبعة الثانية ١٤١٣هـ الناشر دار ابن القيم الدمام - السعودية.
- ٣٣٣- معالم السنن للإمام أحمد الخطابي بهامش سنن أبي دواد طبعة ١٤٠١هـ طبعة المستشرقين.
- ٣٣٤- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها تأليف عواد المعثق النشرة الأولى ١٤٠٩هـ الناشر دار العاصمة الرياض - السعودية.
- ٣٣٥- معجم البلدان تأليف ياقوت الحموي تحقيق فريد عبدالرحمن الجندي الطبعة الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٣٦- المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية لصاحبها محمد الكتيبي المدينة المنورة - باب الرحمة ١٣٨٨هـ.
- أخرى : تقديم وضبط كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت

- ٣٣٧- المعجم الفلسفي تأليف د. جميل صليبا الناشر دار الكتاب اللبناني .
- ٣٣٨- المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- ٣٣٩- معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة طبعة مطبعة الرفي ١٣٨٧هـ
- ٣٤٠- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة تأليف عمر رضا كحالة الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- ٣٤١- معجم مصطلحات الصوفية تأليف د. عبد المنعم الحنفي الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ الناشر دار المسيرة بيروت - لبنان.
- ٣٤٢- المغنى تأليف موفق الدين ابن قدامة وبهامشه الشرح الكبير طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.
- ٣٤٣- المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (تخريج الإحياء) تأليف زين الدين عبد الرحيم العراقي عناية أشرف عبد المقصود الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة طبرية الرياض - السعودية.
- ٣٤٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة تأليف محمد عبد الرحمن السخاوي تصحيح عبد الله محمد الصديق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف طبعة ١٣٧٥هـ الناشر مكتبة الخانجي مصر ومكتبة المثنى بغداد.
- طبعة أخرى : الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت (دون تصحيح أو ترقيم).
- ٣٤٥- مقاصد الفلاسفة لأبي حامد الغزالي تحقيق د. سليمان دنيا الطبعة الثانية الناشر دار المعارف - مصر.
- ٣٤٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تأليف علي بن إسماعيل الأشعري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ الناشر مكتبة العلوم والحكم المدين المنورة - السعودية.

- ٣٤٧- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح تحقيق د. عبدالرحمن العنمين الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.
- ٣٤٨- المقصد العلمي في زوائد أبي يعلى الموصلي لأبي بكر الهيثمي، تحقيق د. نايف هاشم الدعيس، الطبعة الأولى، الناشر تهامة المملكة ١٤٠٢ هـ.
- ٣٤٩- الملل والنحل تأليف محمد بن عبدالكريم الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاي طبعة ١٤٠٢ هـ الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان.
- ٣٥٠- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة تأليف د. محمد السيد الجليلند الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ الناشر دار اللواء الرياض - السعودية.
- ٣٥١- منح المدح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري المشهور بابن سيد الناس تحقيق عفت وصال حمزة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار الفكر دمشق - سوريا.
- ٣٥٢- المنخل لغرلة خرافات ابن الحاج في المدخل تأليف د. محمد الخميس الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ الناشر دار الصميعي الرياض - السعودية.
- ٣٥٣- منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم الطبعة الأولى الناشر مؤسسة قرطبة.
- ٣٥٤- منهج الإمام الشوكاني في العقيدة تأليف د. عبد الله نومسوك الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ مكتبة دار القلم الرياض - السعودية.
- ٣٥٥- مهمات التعريف تأليف عبدالرزوف المناوي تحقيق عبدالحميد حمدان الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ الناشر عالم الكتب القاهرة - مصر.
- ٣٥٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ، طبعة بالأوفست لمكتبة المتنى ببغداد سنة ١٩٧٠ م صوره عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤ هـ.
- ٣٥٧- المواقف في علم الكلام تأليف عضد الدين الإيجي طبعة عالم الكتب بيروت لبنان.

٣٥٨- الموسوعة الفقهية من إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت
طبعة ذات السلاسل.

٣٥٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إصدار الندوة العالمية
للشباب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ الناشر الندوة.

٣٦٠- الموضوعات لابن الجوزي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الطبعة الأولى
١٣٨٦ هـ الناشر المكتبة السلفية المدينة المنورة - السعودية.

٣٦١- الموطأ تأليف الإمام مالك بن أنس تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي الطبعة
الثانية ١٤١٣ هـ الناشر دار سحنون - تونس.

٣٦٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د. عبدالرحمن اغمود الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض - السعودية.

- ن -

٣٦٣- ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم خادمه أحمد الغياني تحقيق محب
الدين الخطيب طبعة ١٣٦٨ هـ الناشر المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة - مصر.

٣٦٤- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبورين تأليف حمد بن ناصر بن معمر
تحقيق عبدالسلام بن برجس النشرة الأولى ١٤٠٩ هـ الناشر دار العاصمة
الرياض - السعودية.

٣٦٥- النبوات لابن تيمية طبعة ١٤٠٥ هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

٣٦٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف جمال الدين أبي المحاسن
يوسف بن تغرى بردى الأتابكي طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ.

٣٦٧- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة بنت عبدالحسن
آل سعود الطبعة الأولى ١٤١١ هـ الناشر دار المنارة جدة - السعودية.

٣٦٨- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس القلقشندي تحقيق إبراهيم
الإياري الطبعة الأولى ١٩٥٩ م الناشر الشركة العربية للطباعة القاهرة.

٣٦٩- نهاية الإقدام في علام الكلام تأليف محمد عبدالكريم الشهرستاني حرره وصححه الفردجيوم، طبعه مصوره من مكتبة المثنى بغداد - العراق.

٣٧٠- نهاية السؤل في شرح مناهج الأصول للقاضي البيضاوي تأليف جمال الدين الأسنوي ومعه حواشيه المسماة "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل" تأليف محمد بن بخت مطيع طبعة دار عالم الكتب بيروت.

٣٧١- النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي طبعة المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

٣٧٢- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد تأليف جاسم الدوسري الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٣٧٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني تحقيق طه عبدالرؤوف، ومصطفى محمد الهواري، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة - مصر.

— ه —

٣٧٤- هداية المريد لتحصيل معاني كتاب تجريد التوحيد المفيد لتقي الدين المقرئزي تعليق وضبط أحمد طاحون طبعة ١٤١٤هـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي القاهرة - مصر.

٣٧٥- هذه مفاهيمنا تأليف الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض - السعودية.

٣٧٦- هذه هي الصوفية تأليف عبدالرحمن الوكيل الطبعة الرابعة ١٩٨٤م الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣٧٧-الهواتف لابن أبي الدنيا تحقيق مجدي السيد إبراهيم الناشر مكتبة الساعي
الرياض - السعودية.

- و -

٣٧٨-الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم تحقيق بشير عيون الطبعة
الثالثة ١٤٠٩هـ. الناشر مكتبة المؤيد - الرياض .

٣٧٩-الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين الصفدي عناية س ديدرينغ الطبعة
الثانية.

٣٨٠-وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، لنور الدين علي بن أحمد المصري
السمهودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤، الناشر
مكتبة محمد المدني المدينة المنورة.

٣٨١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف شمس الدين أحمد بن خلكان،
تحقيق د.حسان عبدالقدوس، الناشر دار صادر - بيروت.

- ي -

٣٨٢-اليواقيت والخواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني طبعة ١٣٧٨هـ الناشر
شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وبهامشه الكبرى الأحمر.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
	القسم الأول: الدراسة
	الباب الأول:
٢٣	الفصل الأول: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية
٤٢	الفصل الثاني: ترجمة البكري وموقفه من شيخ الإسلام
٥٥	الباب الثاني: دراسة الكتاب
٥٧	الفصل الأول: الاستغاثة وأقسامها
٦١	الفصل الثاني: الكتب المؤلفة في موضوع الاستغاثة
٧٥	الفصل الثالث: تحقيق عنوان الكتاب
٧٩	الفصل الرابع: نسبة الكتاب إلى المؤلف
٨١	الفصل الخامس: مصادر المؤلف في الكتاب
٨٧	الفصل السادس: منهج المؤلف في الكتاب
	القسم الثاني: تحقيق الكتاب
	الباب الأول: بين يدي التحقيق
٩٩	الفصل الأول: وصف النسخ الخطية
١٠٤	تاريخ تأليف الكتاب
١٠٦	نماذج من المخطوطات

الصفحة	الموضوع
١١١	الفصل الثاني: منهج التحقيق
١١٥	الباب الثاني: دراسة كتاب تلخيص الاستغاثة لابن كثير
	الفصل الأول: تعريف كتاب تلخيص الاستغاثة
١١٧	والمخلص
١٢١	الفصل الثاني: نسبة التلخيص لابن كثير
١٢٥	الفصل الثالث: منهج ابن كثير في التلخيص
	الفصل الرابع: الموضوعات التي انفرد بها التلخيص أو
١٢٧	أطال فيها
	الفصل الخامس: الموضوعات التي سقطت من الكتاب
١٣١	الأصل
١٣٣	استدلال البكري بحديث آدم في التوسل
	الأحاديث الواردة في كتابة نبوة النبي
١٣٧	استدلال البكري بقصة الإمام مالك مع
١٤٢	المنصور
١٤٤	استدلال البكري بحديث الكوة
١٤٧	استدلال القبورية بحديث الأعمى
١٥٠	استدلال القبورية بسماع الميت
١٥٤	حكم دعاء صفة من صفات الله
١٥٨	سبب ضلال البكري وأصل شبهته
١٦٠	استعداد البكري للدولة على ابن تيمية

الصفحة	الموضوع
	رد البكري على استشهاد ابن تيمية
١٦٢	بحديث لا يستغاث بي
	النص المحقق
	رد ابن تيمية على البكري من وجوه:
١٦٩	الوجه الأول: الرد على كلام البكري في منزلة المقربين
١٧٤	مسألة الخلق والمخلوق
١٨٩	الاستخلاف
	إبطال استشهاد البكري بقوله تعالى
١٩٧	﴿وَمَا رَمَيْتَ ... آيَةً﴾
	إجماع السلف على أن الخلق غير
٢٠٢	المخلوق ونقل ذلك عنهم
	رد استشهاد البكري بحديث «عبيد
٢١٥	جعت ...»
٢١٧	رد استشاد البكري بحديث الأولياء
	الوجه الثاني: الرد على كلام البكري في شهود
٢٢١	القيومية
٢٣٤	التوحيد المنجي
	الوجه الثالث: شهود الأنبياء - سادات المقربين -
٢٣٧	للقيومية
٢٣٩	الوجه الرابع: تفريق سادات المقربين بين الأمر والنهي

الصفحة	الموضوع
٢٤٠	الوجه الخامس: مراد البكري في بيعة النبي ﷺ
	الوجه السادس: الرد على كلام البكري في الصورة والمعنى
٢٤٢	الوجه السابع: الرد على تفسير البكري لحديث «لا يستغاث بي»
٢٤٣	الوجه الثامن: خطأ من سوى بين الاستغاث والتوسل
٢٤٤	الوجه التاسع: لا يصح نفي الفعل باعتبار القيومية
٢٤٦	الوجه العاشر: باعتبار فهم البكري للقيومية لامدح للنبي ﷺ
٢٤٧	الوجه الحادى عشر: لا يجوز نفي فعل العبد عنه اتفاقا
٢٤٨	الوجه الثانى عشر: شرح حديث «ماأنا حملتكم»
	الوجه الثالث عشر: الكلام على حديث «لا يستغاث بي»
٢٥١	الوجه الرابع عشر: على فهم البكري ينبغي سؤال الناس
٢٥٥	الوجه الخامس عشر: النهي عن سؤال المخلوقين
٢٥٨	الوجه السادس عشر: مدح النبي ﷺ لمن لا يسأله
٢٦٣	عودة للرد على الوجه الثالث عشر
٢٦٤	الوجه الأول: جواز سؤال النبي وغيره بعض الأمور
٢٦٥	الوجه الثانى: الاستغاثه ليست من الأسباب المشروعة
٢٦٩	

الصفحة

الموضوع

٢٧٢ الوجه الثالث: لفظ الحديث لا يدل على دعوى البكري

٢٧٤ الوجه الرابع: فهم الصحابة للحديث

الوجه الخامس: رد احتجاج البكري بحديث «من نزلت

٢٧٦ به فاقه»

٢٧٨ الوجه السادس: السبب المشروع لا ينافي التوكل

فصل

٢٨٧ كلام البكري في الرد على ابن تيمية

٢٨٨ رد ابن تيمية:

الوجه الأول: إيراد جواب المؤلف الذي رد عليه

٢٩٢ البكري

٢٩٤ الوجه الثاني: الله - تعالى - لا ينفي الشئ ويشته

٢٩٩ بعض مقولات الغلاة في النبي ﷺ

شرح قوله تعالى ﴿وما النصر إلا من

٣٠٢ عند الله﴾

شرح قوله تعالى ﴿إنك لا تهدي من

أحببت﴾

٣٢٥ الوجه الثالث: رد احتجاج البكري باللغة

٣٢٧ الوجه الرابع: نزاع الناس في إثبات الأسباب والحكمة

٣٣٠ الوجه الخامس: الاستغاثة ليست من الأسباب المشروعة

٣٣٢ الوجه السادس: سؤال الميت والغائب حرام

الصفحة	الموضوع
	مفاسد سؤال الميت
	فصل
٣٤٧	كلام البكري في تخصيص النبي ﷺ بالنفي
	رد ابن تيمية:
	الوجه الأول: ليس في الجواب تخصيص النبي ﷺ بالذكر
٣٤٨	
٣٥١	الوجه الثاني: ذكر الملائكة والأنبياء لتحقيق العموم
٣٥٤	الوجه الثالث: رد دعوى البكري في تنقص النبي ﷺ
٣٥٧	سبب خطأ البكري في الاستغانة
٣٧٥	بعض حكايات غلاة الصوفية
٣٨١	مقارنة بين منهج المبتدعة وأهل السنة
٣٨٣	حكم تكفير المعين
٣٨٧	موقف المؤلف من تنقص النبي ﷺ
٣٨٩	مضمون ما ذكره البكري
٣٩١	رد احتجاج البكري بحديث الأعمى
٣٩٨	رد احتجاجه بحديث توسل آدم
٤٠١	رد احتجاجه بحكاية المنصور
٤٠٣	رد احتجاجه بفتح الكوة
	الشفاعة عند الفلاسفة وأخذهم من
٤١١	الصابئة

الصفحة

الموضوع

	مقارنة بين الموحدين والمشركين في
٤٢٥	الشفاعة
٤٢٧	النهي عن اتخاذ القبور مساجد
٤٤١	أقوال المفسرين في الوسيلة
٤٤٩	الاستعاذة لا تصح بمخلوق وأدلة ذلك
٤٥٥	الثناء على الله - عز وجل - بالشعر
٤٦٥	حج الغلاة إلى القبور وغلوهم في ذلك
٤٧٤	مقارنة بين بيوت المقابر وبيوت الشرك
	مقارنة بين شرك العرب وشرك
٤٨٠	الفلاسفة
	شرك الفلاسفة شر من شرك العرب في
٤٨٩	الجاهلية
٤٩٥	دين العبيدين
٤٩٨	الوجه الرابع: تنقص الغلاة للرسول
	فصل
٥٠٩	كلام البكري في تبديع ابن تيمية
	رد ابن تيمية:
	الوجه الأول: بيان الابتداء
٥١٠	الوجه الثاني: تنقص البكري للنبي ﷺ
٥١١	الوجه الثالث: موافقة العلماء للمؤلف

الصفحة

الموضوع

فصل

كلام البكري في تكفير من نفى الاستغائة بالنبي ﷺ

رد ابن تيمية: ٥١٢

الوجه الأول: كذب البكري على المؤلف ٥١٢

الوجه الثاني: التخصيص بالذكر تعظيم للمخصوص ٥١٣

الوجه الثالث: الاستغائة المطلقة لا تصح إلا بالله ٥١٤

الوجه الرابع: المنفي عن المخلوق هي الاستغائة الكاملة ٥١٦

الوجه الخامس: رد دعوى البكري في تكفير من نفى

الاستغائة ٥٢١

الوجه السادس: نفى الاستغائة لا يقتضي نفى التوسل ٥٢٦

الوجه السابع: جواب المؤلف نفى لمشروعية الاستغائة ٥٢٦

الوجه الثامن: إثبات المؤلف لشفاعاة النبي ﷺ والتوسل

المشروع ٥٢٩

الوجه التاسع: رد تكفير البكري للمؤلف ٥٣١

الوجه العاشر: رد دعوى سلب صلاحية الرسول ٥٣١

الوجه الحادي عشر: الاستغائة بالنبي ﷺ ليست من

أوصاف الكمال ٥٣٩

نفى النبي ﷺ عن نفسه الضرر

والنفع ٥٤٩

الصفحة

الموضوع

فصل

كلام البكري في سوء العبارة في حق النبي ﷺ

رد ابن تيمية:

٥٥٤

٥٥٤

الوجه الأول: موضع النزاع ليس فيه سوء عبارة

٥٥٤

الوجه الثاني: سوء العبارة في حق الله أعظم كفرا

٥٥٦

الوجه الثالث: الإساءة الحقيقة للنبي ﷺ

٥٥٧

الوجه الرابع: بيان التوحيد من أجل الأمور

٥٦٩

الوجه الخامس: عدم إمكانية تحديد سوء العبارة

٥٧١

الوجه السادس: إجماع الأمة على عدم تكفير المخطئ

فصل

كلام البكري في الاستخفاف بالنبي ﷺ

٥٧٧

٥٧٨

شرح المؤلف لآية التوبة وتكفيره لمن استخف بالرسول

٥٧٩

مقارنة بين الغلاة والمشركين في موقفهم من الأنبياء

٥٨١

استهزاء القبورية بالله

٥٨٩

أقسام الاستغاثة

فصل

٥٩١

كلام البكري في وجوب قتل ساب الرسول ﷺ

بيان المؤلف أن البكري نقل من كتابه

الصارم المسلول على شاتم الرسول

الصفحة

الموضوع

فصل

اتهام البكري للمؤلف بتنقص الرسول ﷺ

٥٩٣

جواب ابن تيمية:

بيان التنقص الحقيقي للرسول ﷺ

٥٩٦

الرد على البكري في رمية للمؤلف بالزندقة

٥٩٨

موقف البكري مع السلطان وتعليق المؤلف

فصل

٦٠١

كلام البكري في الاحتياط لجنابه ﷺ

بيان المؤلف أنه منقول من كتابه الصارم المسلول

فصل

كلام البكري في تعليل نفي النبي ﷺ للاستغاثة عنه

٦٠٥

تجهيل المؤلف للبكري في الاستدلال

٦٠٦

وجوب وصف الرسول ﷺ بما وصف به نفسه

٦٠٧

مشابهة أقوال البكري لأقوال النصارى

رد دعوى البكري في عدم وصف الرسول بما وصف به

٦٠٩

نفسه

٦١١

رد دعوى البكري في صدور عبارة موهمة منه ﷺ

فصل

٦١٣

كلام البكري في مخاطبات الأنبياء فيما بينهم

الصفحة

الموضوع

جواب ابن تيمية:

الوجه الأول: عدم دلالة كلام البكري على موضع

النزاع

٦١٦

الوجه الثاني: وجوب الإخبار بما أخبر به النبي ﷺ عن

نفسه

٦١٨

الوجه الثالث: إجماع الأمة على منع الاستغاثة بالنبي ﷺ

٦٢١

الوجه الرابع: ما يسوغ للأنبياء قد يسوغ لغيرهم

٦٢١

الوجه الخامس: النزاع في عصمة الأنبياء

٦٢٣

الوجه السادس: شرح بعض ألفاظ حديث الحاجة

٦٢٤

الوجه السابع: قد تكون هذه الكلمات من باب

المعارض

٦٢٦

سبب الشرك وأثاره

٦٣١

عودة لشرح حديث الحاجة

٦٣٥

سبب غلط بعض الصوفية في الفناء

٦٤٤

أقوال الفرق في الإرادة

٦٤٧

عودة للكلام على حديث الحاجة

٦٥٠

وجوب التسليم لله عند المصائب

٦٥٣

خاتمة التحقيق

٦٥٥

الفهارس

٦٦٣

فهرس الآيات

الصفحة	الموضوع
٦٧٧	فهرس الأحاديث الآثار
٦٩١	فهرس الأعلام المترجم لهم
٦٩٥	فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
٦٩٩	فهرس الفرق والأديان
٧٠١	فهرس الأماكن والبلدان
٧٠٣	فهرس الكتب الواردة في أصل الكتاب
٧٠٥	فهرس الشعر
٧٠٧	فهرس المصادر والمراجع
٧٤٧	فهرس الموضوعات

* * *